

مجلة كلية الآداب



المجلد الثالث عشر - الجزء الأول

مايو ١٩٥١

تصدر هذه المجلة مرتين في السنة . في مايو وديسمبر . وتطلب من مكتبة
جامعة فؤاد الأول بالجزيرة . وتوجه المكاتبات الخاصة بالناحية العلمية
إلى المشرف على تحريرها الدكتور زكي محمد حسن بك عميد كلية الآداب
بجامعة فؤاد الأول بالجزيرة

طبعة جامعة فؤاد الأول

١٩٥١

فهرس القسم العربى

صفحة	
١	الدكتور فؤاد حسين على ... نشيد الاثناسيد لسايمان
٢٣	الاستاذ أحمد الشايب بك ... ملحة الراعى . تحقيق ، وضبط ؛ وشرح وتقديم
٦١	الدكتور محمد يوسف ... تحقيق بعض الالفاظ الهندية العربية والدخيلة فى اللغات الهندية
٨٧	الدكتور محمد محمود الصياد ... سكان مديرية البحيرة فى خمسين عاما (١٨٩٧ — ١٩٤٧)
١٢٣	الدكتور اسماعيل على معتوق مصر والكتاب المقدس
١٢٣	الاستاذ عيد الوهاب حموده ... حول بحث « أول من وضع النحو »
١٤٥	الدكتور محمد مصطفى حامى ... آثار الهرودوتى المقتول ، تصنيفها ، وخصائصها التصوفية والفلسفية
١٧٩	الدكتور مصطفى الخشاب ... الأمة : نشأتها ودعائها الاجتماعية
... ..	الاستاذ شوقى ضيف ... كتاب رايات المبرزين وغايات المميزين لابن سبيد . نشر وتحقيق الاستاذ
... ..	غربية غومس
... ..	أميليو غربية غومس ... كتاب «رايات المبرزين» تمقيب على نقد

نشيد الأناشيد الذي لسليمان^(١)

بقلم

الركنور فؤاد مسنين على

هذه مجموعة من الأغاني الشعبية الاسرائيلية بعضها في الغزل والبعض الآخر في الزفاف يرى فيها القارئ، متاجرة الأجابة وغرام العاشقين كما يلمس الصلة القوية بين الخيال العربي الجاهلي والنشيد الاسرائيلي . وهذه الصلة في الخيال والتعبير هي التي حدثت بي إلى نقل هذا النشيد من أصله العبري إلى لغتنا العربية كما حرصت على أن التزم الدقة في الترجمة مع التصرف الذي يتفق ولغة النشيد أولا والأسلوب العربي ثانيا .

سيطلع القارئ على هذه الترجمة وسيرى لونا من ألوان الأدب ليس جديدا كله ، وذلك لأن الصور التي يعرضها لنا النشيد نجد لها في كثير من قصائدنا العربية الجاهلية خاصة تلك التي يعبر عنها امرؤ القيس في معلقته مثلا بقوله :
خُفْتُ وَقَدْ نَضَمْتُ أَنْوَمَ ثِيَابَهَا لَدَى السَّيْرِ لَا لِبَدَةِ الْمُتَضَمِّلِ

أو

هَضَرْتُ بِفُودَى رَأْسِهَا فَتَأَلَيْتُ عَلَى هَضْمِ الْكَشْحِ رِيَا الْمُخْلَجِلِ

أو

وَفَرَحَ يَزِينُ الْمَتْنُ أَسْوَدَ فَاحِمٍ اثْبِتْ كَهَقْنُو النَّخْلَةَ الْمُتَعَمِّكِلِ

أو قول عمرو بن كلثوم :

وَسَارِبِي بَلَنْطُ أَوْ رِخَامٍ يَرْنُ خَشَّاشٌ حَلِيمًا رَيْنَا

وهذا النشيد جمع في عصر متأخر لن يكون أبعد من القرن الثالث ق.م ولعل السبب في ضمه إلى أسفار الكتاب المقدس نسبته إلى سليمان ابن داود ولو أنه ليس مؤلفه الحقيقي بدليل هذه الانتفاضة وتلك العبارات الواردة به والتي تحتم علينا الرجوع بتاريخ هذه الأغاني إلى عصر آخر غير عصر سليمان .

أغنية العروس

قلبي بقبيلاتك ، فكامعتك ألد من الحمر .
لعطورك الطيبة الشذا ، وكالزيت الطيب اسلك .
لذلك أحبك النساء ، اجذبني خيلك ، دعنا نهول ، خذ يدي يا هليك
إلى حجالك .

سمراء أنا وجميلة يا بنات اورشليم^(١٢) .
كخيام قيد^(١٣) ، ومخائل سليمان .
نبتون وتفرخ بك . حبك أبقي من الحمر . حقا يحبك .
لا تمجدجني . لكوني سمراء ، الشمس دبستني .
غضب على مواطني ، وعينوني لامصة .
أما كرى فأملته .

قل لي حبيب روحي أين ترعى ؟
أين تربض في الظهيرة ؟
حتى لا أصير كالنخيلة بين قطعان أصدانك .

تبادل الغناء بينهما

إن لم تعرفي يا أجل النساء ، فأذهبي واقف أثر الغنم ، واراع جدالك
عند أكراخ الرعاة .

شبهتك حبيبي بفرس مجفف في مراكبات فرعون .
ما أجل لمزمتيك يتدلى عليهما الحجاب ، وجيدك حوله السحاب !
سنصنع لك قلائد الذهب المطعمة بالجذافات .

إذا جلس الملك على عرشه فأحت راحة نردى .
حبيبي لى كباقة المراتى نادت بين ثدى .
ما أشبه حبيبي بالحناء بكرم عين جدى .

جميلة حبيبي إنك الغانية عينك عينا حمامة .

جميل أنت يا حبيبي وحلو ، سرىنا أخضر .
قوائم بيتنا من الأرز والمطم منها فبخشب السرو .
أنا نرجسة شارون^{١٤} وسوسة الوديان

سوسة بين الأشواك حبيبي بين الفتيات .

شجرة تفاح فى الغابة حبيبي بين الشبان ، ما أشهى الجلوس فى جواره
وما أحلا فاكهته فى حنى !

أدخلنى حانه ، وخفقت علينا راية كانت غراما .
أنعشونى بكحك الزبيب أسعفونى بتفاح إنى مريضة حباً .
شماله تحت رأسى ويمينه تضمينى .
أحلمكن يا بنات أورشليم بأياكل البرية والظباء ، ألا تيفظن الحب
أو ترعجنه حتى يشاه .

الغزل في الربيع

حببي !! أتينا فاقراً الجبان ورواناً اللال .

حببي شبيه الظبي وغفر الأروية ؟

ها هو واقف خلف حائطنا يتطلع من النوافذ ويلص .

أجاني حببي وقال لي : حبيبي قومي ، جميلتي تعالي ، الشتاء ولي
والطر احتبس .

احوارت الأرض وحان القصب .

والآن نسمع هديل الحمام في أرضنا .

أخرجت التينة فجها وأزغبت الكرم تفوح منه الخطة .

قومي حبيبي ، اذهبي جميلتي تعالي .

حمايتي في الشقبة وستر المعافل ، أربني مرآك فهو جميل ، وأسمعيني
صوتك إنه حلو .

خذوا لنا الثعالب والكتعان فهي مثقلة للكروم ، وكرومنا قد تورث
وفاتحت الخطة .

حببي الراعي بين السوسن لي ، وأنا له .

ارجع يا حببي ، يا شبيه الظبي وغفر الأروية ، على شعب الجبال ،
حتى يصبح اليوم روح .

حلم الواهية

في الليل على سريري بحثت عن الذي تحبه تقمى وما وجدته .
أقوم أطوف في طرق المدينة ورحباتها أبحث عن الذي تحبه تقمى
ولا أجده .

وجدني الحراس الذين يطوفون المدينة فسألهم .

هل رأيتم حبيب قلبي ؟

وما كدت أتركهم حتى لفيت جيب الروح ، فحذبتة ولم أتركه
حتى أدخلته بيت أمي إلى غرفة من حملت بي .
أحلكتني يابنات أورشليم بأياكل البرية والظباء ، ألا تيقظن الحب ،
أو تزعجنه حتى يشاء .

زفاف العروس

من هذه الصاعدة من البرية كعمود بخور المر واللبنان ؟ .

هنا عرش سليمان حوله ستون جبارا من جبابرة اسرائيل^(١) .

مسلحين بالحرايب يحمدون فنون القتال وبحوار كل حربته اتقاء
لأهوال الليل .

صنع سليمان لنفسه عرشا من خشب لبنان له أعمدة من الفضة وروافد
من الذهب .

ومتعداً من الارجوان .

أما وسطه فحبة يابنات أورشليم .

أخرجن بنات صهيون^(٢) وانظرن الملك سليمان الذي توجته به أمه
فرحة يوم زفافه .

مدح العروس

ما أحللت حبيبي ! وما أجملك !
عينك خلف اللثام كعيني حمامة .
شعرك يتأوج تماوج شعر معز تنحدر من جبل جلعاد^(١٧) .
أسنانك كقطيع جزائر خارج من الغسل شياحه متهات وليس بينها
المفرد .
شفتك خيط آخر وفك حلو أما خدك فقلعة رمانة تحت لفافك :
عنقك مجدل داود^(١٨) بني ليكون حقيقتا علي به ألف مجن كلها أتراس
أبطال :
نديك خشفان ، غزالان برعيان السوسن . اذهب إليك الى جبل المر وتل
البان متى أصبح اليوم روح وفي الظل مستأنف
جميلة يا حبيبي ولا يغيب فيك :

سرقب قلبي

تعالى معي من لبنان^(١٩) يا عروسي تعالي من لبنان أنظري من ظهر : أماناه^(٢٠) :
من قبة : سنير^(٢١) ، و : حرمون^(٢٢) : من جدد الأبد وجبال النور .
سيت فؤادي جرحتي بالحظك وبقلادة من قلادة عنقك يا أختي يا عروسي ،
ما أجل حبك يا أختي ان حبك أحلا من الوين وزائحة عطورك تفوق
العطور يا عروسي .
... عروسي شفئك بقطران شهدا ، بعسل ولبن يسيل أسنانك ، ولثيانك
ربا كشدنا لبنان .

عروسی جنة

جنة معلقة أخى ، نبع مخنوم وعین بکر عروسی .
غرسك جنة رمان وثمار شهية ، حنة مع رند ، ورنند مع کر کم عود
وقرفة مع أنفیس الأعواد والبخور .
عین فی جنة ، ونبع ماء قراح ، وروائح لبنان العطرة .
هی یارب الشمال وتعالی یارب الجنوب .
زفی الی جنتی کی فرح بشاما ، لیأت حبیبی الی جنته ولیأکل ثمر الشهی .
دخلت یا أختی جنتی قطعت یاعروسی مرى وبشای أکلت أربی مع دبسی
شربت مخری مع لبنی امتخوا أیها الاصحاب واشربوا أیها الاحباء واتعلوا
غراما .

حلم العروس

أنا نائمة وقلبی یقط ، حبیبی یطرق افتح لی یا اختی یا حبیبی حامی
غانبی کسا الطل هامی ورش اللیل قصبی .
خلعت غلاتی فکیف ألبسها وغسلت قدی فکیف أوسخهما .
مد حبیبی یده من النکوة نغفی له قلبی قت أنا لأفتح لحبیبی یدای
تقطران مرأ وأصابی علی المغلاق مرأ سائلا .
فتجت لحبیبی فأذ به تحول وعبر وفارقتی فقی عندما انصرف بحت عذ
وما وجدته وناديته ولم یجینی .
وجدنی الحرس الطائف بالمدينة ضربونی جرحونی مرقوا إزاری حراس
الأسوار .
أحلفک یا بنات أورشلم إذا ما وجدت حبیبی أخبرنه أنى مریضة غراما .
ما حبیبک من حبیب أیتها الجمیلة بین النساء .
ما حبیبک من حبیب حتی تحلفینا ا

مدح العروس

حبيبي أحسب وعلم على ربوة .
رأسه نضار قصصه جعدة حالكة كالغراب .
عيناه كالخام على مجارى المياه مغسولتان باللبن جالستان في بحجرهما .
خداه حيضان بشام وأحفاش أدهان ذكية .
شفته سوسن وتقطران مرأ سائلا .
يذاه قضبان مستديران من ذهب مرصعتان بزبرجد ، بطنه قطعة من عاج
مغلف بياقوت أزرق .
ساقاه عمودا رخام أبيض تقومان على قاعدتين من الأبريز ، طلعتاه كلستان ،
خير الفتيان كشجر الأرز .
فه حلوة وكل ما فيه يشهى ، هذا حبيبي هذا خليلي يا بنات اورشليم .

أين ذهب حبيبيك أيها الجميلة بين النساء ، أين توجه نخلك فَنَطْلِبُه مَعَكَ .
حبيبي نزل إلى جنته إلى محافل البشام ليزعن في الجنان ويجمع السوسن .
أنا لحبي وحبيبي ، هو راعي بين السوسن .

جميلة أنت يا صديقتي

حلوة مثل : ترصة ^(١٢) : يا حبيبتى ، جميلة كأورشليم يا خليلتى قاهرة
كجيش عرمرم :
حولى عينيك عنى فقد خيلتاني ، شعرك يتأرجح تمارج المز من فوق
جبل جلعاد .
أسنانك مثل قطيع الجزائر الخارج من الفسل ، شياحه متمات
وليس بينها المفرد .

خذك فلة رمانة تحت لمامك .
 ستون ملكة لسيان والسراري ثمانون : أم العذارى فلا يخصمهن شد .
 وحيدة حمامي وغانية .
 وحيدة لأما ومخلصة لوالدتها .
 ولما العذارى رأيها مدحها ومدحها ملكات وسراري هالين لها .

أغنية رقصة العروس بالسيف

من هي المشرقة مثل السحر ، الجميلة كالقمر .
 الطاهرة كالشمس القاهرة كجفاف الجبلش . ؟
 نزلت الى حديقة الجوز لأنظر خضر الوادي .
 وهل أقبل الجفن ونور الرمان : ؟
 ولم أشعر إلا وانتقلت الى مركبة : عمنديب^(١٤) .
 ارجعي ارجعي يا شولاميث^(١٥) ارجعي ارجعي لتراك
 ماذا تريدون من شولاميث تريدون رقصة السيف ؟
 ما أجل قدميك في النعل يا بنت النيل .
 دوران وركيك كحلية صبا فنان . .
 مريضك كاس مستديرة لا يعوزها شراب مجروح .
 بطنك عرمة حنطة يحيط بها السوسن .
 ندياك خشنا ظبية .
 عنقك برج من العاج .
 وعيتاك برك : حشيون^(١٦) : عند باب : بث ريم^(١٧) .
 أيقك برج لبنان المطل على دمشق .

رأسك كرملى وشعرك أرجواني ملك أسير الخصل .
 ما أجلك وما أحلاك يا حبيبة وقت المفذات .
 قامتك نخلة وتديك كبائس .
 قلت تملق النخلة وأمسك بأعناقها .
 تديك عناقيد عنب وريح فك رائحة تفاح .
 فك يجود بأحسن الخمر ينساب الى فمي سهلا ويجرى الى شفاه النائمين .

ربيع الحب

أنا الحبيبي وبشتاقي .
 لنخرج حبيبي إلى الحقول ولنبت في الكفور .
 لنبكرن إلى الكروم ذرى هل أزهر الكرم .
 وأقبل الجفن ونور الرمان .
 وهناك أقدم لك حبي .
 تفاح الحب تفوح رائحته وعند أبوابنا تمر شمس رطب ويابس حفظته
 لك يا حبيبي .
 ليتك كآخ لي رضيع من ندى أمي .
 فألقاك في الخارج وأقبلك ولن يزلقوني بصرهم .
 أَدْخَلَكَ بَيْتَ أُمِّي حَيْثُ حَمَلْتَنِي .
 أسفك عمرا ممزوجا وعصير رمان .
 شماته تحت رأسي ويمية تضيئني .
 أحلفكن يابنات أورشليم .
 ألا تيقظن ألا تنهين الحبيب حتى يشاء .

الحب جبار كالموت

من هذه الطالعة من البرية المستندة على حبيبها ؟
تحت شجرة التفاح أيقظتك .
هناك حملت بك أمك وبالألم ولدتك .
ضعني على قلبك كخاتم أو عضاد .
الحب جبار كالموت والغيرة نارية كعالم الأموات لهيها نار الله الموقدة .
المياه الغزيرة ليست بمستطيرة اتحاد جذوة الحب والسيول لن تغمرها
ولو قدم الانسان كل ما يملك للحب قبول باحتقار .

العروس قبل الزواج

لنا أخت صغيرة لم ينهد نديها لها إذا نصنع بها يوم تطلب يدها ؟
إن كانت حائطاً وضعنا عليه شرفة من الفضة .
وإن كانت باباً وقيناه بالواح من الأرز .
أنا حامية وندياي برجان :
وفي عيني واجدة سلاماً .

كرمان

كرم لسايان في : بعل همون : أعطاه للنطار حيث يدفع كل واحد
منهم ألف فضة .
كرمي متاعى خذ الألف لك يا سليمان ومائتين لحراس ثمره .
أيتها الجليلة في الجنان ، الخيلان ينهتون أسمعي .
أمرع حبيبي كالظي أو غفر الأياكل على جبال البشام .

الملاحظات

(١) ابن داود تولى الملك حوالى عام ٩٥٠ ق. م . كان محبا للسلام شيد معبد أورشليم ، وقد اشتهر بالحكمة واليه ينسب نشيد الأنشيد والأمثال والجامعة .

(٢) يعتقد ان هذا اللفظ حيثي الأصل وأول ما ذكرت هذه المدينة فى القرن الرابع عشر ق. م . وظلت عاصمة لليهود منذ حكم داود (القرنين الحادى عشر والعاشر) وفى عام ٥٨٦ ق.م خربت ثم أعيد بناؤها عام ٥٢٧ ق.م . وخربت ثانية عام ٧٠ م وفى عصر هديران (١١٧ — ١٣٨ م) حرمت على اليهود وأطلق عليها لفظ : ايليا كابيتولينا (Aelia Capitolina) .

ثم جاءت المسيحية فلم تحدث أثراً ما فى حياة المدينة وظلت كذلك حتى جاء الاسلام فرفع مكانتها وهياها لأن تلعب دوراً هاماً فى تاريخ العقائد السماوية السامية .

(٣) قيدر : قبيلة عربية كانت تقيم فى بادية الشام وقد ورد ذكرها فى العهد القديم والنقوش الاكادية كما ذكرها بلينيوس (Plinius) أيضاً .

(٤) شارون : الجزء الممتد من شاطئ فلسطين فياين يافا حتى قيصرية .

(٥) إسرائيل : فى الأصل اسم آخر ليعقوب ومن ثم أطلق على الشعب اليهودى :

(٦) صهيون : تل باورشليم وعليه شيد برج داود ومن ثم عمم هذا اللفظ فأصبح يدل على سائر أورشليم .

(٧) جلعاد : جبال واقعة شرق الأردن .

(٨) داود : أشهر الملوك الذين ملكوا حوالى القرن العاشر ق. م على يهوذا وإسرائيل وهو الذى انتصر على جوليات وفتح أورشليم ومؤسس أسرة ، يقال إن المسيح من بين أفرادها . وقد كان داود شاعراً وموسيقياً .

(٩) لبنان : جبال في شمال فلسطين وهي مشهورة بغابات الأرز .

(١٠) أمّاء : هو نهر — يردى — الحالى الذى يجرى فى دمشق .

(١١) سنير : أو سنير هي جبال سنير التي ذكرها أبو الفداء والبلاذرى وهي واقعة في شمال شرق فلسطين وجزء من لبنان وتعرف الآن باسم جبل الشيخ وقد أطلق عليها قديماً أيضاً اسم حرمون .

(١٢) حرمون : (انظر ١٢) .

(١٣) ترصا : مدينة في مملكة إسرائيل وكانت العاصمة في الفترة الممتدة بين القرنين العاشر والتاسع ق . م

(١٤) عميتدب : ملك العمونيين وهم شعب كان يزل شرق الأردن وكانت عاصمته : ربت عمون وهي : عمان الحالية .

(١٥) اسم أنقى .

(١٦) جشيون : عاصمة موآب (شرق الأردن) قديماً .

(١٧) اسم أحد أبواب المدينة .

שִׁיר הַשִּׁירִים

CANTICUM CANTICORUM.

1. יֵשׁוּעַ הַפְּרִיז אֶת אֲשֶׁר לְשִׁלְמָה:

וַיִּשְׁקֵנִי מִנְּשִׁיקוֹת פִּידוּל כִּי-מוֹכִים וְדָדָה מִיָּו:

וַיִּלְחֶץ שְׁמֹנֶה עָזְרָא שֶׁמֶן חֶמֶץ עַל-כֵּן עָלְמָת אֶהְיֶיהָ:

4משכני אחיך קרוצה הביאני הסלך עירי

גְּנִילָה וּגְשָׁמָהּ לָךְ גְּבוּרָה וְחַיָּה מֵיָן מִשְׁרִים אֶהְיֶה:

שְׁחֻזָּה אֲנִי וְנִאֲלָה בְּנוֹת יְרוּשָׁלַם

פאדל קור. פירישת שלמה:

סאל־הָרְאֵנִי שְׂאֵנִי שְׁתַּרְתֵּרְתָּ שְׁשֻׁפְתֵּנִי הַשֶּׁמֶשׁ

בְּנֵי אִמִּי גִמְרוּ-בִי שְׁלֹנִי וְטָרָה אֶת-הַכְּרִסִּים יִכְרְסֵי שְׁלִי:
[לֹא נִטְרָתִי:]

והנידה לי שאהבה נפשי איכה תרעה איכה תרפיץ באהבים

שְׁלֵמָה אֶהְיֶה כְּעֶמְלָה עַל עֲדָרֵי סִבְרִיָּה: ׀

8אם-לא תדע לך היפה בנשים

צאי-לך בעקבי הצאן ורעי את-גדילתך על משכנות הרעים: ־

וּלְמַסְכָּתִי בִּרְכַּבִּי פָּרַעָה וְשִׁיתִיךָ נְעִיתִי:

אֲנִי נִצְטָר לְחַלּוֹת בְּתוֹרִים צוֹאֵר בְּתוֹרִים:

ייתורי זהב בעטתה-לך עם נקודות הפספס:

זו ער-שהפלוה במסכנו נרד נתו ריתו:

בַּצִּלְזֵר הַפָּרִי וְהַדִּי לִי בֵּין שְׁנֵי יָלִין:

צִיּוֹן לְמַעַן מִכְּלֵי שָׁמַיִם וְעַד אֲרָצוֹת הָאֲדָמָה וְעַד הַיָּם וְעַד הַבְּרִיָּה וְעַד הַיַּבֵּשׁ וְעַד הַיָּם וְעַד הַבְּרִיָּה וְעַד הַיַּבֵּשׁ

+ טו 4 || מתרוקן | & effusum; vel | מוצק | חז' 4,10 cf || בְּשֵׁמֶיךָ
לְשִׁפְרָה d prps || תַּרְדֵּךְ c s || הַבִּיאֲנִי c s b || לְרִית שְׂמִיךָ

5^a add; cf mtr || 5 | שלם (שלום) || 6^a add, cf mtr || 7^a m cs dl ||
 8^a vel c פטעה שטו פטעה || 8^a add, cf mtr || 9 sic Occ, Or לטבה

נרדו 1 חז 12 || לסוכתי' prps

14 וְהָיָה בְּחַנְיָ הַפֶּלַע בְּחֵרֵי הַמִּדְבָּר
הָרֹאֵי אֶת־מִצְרָיִם הַטְּמִיעֵנִי אֶת־קוֹלְךָ
כִּי־קוֹלְךָ עָרַב וּמִצְרָיִם נִאֲנָה: ׀
15 וְאַחֲרֵי־כֵן שְׁעָלִים שְׁעָלִים קָטָנִים
מִחֲבָלִים כְּרִמִּים וּבְרִמֵּי סִמְרָה:
16 וְדָד לִי נֶאֱנִי לֹא הִרְעָה בְּשׁוֹשְׁעִים:
17 יַעֲד שְׁפִיחַת הַיּוֹם וְנִסִּי הַעֲלָלִים
יִכַּב וְסֶהֱלֶךְ דָּדִי לִצְבִּי

אָ לַעֲבֹר הָאֱלִילִים עַל־הָרִי בְּתָר: ׀ וְלֹא מִצְאָתִיר:
3 יַעֲלֶם־שִׁבְיָ בְּלִילֹת בְּקִשְׁתִּי אֶת שְׁאֲהֶבָה נִפְשִׁי בְּקִשְׁתִּי
אַחֲרָהּ נָא וְאִסְבְּכָה בְּעִיר בְּשָׁנִים וּבְרַחֲבוֹת
אַבְקָשָׁה אֶת שְׁאֲהֶבָה נִפְשִׁי בְּקִשְׁתִּי וְלֹא מִצְאָתִיר:
נִמְצְאוּנִי הַשְׂמָרִים הַסְּבָבִים בְּעִיר אֶת שְׁאֲהֶבָה נִפְשִׁי רִאֲיָתָם:
בְּמַעַט שְׁעָבְרָתִי מִתָּם עַד שֶׁמִּצְאָתִי אֶת שְׁאֲהֶבָה נִפְשִׁי
אַחֲרָתִי וְלֹא אֲרָפְנִי
יַעֲלֶם־שִׁבְיָ אֶת־אֱלִילֵי אֲסִי וְאֶל־חֲדָר הַיִּתְחִילִי:
יַהֲשִׁבֵנִי אֶתְכֶם בְּנוֹת יְרוּשָׁלַם בְּצִבְאוֹת אֹו בְּאִלֹּת הַשָּׂדֶה
אִסְתַּעֲרִי וְאִסְתַּעֲרִי אֶת־הָאֲהֶבָה עַד שְׁתַּחֲרָקִי: ׀
6 יִמִּי זֹאת עֲלֶה מִן־הַסֶּדֶר בְּתִמְרוֹתִי עֲשֹׂן
מִקְטֹרֶת מִן־וּלְבֹנָה מִלֵּל אֲבָקָת רֹחַל:
7 יִהְיֶה מִסְתֹו שְׁלֹשָׁלָה שְׁשִׁים גִּבְרִים סָבִיב לָהּ מִנְּבִרִי יִסְרָאֵל:
8 בָּלֶם אֲחִי וְרַב מִלְּפָדִי מִלְחָמָה
אִישׁ חֲרָבוֹ עַל־יָרְכוֹ מִפְּחָד בְּלִילֹת: ׀
9 וְאַחֲרָיוֹ עָשָׂה לֹו הַמֶּלֶךְ שְׁלָמָה מַעֲצֵי הַלְבָנוֹן:
10 וְעִמְרֹו עָשָׂה כֶּסֶף רַפְדָּתוֹ וְהָב
יִמְרָבּוֹ אֲרָנָיו וְזָכוּ רַצְוֹ אֶהְיֶה מִבְּנוֹת יְרוּשָׁלַם:

Q mlt וּמִצְרָיִם: ׀ c k l ׀ הַטְּמִיעֵנִי Var^G euam. 14 * pl MSS
cf 8,14 כִּי דָדִי וְהִמָּה לֶךְ לִצְבִי וּלְצִבִי ׀ b-b ׀ וְנִסִּי בְּשָׁנִים 17 * ׀ וּמִצְרָיִם MSS
Var^G ׀ אֶל d prps ׀ בְּשָׁנִים ut 8,14 ׀ Cp 3, 1 add cf mur et cf 2 ׀ 2 sic
׀ אַחֲרָתִי אֶת שְׁאֲהֶבָה נִפְשִׁי 4 * frt ias ׀ מִצְאָתִי 3 ex 5,7, frt ׀ וְאֶל־בְּהֵו Occ, Or
sing) כְּתִמְרוֹת MSS 20 * ׀ כְּהִי־זֹאת 6 * 2-6 ׀ v 5 frt dl, ex 8,2 ׀ b-b
׀ הַמֶּלֶךְ שְׁלָמָה aut cs dl 9 * m cs dl 7 * ׀ בְּתִי־סִיֹו 1 cf Vrs) ?
aut dl, cf ad 11. ׀ c-c ׀ הַבְּנִיִם 1 b ׀ אֶהְיֶה 10 * 2-3 trsp post

13 וְשִׁלְחֵנִי פָּדֶהּ וּפְדוּתָם עִם פְּרֵי מִנְחָם כְּפָרִים עִם־נִרְוִים:
 14 וְנָתַתְּ לָהֶם קֶנֶה וּקְנָטוֹן עִם פְּלִיעֵץ לְבֹנָה
 יָמֵר וְנֶאֱהָלוּת עִם בְּלִירָשִׁי בְּשָׂמִים:
 15 יִסְעֶן נָלִים בְּאֶרֶץ מִים חַיִּים וְנָלִים מִן־לִבְנוֹן:
 16 עֹרֵי צִפּוֹן וּבֹאֵי תִּקְוָן
 הַפִּיחִי נָנִי יָחֹל בְּשָׂמִי
 יָבֹא דוֹדִי לִנְנֹ וְיֹאכֵל פֶּרִי מִנְחִי:
 5 יִבְאֵתִי לִנְנִי אֲחֹתִי כָלָה אֶרֶתִי מִיָּד עִם־בְּשָׂמִי
 אֲכַלְתִּי יִעָרֵי עִם־דְּבָשִׁי שְׂתִיתִי יַיִן עִם־חֶלְבִי
 אֲכָלוּ רְעִים שְׂתֵי וְשִׁכְרוּ דוֹדִים: 6
 2 אֲנִי יִשְׁנָה וְלִבִּי עַר קוֹלֹדוֹתִי דוֹפֵק
 פֹּתַח־לִי אֲחֹתִי רֵעִיתִי יוֹנָתִי תִּסְתִּי
 שְׂרָאשִׁי נִסְלֵא־מֶל קְצוֹצוֹתִי רָסִים לֵילָה:
 3 בְּשָׂמִי אֲחִי־תִּנְתִּי אֵיכָכָה אֲלֶבְשָׁנָה
 תִּתְּנִי אֶת־נִנְלִי אֵיכָכָה אֲסַנְפִּם:
 4 דוֹדִי שְׁלַח יָדוֹ מִן־הַחֹרֶץ וּמִעַי הָמוּ עָלָיו:
 5 נִקְמַתִּי אֲנִי לִפְתָּח לְדוֹרֶךְ הַיָּרֵךְ נִסְפַּר־מֹר
 וְאֶנְכַּעֲתִי מֹר עֹכֶר יָעַל בְּפֹת הַסִּנְעָלִי:
 6 פִּתְחֹתִי אֲנִי לְדוֹדִי וְדוֹדִי חֶסֶק עָבַר נִפְשִׁי יֵצֵאָה כְּרָבִיד
 בְּקִשְׁתִּיהוּ וְלֹא מִצְאֲתִיהוּ קִרְאָתוֹ וְלֹא עָנִי:
 7 מִצְאָנִי הַשִּׁמְרִים הַסִּבְכִּים בְּעִיר הַבְּנוֹי פָּעָעִנִי
 גָּשָׁא אֶת־דִּידִי מַעְלֵי שִׁמְרֵי הַחֲסוֹת:
 8 הַשִּׁבְעֵתִי אֲתֹכֶם יִבְנוֹת יְרוּשָׁלַם אֲסִתְּסַצֹא אֶת־דִּידִי
 מִהַיִּתְּיָדוֹ לֹא שְׁחֹלֶת אֶהְבֶּה אֲנִי:
 9 מִהַיִּתְּנֶךְ מִדּוֹר הַיִּפֶּה בְּנָשִׁים

13 * prps לַחֲנִיךְ ins ב * כל- c add, cf mtr | 14 * dl | b-b frt dl | c ins
 וְנָתַתְּ 15 a-2 frt l | ב * Var^M וְנָתַתְּ | c huc trsp frt v 12 | Cp 5, 1 * prps
 לִנְנִי dl | b * dl | c | c 1 c וְשִׁכְרוּ 2 * Var^M יִשְׁנָה | b * pl MSS sine Dag | c Var^M
 קְצוֹצוֹתִי sine Dag, 1 c melius 4 * prps ins 4 * sic
 Hll, 1 c mtr MSS Edd עָלִי prps ins e v 6 כְּרָבִיד et 1 versum:
 דוֹדִי שְׁלַח יָדוֹ מִן הַחֹרֶץ כְּרָלַח
 וּמִעַי הָמוּ עָלָי נִפְשִׁי יֵצֵאָה כְּרָבִידוֹ
 5 * dl m cs, prps ins וְנָתַתְּ | b-b prps dl cf * 6 a-2 dl, cf v 4 | 7 frt
 dl m cs | 8 a-2 | m cs יִבְנוֹת | b * | m cs לְדוֹדִי.

מה-דודך מרדך שרכה השבעתנו:

10: הדרי צח ואזם דגל מרכבה: 0

11: ראשו בתם פזי קוצותיו מלתלים שחרות בעורב:

12: עניו כזנים על-אפיקי מים

13: קצות בבלב יטבות על-מלאת:

14: לחייו פערותי הבשם מגדלות מרקתים

שפתותיו שושנים נטפות מור עבר:

15: דיו גלילי זרב סקלאים בתרשיש

מעיו עשת שן סקלפת ספירים:

16: שוקיו עסתי שש מוסרים על-אדני פז

מראהו כלבון בחר בחרנים:

17: חזו מכתלים וכלו סמנים

0 זה דודי וזה רעי בגות ירושלם:

6: אנה הלך דודך היפה בנשים

אנה פנה דודך ונבקשנו עמך:

18: דודי ירד לנו לערותי הבשם

לרעות בנשים וללקט שושנים:

0 19: אנו לדודי ודודי לי הרעה בשושנים:

20: יפה את רעיתי בתרצה נאנה כירושלם איה פננותי:

21: המבי עיניך מגדלי שהם הרהיבני

22: יטעך פער העזים שגלשי מרהגלעד:

23: שניך פער הרמלים שגל מרהרצה

שכלם מתאימות ושכלה אין בהם:

24: כפלה הרפון קתך מבעד לעמתך:

25: ששים תמה מלכות ושמנים פילגשים ינעלמות אין מספר:

26: פאתת היא ידתי תפתי

27: אחת היא לאפה ברה היא לילדמה

קוצותיו sine Dag. | Var⁴⁴ | 120 | c 0 | m cs | 11 | השבעתנו | 9 |
neobbr | 0 | כערונת 300 MSS | c pl | 1 | לחי 0 | 13 | דלתי | c | prb | m cs dl |
תג 16	אדי 15	מרקחים	sic B-Asch, B-Naphi	4	= armaria					
m	4	לראות	prps	5	לערונת MSS	30	2	Cp	6	
8	prps	4, 1 b. 2. 3 b	5 b-7	הפכי	5	22^{BM}	5	e v	10	m cs dl
9	m cs ins	9	אמת היא							

11 פָּרָם ה' לִשְׁלֹמֹה בְּכֶעֶל הַמִּזְבֵּן גָּתָן אֶת־הַפָּרִם לְגִטִּים
 אִישׁ יָבֵא בַּפְּרִיז אֱלֹהִי בְּסֹף:
 12 פָּרָטִי שְׁלִי לְפָנַי הָאֵלֹף לִךְ שְׁלֹמֹה וּמֵאֲתָיִים לְגִטִּים אֶת־
 13 הַיִּשְׁבֵּת בְּנֵי יְהוָה מְקַשְׁיָבִים לְקוֹלֶךָ הַשְׁמִיעֵנִי:
 14 בְּרַח וַיִּדְחֵי דָמָה־לָּךְ לַעֲבִי
 אֹד לַעֲפֹר הָאֵלִים עַל הָרֵי בְּשָׁמַיִם:

ملحمة الراعي

تحقيق، وضبط، وشرح، وتقديم

لأستاذ الصمد الشاب

تقديم

(١)

الأكثرون على أن الراعي هو عُبيد بن حُصَيْن (بصغيرها) بن معاوية من نُمَيْر بن عامر بن صعصعة ^(١) . وزاد البغدادي وابن حزم بعد معاوية : ابن جَسْدَل بن قَطَن بن ربيعة بن عبد الله بن الحارث ، من نُمَيْر ^(٢) .

والراعي : لقب له لكثرة وصفه الإبل والراء في شعره ، وقيل : لقب به لبيت قاله ، وكنيته : أبو جَسْدَل بن له .

وكان قومه — نُمَيْر — يزلون بلاد اليمامة ، وكان الراعي من رجال العرب ووجوه قومه ، وولده وأهل بيته في البادية سادة أشراف ، يقال لأبيه في الجاهلية : الرئيس .

وكان الراعي ، مع ذلك ، بَذْرِيًّا هَجَاءً لعشيرته ، قال له جرير :

وَقَرُضُكَ فِي هَوَازِنِ شُرِّ قَرَضٍ سَهْجِيًّا وَتَمْنِيحُ الْوِطَابِ ^(٣)

وهوازن من قيس عيلان ، الأصل الأكبر للراعي .

(١) ابن سلام : طبقات الشعراء ص ١٧٣ ط مصر ، وابن قتيبة : الشعر والشعراء ص ١٥٦ ط مصر ، ومهذب الألقاب ٢٣١/٤

(٢) خزائن الأدب ٣٠٧/٢ ط المنصورة وجيزة : أنساب العرب ص ٢٦٣ ط دار المعارف

(٣) ابن سلام ص ١٧٣

(٢)

والراعى شاعر خلل من شعراء الإسلام ، مقدم ، ذكره ابن سلام في الطبقة الأولى من الشعراء الاسلاميين مع الفرزدق ، وجري ، والأخطل^(١) وقال : كان يقال للراعى في شعره : كأنه يعتسف الفلاة بغير دليل ، أى أنه لا يتحدث شعر شاعر ولا يمارضه ، وكان خلل مضر حتى ضغفه الليث يعنى جريراً . وكان يقضى للفرزدق على جرير وبغضله حتى هجاه جرير بقصيدته البائية :

أَفَلَيْ الْقَوْمِ عَازِلَ الْعِتَابِ وَقَوْلِي ، إِنَّ أَصَبْتُ ، لَقَدْ أَصَابَا
ففضحه وأسكته ، وصار الراعى من ذلك الحين مغلباً أخزى نفسه وقومه .
والراعى هجما موجع في عدى بن الرقاع العاملى^(٢) واعتذار من ترك الزيارة حسن^(٣) ، كما أن له معانى سبق إليها فأخذها عنه الطرماح ابن حكيم ، وأخرى مستغسنة^(٤) والواقع أن الراعى ، في شعره ، شخصية واضحة في روعة الأسلوب وقوته وفي حسن التصرف في المعانى ، وتطويع العبارات للموضوعات والأفكار الاسلامية الجديدة . وسنجد ذلك كله ظاهراً في لاميته التى تقدمها بهذه الفصول .

(٣)

عاش الراعى في عصر بنى أمية بين قومه في اليمامة سيداً شريفاً معنياً بشئون بنى نعيم ، وبخاصة عند عبد الملك بن مروان إذ كان سفيراً لهم في بلاطه ، وكان نشاط الحوارج قوياً في أيام هذا الخليفة الكبير ، كما كان عبد الله بن الزبير لا يزال معتصماً بمكة يبايع له أهل العراق والحجاز ، ذلك غير نشاط الشيعة وتبرم الموالى ، وقد أبلى عبد الملك في قمع الخارجين وتثبيت قواعد الدولة أياماً بلاه .

(١) نفس المرجع ص ١١٤ — ١٧٩

(٢) ابن سلام ، ص ١٧٤

(٣) ابن قتيبة ، ص ١٥٦

(٤) المصدر السابق ، ص ١٥٧ — ١٥٨

وإذا كنا قد ذكرنا أمر عبد الله بن الزبير الذي دام سلطانه من سنة ٥٦٤ إلى سنة ٥٧٣ هـ حين قتله الحجاج ، فانا نشير إلى فرقة من الخوارج كان نشاطها في التيسامة ، وقد أشار الراعي إلى زعيمها في لاميته هذه ، تلك هي النجديّة أتباع نجدة بن عامر الحنفي الذي خرج على نافع بن الأزرق زعيم الأزارقة من الخوارج أيضاً ^(١) .

ويظهر أن الراعي لم يحسب بشعره كثيراً ، ولم يغد به على الخلفاء وفود معاصريه من الشعراء ، لسيادته ، كان ، في قومه ، وربما كان مثرياً كذلك ، وإن رويت عنه قصة تدل على عوزه في إحدى الليالي ^(٢) . وقد مدح بشر بن مروان ، كما مدح عبد الملك وشفع لقومه أمامه ، وقد كانت قبس عيلان زبيريّة الهوى ، وكان عيد الملك ثقيل النفس عليه ^(٣) ، فأناه فلدحه بهذه اللامية في عام أول فلم يحظ منه بشيء . فوفد إليه من قابل فقال في كلمة أخرى :
أما الفقير الذي كانت حلوبته وفنّ العيال فلم يُترك له سبب ^(٤)
واختل ذوالمال والمثرون قد بقيت على التلايل من أموالهم عُقد ^(٥)
فإن رقت بهم رأساً نعتهم وإن لقوا مثلك في قابل فذوا ^(٦)
فقال له عيد الملك : أنت العام أعقل منك عام أول . . . فتريد ماذا ؟ قال :
ترد عليهم صدقاتهم فتنعتهم ، قال : هذا كثير . قال أنت أكثر منه . قال :
قد فعلت ، فسلمني حاجة تحصك ، قال : قد قضيت حاجتي ، قال سل حاجة لنفسك . قال : ما كنت لأفسد هذه المكرمة ^(٧) .

(١) تهذيب الكامل ص ١١٧ ج ١

(٢) ابن سلام ص ١٧٧ — ١٧٩

(٣) نفس المصدر ص ١٧٤

(٤) الحلوة : الناقة التي تحلب وهي ونق العيال أي لبنها يكتفهم فقط . السبد القليل وماله سبد ولا يد أي لا قليل ولا كثير .

(٥) التلايل : الشدائد والأفلاق ، والمقد : الولايات والالتزامات .

(٦) مثلها : مثل الحالة التي هم عليها الآن من ضيق وبؤس .

(٧) راجع مذهب الأغاني / ٢٢٢ وابن سلام ١٧٤

(٤)

ولبست لدينا من شعر الراعى إلا أبيات متفرقة فى معاجم اللغة وكتب الشواهد والطبقات ، وإلا هذه اللامية على ما فى روايتها من نقص ، وتحريف ، وتصحيف ، تعرض لك أثناء الشرح .

وفى خزانة الأدب للبغدادى ^(١) عن الراعى أنه كان يقول : من لم يرو لى من أولادى هذه اللامية وقصيدتى التى أولها :

بأنَّ الأحيَّةُ بالمهد الذى عهدوا

وهى فى هذا المعنى أيضا ، أى معنى اللامية ، فقد عفى .

ومعنى هذا أن هناك قصيدتين قصد بهما الراعى إلى عبد الملك بن مروان فى عامين متوالين سفيراً لقومه وشقيقاً لهم عنده من جور السعاة الذين يجمعون مال الصديقتين ، وشدة إلحاحهم على بنى نمير فى أخذ مال الزكاة حتى أجهدوهم وتركوا عيالهم جوعاً ، ونوقهم مهازيل عجافاً . وربما كان لموقف قيس عامة ، وبنى نمير من جوار الخوارج خاصة أثر فى ذلك .

وقد تقدم أن اللامية كانت قصيدة العام الأول فلم تنفع شفاعتها وأن الدالية كانت قصيدة العام التالى فنجحت شفاعتها .

ومع ذلك لم نظفر من هذه الدالية إلا بأبيات قليلة — مر بعضها هنا — تدل على قيمتها الفنية : قوة عارضة ، وروعة أسلوب ، وصدق شعور .
وأما اللامية فهى موضوع درسنا هنا : تحقيقاً ، وضبطاً ، وشرحاً .
وذلك ما تقدم به الآن .

(٥)

رجعنا فى متن هذه القصيدة إلى مصادر ثلاثة :

الأول جمهرة أشعار العرب ، تأليف أبى زيد محمد بن أبى الخطاب القرشى ، المطبوعة بالمطبعة الرحمانية بمصر سنة ١٣٤٥ هـ — ١٩٢٦ م .

الثانى ديوان جرير ، الطبعة الأولى بالمطبعة العلمية بمصر سنة ١٣١٣ هـ

الثالث خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب : تأليف عبد القادر البغدادي .
طبعة دار العصور ، الجزء الثاني ص ٣٠٤ — ٣٠٥

ويُعد المصدر الأول هو (الأصل) ، وقد اتخذناه كذلك ونسبنا إليه
سائر المصادر .

أما ديوان جرير فيظهر أن طابعه قل عن الجمهرة هذه اللامية لأنها فيه
توافق ماورد في الجمهرة ترتيباً ، وعدداً ، وتسمية ، وقد وردت في جزئه
الثاني صفحة ٢٠٢ بهذا العنوان : وهذه ملحمة الراعي .

وأما الخزانة فقد أوردت قطعة من هذه القصيدة بمناسبة الشاهد
الثالث والثمانين بعد المائة .

فإذا طبقنا ماورد في الخزانة على ما ورد في الأصل — الجمهرة — كانت
أرقام أبيات الخزانة كالآتي :

٤٥ ، ٤٦ ، ٦١ ، ٧٠ ، ٧١ ، ٦٩ ، ٧٧ ، ٧٨ ، ٧٩ ، ٨٠ ، ٨١ ، ٨٢ ،
٨٣ ، ٨٤ ، ٣٨ ، ٣٩ ، ٤١ ، ٨٥ ، ٤٧ ، ٧٢ ، ٧٣ ، ٥٤ ، ٥٥

ويلاحظ أننا نسمى (مصدراً) ما يحتوي على مادة الدرس كدواوين
الشعراء لدراسة الشعر ، والآثار لدراسة النقوش والكتابات الأثرية ، والطبرى
وابن الأثير لدراسة الروايات التاريخية ، ولكننا نسمى (مرجعاً) تلك الكتب
والمطبوعات التي نستمد منها رأياً ، أو نحقق بها نصاً ، أو نكمل نقصاً مثل
معجم اللغة ، وكتب الوفيات ، ومصادر التاريخ في درسنا هنا . وهذا في رأينا
اصطلاح ، ولا مشاحة في الاصطلاح ، كما يقولون ، وعلى ذلك سرنا في تحقيق
هذه اللامية ، وضبطها ، وشرحها .

(٦)

ولعل أقدم كتاب وردت فيه هذه اللامية هو جهرة أشعار العرب لمن
يدعى أبازيد محمد بن أبي الخطاب القرشي الذي لم تعرف بالضبط هويته
ولا تاريخ ميلاده ووفاته تبعاً لذلك ، وقد أوردها بين سبع قصائد جمعها

تحت عنوان (الملحاحات) من غير أن يضبط هذا العنوان ، مما جعل الناس
يسألون ، أهو بفتح الميم الأولى أم بضمها ؟
وهذا أول ما يجب أن نقول فيه قبل كل شيء .

والكلمة التي تنسب إلى ذهن القارئ الحديث هي كلمة ملحمة بفتح الميم
إذ استعملت منذ ترجم الأستاذ سليمان البستاني إلياذة هوميروس إلى اللغة
العربية سنة ١٩٠٤ م وأطلق عليها وعلى أمثالها كلمة ملاحم بفتح الميم جمع
ملحمة ، وإلياذة هوميروس شعر قصصي تناول في بضعة عشر ألف بيت
بعض أيام من السنة العاشرة لحرب طروادة^(١) وتجميع هذه القصيدة المنظومة
بين أمرين : الطول غير المعروف في القصيدة العربية ، ووصف القتال الذي
دار بين اليونانيين والطرواديين قبل الميلاد بنحو ١٢٠٠ سنة ، ومن هنا سمح
لنفسه ، فيما يبدو ، أن يسميها ملحمة بفتح الميم إذ الملحمة هي الواقعة العظيمة ،
أو القتال في الفتنة ، ونبي الملحمة أي نبي القتال ، وهي مأخوذة من التبحر
القوم واختلاطهم في الحرب كاشتباك لجة الثوب بالسدى ، ويقال : لهم ملحمة
وملاحم^(٢) فسنى القصيدة بموضوعها .

ثم تبعه الدكتور عبد الوهاب عزام في تقديمه لنشر الشاهنامة إذ أطلق
عليها هذا اللفظ^(٣) ثم سار المعاصرون على ذلك حتى كاد لفظ (ملحمة)
يصبح مصطلحاً لغوياً لهذا النوع من القصيد الطول الذي يتناول المعارك
الحربية ، فهل يمكن تطبيق ذلك على تلك القصائد السبع التي أوردها صاحب
الجمهرة آخر كتابه ؟

أما الطول فليس هناك مجال للمقارنة بين إحدى هذه القصائد — مها تكن
طويلة في نظراً — وبين الإلياذة والشاهنامة مثلاً ، وعدد أبيات هذه القصائد
هو الآتي : الفرزدق ١٠٩ وجريز ٤٩ والأخطل ٤٩ والراعي ٨٥
وذو الرمة ١٢٤ والكيث ٥٥ والطرماح ٤٢^(٤) .

(١) مقدمة الإلياذة لبستاني ص ٣٣ — ٣٤

(٢) راجع اللسان ، والمحيط ، وأساس البلاغة .

(٣) الشاهنامة ص ٢١ ط دار الكتب العربية سنة ١٩٣٢ م

(٤) راجع الجمهرة ص ٣٣٦ — ٢٨٨

فأين أطولها أو كلها معا من ١٦٠٠٠ بيت أو أربعين ألف بيت ؟

وأما الموضوع فليس في قصائد الجهرة هذه قصيدة واحدة في وصف قتال أو حماسة حربية. وإنما هي نقر، وهجاء، ووصف، ومدح، ونسب، وحكمة، من تلك الأغراض العادية الأصلية والملحقة دون أن نجد فيها مقطوعة واحدة تشبه حتى حماسة المتنبي أيام كان في ظل الحمدانيين .

وإذا كان الأمر كذلك لم يعد هناك وجه لتسمية قصائد الجهرة ملححات على هذا الأساس، ويفتح اللب ، وليس من حقنا أبداً أن نأخذ هذا المصطلح الحديث لنضعه ، بهذا الضبط ، على رأس قصائد الجهرة .

ومع ذلك فقد وضع أبو زيد القرشي نفسه هذا العنوان — غير مضبوط بشكل — على هذه القصائد ، وزاد على ذلك فذكره في تقديم قصائد الجهرة كلها لقباً لهذه السبع ، وعلينا نحن أن نلتبس لهذا المصطلح ضبطاً نراه صحيحاً ، ولذلك كان من الواجب أن نعيش مع أبي زيد في جهرته قليلاً لعنا نظفر منه بالضبط الصحيح — أو الراجح على الأقل — لهذا العنوان .

١ — جمع أبو زيد القرشي في جهرته تسعا وأربعين قصيدة من عيون الشعر العربي ووضع لكل طائفة منها عنواناً تدرج تحته ، هي : المعلقات ، وعددها ثمان . ولعله سبق إلى هذا العنوان ، والمجمرات ، وعددها ست ، والمنتقيات ، وعددها سبع والمذهبات وعددها سبع ، والمراثي وعددها سبع ، والمشويات وعددها سبع ، والملحاحات وعددها سبع .

٢ — فإذا نظرنا في هذه العناوانات . لاحظنا أنها ذات معان موضوعية ، أو فنية ، أو زمنية ، فلرائي موضوعها الرثاء ، والمشويات هي — على تعبير أبي زيد — اللاتي شابهن الكمر والاسلام . والمعلقات هي التي علفت على أستار الكعبة أو علفت في الصدور ، وتسميها العرب السموط فيقول المفضل الضبي ، والمنتقيات معناها المختارات وهذا اسم فني ، وكذلك المذهبات والمجمرات أي المحكة الفسج والصياغة من قولهم : ناقة بجهرة أي مداخلة الخلق كأنها جهور الرمل . فكان من الواجب طردا لهذا السياق في التسمية أن يطلق على السبع القصائد الأخيرة اسماً من هذا الطراز فكان هو (الملحاحات) بضم الميم واحداثها ملحمة بضمها أيضاً ، ومعناها التامة الحسنة من الحلم

النازع الثوب ، وفي المثل أخر ما أسديت أى تم ما أبدته من الاحسان ^(١١) والملمح جنس من الثياب ، فكان أبا زيد شبه هذه القصائد في إحكام صنعها بهذا الجنس من الثياب ، أو لاحظ ما فيها من تجويد الصنعة وحسن السبك .

٣ — وإذا رجعنا إلى مقدمة الجهرة رأينا أبا زيد القرشى ، بعد إيراد أصحاب قصائده كلها ، يقول : فهذه التسعة والأربعون قصيدة عيون أشعار العرب في الجاهلية والاسلام وأنفس شعر كل رجل منهم ، مما يدل على أن الغالب على مقياسه في الاختيار هو الجانب الفني القائم على جودة مختاراته ثم ينقل عن المفضل الضبي تسمية العرب للعلاقات بالسموط ^(١٢) ويعمل اسم المشويات بأنهن اللاتي تلبس الكفر والاسلام إذ كان أصحابها أو جلهم من المخضرمين . وهكذا سار في منهج اختياره وتسميته ، مما يجعلنا نطمئن تماما إلى أن قصيدة الراعي التي أمامنا الآن تدعى عند صاحب الجهرة (ملحمة) بضم الميم الأولى ، إحدى الملححات بضمها أيضا . وهي تلك القصائد السبع التي أوردها آخر الجهرة .

(٧)

وفي خزانة الأدب للبغدادى ^(١٣) أن هذه القصيدة عدتها تسعة وثمانون بيتا . ومع ذلك ، لم يورد منها صاحب الجهرة إلا خمسة وثمانين بيتا . ولقد حاولت العثور على الأربعة الأبيات الباقية فلم أجدها فيما بين يدي من كتب الادب ، والشواهد ، والتراجم ، والمعاجم اللغوية . ومن الواضح أن هنالك نقصا آخر القصيدة نهت عليه في الشرح عند الأبيات ٨٣ — ٨٥ وقد ورد في لسان العرب ^(١٤) بيت من بحر هذه اللامية وقافيتها هو :

وكأنا انبطحت على أنباجها فدر شايه ، قد يمين ، وعولا

فلو صح أنه منها كان من أبيات النوق المفقودة . والقادر من الوعول الذي قد أسن بمنزلة الفارح من الخيل والبازل من الابل .

(١١) لسان العرب والمحيط وأساس البلاغة مادة لم .

(١٢) راجع مقدمة الجهرة ص ٤٥

(١٣) ج ٢ ص ٣٠٣

(١٤) مادة قدر .

وعلى الرغم من فقد هذه الآيات الأربعة ، عمدت إلى نشر هذه اللامية
وتيسير دراستها حتى لا تبقى حبيسة في المصادر القديمة يتعامل عليها الخطأ
في الكلمات ، وضبطها ، مع تحريف كثير ، وحاجة إلى التفسير ، ونبوع الدخول
في قاعات الدرس لذلك .

ولعل البحث يسعفنا أو يسعف غيرنا بهذه الآيات الساقطة من المصادر
والمراجع التي لجأنا إليها ، وحينئذ نكون قد ظفروا بهذه المنحة تامة
نعمزى بها حتى نظفر بشعر الراعي في ديوان رقبه لنسد به فراغا في شعر
الفحول من عصر الأمويين .

(٨)

أما موضوع القصيدة فاقول إنها في مدح عبد الملك بن مروان ،
والشكاية من السعاة الذين يأخذون الزكاة من قبل السلطان ، وقد قدمنا هنا
أنها كانت قصيدة العام الاول لسفارة الشاعر لدی الخليفة ، ولكنها كانت سفارة
عاشلة أعقبها سفارة بالدالية ناجحة .

ومع أن غرض القصيدة الأول هو هذه الشكاية فإن هدفها كان رفع
الصدقات أو تخفيفها عن بني نعيم ، وكان المدح من وسائل ذلك وكان الوصف
وما إليه من مقوماته الفنية .

فهناك خمسة أبيات في مستهل القصيدة يث فيها همومه في حوار بينه
وبين ابنته خليدة ينتهي باعتزاه السفر لتفريج ما أصابه من هموم .

وبل ذلك أربعة وعشرون بيتا في وصف النوق : خلقها ، وسيرها ،
وحاديها ، وطرقها ، ومحسها ، وقوتها .

ثم يدخل إلى الموضوع فيوثق بيعته ، ويشكو إلى الخليفة السعاة
وما نكلوا بالعريف الذي انقطعت به السبيل .

ويذكر بعد ذلك قومه وطاعتهم ، وقل الصدقات عليهم حتى ساءت حالهم
وهزلت إيلهم ، وهما أن يقدوا على الخليفة فزعين من جور السعاة .

حتى إذا قارب النهاية مدح الخليفة وأباه مروان بن الحكم ، وما أبلى
حتى ظفر بالخلافة ثم أسلمها إلى عبد الملك .

(٩)

ومع بعض الاضطراب الذى يبدو فى تكوين هذه القصيدة وتأليف عناصرها الموضوعية والمعنوية فإنها من غير شك قصيدة جديدة جيدة .

١ — هى جديدة فى موضوعها ومعانيها الاسلامية المتصلة بنظام الزكاة ، وجبايتها ، وتصرف السعاة ، وقسوتهم على الرعية ، واحتيالم اللقش ، وعدوانهم على العريف ، وفى دلالتها على النظام الحكومى الاسلامى القائم ، والأحزاب السياسية المعارضة ، وتردد المنافقين بين الزعماء ، وفى الاشارة إلى هذه الفتنة التى أعقبت تنازل معاوية الثانى عن الخلافة ، وما كان من اضطراب أمر الحكومة الاسلامية ، واحتيال مروان بن الحكم وحزبه حتى خلصت له الخلافة بعد مؤتمر الجابية ، ووقعة مرج راهط سنة ٦٥ هـ ، نهى قصيدة إسلامية خالصة فى أغراضها ، ومعانيها ، وروحها ، وكثير من عباراتها القرآنية والدينية ، حتى لا تجد لها نظيرا فى هذا الباب .

٢ — وهى جيدة ، تدل على قوة المارضة ، وصدق الشعور ، ودقة الخيال ، والحرية فى الأداء اللغوى ، وحسن التصرف فى التعبير ، وتطويع صاحبها هذه العربية المحافظة لمعان اقتصادية ، واجتماعية ، وخلقية ، فدل بذلك على أنه يملك ناصية الأسلوب ، وبذله لأغراضه ، حتى بدت فيها شخصيته الجرئة الزعيمة البارعة ، ذلك إلى حسن تقسيم ، وحركة ، وجزالة ، وحسن اختيار البحر والقافية مع طول استوعب كل ما أراد ناظمها ، لذلك كان يعتر الراعى بها ، ويعدّها ، مع الدالية ، خير ثراث يتركه لبيه من بعده . وهى ، عندنا ، تدل على منهج صاحبها فى النظم واقتداره على الأداء ، وتبيح له — بناء على أنها مثل لديوانه — أن يعد مع رجال الطبقة الأولى الاسلامية .

(١٠)

أما طريقة نشر هذا المتن ، وعرضه ، فقد كانت كما يلي :
١ — اعتمدت ترتيب الأجهزة ، واعتبرته أصلا ، ونسبت إليه ما عداه من المصادر .

- ٢ — أبقيت النص كما أورده متى كان صحيحا ، وأوردت بعده ماورد
خلافه في غيره من المصادر أو المراجع .
- ٣ — أما إذا كان الأصل خطأ ، فاني أعدل عنه إلى الصواب وأثبته
بدله ثم أنه علي ما في الأصل أيضا .
- ٤ — اعتمدت في الشرح على فهمي الخاص ، وأوردت ما قد وجدته
من إيضاحات في مثل اللسان ، والكامل ، وسمط اللآلي ، وخزانة الأدب ،
ونبت على كل في موضعه .
- ٥ — وكذلك الأمر في ضبط الكلمات ، فقد اخترت الاصح ، ونبت
على غيره إذا لزم الأمر .
- وأعتقد أن ما عملته لا يبدو أن يكون محاولة أولية في سبيل نشر
هذه اللامية نشرأ صحيحا كاملا .

قن الراعى :

١ — مَا بَالُ دَوَّكَ بِالْزِرَاشِ مَذِيلًا
أَقْدَى بِعَيْنِكَ أَمْ أَرَدْتَ رَحِيلًا

الدف بالفتح الجنب . ومذل على فراشه فهو مذل لم يستقر عليه من ضعف
وغرض . وفي لسان العرب : المذل المريض الذى لا يتقار وهو ضعيف .
واستشهد بهذا البيت . والقذى ما يكون فى العين من تينة ونحوها .

٢ — لَمَّا رَأَتْ أَرْقَى ، وَطُولَ تَلْدُدَى
ذَاتَ الْعِشَاءِ ، وَلَيْلَى التَّوْصُولَا

التلد : التحير ، والتلفت يمينا وشمالا . الموصول — هنا — الليل الطويل
كأنه زيد فيه فوصل بمثله .

وفي سبط اللالى^(١١) : (تقلى) بدل (تلددى) .

٣ — قَالَتْ خُلَيْدَةُ : مَا عَرَاكَ ؟ وَلَمْ تَكُنْ
أَبْدًا إِذَا عَرَّتِ الشُّنُونُ سُوْلَا

ماعراك : ما أصابك واعتراك . الشنون : الخطوب والأمور . وضبط
خليدة بالتصغير عن اللسان ، وهى ابنة الشاعر ، وفيه رواية الشطر الثانى هكذا
(بعد الرقاة عن الشنون سؤلا)^(١٢) .

٤ — أَخْلَيْدُ ، إِنَّ أَبَاكَ ضَافَ وَسَادَهُ
تَهْمَاتُ بَاتَا : جُنْبُهُ وَدَخِيلَا

(١١) ص ٨٩٧

(١٢) راجع لسان مادة عرا وسط اللالى ص ٨٩٧

ضافه الم : نزل به والكلام هنا على المجاز في إسناد الضيافة إلى الوساد .
أي بات أحد الهمين جنبه ، وبات الآخر داخل جوفه .
وفي اللسان : باتا جنبته وهي الناحية ^(١١) .

٥ — طَرَقًا ، فَتَكَ هَمَاهِي ، أَقْرَبِيهَا
فُلُصًا كَوَاقِحَ كَالْفَيْي وَحُولَا

الهائم المموم . والقلص جمع قلوص وهي من الابل الطويلة القوائم
أو التي أول ما يركب من إناثها . والحول جمع حائل وهي الأنثى لا تحمل
وضدها اللاقح . وتشبه الناقة بالقوس ، في تقوس أعلاها عامة ، يعني أنه
يضيف هيمه — يفرجها — بهذه النوق يركبها لتحقيق آماله ونفي آلامه ،
وذلك من قول طرفة بن العبد : وإني لأمضي الم عند احتفاره . . . البيت .
وفي الأصل : فتلك هائم . وما هنا عن اللسان ^(١٢) .

٦ — شَمَّ الْخَوَارِكِ ، جُنَحًا أَعْضَادَهَا
صُهْبًا تَنْصِبُ شَدَقًا وَجِدِيلًا

شم : مرتفعة ، الخوارك جمع حارك — الكاهل — مقدم أعلى الظهر
مما يلي العنق . جنح : مائلات . الأعضاء جمع عضد ، من المرفق إلى الكتف .
صهب جمع صهباء مؤنث أصهب : الشعر فيه حمرة أو شقرة . تناسب : تشارك
في النسب أو تشاكل وتشابه . وشدقم — ومثله جديل — خل للنعان
ابن المنذر تنسب إليه النوق الكريمة . ومن ذلك الشدقيات والجديلات . يصف
الابل بالطول ، وانفراج المرافق ليكون أسرع لها ، وبالصبهة من خير ألوان
الابل ، وبكرم السلالة .

(١١) وراجع السمط ص ٨٩٧ والسان مادة ضيف .

(١٢) مادة م .

٧ - جَوَابَةٌ ، طُوِيَتْ عَلَى زَفَرَاتِهَا

طَيَّ الْقَنَاظِرَ ، قَدْ بَزَنَ بَزُولًا

جوابة : معتادة على الأسفار . طويت : بنيت وضمت . وزفرة : كل شيء وسطه واجمع زفرات يريد أن أجزاء جسمها متلاحمة كبناء القناطر وذلك من قول طرفه : كقنطرة الرومي - الليث . وفي اللسان : الزوافر أخلاص الجنين ، وبغير مزفور شديد تلاحم المفاصل ، بزل البعير انشق نابه وطلع فهو وهي بازل ، وصف النوق بمثانة الخلق ، وكمال النمو ، والقوة على السير . وفي اللسان ^(١) روى هذا الليث كالآتي :

حُوزِيَّةٌ طُوِيَتْ عَلَى زَفَرَاتِهَا طَيَّ الْقَنَاظِرَ قَدْ بَزَنَ بَزُولًا

والحوزية المنقطعة النظير أو التي عندها سير مذكور من سيرها مصون لا يدرك .

٨ - يُبَيِّتُ مُرَايَهُنَّ فَوْقَ مَرَلَةٍ

لَا يَسْتَطِيعُ بِهَا الْقِرَادُ مَقِيلًا

المرافق جمع مرافق : موصل الذراع في العضد ، المزلة موضع الزلل ، ويكون أملس متينا يشبه به كواهل الابل امتلاء واملاسا . والقردا دويبة تتعلق بالابل كقمل الانسان . المقيل المقام . يريد أن النوق ليست هزيلة حتى يجد القردا في غضون جسمها مستقرأ له ^(٢) .

٩ - كَانَتْ هَجَانٌ مُنْذِرٌ وَمُحْرَقٌ

أَمَاتَيْنِ ، وَطَرَفَيْنِ خِفِيلًا ^(٣)

الهجان جمع هجان ، وهي من الابل البيض الكريمة . ومن كل شيء خياره وخالصة ، ومنذر ومحرق من ألقاب أمراء الحيرة قبل الاسلام . أمات جمع أم لا يقل .

(١) راجع مادة زفر .

(٢) راجع الحيران للجاحظ ٤٣٧/٥

(٣) ورد هذا البيت في اللسان : ٨٦/١٢ و ١٤/٣٠ و ١٧/٣٦٤

والطرق — هنا — الفعل الطارق — أى ذو الطرق — والفعل
المنجب . وصف النوق بالنجابة من ناحيتي الأم والأب ، وقد ورد فى عدة
مواضع من لسان العرب كلمة (نجائب) بـ (هـجائن) :

١٠ — فَكَأَنَّ رَيْصَهَا إِذَا بَاشَرَهَا

كَأَنَّ مُعَاوِدَةَ الرَّحِيلِ ذُلُولًا

الريص — هنا — ضد الذلول ، والناقاة أول ما ربيضت وهى صعبة بعد .
بأشرتها : اتخذتها للرحيل . معاودة الرحيل : كان لها عادة . يصف النوق
بأصالة استعادهما للأسفار وإن لم يتم بذليلها ومراتها . وقد ورد فى اللسان :
(استقبلتها) بـ (بأشرتها)^(١) .

١١ — قَذَفَ الْغُدُوَّ إِذَا غَدَوَتْ لِحَاجَةٍ

ذُلْفَ الرِّوَايحِ إِذَا أَرَدَتْ قُفُولًا

قذف ودلف من صفات الابل ، الأولى للناقاة تتقدم من سرعتها وترعى
بنفسها أمام الابل ، والثانية الناقاة تداف بحماها أى تنهض به . الغدو السير
غدوة . والرواح السير عشية ، والفقول الرجوع . يصف الابل بالقوة
على السير بكرة والنهوض بما تحمل عشية . وهى عائدة من رحلتها فى نفس
اليوم .

١٢ — قُودًا تُذَارِعُ غَوْلَ كُلِّ تَنْوُفَةٍ

دَرْعَ الْمَوْشِجِ مُبْرَمًا وَسَحِيلًا

قود : جمع أقود مذكر قوداء ، الناقاة الذلول المنقادة ، القول بعد المغازاة
والمشقة . تذارع الغلاة وتذرعها إذا أسرع فيها كأنها تقبسها . والتنوفة
البرية لا ماء فيها ولا أنيس والجمع تنائف . الموشج الذى يجمع بين خيوط
الثوب وهو ينسجه فهو يحرك يديه بسرعة حركة مداولة بينهما يمنة ويسرة ،

المبرم الثوب المتقول الغزل طاقين : والسحيل ثوب لا يرم غزله : يشبه حركة باعى الناقة وذراعها وهي تقطع المفازة بحركة يدي النساج في الشكل والسرعة .

١٣ - في مَهْمَةٍ فَلَقَتْ بِهِ هَامَاتُهَا

فَلَقَى الثُّنُوسُ إِذَا أَرَدْنَ نَضُولًا

المهمة المفازة البعيدة . الهامات الودوس . وقلقها اضطرابها وتحركها . والنضول رواية اللسان ^(١) فإذا صحت هذه الرواية أولا وكان مصدر ناضل كان المعنى قائماً على تشبيه حركة رءوس الابل إلى أعلى وأسفل وهي منزعجة في السير بحركة رءوس الثنوس حين يتناضل بها حاملوها .

وفي الأصل (فضولا) بالصاد وممناء الانفصال والخروج ووشك خروج حديد القأس من نصابها فهي تقلق حين تحرك . ولعل الرواية الأولى هي الأولى . ومن الجائز — على رواية اللسان — أن يكون النضول راجعاً إلى الابل المتبارية في السير . وعلى كل فالتعبير بالفعل (أراد) مستنداً إلى الثنوس وأرد على نحو قوله تعالى :

(فوجدنا فيها جداراً يريد أن ينفذ فأقامه) .

١٤ - وَإِذَا تَرَقَّصَتِ الْمَفَاذُ غَادَرَتْ

رَبْدًا يُبْعَلُ خَلْقُهَا تَبْغِيلًا

معنى ترقصت ارتفعت ، وانخفضت وإنما يرفعها ويخفضها السراب . والربد السريع الخفيف يريد به الحادى . والتبغيل سير البغل وهو شديد ، وهومن مشى الابل ، مشى فيه سعة ^(٢) . يعنى إذا بدا السراب في المفازة نشطت الابل في السير وتركت حاديا خلقها يجد ليلحق بها . ولعل نشاط الابل راجع إلى ظنها السراب ماء فهي تسرع لترده .

وفي الأصل :

وَإِذَا تَعَارَضَتِ الْمَقَاوِزُ عَارَضَتْ رَبْدًا تَبْعَلُ خَلْقُهَا تَبْغِيلًا

(١) في مادة : رود

(٢) راجع اللسان في مادتي : رفس وبغل وروية الأمل للمصنف ٢١/٧

١٥ - زَجَلَ الخُداءُ كأنَّ في حَزْزِهِ

قَصَبًا وَمُفْنِنَةً الْحَنِينَ عَجُولًا

الخُداءُ : سوق الأبل : وزجرها من خلفها ، والغناء لها . وزجج مررتع الصوت مجلبب والحيزوم الصدر ، والقصب ما يزمر به ، والمقنع انرفع رأسه ، والعجول الفاقدة ولدها ، يصف الحادى بارتفاع صوته ، وقوة شجوه ^(١) .

١٦ - وَإِذَا تَرَحَّلَتِ الضُّحَى قَدَفَتْ بِهِ

فَتَأَوَّنَ غَايَتَهُ ، فَطَلَّ ذَمِيلًا

ترحلت الضحى : حلت فيه على الرحيل . قدفت به سبقت الأبل بسرعة ، تأوَّن غايته : تجاوزت الأبل الحد المألوف من السرعة . الذميل السير اللين السريع . يعنى أن هذه الأبل إذا حلت على الرحيل ضجوة النهار أسرع فيها ، وبلغت في سرعتها غاية المألوف عند غيرها ، ولكن هذه الغاية بالنسبة لها تعد سيرا لينا سهلا .

١٧ - يَنْبَعِنَ مَائِرَةُ الْيَدَيْنِ شِمْلَةً

أَلْقَتْ بِمَنْخَرِ الرِّيحِ سَلِيلًا

السَّليل ولد الناقة حين يولد ، ومنخرق الرياح مهبها . مائرة اليدين : سريعة السير ، شملة : خفيفة ، سريعة ، مشمرة : فالأبل تتبع في سيرها ناقة نشيطة سريعة ألقت بمخبرها في عرض المفازة بسبب أدائها في السير واندفاعها فيه .

١٨ - كَجَاهَتِ بِذَى رَمَى لِسْتَةَ أَشْبُرٍ

قَدْ مَاتَ أَوْ حَبَّ الْحَيَاةَ قَلِيلًا

الرمق بقية الحياة ، وذو الرمق — هنا — السقط ، حب بمعنى أجب والثانى أكثر استعمالا .

(١) راجع الانسان مادة حدا ودرجة الآمن ٢٤ / ٧

يعنى أن هذا السقط كان ابن ستة أشهر ، وربما عاش قليلا عقب سقوطه ثم مات .

١٩ — لَا يَتَّخِذَنَّ إِذَا عَلَوْنَ مَفَاذَهُ

إِلَّا بَيَاضَ الْفَرْقَدَيْنِ دَلِيلًا

الفرقدان ، كما فى اللسان ، نجان فى السماء لا يغربان ولكنهما يطوفان بالجدى ، وقيل هما كوكبان قريان من القطب ، وقيل هما كوكبان فى بنات نعل الصغرى ، فلا بل تهتدى بهذين النجمين فى السرى لاعتيادها ذلك .

٢٠ — حَتَّى وَرَدَنَّ رَيْثُ خَمْسٍ بِأَنْصِ

جَدًّا تَعَاوَرَهُ الرِّيحُ وَيَيْلَا

الخمس من أظاء الليل ، ترى ثلاثا ، وترد الماء فى اليوم الرابع ، وتصدر عنه الخامس ، وتنه تمامه ، واللام فيه تسمى لام التاريخ أى بعد تمام "١" بأنص بعيد شاق صفة للخمس : الجد البئر ، تعاوره الرياح : اختلفت عليه وتداولته مرة تهب جنوبا ، ومرة تهب شمالا ، ومرة قبولا ومرة دهورا . وييل : وخيم ، اضطرت إليه فى هذه المغازة الفاحلة .

وفى الأصل (تقارضه السقاة) مكان (تعاوره الرياح) .

وقد اعتمدنا رواية اللسان التى أوردها فى غير موضع "٢" .

٢١ — مُدْمَا إِذَا التَّمَسَ الدَّلَاءُ نَطَاقَهُ

صَادَقْنَ مُشْرِفَةَ الْمَنَاتِ زُحُولًا

سدم : مندوفن أى البئر . النطاف جمع نطافة ، الماء القليل . مشرفة المنان : عالية المظهر : زحول بعيدة : يقول : إذا التمت الدلاء — جمع دلو — ماء هذا الجد ، صادفت عقبة بعيدة عالية الظهر ، يزيد بناء البئر .

(١) راجع اللسان مادة لوم .

(٢) مادة : لوم ويسمى ونعم . والسمط ص ٧٥٨

٢٢- جَعُّوْا قُوًى يَمَّا نَضَمُّ رِحَالَهُمْ

شَتَّى النِّجَارِ تَرَى يَمِيْنٌ وَصُولا

التقوى جمع قوة وهي — هنا — الطاقة من طاقات الجبل . شتَّى النِّجَارِ مختلفة الأصول كالصوف ، والجند ، والليف . وعبارة السمت^(١) . جمعوا قطع جبال مما في رحالم مختلفة الألوان موصولات ، فيها عقال ، وعصام قرية ، وبطان رحل بعد الماء .

والمراد أن السفر لما رأوا أن البرَّ بعيدة القور جمعوا هذه القوى ووصلوا بينها ، وعلقوا بها الدلو لتدرك قاع البرِّ ونطاقه .

٢٣- فَسَقَوْا صَوَادِيَّ يَسْمَعُونَ عَشِيَّةً

لِلنَّاءِ فِي أَجْوَافِهِنَّ صَلِيلًا

الصوادي — هنا — الإبل العطاش . وعبارة القالي^(٢) : أى تصلُّ أجوافها من العطش ، كما يصل الخرف إذا أصابه الماء .

٢٤- حَتَّى إِذَا بَرَدَ السَّجَالُ لَهَايَا

وَجَعَلْنَ خَلْفَ غُرُوضِهِنَّ تَمِيلًا

برد بمعنى أبرد ، والسجال جمع سجل ، الدلو المملوءة ، والتملة البقية من الماء نبي في جوف البعير . والغروض جمع غرض وهو حزام الرحل . وفي اللسان^(٣) لهايها بدل (لهايها) يقال به لهاث شديد وهو شدة العطش وفي غيره : لهاث العطش . والتيل بقية العلف في بطن البهائم .

٢٥- وَأَفْتَنَ ، بَمَدِّ كَطْرَمِهِنَّ بَيْجَرَةً

مِنْ ذِي الْأَبَارِقِ إِذْ رَعَيْنَ حَقِيلًا

(١) ص ٧٥٨

(٢) الأماي ج ٢ ص ١٣٤ ط لجنة التأليف والترجمة والنشر وارجع إلى الحيوان

لمحافظ ج ٤ ص ١١٧ — ٤١٨ ط الحلبي .

(٣) مادة لهث .

كظم البعير جرتة ازدردها وكف عن الاجتران . وأفضن بعد كظومهن
 بجرة ، أى دفعت الإبل يجرتها بعد كظومها ، والجرة ما تخرجه من كروشها
 فتجتر . ذر الأبارق موضع ، وحقيل جزء أو جبل منه ، فهما فى حيز واحد
 كما نقول خرج من بغداد فتزود من النخمر ، والنخمر من بغداد كأنه يقول :
 من ذى الأبارق إذرعينه ^(١١) .

وفى اللسان — مادة حقل — (بجرة) بالخاء المفتوحة بدل (بجرة)
 بالجيم المكسورة .

وفى معجم البلدان لياقوت — مادة حقل — رى . نعلب أن حقيلا
 وذا الأبارق موضع واحد . وفى مادة — أبرق — أبارق حقييل :
 ألم تربع على الطلل الحقييل بذى الأبارق من حقييل .
 وفيه : حقييل وإد فى ديار بنى عكل .

٢٦ — جَلَسُوا عَلَى أَكْوَارِهَا فَتَرَدَّتْ

صَخَبَ الصَّدَى جَرَعَ الرَعَانِ رَجِيلاً

جلسوا : جواب إذا فى البيت ٢٤ ، والأكوار ، جمع كور . ترادفت
 الإبل : تنابت . صخب الصدى ، وصف الطريق بأنه شديد الصوت ،
 وهو — هنا — رجع صوت السفر . جرع الرعان : وعر الجبال ، فالرعان جمع
 رعن ، الجبل الطويل أو أنف يتقدم الجبل ، والجرع الحزن الصعب . رجيل :
 وصف الطريق بأنه غليظ وعرفى الجبل . فالإبل تنابت على هذا الطريق .
 وفى لسان العرب .

فعدوا على أكوارها فتَرَدَّتْ صخب الصدى جذع الرعان رجيلاً ^(١٢)
 وفى الأصل رجيلًا بالخاء المهملة .

٢٧ — مَكَسَ الْحَصَى بَأْتِ تَوَجَّسُ قُوَّةُ

لَنَطِّ التَّطَا بِالْجَلْهَيْنِ نَزُولَا

^(١١) راجع لسان مراد : فى ، حقل ، كظم .

^(١٢) مادة رجل .

توجس : نسمع الصوت الخفى ، وتوجست الشيء . والصوت إذا سمعته وأنت خائف . واللفظ الصوت المبهم أو الجبة ، واللفظ طائر من نوع الحمام كدري وجوى . الجلبتان من الترادى جانباه ، ويمكن بحصى ضربة . بانت الابل فى هذا الطريق الأملس الحصى تسمع صوت التظا حذرا .

٢٨ — حُدْبَ السَّراةِ ، وَالْحَقْتُ أَعْجَازَهَا

رَوْحٌ ، يَكُونُ وَقُوعُهَا تَحْمِيلًا

يصف الابل بتقوس الأعالى فالأحذب للقوس ، والسراة من كل شيء أعلاه . والروح ما بين الفخذين ، والروحاء الواسعة الخطو لذلك . وقوع الابل أى زوكها أو وقع مناسمها على الأرض قليل هين يسير ، وذلك هو التحليل من قول كعب بن زهير : وقعن الأرض تحليل ، يصف الابل باحديداب الظهور ، والسرعة والخفة والقوة .

٢٩ — وَجَرَى عَلَى حُدْبِ الصَّوَى فَطَرْدَتْهُ

طَرْدَ الْوَسِيقَةِ بِالْبَاوَةِ طُولا

الصوى جمع صوة . حجر يكون علامة فى الطريق ، وفاعل جرى السير وربما كان الأصل جرت أى الابل ، على طريق أحذب المعالم ، فطردته أى قطعته بسرعة كما يطرد القطيع من الابل ، يطرده الشلال (الوسيقة) . والمباوة موضع بالبادية جهة العواصم .

٣٠ — أَيْلُغَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ رِسَالَةً

تَشْكُو إِلَيْكَ مَضَلَّةً وَعَوِيلًا

أمير المؤمنين — هنا — عبد الملك بن مروان خامس خلفاء بنى أمية . مضلة : يقال فتنة مضلة بالفتح تضل الناس ولعل هذا هو المراد . وأرض مضلة بفتح الضاء وكسر ها يضل فيها ولا ينتدى فيها للطريق . والعويل الصياح والبكاء العالى . ويظهر أن الشاعر يريد ضلال السعاة وجورهم وعويل المظلومين والعريف كما يرد فى الآيات الآتية . وفى إليك التفات .

٣١ — طَالَ الْقَلْبُ وَالْإِمَانُ وَزَابَهُ

كَلَّ ، وَيَكْرَهُ أَنْ يَكُونَ كَسُولًا

يصف الشاعر نفسه بغير أحواله ، وكبر سنه ، وما أدهشه من كسل شعر به ، والكسول وصف للجارية المترفة التي لا تكاد تروح مجلسها فهو يكره لنفسه ذلك .

٣٢ — ضَافَ الْمُسُومُ وَسَادَهُ وَتَجَنَّبَتْ

رَبَّانَتٌ يُصْبِحُ فِي الْمَنَامِ تَقِيلًا

الربان : المترف الناعم ، يشكو نزول الأحزان به دون الترفين الذين لا تفرعهم الأحداث ، ولا تزعجهم من مهاد النوم .

٣٣ — فَطَوَى الْبِلَادَ عَلَى قَضَاءِ صَرِيْمَةٍ

بِالْجِدِّ ، وَاتَّخَذَ الزَّمَاعَ خَلِيلًا

طوى البلاد : اجتازها ، الصريمة العزيمة وإحكام الأمر وإبرامه . الزماع الجدد في الأمر ، قطع البلاد بعزيمة صادقة ، وجد دائم ليلعب رسالته .

٣٤ — وَعَلَا الْمَشِيبُ لِذَاتِهِ ، وَخَلَتْ لَهُ

حَسْبُ تَقْضُنَ صَمِيرَةٍ الْمُفْتُولَا

لذاته : أترابه الذين ولدوا معه ، المفرد لذة ، خلت مضت . الخقب جمع حقبة ، مدة من الزمان قد تكون أربعين أو ثمانين سنة . المرير العزم والشدة ونقض الحبل فكه . كناية عن إضعاف السنين قواه .

٣٥ — فَكَأَنَّ أَعْظَمَهُ مُحَاجِنٌ مُنْبِئَةٌ

مُحَوِّجٌ ، قَدَمَنْ ، قَدَّ أَرْدَنْ مُحُولًا

المحاجن جمع محجن : العصا المموجة ، النبعة شجرة تتخذ منها السهام والتقى .

عوج : معوجة . التحول الرقة والذهاب من مرض أو سفر . يصف
عظامه بالنقوس والهمال . واستعمال الفعل (أراد) جار على نحو ما سبق
في البيت ١٣

٣٦ — كَحْدِيدَةٍ الْهِنْدِيَّ أُمِّي جَفْنُهُ

خَلَقًا ، وَلَمْ يَكُ فِي الْمِظَامِ نَكُولًا

حديدية السيف فضله ، والهندي السيف إذا عمل ببلاد الهند وأحكم
عمله . وجفنه غمده . نكول : ضعيف غير صارم . يذكر ما أصابه الآن
من ضعف بعد ما كان ماضي العزيمة في شبابه .

٣٧ — تَعْلُو حَدِيدَتَهُ ، وَتُنْكِرُ لَوْنَهُ

عَيْنٌ رَأَتْهُ فِي الشَّبَابِ صَقِيلًا

تعلو حديدته تنبو عنها ، والأصل ، كما في اللسان ، تعلو عن حديدته ،
وهذا يلائم الجملة الثانية الدالة على أن العين التي رآته شابا تنكره الآن هوما .
وهذا البيت استمرار لسايقه في التصوير . ولعل في صدر البيت تحريفا .

٣٨ — إِنِّي حَلَفْتُ عَلَى بَيْنِ بَرَّةٍ

لَا أَكُتِبُ الْيَوْمَ الْخَلِيفَةَ قِيلًا

بين برة : صادقة لاحث فيها . القيل القول مصدر قال أيضاً . وهنا
بدأ الشاعر غرضه الأصيل .

٣٩ — مَا إِنْ أَتَيْتُ أَبَا خُبَيْبٍ وَافِدًا

يَوْمًا أُرِيدُ لَبِيمَتِي تَبْدِيلًا

أبو خبيب عبد الله بن الزبير كنى بابنه خبيب ، وقد خرج على الأمويين
بعد معاوية واعتصم بمكة وباع نفسه ، وتم له الأمر بالحجاز والعراق نحو
تسع سنين (٦٤ — ٥٧٣) وقد قتل أيام عبد الملك . والشاعر يقسم أنه لم ينقض
بيعة عبد الملك ، أو يستبدل بها بيعته لابن الزبير .

وفي الأصل : ما زرت آل أبي خبيب طائفاً . وقد اعتمدنا رواية
اللسان (١١) .

٤٠ — وَأَيُّ أَمِيَّةٍ تُجِيدُ بَنَ عُومِرِ
أَيُّي الْهُدَى فَيَزِيدَنِي تَضَلِيلًا

هنا نجدة بن عامر الحنفي زعيم فرقة النجدية من الخوارج ، خرج بالجماعة
موطن الشاعر وقومه بني نمير . وقد قتل سنة ٧٢ هـ . فالشاعر يتبرأ من قصده
خشية أن يضلّه .

٤١ — مِنْ تَمَةِ الرَّحْمَنِ ، لَا مِنْ حِيلَتِي
أَيُّي أَغْنَى لَهُ عَلَى فُضُولًا

هنا يحرج الشاعر فلا يدعى لنفسه قدرة على جلب الخير لنفسه ، وإنما
يرد مأبه من نعم إلى كرم الله وتفضله عليه . وكأنه يستند بذلك موقفه
من الخليفة ، وبفضه الذين يخرجون عليه .

٤٢ — وَشِدَّتْ كُلُّ مُنَافِي مُتَقَلِّبٍ
تَرَكَ الزَّلَازِلُ قَلْبَهُ مَدْخُولًا

شدت : أبغضت . الزلازل : البلايا . مدخول : فاسد غير صافي الود
والعقيدة ، وكان اضطراب الأحوال ، وتعدد الخارجين ، مفسدة لقلوب بعض
الناس في ذلك العهد .

٤٣ — وَإِيَّ الْأَمَانَةِ لَا تَزَالُ قُلُوصُهُ
بَيْنَ الْخَوَارِجِ مُهْرَةً وَذَمِيلًا

وهي الأمانة : ضعيفها . والقلوص الناقة الطويلة الفوائم . الخوارج حزب
سياسي معروف اشتد نشاطه في وجه الأمويين . ويمكن أن يراد بهذا اللفظ
كل ناز على الدولة . النهزة اسم لما هو معرض لك كالغنيمة . ويقال فلان
(١١) مادة خيب .

نهزة المختلس أى هو صيد اسكى أحد . والذميل السيرالين . وهذا تصوير
لذلك المتافق الذى يتردد بين الخوارج ويجمع فى يدي كل فريق منهم .

٤٤ — مِنْ كُفِّهِمْ أَمْتَىٰ لَهُمْ بَيِّعَةٌ
مَسَّحَ الْأَكْفُ تُعَاوِدُ الْمُنْذِرَ لَا

المنديل ما يمسح به . هذا المتافق يحاول بيعه كل خارج ، وحاله معهم
حال الأكف يعاود المنديل لتمسح به غير مكنتية بكرة واحدة ، فهو نهزة
لكل نازر .

٤٥ — أَخْلَيْفَةُ الرَّحْمَنِ ، إِنَّا مَقَرُّ
جُفَاءَ نَسْجُدُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا

المعشر : الجماعة وأهل الرجل . حنفاء : مسلمون صدقا . البكرة أول
التهار . وضده الأصيل . توكيد لأخذهم بالدين وشعاره .

٤٦ — عَرَبٌ ، تَرَىٰ فِي أُمُومِنَا
حَقَّ الزَّكَاةِ مُنْزَلًا تَنْزِيلًا

لعله يريد بكلمة (عرب) البره من الموالى ، أو الأعراب الذين يشكرون
الزكاة . منزل : صادر عن الله تعالى . وهذا تمهيد لما سيقصه من جور السعاة
الذين يجبون الزكاة .

٤٧ — إِنَّ السَّاعَةَ عَصَوَكَ حِينَ بَغْتَتِهِمْ
وَأَتَوْا دَوَائِي ، كَوْ عَلَيْتَ ، وَغُولًا

السعاة : ولاة الصدقة (أى الزكاة) وعملها يأخذونها من الأغنياء
ردها إلى الفقراء . القول الهلكة والموت .

٤٨ — كَتَبَ الْمَذْمُومُ مِنَ الْعَدَاةِ لِمُسْرِفٍ
عَادَ يُرِيدُ خَنَافَةً وَغُلُولًا

الدهيم : مثل يضرب في الشر والداهية ، يقال أَسَام من الدهيم . العداء : الشغل يعدوك ويصرفك عن الشيء . والغلول الغش والخيانة . والمصرف من يتجاوز القصد والاعتدال .

ولعل المراد بالدهيم من كتب صك الخراج مزوراً لهذا المصرف الخائن ، وقد شغلت الدهيم شواغل عن كتابة الأموال صحيحة . ورواية البيت هيكذا عن اللسان وفيه أصل المثل ^(١١) .

وفي الأصل :

كتبوا الدهيم من العدا بعشرف عاد يريد خيانة وغلولا

٤٩ — دُخِرَ الخليفة ، لو أخطتْ بِخَبْرِهِ

لتركته مِنْهُ طابَقاً مُنْصُولاً

في هامش الأصل : أراد ياذخر الخليفة كأنه نداه وليس بلازم فيجوز الرفع على الإيحاء . الطابق العضو من أعضاء الانسان كاليد والرجل ونحوها ولعله يريد ذلك المصرف الخائن .

٥٠ — أَخَذُوا العَرِيفَ فَقَطَعُوا حَبْرُومَهُ

بِالأَصْحِيحَةِ قَائِماً مَفْـُـلُولاً

العريف القيم بأمور القبيلة أو الجماعة من الناس يلي أمورهم ، ويعترف الأمير منه أحوالهم ^(١٢) وهو هنا عريف قوم الشاعر ورسولهم إلى الأمير . الحيزوم الصدر . والأصحية سياط منسوبة إلى ذى أصبح من ملوك اليمن لأنه يمزجها . مغلول : مقيد بالغل ، طرق من حديد أو جلد يجعل في اليدين أو العنق .

فعل السعاة ذلك بالعريف ليحملوه على توقيع صك الصدقات كما كتبوه .

(١١) مادة دهم .

(١٢) اللسان ج ١١ ص ١٤٣

٥١ — حَتَّى إِذَا لَمْ يَتْرُكُوا لِعِظَائِهِ

تِلْكَ ، وَلَا لِفُؤَادِهِ مَعْتُولَا

الفؤاد القلب . معقول : عقل مصدر على صيغة اسم المفعول ، مثل :
وعلم بيان المرء عند المجرب أى عند التجربة ، وهكذا ألح السعاة على هذا
العريف بالتنكيل ، فلم يتركوا له لهما يغطى عظمه ، ولا عقلا يدرك به ،
وهذا مبالغة .

٥٢ — جَاءُوا بِصُكُّمِ وَأَحْدَبَ أَسَارَتِ

مِنْهُ الشَّيَاطِئُ بِرَأْعِيبَةٍ إِنْجِيلَا

الصك الكتاب ، والذي يكتب للمهدة ، والأحذب — هنا — العريف
الذى أجبروه على توقيع الصك كما زوروه ، وهو من دخل صدره وارتفع
ظهره . أسارت : أبطت ومنه السور . البراعة القصبة سمى بها الضعيف ،
والإنجيل الجبان .

٥٣ — نَسِيَ الْأَمَانَةَ مِنْ خَافَةِ لُتُحِّ

تُحْنَسِ تَرَكْنَ لِيَضِيعَ بِجُدُولَا

لُتُح : شياطين جمع لُتُح ، شمس : شداد جمع شمس ، البضيع اللحم .
بجدول : مصروع على الجدالة وهى الأرض ، فالعريف نسي الأمانة
ووقع للسعاة على صكهم المزور خوف شياطين القاسية التى مزقت لحمه
وطرحته على الأرض .

٥٤ — أَخَذُوا بِمَوَلَّتِهِ وَأَصْبَحَ قَاعِدَا

لَا يَسْتَطِيعُ عَنْ الدَّيَّارِ حَوِيلَا

المحولة ما يحمل عليه من الدواب . حويل : تحول وانفعال .

وفي السان :

أُخِثَتْ حَمَلَتُهُ فُصِّحَ تَأْوِيَا لَا يَسْتَطِيعُ عَنِ الدَّيَارِ حَوِيلَا^(١)

٥٥ — يَدْعُو أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَدُونَهُ

خَوْقٌ تَجَرُّ بِهِ الرِّيحُ ذُؤُلَا

الخرق الأرض الواسعة تتخرق (تتردد) فيها الرياح ، وذيل الريح
ما انسحب منها على الأرض أو ما تركه في الرمال على هيئة الرسن (الحبل)
كان ذلك أثر ذيل جرفته على الأرض من خلقها . أو ما جرفته على وجه الأرض
من التراب والقمام^(٢) فالعريف يستغيث بأمر المؤمنين ويدهما فلاة واسعة .

٥٦ — كَهْدَاهِدِ كَسَرَ الرُّمَاهُ جَنَاحَهُ

يَدْعُو بِقَارِعَةِ الطَّرِيقِ هَدِيلَا

المهادد المهدد ، والجمع هداهد بالفتح ، قارعة الطريق أعلاه . والمهديل
صوت المهدد^(٣) شبه العريف في بلواه وصياحه يهدد هذه صفته .

٥٧ — وَقَعَ الرِّبْيُ وَقَدْ تَقَارَبَ خَطْوُهُ

وَرَأَى بِعَقْوَتِهِ أَزَلَ لُؤُلَا

وقع الربيع بالأرض أي نزل المطر بساحته ، تقارب خطوه : قرب وقصر .
وصف للعريف . وعقوته ساحته . والأزل الذئب الأرسح ، قليل اللحم
الفتخزين ضمورا . والنسول من النسلان وهو ضرب من العدو (سريع)^(٤)
وهو تصوير لمقدار فزع العريف وعجزه .

٥٨ — مُتَوَصِّحَ الْأَقْرَابِ فِيهِ شُبُهَةٌ

نُشِّسَ الْيَدَيْنِ تَخَالَهُ مَشْكُؤُلَا

(١) مادة حول .

(٢) راجع السان مادة ذيل .

(٣) راجع الحيوان للباقظ ٣ / ٢٤٣ واللبان ، مادني هذل وهدد .

(٤) راجع السان مادة نهش والحيوان ٢ / ٣١٠ و ٥ / ٦٥

وصف الذئب بأنه متوضح الأقرب أى أبيض — لبس بالشديد البياض —
الأقرب انخواصر جمع قرب بضم فسكون . والشبهة الغيرة فى بياض والذئب
الأشمل من ذلك ، نهش الـيدين : خفيف الـيدين فى المر قليل اللحم عليهما .
مشكول : لا يستقيم فى عدوه كأنه قد شكل بشكل .

وفى اللسان — مادة نهش — فيه مشكلة بالكاف بدل الهاء . وهى سمة
من لون آخر . وفيه (مادة شول ووضح) شبح الـيدين بدل نهش ، الشننج
المتقبض .

وفى الحيوان : شبهة بدل شهلة ، والشبهة بياض يصدعه سواد فى خلاله ^(١)
وهى صورة بشعة لهذا الذئب الطارئ المتربص .

٥٩ بـ كَدَخَابِ مُرْتَجِلٍ بِأَعْلَى تَلْمَةٍ
غَرْنَانَ ضَرَمَ غَرْنَجًا مَبْلُولًا

استمرار فى وصف لون الذئب . والمرتجل الذى يقع برجل — كثير —
من جراد فيشوى منها أو يطبخ . وقيل المرتجل الذى اقتدح النار بزيادة
جعلها بين رجله وقتل الزند بيده حتى يورى . وقيل المرتجل الذى نصب
مرجلا يطبخ فيه طعاما . والتلمة من الأضداد : ما ارتفع من الأرض
وما انخفض . غرنان : جائع فعله غرث . ضرَم : أوقد . العرفج شجر صلب
يشبه لون الذئب بلون دخان ذلك المرتجل .

وعبارة الجاحظ فى الحيوان : المرتجل الذى أصاب رجلا من جراد فهو يشويه
وجعله غرنان ليكون الغرث لا يختار الخطب اليابس على رطبه فهو يشويه
بما حضره ، وأدار هذا الكلام ليكون لون الدخان بلون الذئب الأطحل
متفتحين ^(٢) والطحاة لون بين الغيرة والبياض بسواد قليل كلون التراب ، يقال
ذئب أطحل وشاة طحلاء .

(١) راجع اللسان فى مواد : نهش ، ووضح ، وشهل ، وشننج ، والحيوان ٥ / ٦٦

(٢) راجع الحيوان ج ٥ / ٦٦ واللسان مادة : تلغ ورجل

٦٠ - أَخْلِيَّةَ الرَّحْمَنِ ، إِنَّ عَشِيرَتِي

أُمْسَى سَوَامَهُمْ عَرَبِينَ ، فَلَوْلَا

عشيرة الرجل بنو أبيه الأدنون ، وقيل هم القبيلة ، وهذا أولى هنا .
السوام المشاشية والابل الراعية . عربن : صارت عارية من الخمول والرحال
فقرا وسوء حال . فلول : منهزمة . متفرقة ، جمع فل : القوم المنهزمون . يذكر
ما أصاب سوام قومه من تفرق ، وسوء حال ، وربما كان الأصح : «عربن»
بالزاي ، أى متفرقة .

٦١ - قَوْمٌ عَلَى الْإِسْلَامِ لَمَّا يَتْرَكُوا

مَا عَوْثَهُمْ ، وَيُضَيِّعُوا التَّهْلِيلَا

المساعدون الزكاة . أو الطاعة والزكاة ، أو إسقاط البيت كاللؤلؤ والفاص .
والقدر والقصة . والتهليل التوحيد ، قول : لا إله إلا الله ، ورفع الصوت
بالشهادة .

وفي اللسان ، أيضاً ^(١) .

قوى على الإسلام لَمَّا يَمْنَعُوا مَا عَوْثَهُمْ ، وَيَضَيِّعُوا التَّهْلِيلَا

أى لما يرجعوا عما هم عليه من الإسلام من قولهم هال عن قومه ،
وكس أى حمل عليه .
وفيه ^(٢) أيضاً :

قَوْمٌ عَلَى التَّنْزِيلِ لَمَّا يَمْنَعُوا مَا عَوْثَهُمْ وَيَبْذُلُوا التَّنْزِيلَا

٦٢ - قَطَّعُوا الْبَيْمَةَ يُطْرَدُونَ كَأَنَّهُمْ

قَوْمٌ أَصَابُوا ، ظَالِمِينَ ، فَتَبِيلَا

البيمة إقليم من العروض شرق الجزيرة العربية حيث خرج النجدية ،
وهى موطن الشاعر وعشيرته ، ويظهر أن بني نمير قبيلة الراعي كانوا

(١) مادة هال .

(٢) مادة ممن .

من طريدى الخوارج ، وربما أصابهم جذب فى تلك السنة فشردهم
عن انبثامه .

٦٣ — يَحْدُونُ حَدًّا مَائِلًا أَشْرَافًا

فى كلِّ مَنْرَلَةٍ يَدْعَنُ رَعِيْلًا

الحذب جمع حذباء الناقة التى بدت حراقبها — رهوس أوراقها —
وذلك من الهزال ، وأشرفها أعاليها . الرعيل القطعة من الإبل ، ترك
فى الطريق لهلاكها . وفى الأصل واللسان (١) : فى كل مقربة يدعن رعيلًا .
والمقربة المنزل وأصلها من القرب وهو السير ، وجمعها مقارب .

٦٤ — حَتَّى إِذَا احْتَبَبْتُ تَبَيَّ طَرَفُهَا

وَوَنَى الرَّعَاءُ شَكِيرَهَا الْمَنْجُولَا

الطرق القوة وأصله الشحم فكنى به عنها لأنها أكثر ما تكون عنه .
والشكير قضبان غضة تنبت من ساق الشجرة أو ورق صغار تحت ورقها
الكبار ، والمنجول المقطوع بالمنجل أو المرى المطروح . وعلى ذلك يكون
المعنى أن هذه النوق لما حبست عن السير استعادت قوتها ، وجمع لها الرعاة
ما اعتادت أن تلعمه من شكير الأشجار .

٦٥ — شَهْرَى رَبِيعٍ مَا تَذُوقُ لَبْوَهُمْ

إِلَّا حَوْضًا وَخَمَةً وَذِيَالَا

اللبون من الإبل ذات اللبن . الحوض جمع حمض ما ملح وأمر من النبات
والواحدة حمضة : وخمة : ذات وخم ووباء : ذبيل يابس جانف (النبات) .
وفى اللسان ورد البيت هكذا :

شهرى ربيع لا تذوق لبوهم إلا حوضا وخمة ودويلا

(١) مادة قرب .

والدويل البت العاي اليابس أواندى أنت عليه ستان فهولا خير فيه ^(١) :

٦٦ — وَأَتَانُمُ يَحْيَى فَتَدَّ عَلَيْهِمُ
عَقْدًا يَرَاهُ الْمَلِئُونَ تَقِيلاً

لعل يحيى هذا جاب آخر من قبل الخليفة ، شد عليهم عقداً : ألزمهم فرائض
من المال ثقيلة الأداء ، أو فيها شطط وغلو ، يشكو جور هذا الجاني .

٦٧ — كُتِبَا نَزَكْنُ غَنِيَهُمْ ذَا عَيْلَةٍ
بَعْدَ الْخَنَى ، وَتَقْدِيرُهُمْ مَهْزُولَا

العملة التفر ، مهزول : ضعيف نحيل . والكتب هي الصكوك التي تسجل
فيها فروض الزكاة .

٦٨ — قَرَكْتُ قَوِي يَقْسُمُونَ أُمُورَهُمْ
أُ إِلَيْكَ أَمْ يَتَرَبَّصُونَ قَلِيلًا

يقسمون أمورهم : لا يدركون كيف يصنعون فيها ، أو يدبرونها ليروا
كيف يفعلون فيها . يتربصون ينتظرون . يقول إنه ترك قومه في حيرة من أمرهم
إزاء جور السعاة ، أوجهون إليك تواء أم يتمهلون .

٦٩ — أَنْتَ الْخَلِيفَةُ : عَدْلُهُ وَتَوَالُهُ
وَإِذَا أَرَدْتُ لِفَظَائِمِ تَتَكِيلَا

يريد أنت الخليفة الكامل عدلاً وكرماً ، وفي خزانة الأدب ^(٢) حمله
وفعله التكيل : أن تعاقب الرجل في جرم عقوبة تنكل غيره — تمنعه —
عن ارتكاب غيره . أى كان تنكيلك رادعاً .

(١) راجع المان مادة دول .

(٢) ١٣١/٣ ط السنية .

٧٠ — فَأَرْقَ مَطْلَمَ عَيْلَتِ أَنْبَاءَنَا

عَنَّا ، وَأَتَقَدُّ شَلُوتَا الْمَأْكُولَا

التعميل سوء الغذاء ، والشلو العضو جمع أشلاء ، وكل مسلوخ أكل منه .
وبقي شيء ، يدعو الخليفة أن يجدارك حال قومه .

٧١ — قَرَى عَطِيَّةَ ذَاكَ إِنْ أُعْطِيَتْهُ

مِنْ رَبَّنَا فَضْلًا وَمِنْكَ جَزِيلًا

عطية ذاك : إعطاء ذلك . والاشارة إلى العطاء الذى أشار إلى وسيلته .
فى البيت السابق . فضل علينا من الله . والجزيل — هنا — العطاء الواسع .
يقول له : إن كرمك فضل من الله ، وخير منك عميم .

٧٢ — إِنْ الدِّينَ أَمَرْتَهُمْ أَنْ يَمْدُدُوا

لَمْ يَفْعَلُوا مِمَّا أَمَرْتَ فَيَسْأَلُوا

التعميل السحابة فى شق الزواة من قوله تعالى : « ولا يظلمون فتيلا » .
مثل الشيء الثافه الخفير القليل ، أى لم يفعلوا مما أمرتهم به من عدل قدرها .
وإنما يريد السعاة .

٧٣ — أَخَذُوا الْكِرَامَ مِنَ الْإِشَارِ ظُلَامَةً

مِنَّا ، وَيُكْتَبُ لِلْأَمِيرِ أَفِيلًا

العشار جمع عشاء : النوق مضى لملها عشرة أشهر . الأفيل ابن المخاض
فما فوقه والفصيل . الجع إقال وأفائل . وهو هنا منصوب بالقتل يكتب أى
ويكتب الساعى للأمير أفيلًا بعد احتجاز الكرام لنفسه وصحبه ، وعلى البناء
للمفعول — وهو المشهور — يكون التقدير ويكتب أخذنا من فلان
أفيلًا للأمير .

وفى خزانة الأدب : « أخذوا المخاض من الفصيل غُلبَةً : ظلمًا » .
والمخاض النوق الحوامل . والتفصيل ابنها ، والغلبة الغلبة . غلبة وظلمًا .

مصدران حالان من فاعل (أخذ) ويجوز نصب الثاني بالأول على أنه مصدر
معنوي^(١).

٧٤ — فَلَنْ سَلَيْتُ لَأَدْعُونَ بَطْعَةً

تَدْعُ الْفَرَّاصَ بِالشَّرِيفِ فَلَيْلًا

الفرّاص جمع فريصة ، اللحمة بين الجنب (أو الثدي) وبين الكتف
ترعد عند الفزع. والشريف ماء لبني نعيم ، وجبل تزعم العرب أنه أطول جبل
في الأرض. ومن معاني القليل الليف والشعر المجتمع ، والسيف المقلوب فيه حرر.
وروى ابن سلام^(٢) أن عبد الملك لما سمع هذا البيت قال له : وأبن من الله
والسلطان لا أم لك ؟ فقال يا أمير المؤمنين ، من عامل إلى عامل ،
ومصدق إلى مصدق .

٧٥ — وَإِذَا قُرَيْشٌ أُرْقِدَتْ نِيرَانُهَا

وَبَلَّتْ ضَمَانٌ يَبْتَهَا وَدُخُولًا

قريش قبيلة الخليفة ، وداخلها كان التنافس بين أمية وهاشم ،
وبين الأمويين والزبيريين ، وبين السفينيين والمرائيين ونحو ذلك .
أُرْقِدَتْ نيرانها : تحاربت من قوله تعالى : « كلما أوقدوا ناراً للحرب
أطفأها الله » . بلت ضمان : اختبرتها وجربتها (باشرت آثارها)
والدخول جمع ذنحل : النار . يقول : إذا قامت الفتنة في قریش فتصاربت
واستجابت لأحقادها وناراتها . ويصح أُرْقِدَتْ نيرانها بالبناء المعلوم .

٧٦ — فَأَبْوَكَ أَحْزَمُهُمْ ، وَأَنْتَ أَمِيرُهُمْ

وَأَشَدُّهُمْ عِنْدَ الْعَزَائِمِ جُـ

الجول الحزم ، والعزم ، والصخرة التي في الماء يكون عليها الطير (البناء)
فان زالت تلك الصخرة تهوّر البئر . مدح لعبد الملك وأبيه . والواقع أن مروان

(١) واجع الخزانة ج ٣ ص ١٣٤ ط السلفية .

(٢) طبقات الشعراء ص ١٧٥ ط القاهرة :

سلك في سبيل الخلافة مسلکا حازما حتى ظفر بها، وأن عبد الملك عرف بالخزم
والصرامة، وكان من عمد الدولة الأموية وساستها المعدودين كعافية وهشام.
وما هنا رواية للسان^(١١)

وفي الأصل :

فأبوك سيدها وأنت أشدها ومن الزلازل في البلابل حولها
وهو اضطراب وتحريف كما ترى .

٧٧ - وَأَبُوكَ ضَارِبَ فِي الْمَدِينَةِ وَحَدَّهُ

ضَرْبًا تَرَى مِنْهُ الْجُوعَ تُشْلُو

أبوه هو مروان بن الحكم . شلول جمع شل بمعنى الطرد ، أى مطرودين
مهمومين . وفي الخزائن ورد الشطر الثاني هكذا : قومهم جعلوا الجميع
شكولا^(١٢) ولعله يناسب ما بعده . والشكول جمع شكل ، الشبه والمثل . يريد
أنهم جعلوا الناس متخالفين بعد أن كانوا متحدين .

٧٨ - قَتَلُوا ابْنَ عَفَانَ إِمَامًا مُحَرَّمًا

وَدَعَا قَلَمًا أَرَّ مِثْلَهُ مَحْدُولًا

يعنى عثمان بن عفان ثالث الخلفاء الراشدين . إمام : خليفة . محرم : له ذمة
وعهد أو صائم ، أو أنهم قتلوه في آخر ذي الحجة . قال ابن برى : ليس محرما
في بيت الزاعى من الاحرام ولا من الدخول في الشهر الحرام ، وإنما
هو مثل البيت الذى قبله . وإنما يريد أن عثمان في حرمة الاسلام وذمته
لم يحل من نفسه شيئا يوقع به ، وهذا يفسر الشطر الثانى ، فلما استغاث خذل ،
وكان خذلانه شنيعا وفي اللسان^(١٣) :

قتلوا ابن عفان الخليفة محرما . . إلى آخر البيت .

(١١) مادة جول .

(١٢) ج ٣ ، ص ١٣١ ط السنية .

(١٣) مادة حرم .

٧٩ — قَتَصَدَتْ مِنْ يَوْمِ ذَلِكَ عَصَامُ

شِقَاقًا ، وَأَصْبَحَ سَيْفُهُمْ مَقْلُولًا

تصدعت عصام : تفرق أمرهم . شقق جمع شقة : نصف الشيء ، مقلول : منلوم ، كناية عن الضعف ، وهذا كان شأن المسلمين منذ مقتل عثمان . وفي الخزانة ^(١١) (بعد) بدل (يوم) و(مقلولا) بدل (مقلولا) أى أصبحوا مضطربين .

٨٠ — حَتَّى إِذَا نَزَلَتْ عَمَايَةُ فِتْنَةٍ

عَمِيَاءُ كَانُوا كِتَابِيًا مَقْلُولًا

عماية : غواية ولجاج ، عمياء ذات ضلال وجهل لا يهتدى فيها إلى صواب أى حتى إذا قامت الفتنه المظلمة التي كانت قدراً مقدراً ، ولعله يشير إلى تلك الفتنه التي أعقبت ترك معاوية الثاني أمر الخلافة ، وفي الخزانة : حتى إذا قُوت بحجاجة فتنه ^(١٢) أى بعد أن سكنت الأمور وزال غبار الفتنه .

٨١ — وَرَزَتْ أُمِّيَّةُ أَمْرَهَا فَدَعَتْ لَهُ

مَنْ لَمْ يَكُنْ غَرَّاءَ وَلَا يَجْهُولًا

وزنت : أحكت وقومت . وأمرها سياستها . الغر الجاهل غير المحرب . يشير إلى ما كان من نشاط الامويين حتى ظفر مروان بن الحكم بالخلافة .

٨٢ — مَرْوَانُ أَحْزَمُهَا إِذَا نَزَلَتْ بِهِ

حُدُبُ الْأُمُورِ وَخَيْرُهَا مَأْمُولًا

حذب الأمور شواقيها ، والواقع أن فترة تنازل معاوية الثاني عن الخلافة كانت حرجية ، وفي الأصل :

مروان أحزمهم إذا حلت به حذب الأمور وخيرها مشلولاً ^(١٣)

(١١) ١٣٢ / ٣

(١٢) ج ٣ ص ١٣٢

(١٣) مادة حذب

٨٣ — أَيْلَمَ رَفَعَ فِي الْمَدِينَةِ ذَيْلَهُ

وَلَقَدْ بَرَى زَرْعًا يَبَا وَنَحِيلًا

كتابة عن النشاط في النهوض بأمور الخلافة ، والانصراف إلى جد الأمور عن هزلها .

٨٤ — وَدِيَارُ قَوْمٍ خَرَّبَتْهَا فِتْنَةٌ

وَمُسَيِّدًا فِيهَا احْتَامُ ظَلِيلًا

ليست المناسبة واضحة بين شطري هذا البيت ، وهي ضعيفة بينه وبين سابقه ، كذلك بين شطري البيت السابق ، وأرجح أن هناك بيتاً أو شطوراً ضائعة بين هذين البيتين ، وكلمة (ظليل) صفة لمحذوف تقديره (بيتا) مثلاً .

٨٥ — أَيْلَمَ قَوْمِي وَالْجَمَاعَةُ كَالَّذِي

لَزِمَ الرَّحَالَةَ أَنْ تَمِيلَ تَمِيلًا^(١)

قال الأعمى : « وصف ما كان من استواء الزمان واستقامة الأمور قبل قتل عثمان وشمول الفتنة ، وأراد التزام قومه الجماعة وتركهم الخروج على السلطان . والمعنى : أزمان قومي والتزامهم الجماعة وتمسكهم بها كالذي تمسك بالرحالة ومنعها من أن تميل وتسقط . والرحالة (بالكرم) الرجل وهي أيضاً السرج ضربها مثلاً » .

ويتخذ النحاة هذا البيت شاهداً على حذف (كان) على تقدير : أزمان — أو أيام — كان قومي والجماعة ، فالجماعة مفعول معه على تقدير إضمار الفعل .

(١) راجع في هذا البيت خزنة الأدب ٣ / ١٥٣ الشاهد ١٨٢ السنية .
أرج ٢ ص ٣٠٣ ط المصور .

المصادر

- ١ — جبهة أشتار العرب لأبي زيد محمد بن أبي الخطاب القرشي . المطبعة الرحمانية سنة ١٩٢٦ م ص ٣٥٣
- ٢ — ديوان جرير . المطبعة الميمنية سنة ١٣١٣ هـ ص ٢٠٢
- ٣ — خزائن الأدب ولب لباب لسان العرب لعبد القادر البندادي . المطبعة السلفية القاهرة سنة ١٣٤٨ هـ ج ٣ ص ١٣٠ — ١٣٥

المراجع

- ١ — لسان العرب لابن منظور .
- ٢ — القاموس المحيط للفيروز ابادي .
- ٣ — الجيوان لأجاحظ .
- ٤ — الكامل للمبرد .
- ٥ — أمالي الثعالبي ، والسمط لليعني .
- ٦ — أساس البلاغة للزمخشري .
- ٧ — الأغاني لأبي النرج الاصفهاني .
- ٨ — معجم البلدان لياقوت الحموي .
- ٩ — وثائق الأعيان لابن خلكان .
- ١٠ — طبقات الشعراء لابن سلام .
- ١١ — الشعر والشعراء لابن قتيبة .
- ١٢ — إلباذة هويمبروس : تقديم وترجمة سامان البستاني .
- ١٣ — جبهة أنساب العرب لابن حزم الأندلسي .
- ١٤ — تاريخ الامم والملوك لمحمد بن جرير الطبري .
- ١٥ — الشاهنامة : نشر وتقديم الدكتور عبد الوهاب عزام .
- ١٦ — التفرق بين الفرق .
- ١٧ — معجم ما استمع لبكري .
- ١٨ — مجمع الامثال لمعديني .
- ١٩ — بعض دواوين الشعراء .

تحقيق بعض الألفاظ الهندية المعربة

والدخيلة في اللغات الأوربية

للككتور محمد يوسف

فويت أن أردف مقالى عن العلاقات العلمية بين الهند والعرب (في عدد مايو سنة ١٩٥٠ من مجلتنا هذه) بآخر عن العلاقات التجارية بين البلدين ، وبما أننى اعتقد أن العلاقات من النوع الأخير راسخة في القدم تتمثل الآن في الأسماء الهندية المعربة أكثر مما نثر عليه من إشارات أو روايات في بطون المجاميع الأدبية والتاريخية ، أو المؤلفات الجغرافية ، بما أننى اعتقد ذلك بدأت استحضر وأستعرض في ذهنى عدداً من المفردات المتعلقة بالتجارة وما إليها ثم أتوسمها لعلها قد بقى فيها بعد طول اغترابها ما يمكننا من ردها إلى أصلها الهندى العتيق ، وإذا بى قد تجمع لدى ما يصلح أن يكون موضوعاً لمقال مستقل ، فما أنا ذا أقدم فيما يلى بعض النتائج التى وصلت إليها بشأن أصل طائفة من الألفاظ المعربة ، والتى ربما اعتبر بعضها عريضة محضة ، وأرجو أن يكون هذا باكورة ما أنا بصدده من البحث عن العلاقات التجارية بين الهند والعرب .

ويهمنى أن أنوه في هذا المقام بظاهرة ربما يكفل إبرازها القضاء سلفاً على أى استغراب يلحق القارئ فيما يمد ، وهى أن العرب الأول الذين نراهم في خبر التاريخ يغامرون بحياتهم في ليج البحر الهندى إنما دأبوا على أن يجلبوا من الهند وما وراء الهند لا البضائع فحسب بل أسمائها المحلية أيضاً كما سمعوها من أفواه الذين اختلطوا بهم وعاملوهم ، وسيبدو ذلك طبعياً إذا نحن قدرنا أن معظم تلك البضائع هى التى لم يعرفها العرب في أوطانهم وغير أوطانهم من قبل ، بل إنما عرفوها لأول مرة في الهند ثم عرفها العالم

الغربي عن طريق العرب فيما بعد . وعلى هذا فالتأكد من كون الهند الموطن الأول لبضاعة من البضائع إذا اقترن بثبوت استيراد العرب لتلك البضاعة منها (الهند) ينهض دليلا قويا ، بل قاطعا ، في كثير من الأحوال ، على أن الأسم الهندى الأصل كالـبضاعة ذاتها . فمن الأمثلة المتفق عليها من هذا القليل الموز أصلها بالسكربتية (Mocha) والكافور = سنس (Karpura) والقرنفل = (Kanakphal) والصندل = سنس (Chandan) والساج = المرهتية ^(١) (Sag) سنس (Shaka) والمسك = سنس (Mushka) والليمون = "limu" و "nimbu" والأنج أو العنب = "amba" والتارجيل = "Narikila" وأسماء عدد من العقاقير كالأطريفل والمهلج وجميع أصناف التوابل تقريبا كالفلل = "Pippudi" ، وسرى أننا لو سرنا على هذه القاعدة لكن في وسعنا أن نلقى بعض الضوء على أصول عدد من الكلمات التي لا يزال يكتنفها شيء من الغموض .

وهنا لا أرى بأسا بأن أستطرد قليلا فأقول ان مادأب عليه العرب من تسمية الأشياء الطريقة الجديدة بالنسبة اليهم بالأسماء التي عرفت بها في موطنها هو الطريق العملى الواقعى المطرد فى الشرق والغرب على السواء ، وهو طريق سليم لا غبار عليه من أية ناحية ، لم يجد — بل لم يفكر في الحيدة — عنه إلا بعض الخاصة منا وأرى أنه لم يكن منهم ذلك إلا بدافع من التعقيدات الذهنية الناشئة من نوع معين من الأوضاع السياسية في عصرنا هذا ، وإلما دمننا لم نسمع عن أية محاولة سبقت لترجمة « سنبوسق (سنبوسك) » ما الذى يدعوننا الى أن نبحت عن كلمة عربية تقوم مقام « سندوتش » فنضيع مجهودنا ونعرض للتفكه والتندر ؟ وأعتقد أن المحترقات العصرية كالراديو والتلفزيون والتليفون مثلها كمثل المنتجات الآتية الذكر سواء بسواء .

(١) المرهتية Mehranti ، يجب هنا التنبيه على أن العرب لم يأخذوا الكلمات الهندية من اللغة السنسكريتية مباشرة ، ولأم اعترا بأنها شكلها المصححة في الكتابة ، بل إنما أخذوها من أفواه التجار وسكان المناطق الساحلية التي كانوا يترددون عليها ، ولا يخفى أن تلك المناطق كانت ولا تزال تسودها لهجات متعددة بل لغات مستقلة .

وعلى كل حال فالعرب لم يوردوا فيما مضى من الأخذ بالالتقاط الأسماء
للمصنوعات والمنسوجات والألوان ومختلف المهن، ويتضح ذلك مما سنورده
في الصفحات التالية .

ولا ينبغي أن نبحثنا هذا جانباً آخر على درجة كبيرة من الأهمية،
وهو أن معظم تلك الكلمات التي يقال عنها إنها عربية دخيلة في اللغات الأوروبية،
ولاسيما الإسبانية والفرنسية والانجليزية، هي في الأصل معربة عن الهندية
واللغات المحلية لمناطق أخرى شرق الهند، وذلك لأن تلك الكلمات إنما شقت
طريقها إلى أوروبا عن طريق التجارة على أيدي العرب ولكن العرب لم يكونوا
منتجين في أي من حقلَي الزراعة والصناعة لا شيء إلا لأن الطبيعة حرمتهم
من الثروة النباتية والمعدنية: إذن فكان الأقدار حتمت عليهم أن يقوموا بدور
الوسيط في جلب البضائع الهندية والصينية وتوصيلها إلى أوروبا إلى أن قدر الله
لأوروبا الاتصال مباشرة بالشرق الأقصى في أواخر القرن الخامس عشر
الميلادي، وهو لعمرى دور لعبه العرب لا بجرأة وكفاءة فحسب بل بأمانة
تركت أطيب الأثر وأعظمه في نفوس السكان غير المسلمين لمختلف مناطق
الهند الساحلية . فهذه الظروف تقرر علينا، كلما وجدنا في اللغات الأوروبية
كلمة تتعلق بالملاحه^(٢) أو التجارة على أيدي العرب في المحيط الهندي،
أن نواصل البحث عن أصلها الهندي بعد أن نهتدي إلى شكلها المعرب
في العربية ولعل في مقارنة الطرفين الأوربي والهندي ما يكشف لنا بعض
ماغض على المتأخرين من العرب أنفسهم في بعض الأحيان .

(١) (ALMANAC) لم يشك أحد في أن هذه الكلمة انتقلت إلى أوروبا
عن العرب لكن حار الباحثون في الاهتمام إلى أصلها فقالوا أنه « الناخ »
(محيط المحيط ن و خ) أو أن العرب الاندلسيين استعاروا كلمة

(٢) لقد صرح المسعودي، فيما يتعلق بالملاحه، أن العرب حرصوا على الأخذ
باللغات المحلية في مختلف المناطق التي ترددوا عليها، أنقل إلى قوله: « إنما نبر بلفظ
أهل كل بحر وما يستعملونه في خطابهم فيما يتعارفونه بينهم » المروج ١/ ٣٣٢ (أيضاً
ص ٣٤٣، إنما نخب عن عبارة كل بحر وما يستعملونه في خطابهم) .

(Dardixianthya) من المصريين وبدأوا ينطقونها « اثناخ » . . .
 (Hobson-Jobson's — ALMANACK) والحقيقة إن أصلها « رهانج »
 عند ابن ماجد^(٣) وهو تحريف البحارين لكلمة « الراهناج » التي جاء عنها
 في التاج ٥١/٢ : « فارسية استعملها العرب وأصلها راء نامه ومعناه (كتاب
 الطريق) . . . (وهو الكتاب الذي يسلك به الرابطة) . . . (في سفر البحر
 ويمتدون به في معرفة المراسي وغيرها) كالشعب ونحو ذلك »

والبس مثل الذي نشاهده في أول هذه الكلمة كثير شائع فيما يتعلق
 بالكلمات الأعجمية التي في أولها حروف تقارب الالف واللام . فكلمة
 « انجر » (Anchor) مثلا أصلها بالفارسية « لنكر » (القاموس — نجر)
 أضاف العرب عليها الالف واللام [الانكر] ثم التبس عليهم الامر فظنوا
 أن اللام ليست من الحروف الأصلية [الانكر] وقلوا « انجر » ، وكذلك
 الرصاص من « ارزير » . (انظر ادى شير) والماس من "Ind-mash" : يتأمة
 كلمة غير عربية والالف واللام من بنية الكلمة ، كذا في شفاء الغليل واللسان
 (مأس) عن ابن الأثير .

(ب) الآتك : لقد أصاب أدي شير القول بأنها قريية من "Raga"
 بالسكوتية إنما أضيف إلى ذلك أن رابطة البحر الهندي والجغرافيين
 من العرب كثيرا ما نكلموا عن « بلاد الراج » متاخمة لبلاد الذهب^(٤)
 وقد اضطرب رسم كلمة الراج على أيدي النساخ حتى أن المستشرقين قرأوها
 « الزابج » (Zabje) وذهبوا إلى أنها تقوم مقام « الجاوة » عند العرب القدماء
 ولكن أبا الفداء (باريس ١٨٤٠ ص ٣٧٢) قد صرح بما لا يدع مجالا

× Hobson-Jobson: A Glossary of Anglo-Indian Colloquial words and Phrases and of Kindred Terms By Col. Henry Yule and Arthur Coke Burnell. London. 1836.

AA — (٣) G. Ferrand: Instructions Nautiques, Tome I. ص ٦٠ « رهانج »

« رهاجمات » — ٧٦ « رهاجا » .

(٤) أنظر أبازيد السمرقاني (سلسلة التواريخ ، باريس ١٨١١) ص ١٨٩ وابن خرداذبة

ص ٦٥ والمسدودى ٣٤٣/١ والبيروني: كتب الهند ص ١٠٣

للك في أن وضع الكلمة الصحيح هو الراجح لا غير، وتدل القرائن كلها على أنها ليست علما، بل المراد بها معدن من المعادن كذهب والفضة ، وبما أن الرصاص الأبيض معروف إلى الآن في الهند باسم "Kang" جاكند لدينا أن الآثك والراجح هما شيء واحد بل الأولى إن هي إلا تطور يسير للكلمة الثانية ، وهناك دليل آخر يؤيد ما ذهبنا إليه هو أن « رانج » جزء من كلمة « الاسرنج » التي أصلها "Shringara" بالنسكرتية لا « سرخ + آثك » كما أودره أدى شير .

كانت بلاد الراجح وبلاد الذهب واقعة حول مصب أروادى (Irrawady) بجنوب بورما وإيها عن بطليموس بـ "Argyra" و "Khyrye" (الترجمة العربية لكتاب بطليموس : «الفضية» و«الكراخية») على الترتيب، ولكن أهم مركز لتعدين الآثك أو الرصاص الأبيض ، الذي اشتهر في العالمين العربي والغربي والذي لا يزال مذكوراً في العربية واللغات الأوربية ، كان في كله . وقد اتجه كثير من العلماء المستشرقين إلى البحث عن كله على الساحل الغربي لشبه جزيرة ملايو إلا إنه يرجح عندي أن كله كان يطلق على ما حوالى مصب نهر كنك بالبنغالة . على كل حال فبفضل وجود هذا المعدن القيم النادر نشأت في كله «قلعة» أو مدينة محصنة (لعل العرب إنما ترجوا إلى « القلعة » الكلمة السنسكريتية "Kunta" ولعل "Kalakhota" هي أصل الاسم الجغرافي "Calcutta") التي يقول عنها مسعر بن مهلهل (القرن الرابع الهجرى) بعد زيارة شخصية لها :

« إنها (كله) أول بلاد الهند مما يلي الصين وانها منتهى مسير المراكب ولا يتبأ لها أن تجاوزها وإلا غرقت ، وبها قلعة يضرب بها السيوف القلعية وهي الهندية العتيقة لا تكون في سائر الدنيا إلا في هذه القلعة . . . وليس في جميع الدنيا معدن الرصاص القلعي إلا في هذه القلعة » القزويني ٦٩ وياقوت « القلعة » و « الصين » .

«النسبة في « السيوف القلعية » و « الرصاص القلعي » (الفرنسية : Alkalap) إلى هذه القلعة المراقبة بـكله^(٤٥) وقد شهد الادريسي أيضا بأنها للمعدن الوحيد للرصاص الأبيض بالنسبة الى العالم أجمع في زمانه فإنه يقول : « وبهذه الجزيرة (كله) معدن الرصاص القلعي وهو بها كثير صافي الجوهر والتجار يشونه بعد خروجه عنها ومنها يتجر (يجهز) به الى جميع الأرض » ، دار الكتب المصرية جغرافيا رقم ١٥٠ ص ١٣٠

ثم يظهر أن مثل هذا المعدن نجم في الاندلس أيضا فيما بعد فبدأ التجار يتحولون عن الهند إليها ، حتى إذا مضى زمن خلط الناس بين المعدنين كما في قول ياقوت :

« القلعة فيما زعم مسعر بن المهلهل بلد في أول بلاد الهند من جهة الصين واليه ينسب الرصاص القلعي والسيوف القلعية ، وإقليم القلعة من كورة قلعة بالاندلس ، وإنا أظن الرصاص القلعي منسوبها إليها أو الى قلعة بالاندلس فإنه من هناك يجلب » ، المشترك والمقترق ٣٥٧

ان شهادة مسعر بن المهلهل والادريسي ليست موضع الشك ، وكل ما أضافنا ياقوت هو أن الرصاص الأبيض كان في أيامه يجلب من الاندلس بعد أن كان يجلب من القلعة بـكله من ذي قبل . ولعل في الأخذ باسم « القصدير » — الذي يرادف الآثك إلا أنه معرب عن اليونانية — أيضا دلالة على التحول المشار اليه من الشرق إلى الغرب .

ويلاحظ أن أهم ما اشتهرت به سيوف الهند جودة الصقل وهو عمل لا يحتاجي إلا بالآثك الذي استأثرت القلعة بإنتاجه ، أما الحديد اللازم لصناعتها فقد أورد الادريسي بشأنه ما يلي :

« إن بلاد سفالة (سفالة الزنج أي شرق إفريقيا) يوجد في جبالها معادن الحديد الجيد الكثيرة وأهل الرانج وغيرهم من ماكنى الجزائر المطيفة لهم يدخلون

(٤٥) أنظر المغرب لجبراليق ، بتحقيق أحمد محمد شاكر ، ص ٢٧٦

M. Devic : Dictionnaire etymologique des mots française d'origine Orientale. Paris. 1876— "ALKALAP"

السهم ويخرجونه من عندهم الى سائر بلاد الهند وجزائر فيليبين بالثمن الجيد ، لأن بلاد الهند أكثر تصرفهم وتجاراتهم بالحديد ، ومع ذلك وإن كان الحديد موجودا في بلاد الهند ومعادنه بها فني بلاد سفالة هو أكثر وأطيب وأرطب ، لكن الهنديون (كذا) يحسبون صناعته وتركيب أخلاط الادوية التي يسبكون بها الحديد التي تعود هندية منسوبة إلى الهند ، وبها ديار الضرب للسيوف وصناعهم يحيدونها فضلا على غيرهم من الأمم ، وكذلك الحديد السبكي (كذا وفي نسخة أخرى : السندى) والسرديبي والبيثاني كلها تفضل بحسب هواء المكان وجودة الصنعة وإحكام السبك والضرب وحسن الصقل والجلاء ولا يوجد شيء من الحديد أمضى من الحديد الهندي ، وهذا شيء مشهور لا يقدر أحد على إنكار فضيلته » . ص ١٠٨ — ١٠٩

هذا وقد كانت اليلمان (البيثان) مركزاً آخر هاماً لصناعة السيوف تنسب إليها السيوف اليلمانية وكانت تقع على ملتي حدود الهند والهند كما يوضح مما ورد بشأنها في فتوح البلدان للبلاذري ص ٤٤٠ و ٤٤٢ أما القول بأنه « يشبه أن يكون (البيثان) من أرض اليمن » [أنظر البلدان لياقوت والقاموس « بلم »] فلا يقوم على سند .

فهذه هي قصة السيوف التي لم تزل تحمل نسبتها إلى الهند كشعار لجودة الصنعة وحسن الصقل ، ولننتقل الآن إلى الحديث عن الرماح التي طورت نسبتها إلى الهند على مر الزمان ، إلا أنه يمكننا إذا أمعنا النظر أن نستشفها من وراء كلمات لا تزال تحمل سمات الغرابة والغربة مع أنها كثيراً ما عدت عربية لا شيء إلا لعدم الاهتمام إلى أصلها .

(ج) يتكون الرمح من جزئين : الأول هو النصل أو السنان ، والثاني هو القناة . وغنى عن البيان أن صناعة السنان متجانسة مع صناعة السيوف بل هما صناعة واحدة ، وعلى هذا يصبح من الطبيعي أن يقلب الظن بأن العرب ربما استعملوا الأنسة المصنوعة في الهند إلا أنه لا يعد منا من الدليل الالجابي ما يرتفع بهذا الظن إلى درجة اليقين ، فأننا نراهم يستعينون ببعض

الكلمات الهندية للتعبيرات الدقيقة المتعلقة بهذه الصناعة . أنظر إلى كلمة « الخرص » تبدو كأنها دخيئة على مادة « خ ر ص » العربية . فأخرص تعني الجزء الأعلى الذي فيه الحد من السنان وهي بهذا المعنى توازي كلمة (Kirch) بمليلالم (Malayalam) — إحدى اللغات الدكنية — والأردوية أيضاً . وربما أطلقت الكلمة على التضييب والرمح نفسه كما قال حميد بن ثور : « عض الثقب الخرص الخطيا » (اللسان ٢٨٧/٨) ولا يخفى أن هذه النسبة إلى الخط هي أقوى ما يؤيد الأصل الهندي للرمح المنسوبة إليها لأن الخط لم تكن إلا مرفقاً للسفن الواردة من الهند كما سنبين ذلك بالتفصيل فيما بعد (البند التالي) ثم من ناحية أخرى يستح لي أن هذه الكلمة من الكلمات التي انتقلت من الهند إلى أوروبا عن طريق التجار العرب فإنها تعني أيضاً الحلقة والدرع وكلمة (Cuirass) بالإنجليزية لها نفس هذا المعنى^(٦) كما أنها توافي بالضبط كلمة (Kavacha) بالسكسرية .

(د) أما الجزء الثاني وهو بلا شك أهم الجزئين فقد كان العرب شديدي الاهتمام بالقنا والانتقاء لها حتى أن الشعر العربي يزخر بأوصافها ونعوتها إلا أن كثرة استعمال العرب للاسماء المختلفة للقناة وما يتبعها وجريها على ألسنتهم مجرى الكلمات العربية في الاشتقاق وما إلى ذلك جعلنا أصل تلك الأسماء نسباً منسياً . هذا مع أنه قد ثبت بصورة قاطعة لا يحطرك إليها أي شك أن منبت القنا الذي كان العرب يعتمدون عليه لشد حاجتهم — وما أكثر تلك الحاجة — لم يكن غير الهند كما سنبين ذلك آنفاً بعد أن نسوق بعض المقدمات ونعرض لبعض الملابس التي لا بد منها نظراً إلى غموض الموضوع .

أولاً — القنا = قصب السكر . لا يخفى أن إطلاق القنا على هذا المعنى إنما هو على سبيل التبعية والمجاز ، وإن كان ذلك مطابقاً للمألوف في اللغة

(٦) وورد في Oxford Dictionary بشأن أصل هذه الكلمة :

Cuirass, from Fr. Cuirasse, from Latin Coriacea = leathern (Corium = leather)

لكن نظروها من العربية من حيث المعنى واللفظ مآً واضح كل الوضوح .

السسكرتية وبعض اللغات الهندية الأخرى . وعلى كل حال فالرجح عند العلماء هو أن موطن قصب السكر الأصلي لا يتجاوز ما بين بنغالة والهند الصينية (Hobson-Jobson-CANDY) والدليل على ذلك أن جميع منتجات قصب السكر اشتهرت في العالم بأسمائها الهندية وها كها فيما يلي : —

١ — CANDY = العربية والفارسية « قند » = سنس "Khandā"
و مليام : "Kandi" — (انظر "Hobson-Jobson-CANDY") .

٢ — العربية : « قانيد » = الفارسية : « قانيد » = سنس "Phanita" — فارن "Med. Lat. "Penidium"

٣ — SUGAR = العربية : « سكر » = الفارسية : « شكر » =
البراكزية : "Sakkara" / سنس "Sarkara"

ومن الطريف في هذا الصدد أن الهنود ، وإن كانوا أول من قام بإنتاج السكر ، سرعان ما بدأوا يستوردونه من الصين ومن مصر وذلك لأن الصينيين والعرب ، الذين نقلوا زراعة قصب السكر من الهند إلى الصين وإلى مصر (تم إلى صقلية والأندلس) ، لم يلبثوا أن سبقوا الهنود في ابتكار وسائل جديدة للتكرير ففاق الصينيون في صنع السكر ناصع البياض بشكل قطع صغيرة كما أن المصريين اقتصروا بصنعه بشكل قطع كبيرة ، ولم تزل الهند تستورد ذلك الصنف من السكر من الصين ومن مصر إلى مطلع القرن الماضي حتى أنهما يعرفان إلى الآن في أسواق الهند باسم « صيني » و « مصري » على الترتيب (٧)

Hobson-Jobson — "SUGAR" (٧)

وَمَا يَسْهَد بِزراعة المصريين في هذا القهار النقطة التالية منقولاً عن ماركوبولو

: (Romusio II, 44)

"And before this city" (a place near Fu-chau) "came under the great Can these people knew not how to make fine sugar; they only used to boil and skim the juice, which when cold, left a black paste. But after they came under the Great Can some men of Babilonia" (i. e., of Cairo) "who happened to be at the Court proceeded to this city and taught the people to refine the sugar with the ashes of certain trees" — 1298 A. D.

ثانياً — القنا بمعنى الریح . يلاحظ في هذا الصدد أن هناك شيئاً يشبه السكر كثيراً ما يكون داخل القنا (BAMBOO SUGAR) يسمى عند العرب «الطباشير» وكان استعماله كدواء شائعاً جداً في العصور الوسطى ومن المتفق عليه أن كلمة الطباشير إنما هي منقولة عن سنس : "Trakshira" أي أنها هندية الأصل (Hobson-Jobson: "Tabashir").

ثم أن الخيزران يصنفه العرب أنفسهم بأنه شجر هندي وهو عروق القنا (أنظر الصحاح والتاج — خزر) أفلا يكون القنا إذ شجراً هندياً؟ والخيزران الهندي ^(٨) هو الذي يمثل به في شدة اللون ومنه قولهم : الخيزري والخوزري والخيزلي ، مشية فيها تفكك .

وربما اقترن اسم القنا بالقسط ما عدا الخيزران عند الربانة والجغرافيين العرب كما سنرى آتاه ومن المسلم به أن القسط أو الكسط هندي بحث [سنس "Kustha"] وإنما نسبوه في بعض الأحيان إلى ظفار بالين لأنه كان يجلب إليه من الهند (القاموس «ظفر»).

ولنبعث الآن عن الموضع التي كان العرب يترددون عليها لطلب القنا منها نجد أنها لا تتجاوز ساحل الهند والساحل الغربي والجنوبي لمنطقة الهند (١٠) : فهذا قول ابن خردادبه ٦٢ : «ومن الهند يحمى القسط والقنا والخيزران» ويقول أيضاً : «ومن مهران إلى أوتكن وهي أول أرض الهند مسيرة أربعة أيام ، وفي هذه الأرض ينبت القنا في جبالها والزرع في أوديتها وأهلها عتاة مرده لصوص» — وهذه هي شهادة مسعرين مهلهل يقول : «وخرجت إلى سواحل البحر الهندي متيسراً فسررت إلى بلد يعرف بمدورقين منابت

(٨) لقد عرف العرب أن بلاد الروم كانت تمتاز بمنابت الخيزران كما يقول الثابت الملبدي : «بلاد بلاد الخيزران» (أنظر اللسان — خزر) إلا أنه من المتيقن أنهم كانوا يجلبونه من الهند ويتناولون بالهندي منه في شدة اللون . كذا في محيط المحيط — خزر . وقد أورد التزويني في الآثار ص ٣٨ عن كاه : «بها منابت الخيزران منها يحمل إلى سائر البلاد» .

(١٠) وقد كان أهل Magan أي عمان يتوردون الأخشاب من نفس هذه المنطقة وذلك أربعة آلاف سنة قبل المسيح — أنظر Wilson : The Persian Gulf p. 27.

غياض القنا وشجر الصندل ومنه يحمل الطباشير وذلك أن القنا إذا جف وهبت عليه الريح احتك بعضه ببعض واشتدت فيه الحرارة للحركة فأقححت منه نار فربما احترقت منه مسافة خمسين فرسخا أو أكثر من ذلك فالطباشير الذي يحمل إلى سائر الدنيا من ذلك القنا . فأما الطباشير الجيد الذي يصادى مثقاله مائة مثقال أو أكثر فهو شيء يخرج من جوف القنا إذا هزت وهو عزيز جداً . . . » ثم يقول عن مدينة كولم أيضا : « والخيزران والقنا بها كثير جداً » (أنظر ياقوت « الصين ») . كذلك يقول الإدريسي : « ومدينة نانة (بالقرب من بومباي) جليلة . . . وبجبالها وأرضها ينبت القنا والطباشير يصخذ فيها من أصول القنا ومنها يحمل إلى سائر البلاد من المشاريق والمغرب » — ص ٢٩٧ .

وبعد أن تقدمنا مناقب القنا وجب علينا أن نقتني آثار نواخذة العرب لنرى أين تفرغ سفنهم حولها وهاك ما يقوله ابن سيده (المختص ٣٤/٦) عن « الرماح الخطية » أشهر الرماح عند العرب : (الخط مرقا السفن بالبحرين ينسب إليها الرماح . وليست الخط بمنبت لها ولكنها مرقا السفن التي تحمل القنا من الهند كما قالوا مسك دارين وليس هناك مسك ولكنها مرقا السفن التي تحمل للمسك من الهند » .

نرى كيف أن القنا المجلوبة من مناقبها بالهند والتي ركب عليها خرص أو ستان مصنوع في مصانع السيوف حول معادن الرصاص القلعي بالهند ، كيف أن هذه القناة هي التي تصبغ « رماح خطيا » بمجرد دخولها حدود جزيرة العرب ؟

والحديث عن « الخطي » يذكرنا على القور بـ « السمري » و « الرديني » . لو رجع أحد إلى اللغويين وأصحاب المعاجم لوجدوا يقولون أن السمري نسبة إلى سمهر والرديني إلى ردينة وهما زوجان كانا يقومان ببيع الرماح بالخط ولكن للنتيج للشعر العربي والمتأمل في أقوال اللغويين وأصحاب المعاجم أنفسهم لا يلبث أن يبين أن السمري بغير الرديني تماما من حيث الصفات النسوبة إلى كل منهما فالسمري يمتاز بصفتين هما (١) الاعتدال و (٢) الصلابة

أما الرديني فيتميز بضد الصلابة وهو اللدونة لأنه هو الذي يمتد دون السهرى. وعلى هذا فيانه من تحديد الاختصاص بحيث يمارس الزوج والزوجة بيع رماح من نوعين مختلفين — ولعل القروض إنيهما كانا يتخذان عليهما جنباً إلى جنب في سوق الخط — بدون أن يطفى الواحد منهما على الآخر ! وإلها من مراعاة للنسب والصلاحيات بحيث يكون بيع الرماح الصلبة من حصنة الزوج وبيع الرماح اللدنة من نصيب الزوجة ! ! وما يزيد أفوالهم ارتباطاً كما يزيدنا إنياباً أن أحداً منهم على الأقل وهو الزبير بن بكار ذهب إلى أن سمهر كانت قرية بالحبشة (أنظر التاج حيث جاء أن الصاغاني أنكر هذا القول) كما أن بعضهم قال أن سمهر اسم امرأة كانت تقوم الرماح !!!

أن المهم في هذا كله هو أن الزوجين ، على حد تعبير اللغويين ، كانا يبيعان الرماح بالخط والخط ، كما رأينا آنفاً ، لم تكن إلا مرفقاً للسفن الواردة من الهند ، إننا فمن المؤكد أن السمهريات والردينيات كانت رماحاً هندية ، هذا بعض النظر عن من قام بأعمال بيعها أو توزيعها في الخط . أليس غريب بعد هذا أن يكون التجار العرب قد أخذوا إسمي الصنفين من الرماح — الصلب واللدن — من أفواه التجار المنود ؟ إن مثل هذا القياس يوافق مقتضى طبيعة المعاملات التجارية كما أنه يصادف حرص العرب عامة على تسمية الأشياء والبضائع التجارية بأسمائها المحلية . والحقيقة أن الكلمتين (Sama) و (Kharā) [المجموع : (Samakhara)] تعنيان في السنسكريتية « المعتدل » و « الصلب » على الترتيب ^(١) . وعلى هذا يكون سمهر اسماً هندياً جلبه العرب مع مساه (أي الرماح المتأخرة بالاعتدال والصلابة) إلى الخط وطبعاً خني أمره على الناس لكونه غير عربي فلذلك لم يفهموا غير أنه انتشر بين العرب عن طريق ذلك المرفق بالبحرين .

لم اكن لأجترى على عرض هذا التفسير للكلمة «سمهر» إلا أنني عثرت أثناء بحثي هذا على مثال آخر لهذه الأسطورة بالذات وذلك فيما يتعلق بكلمة

(١) SAMA. even, level. . . . straight. — M. Williams : Sanskrit-English Dictionary. Oxford P. 1066.

KHARA. hard, harsh, rough, . . . dense —. Ibid P. 74.

السندرة ومن حسن حفظنا أن أحدا من هؤلاء اللغويين أتسمهم وهو القتيبي قد تولى إمامة التلثم عما نسجه خيال أقرانه انخصب حول أصل تلك الكلمة هي الأخيرة . واليك فيما يلي ما جاء عنها في اللسان .

السندر الجريء المشبع والسندرة ضرب من الكيل . . . والسندر مكيا ل معروف . . . قال ابن الاعرابي وغيره هو مكيا ل كبير ضخم . . . وقيل السندرة امرأة كانت تتبع القمح وتوفى الكيل . . : قال القتيبي ويحتمل أن يكون مكيا لا اتخذ من السندرة وهي شجرة يعمل منها النبل والنسي ومنه قيل سهم سندرى — ويقال قوس سندرية منسوب الى السندرة أعنى الشجرة التي عمل منها هذا القوس وكذلك السهام المتخذة منها يقال لها سندرية وستان سندرى اذا كان أزرق حديثاً .

إن ما ذكره القتيبي ، مستثيراً بذوقه السليم ، بأنه محتمل هو لعمري صحيح إلى حد بعيد لأن كلمة "Chandra" [لا "Sundara" كما أورده أدبى شير] بالسंस्कृति تعنى (١) شجرة معينة و (٢) الرجل البارز الشهم و (٣) اللامع البراق — فارستان سندرى — (انظر M. Williams, p. 315) إلا أن للكلمة معنى رابعا وهو اخيمية أو المظلة من ثوب وهي بهذا المعنى توازى كلمة "Cbādar" بالفارسية والأردوية وتطلق على الربطة أو الملاء الكبيرة ويرجع عندى أن هذا المعنى هو الذى له صلة بـ (الكيل الضخم) إنما يقدر ذلك من اعتاد منظراً عاماً في أسواق الجبوب — (القمح) على الأخص — بالهند وهو جماعة من الشياطين ومعهم ربط أو ملاء يسطونها للكيل الضخم ثم يضمون أطرافها ويحملونها على ظهورهم . وذلك معنى قول علي رضي الله عنه :

أَنَا الَّذِي سَمَّيْتُ أُمَّي حَيَّرَهُ

كَلَيْتَ غَابَاتُ غَلِيظَ الْقَصَرِ

أَكِيلُكُمْ بِالسَّيْفِ كِيلَ السَّنْدَرَةِ

أى أقتلكم قتلا واسعا كبيرا ذريعا . انظر نهج البلاغة ٤/ ٣٦٢ .

على كل حال فقد رأينا أن الفتى أدرك أن في الكلام عن (امرأة كانت
بيع القمح) مجازمة لجأ إليها الذين وقفوا حيارى أمام كلمة هندية ألفوا
استعمالها وعرفوا مدلولها لكن لم يدروا ما أصلها .

لكن انتقاء شخصية سمير من الوجود نهائياً يستلزم أيضاً عدم بقاء ردينة
كأرملة تخبر في خطابها من يخلف في بيع الرماح الصلبة إلا أن تلك مسألة
لا تستدعي كبير عناء بعد أن حططنا الأغلال التي كانت تقيد فكرنا . كفاً
أن ننظر إلى كلمة " Rattan " بالإنجليزية هي اسم لنوع معين من الخيزران
غاية في المتانة والجودة وتمتاز قناته أكثر من أي شيء آخر بالمرونة واللدونة
(أنظر " Rattan " — Hobson-Jobson) وبما لا يشك فيه أن هذه الكلمة
بالإنجليزية منقولة عن " ROTAN " ، بلغة ملايو والهند الشرقية . أقبل
يستبعد أن تكون (ردينة) الحلقة الوسطى بين " ROTAN " من جهة
و " RATTAN " من جهة أخرى ليس إلا ؟

لقد آن لنا الآن أن ندون بعض الملاحظات عن أصل كلمة « القنا » .
إننا رأينا أن العرب ، مع كثرة وضعهم للرماح ، لم يذكروا أي منبت للقنا
في ديارهم ، بل بالعكس أجمعت الأدلة كلها على أنهم كانوا يعتمدون على منابت
القنا بالهند ، ولا يقوتنا في هذا المقام أن نذكر ما أورده الجاحظ (البيان
والتبيين ، تحقيق عبد السلام هارون ١٦/٣) من أن الشعوب طعنوا
في العرب بقولهم : « إنما كانت رماحكم من مرءان وأستكم من قرون
البقر ... » لعل مغزى هذا المظن لا يبدو أن العرب لم يجدوا في ديارهم
ما يمكنهم من صنع الرماح بجزئها القناة والسنان — وأخيراً يجب علينا
أن لا نفعل اعتبار الأحوال الطبيعية اللازمة لنمو القنا وهي تنحصر في سفوح
جبال تهطل عليها السماء مدراراً ثلاثة أو أربعة أشهر متتالية في السنة .
أفيوجد مثل هذه الأحوال في جزيرة العرب أو شرقها وغربها إلا في السند
والدكن أي الساحل الغربي والجنوبي للهند ؟ بلى وفي الحبشة أيضاً ومن هنا
يخيل إلى أن قول الزبير بن بكار السالف الذكر (بأن سمير كانت قرية
بالحبشة) يخفى وراءه حقيقة ناجحة وهي أن العرب في وقت من الأوقات اتخذوا
من الحبشة بدلاً من الهند ، مرجعهم الأول المفضل — وإذا فسرهم الحبشة

لا تكون إلا قناة صلبة مستوردة من الحبشة ، كما أن سمهر الخطي لا يشن إلا قناة صلبة مجلوبة من الهند ! ولا ننسى كيف أن ياقوت خلط بين « الناعة » بـ كـ لـ هـ وبين معدن القصدير بالأندلس لأسباب مقشبهة .

ولعل القارئ الأريب يتبين في قول ياقوت الآتي مزيد انجبع ما قدمنا آنفا . يقول ياقوت : « سمهر قرأت بخط إلى الفضل بن العباس بن علي الصولي المعروف بابن برد اختيار . . قال حدثني سليمان المدائني قال حدثني الزبير بن بكار قال الرماح السمهرية نسبت إلى قرية يقال لها سمهر بالحشة . . . قلت أنا وحدثني بعض من يوثق به أن هذه القرية في جزر من النيل (الآثار للزويني ص ٣٠ « جوف النيل ») يأتي من أرض الهند على رأس الماء كثير من القنا فيجمعه أهل هذه القرية ويستوفدون زواله ويبيعون جيده وهو معروف بأرض الحبشة مشهور — وقول من قال أن سمهر اسم امرأة كانت تقوم بعمل الرماح فإنه كلف من القول وتخمين . »

ولأذكر بعد ما تقدم أن القنا هو (Kanda) باللغة السنسكريتية ، ولكن يجب أن أسجل مرة أخرى ما قد نهت عليه من قيل من أن العرب لم يأخذوا الكلمات الهندية كما هي باللغة السنسكريتية بل أخذوها كما كان الأهليون في مختلف المناطق الساحلية ينطقونها ولا يخفى أن تلك المناطق كانت ولا تزال تسودها لهجات مختلفة بل لغات مستقلة وكلمة (Kanda) بالذات لها في تلك اللهجات واللغات أشكال هي أقرب بكثير إلى « القنا » إلا أنني لا أتمكن من استخراجها في الوقت الحاضر لعدم وجود المراجع الضرورية . على كل حال فمن الطريف أننا نجد كلمة (Kanda) كما هي كجزء من كلمة « بخنداة » التي ربما استعملها العرب في الغزل . يقول صاحب اللسان (محيط المحيط) : —

« البخنداة والمخنداة من النساء الناعة القصب الزياء — وساق بخنداة غليظة بمطلة . قال الراجز (العجاج) :

قامت تزك خشية أن تصرما ساقا بخنداة وكما أدرما

وكذلك البخندى والمجندى . . . قال العجاج : إلى خبندى قضب
مكور . هذه الكلمة (بخندة) أراها مركبة من كلمتين : « با » = الرجل
و « خند » أى (Kanda) .

(د) الوشيج — إذا كان « الخطى » هندياً فهل من الغريب أن يكون
« الوشيج » — الذى لا يثبت الخطى الا هو — هندياً أيضاً ؟ إن أصل
هذه الكلمة هو (Vāṣha) والجيم فى الآخر علامة المعجمة لا غير . وقد عهدنا
العرب دائماً يظهرن ملكة قوية للملاحظة الطبيعية بالدقة والاتقان وإن كلمة
الوشيج وما اشتق العرب منها إلا دليل على التأثر بالطبيعة واستخلاص المعاني
العامية من مظاهرها فإن كل من اتفق له أن يتمتع بنظرة إلى سبب القنا ليقدر
تمام التقدير أن أهم ما يروى المزة من أشجاره هو التفاف شيفاتها وتعانق
أغصانها ومنه قولهم الوشيج بمعنى القرابة ، والوشج بمعنى الاشتباك .
وإذا كان أحد فى شك من هذا فليشطر إلى كلمة « البيش »^(١) لا ريب فى أنها
هندية معربة أصلها (Visha/Bisa) استخلص العرب من شجيرة معنى الخمضرة
والضاربة فقالوا لا يبيش الله وجهه . ولا حظوا أيضاً أن شجرة البيش
شديدة الثبات والتأصل فقالوا « أباش الشجرة » .

(و) أما فيما يتعلق بالقسي ، فقد كفانا الجاحظ مؤنة البحث عن أصلها
بقوله : وكل قوس بندق قائم بجنى بقناتها من برؤض ومدح بيزيت
وضعتها عصفور القواش . وقال الرقاشى :

ألمت قوماً نبت ذى انتقاء جاء بها جالب برؤضاء

بعد اعتياد منه واتصاء كافية الطول على انتهاء

بحلوة الأكعب فى استواء سالمة من ابن السياء

البيان والتبيين ٣/ ٩٣ — ٩٤

(١) « البيش وهو نبت لا يوجد إلا بالهند » كذا فى الآثار للزواجى ص ٨٥

وانظر أيضاً إلى قول آخر للرقاشي في صفة القناء التي تبرى منها القمي :

من شقق خضر برّوصيات صفر اللحاء وخلقيات
جدلان حتى إضن كالحيات رشاقا غير مؤنسات
أنفهن متطورات عمرو بن عصفور^(١) على استنبات

(المصدر نفسه ٧١/٣)

لا يخفى أن بروص (كما وردت الكلمة مضبوطة في القطعة الثانية
والتي جعلها الشاعر «بروصاء» — «بروصاء» تحريف من الكاتب ليس إلا —
في القطعة الأولى لضرورة الشعر) كانت ميناء هاماً على ساحل كجرات فوق
مباي حاول العرب عدة مرات ، قبل فتحهم للسند ، وأبان حكمهم لها ، الاستيلاء
عليها (راجع فتوح البلدان للبلاذري) وهي لا تزال مدينة معروفة باسمها القديم
«Bharoch» .

والآن لنعد أوس بن حجر يحدثنا عن قناء القمي وأخواتها ويقدم لنا
صورة رائعة لمنابتها . يقول أوس وهو المختص بهذا الموضوع :

وصفراء من نبع كأنّ نذيرها إذا لم تخفّضه عن الوحش أفكل
تلّوها في غيلها وهي حطّوة بوادٍ به نبع طوالٌ وحيلٌ
وبانٌ وظليان ورنفٌ وشوْحطٌ ألفٌ أثيثٌ ناعم متعبلٌ
فقطمها حولين ماء لحائها ثُمّالٌ على ظهر العريش وتزلُّ

(١) لو كان سمر متفقاً لرمّاح أو يباعاً لها . لكان من الواجب أن يظهر من شاعر
من الشعراء القدماء إشارة صريحة إلى ذلك متن ما نجد أماناً بحصر عمرو بن عصفور
ولكننا بخلاف ذلك نزام ، حسباً أعرف ، دائماً يذكرون « السهوية » و « الردنية »
و « رماح ردينة » (الشيخ ، الديوان ٩٨) من غير أن يزدوا شيئاً ثم يجيء الفريون
يفسرون هذه النسبة كما بدا لجلهم بدون أي سند على نحو ما فصلنا الكلام عنه .

فَكَ بِالْبَيْطِ الَّذِي تَحْتَ قَشْرِهَا كَفَرِقِي. يَبْضُ كَنَّهُ الْقَبِضُ مِنْ عَلٍ
وَأَزْعِجْهُ إِنْ قِيلَ شَتَانُ مَا تَرَى إِلَيْكَ وَعُودٌ مِنْ مِرَاءٍ مَعْطَلٌ
ثَلَاثَةٌ أَبْرَادٌ جِيَادٌ وَجُرْجَةٌ وَأَدَكْنُ مِنْ أَرِي الدُّبُورِ مَعْلٌ
(الديوان — Wien, 1892 — ق ٢٩/١٤ — ٢٠)

لقد استدل البعض من قول أوس هذا على أن النبع الذي ورد ذكره
في الأول ، والمراء الذي جاء ذكره في الآخر في معرض الكلام عن قوس
واحد بالذات ، هما شيء واحد (اللسان ٢٠١/٩) . على كل حال فالمراء شجر
هندي وأصل الكلمة ("Shara" = Saccharum Srara) ولم يأخذ العرب
اسم الشجرة فحسب بل عربوا أيضا ما له صلة بها : فالمروة أصلها "Sharu"
(= السهم القصير) والشرنج بمعنى العود يشق منه قوسان (أنظر قول الشماخ :
« شرانج النبع براها القواس ») هي إلى الآن "Chari" . ومنه يقال لخطى
فيري البرد شريجان (أنظر كلمة «نير» في البند زى) .

أما سائر الأشجار التي ورد ذكرها في الآيات المتقدمة فمن الواضح
أن منبتها هي والمراء كأن في واد واحد . يؤكد ذلك قول المراد : « النبع
والشوحط والشران شجرة واحدة ولكنها تختلف أسمائها باختلاف منابتها
وتكرم على ذلك فما كان منها في قلة الجبل فهو النبع وما كان في سفحه فهو
الشران وما كان في الحضيض فهو الشوحط » (اللسان — «النبع») وعلى هذا
فتكون هذه الأشجار وأسمائها هندية أيضا إلا أنني أعترض عن عدم قيامي
بالبحث عن أصلها لعدم الاتفاق بوضوح أسماء النبات والفروق الدقيقة
بين مسمياتها .

(ز) وصفوة القول أن قضب الهند على العموم هي التي كانت يضرب
بها المثل كما يقول الشاعر :

« قضب الهند والفنا أخدانك والمقادير في الورى أعوانك »

(النوري ٥٤/٢ وجاء في كتابات الجرجاني ٦٣ أن الشاعر هندي)
إنما بقي الكلام عن « البان » هي أيضا هندية أصلها "Vana" وليس الأمر

مقتصراً على البان بل كلمة « الخوط » [سنس : "Kata"] هندية أيضاً تستعمل مع البان كما تستعمل الشريح مع النبع وأمثاله .

(ح) وتبعاً لصناعة السيوف أيضاً اختص أهل الهند بإنتاج السكاكين من أنواع مختلفة فالسلطة لعلها مأخوذة من السنسكريتية "Shita" كما أن الشلقاء أصلها "Shalaka" نوع من السكين كان يستعمله الجراحون للوضع وقد جاء في اللسان أن الكلمة ليست بعربية محضة .

(ط) البهار = شيء يوزن به . الكلمة غير عربية كما أجمع عليه الجميع ما عدا الأزهري وليست قبضية كما ذهب إليه أبو عبيدة بل هي هندية أصلها (Bhara) [تأرن الفارسية « بار »] وهي انما تعني الحمل ويختلف مقداره باختلاف البضاعة وما تحمل هي عليه والبلد أيضاً (انظر Hobson-Jobson) "Bihara" وهذا هو منشأ البلبلة وتضارب الأقوال بشأن تحديده (انظر العرب للجواليقي) .

(ي) البهار = أزهار البر . كثيراً ما تكلم ربانة المحيط الهندي عن « أنواع الطيب والبهار »^(١٢) في بلاد المهرج وقد فأت هذا المعنى على عدة من أصحاب المعاجم إلا أن القيوى أوردته في المصباح المنير والكلمة بهذا المعنى منقولة من "Van-hara" ("Van" أى البر) .

(اى) البهار — الصنم . الكلمة بهذا المعنى منقولة عن "Vihara" وهو معبد البوذيين الذى تكلمنا عنه في معرض البحث عن حقيقة معبد بلخ وأصل البرامكة في مقالنا السابق (العلاقات العلمية بين الهند والعرب) واستعمل العرب لهذه الكلمة بهذا المعنى يعتبر تأييداً هاماً للرأى الذى بسطناه هناك .

ومما يذكر أن عبادة البوذيين لتمثال بوذا (Buddha) سببت رواج كلمتين أخريين في اللغتين العربية والفارسية هما « البد » و « السمنية » فإن « البد » هو (Buddha) أو تمثاله وتجد هذه الكلمة نفسها بشكل « بت »

بالفارسية أما السمنية فقد كانت معروفة لدى العرب كاسم لجماعة البوئين^(١٣)
وهي بالفارسية « شمن » أي عابد الأصنام . أنظر إلى قول رودكي :

« ابن جهان جون بت است وما شمنيم »

وقول الفردوسي : « يرستش كنم جون بتارا شمن » .

وذهب صاحب القاموس وتبعه الخفاجي في شفاء الغليل إلى أن « صنم »
معربة عن « شمن » إلا أن ذلك خطأ كما جاء بهامش ابن القاطب بدليل أن شمن
يعني العابد لا الصنم .

(ب) الألو = العود الذي يتجر به . قال أبو منصور : أراها هندية
(اللسان) أصلها بالسنسكريتية "Elavālu" — الفارسية : "alwā"
وقد كان هذا العود يستعمل كدواء أيضا فإن عصارته هي الصبر .

ومما يجدر بالذكر أن من عود البخور ما يسمى بالسنسكريتية "Aguru"
(الأردوية "Agār") ولما انتقلت هذه الكلمة إلى الإنجليزية عن طريق
البرتغاليين (Portg.— Aguila, Fr.— bois d'aigle) صارت Eagle-wood
للتقارب في المخرج ثم بدأ الناس يبحثون عن وجه نسبة هذا العود إلى العقاب
فقالوا أن قشرة العود تشبه ريش العقاب ! ولكن هذا محض اختلاق (Hobson)
("Eagle-Wood" — Jobson) إنما يذكرنا بما فعله العرب بشأن
« السميري » و « السندرة » .

(ج) لم يستورد العرب من الهند أنواع الطيب فقط بل « جونه »
العطارين أيضا أصلها "Goni" وهي بالإنجليزية "Gunny" (أنظر Hobson
Jobson) ولا أملك في هذا المقام إلا أن أردد قول الأعشى يصف نساء
تصدين للرجال حاليات :

إذا من نازلن أقرانهن وكان المصاع بما في الجيوب
(اللسان — ج و ن) .

(د) ليس « القرقل » هنديا فحسب بل أن القلادة من القرقل

(١٣) انظر لسان التميمي ص ٣٤٥

أي السحاب^(١٤) هندية أيضا أصلها بالسंسكرتية "Shekhara" كما أن الفلاذية من الأزهار والجواهر هي المنية [Mani, Malva] وقد وردت كلمة «المنية» هي الأخيرة في معرض الكلام عن الفلاذ في كتاب عجائب الهند لبرك بن شهریار (Leide, 881-86) ص ١١٣ ، فترجمها المترجم الفاضل "L'objet de leurs desirs" إلا إنني أرجح أن تكون الكلمة هندية استعملت على أصلها .

(هـ) إن من المعادن التي امتازت الهند باننتاجها وتصديرها الكلس أصلها "Kansa" وهي بالإنجليزية "Ganza" (أنظر Hobson Jobson) .

وهل من الغرب ، نظرا إلى وجود المعادن وحقيق الهنود في الميناعة ، أن تكون الهند متجه التجار العرب لاستيراد الأدوات مثل الكأس أصلها "Kansa" والطينيل [السيطل والسطل لغتان فيه^(١٥)] أنظر اللسان — سطل وطسل [هي إلى الآن "Tasla" بالأردوية والفرن هي "Lagan" . وقد أورد ادی شیران «فتیان» أيضا مأخوذة من كلمة هندية (أنظر تحت «البنكام») كما أن «باسة» أصلها «باسن» بالهندية (كذا في لف الفناط) .
(و) ونما يشهد بسبق أهل الهند في العنقل وما الود أن كلمة «سن» (سنس : "Shan" — قارن بالإنجليزية Hone) هندية الأصل وهي جزء من كلمة «سبادج» (Shan-pada) التي تلي عن عجمتها بنفسها . كذلك نرى أن كلمة «سفين» أي آلة القلي أيضا ينتمي أصلها إلى الهند فاتها "Chevni" بالأردوية الحالية وهي تنحدر من مادة Cho أي القطع بالسंسكرتية :

ومن المعروف أن «سندان» أعجمية هي بالفارسية «سندان» وبالسंسكرتية "San-dhana" .

(زى) النير بالكرم القصب والخيوط إذا اجتمعت . والاسم النيره وهي الخيوطه والقصبه إذا اجتمعتا فإذا تفرقتا سميت الخيوط خيوطه

^(١٤) أنظر إلى صاحب التاج يقول : «سمي به لصوت خرزه عند الحركة من السحب وهو اختلاط الأصوات قاله شيخنا» — هذه المحاولات للتليل (كما نرى بشأن «الشال» أيضا) إنما تأتي عن النعمور براءة الكلمة لا غير .
^(١٥) مثال آخر القباب : «الطينيل» من «الشاطية» أنظر محيط المحيط .

والقصبة قصبة (كذا بالتاج) أصلها بالسفسكرية "Nadi" (٩٦) ويتبع هذا المعنى معنى آخر وهو (علم الثوب) الذى كرهه عمر خرم الصحابة من سبب — وما أدونه من سبب — من أسباب الزينة والذى كثيرا ما ساعد المتحابين فى طمس آثارها كما يقول امرؤ القيس :

قممت بها أمشى تجر ورائنا على أثرنا نير نمرط مرحل
كذا (نير) بذل (ذيل) فى رواية .

والمعنى الثالث للكلمة (نير) أعنى (الخشبة المعترضة على عنق الثورين المقروطين للحراثة) أيضا مأخوذ من الهند .

ولا يخفى أن الأقبال كان شديدا جدا على المنسوجات الملونة التى اشتهرت الهند بصناعتها كالشيت أصلها "Chitra" والشال (٩٧) .

(حى) النمط أصلها "Namata" الفارسية (نمد) وربما استعملوا هذا النوع من الصوف الغليظ لتغطية المرات ومن هنا نشأ معنى الطريقة والمذهب .
(طى) يقول الجوالقي : (فى حديث عمر إن معاوية كتب إليه يستأذنه فى غز والبحر ، فكتب إليه : انى لا أحل المسلمين على أعواد نجرها التجار وجلفطها الجلفاط — أصل هذه الكلمة غير عربى) .

وجاء فى اللسان : (جلفط) التهذيب الجلفاط الذى يسد دروز السفينة الجديدة بالخيوط والخرق يقال جلفطه الجلفاط اذا سواه وقيره .
قال ابن دريد هو الذى يجلفط السفن فيدخل بين مساهير الألواح وخروزها مشاقة الكتان ويمسحه بالزفت والقار وفعله الجلفطة .

يوضح من هذا أن الكلمة لها علاقة (٩٨) بسد الدروز بمشاقة الكتان .

(٩٦) قارن ما جاء عن هذه الكلمة بالمعنى السفسكري :

"NADI (—C' IRA), a small reed or tube round which the woof is wound. (it is then used as a shuttle). —(Williams p. 476)

(٩٧) أصلها "Shavala" وانظر إلى قول صاحب التاج : « والشال هذا الرداء الذى يحمل بكنمير ولاهور ويجلب به إلى البلاد ويقال انه من وبر الجمل مى به لأنه =

وما إليها و (٢) بالمرح بالزفت والقار، وعلى هذا نجد أن كلمة "Khal" الهندية تعني بالضيطة مشاقة الكتان وما إليها كما أن كلمة "Pusta" بالسبكرتية تعني السح والتطلية وقد تطورت هذه الكلمة الأخيرة في اللهجات الاردنية الحالية إلى "put" أي اختفى منها حرف "s" ولعل في استعمال العرب (الجلفاظ) (بالطاء المعجمة انظر المخصص ١٠ / ٢٥) اشعاراً بوجوده في بعض الأحيان .

ومما لفت نظري أن كلمة "Khila" أيضا تعني الدرز وكل ما يسد الدرز ويمكن أن تكون هي الجزء الأول من جلقط بدل "Khal" . على كل حال فالجزء الثاني أعني (فط) هو الذي انتقل الى الانجليزية بشكل " Putty "

ويجدر بالذكر أيضاً أن قلابة السفينة أيضاً بمعنى « خورز ألواحها بالليف وجعل في خلها القار » (الليان) وإليه ينسب العلياء كلمة (Calfater) القيريسية (M. Devic P. 78) و« قلف » إن لم يكن مجرد تخفيف لـ « جلقط » . فيمكن أن يكون (Khal-lip) وذلك لأن (lip) يرادف (put) تعبئاً وربما استعملت الكلمتان معا .

.. وأخيراً ننقل فيما يلي عن الأدرسي ما يؤكد لدينا أن جلقطة السفن كانت من اختصاص الهند لأسباب طبيعية . يقول الأدرسي :

« وكل ما يجرى في بحر الهند والصين من المراكب السفرة صغاراً كانت أو كباراً فانها منشأة (١) من الخشب المحكم بنجوه وقد حملت أطرافه بعضها على بعض وهندم وخرز بالليف وجلقط [بالدقيق] وشحم الذيل (في الأصل « الباب » والتصحيح عن السعدوي ١ / ٣٢٩) والذيل دابة

= يرفع على الاكتاف إن كانت عربية « لا شك انه يحفظ بقوله « إن كانت عربية » لأن نسبة المثال إلى كشمير كانت ولا تزال شائعة معروفة إلا ان تليله لهذا الاسم بكونه مرفوعاً على الاكتاف يبين لنا طريقة القويين في البحث عن الأصول النامضة لبعض الكلمات .

كبيرة تكون في بحر الهند والصين منها ما يكون طوله نحواً من مائة ذراع في عرض عشرين ذراعاً بنبت على سنام ظهرها حجارة صدفية وربما تعرضت المراكب فكسرتها وحكى [أيضاً] الرابانيون أنهم يرشقونها بالسهم فتنتحي عن طرائقهم وذكر أنهم يصيدون ما صغر منها فيطبخونها في القدور فيذوب جميع لحما وتعود شحماً مذاًباً ، وهذا الدهن مشهور ببلاد اليمن في عدن وغيرها . . . وهو عمدتهم في سد خروق المراكب » دار الكتب المصرية جغرافيا رقم ١٥٠ ص ١٥٤ ، والزيادة ما بين المعنيين عن نسخة أخرى رقم ٢٦٣

واليك قول ليد العامري شاهداً على اشتهار الهند بالبراعة في هذه الصناعة يقول ليد في تشبيهه الناقه .

كسفينة الهندي طابَقَ دَرَاهَا بِسَقَائِفٍ مَشْبُوحَةٍ وَدِهَانِ

انظر الديوان (الخالدى ، فيما ١٨٨٠) ص ٦٥

(ك) الداڨى — نوع من الخمر كان العرب يستوردونه من الهند (انظر ابن خرداذبه ص ٧١) يقول عنه سليمان التاجر : « شراب النارجيل وهو شراب أبيض ، فاذا شرب ساعة يؤخذ من النارجيل فهو حلو مثل العسل ، فاذا ترك ساعة صار شراباً ، وإن بقي أياماً صار خلا » ، سلسلة التواريخ (ص ١٨) . أصل كلمة الداڨى هو (TARI) بالهندية وهى بالانجليزية (Teddy) .

(ا) الشَمَّ أى الشراة أصله (Jhala/Jhilli) قارن (Chilam) بالأردية كما أن الجبل أى الخشب التى يحرك بها البحر هو بالأصل (Shala) قارن (Jhal) بالأردية بمعنى التحريك .

(ب) السبْة أى الدهر . هذه الكلمة هى فى الواقع دليل على معرفة العرب بالتقويم الهندى فان (Samvat) إنما تعنى « السنة » ولا شك أن العلاقات التجارية ، قبل الاطلاع على علم الحساب عند الهنود ، هى التى أدت العرب إلى تلك المعرفة كما كانوا يقولون « فلان يسّر بأرض الهند

أى شتا هنالك » (المسعودى : مروج الذهب ١/ ٣٢٧) من « اليسارة
التي تكون ببلاد الهند وتفسيرها المطرفانة يدوم عليهم في الصيف ثلثة أشهر
تباعاً » (أبو زيد السيراقي في سلسلة التواريخ ص ١٢٦) .

وأخيراً لا أجد ما أختتم به هذا المقال أحسن من أبيات لأبي الضمعل
[كذا في المعجم للبرزباني ٥١٣ وفي الفهرست ١٧٤] « أبو الصلح » [السندي
أحد الشعراء من الموالي ، في مدح الهند ، كنت قد قرأتها منذ سنوات عديدة
ولكن لم أتذوقها وأتبين حقيقتها إلا بعد ما قمت بهذا البحث . وهي :

لقد أنكر أصحابي ، وما ذلك بالأمثل
إذا ما مدح الهندُ وصممُ الهندُ في المقتل
لعمري إنها أرضٌ إذا القطر بها ينزل
يصير الدرَّ والياقوتَ والدرُّ لمن يعطل
فمنها المسك والكافور والعنبر والتندل
وأصناف من الطيب ليستعمل من يغفل
وأنواع الأفاويه وجوز الطيب والسُّبُل
ومنها العاج والساج ومنها العود والصندل
وأن التوتيا فيها كتل الجبل الأطول
ومنها ألبير والنمر ومنها الثيل والدغفل
ومنها الكرك والبقاء والطاءوس والجوزل
ومنها شجر الرانج والسام والتفل
سيوفٌ مالهـا مثلٌ قد استغنت عن الصيقل
وأرماعٌ إذا ما هُزَّتْ اهتَزَّ بها الجحفل
فهل ينكر هذا الفضل إلا الرجل الأخطل ؟

[الآمار للقزويني ص ٨٥ وانظر الحيوان ٧/ ٥٠] .

سكان مديرية البحيرة في خمسين عاما

(١٨٩٧ - ١٩٤٧)

القسم الأول

بقلم

الدكتور محمد محمود الصياد

مديرية البحيرة

تحتل مديرية البحيرة الجزء الغربى من دلتا النيل وتبلغ مساحتها ١,١٤٢,٠٦٩ فديانا يزرع منها ٦٦٥,٨٣٠ فديانا وبأما الباقي وقدره ٤٧٦,٢٣٩ فديانا فن أراضي البور أو أراضي البحيرات . ولعل البحيرة هى المديرية الوحيدة فى الوجه البحرى التى لم تتغير حدودها كثيرا على عمر المصور اللهم إلا حدها الشرقى الذى كان يتسع فى فترات محدودة فيشمل أراضى فى شرق فرع رشيد ثم لا يلبث أن يتركها لتنضم الى قسم آخر . ولكن كثيرا ما تغيرت الأقسام الفرعية للمديرية بإنشاء بغض المراكز الجديدة أو بفصل بعض النواحي من مركز وضمها إلى آخر ، أو بإلغاء بعض النواحي الغاء تاماً ، أو بفصل بعض النواحي لئلا منها نواحي مستقلة . وهذا صعوبة من الصعوبات التى تعترض الدراسة الديموجرافية المقارنة .

وتنقسم المديرية اداريا الى عشرة مراكز ريفية هى : أبو حمص وأبو المطاير وإيتاى البارود والدلتجات ودمهور ورشيد وشبراخيت وكفر الدوار وكوم حمادة والمحمودية . ثم بندر دمنهور . وتعتبر مدينة دمنهور العاصمة الحالية للمديرية (٨٤,٩٨٣ نفساً) من أحسن العواصم

الأقليمية نوسطاً لأقليمياً حتى أننا لو اتخذناها مركزاً لدائرة ترسيمها فان محيطها يمر بأطراف المديرية جميعاً . وهذا يفسر لماذا عاشت دمنهور منذ زمن بعيد عاصمة بحيرة .

والبحيرة مديرية لها شخصيتها الجغرافية المستقلة فهي فضلاً عما تمتاز به من حدود ادارية تقوم على أسس جغرافية سليمة : لها من مظاهر السطح والتربة والمناخ ، ومن تطور العمران الزراعى ووسائله وأساليبه ما يميزها بدرجات متفاوتة عن غيرها من مديريات الوجه البحرى الأخرى . كما أنها مديرية متنوعة في كثير من مظاهرها الجغرافية ومقومات الحياة البشرية فيها . وهى في هذا تختلف عن مديرية كالنوفية مثلاً يظهر الانسجام العام بين جميع جهاتها .

ولقد تناولنا في هذه الدراسة بعض النواحي الديموجرافية لتلك المديرية آخذين بأصيق معانى كلمة ديموجرافية (Demography) ، فاقصرنا على دراسة السكان من حيث تهمهم وكثافتهم وتوزيعهم دون التعرض للنواحي الجنسية أو الاجتماعية أو غيرها من النواحي التى يمكن أن تدخل ضمن الدراسة الديموجرافية . أى أنها دراسة لسكان مديرية البحيرة من ناحية السكم لا من ناحية الكيف .

وسوف يلاحظ في بعض نواحي الدراسة المقارنة أنها تنتهى عند تعداد سنة ١٩٣٧ ، وسبب ذلك أن مصلحة الاحصاء والتعداد لم تفرغ حتى الآن من إعداد كثير من الكشوف النهائية لتعداد سنة ١٩٤٧ ولكن هذا لم يؤثر في دراستنا لحسن الحظ الا بقدر ضئيل .

هذا ويسرني أن أقدم بخالص الشكر إلى صديقي الأستاذ الدكتور عباس عمار مدير عام مصلحة التلاح بوزارة الشؤون الاجتماعية على توجيهاته القيمة وآرائه السديدة التى افدت منها كثيراً في كتابة هذا البحث . كما أشكر الذين عاونوني في جمع الأرقام والبيانات من الأصدقاء والطلاب .

مصادر البحث

تعتمد اندراسة الديموجرافية فى مصر على مجموعتين من المصادر هما :

١ — تعدادات السكان التى تجريها مصلحة الاحصاء والتعداد مرة كل عشر سنوات .

٢ — الاحصائيات الصحية المختلفة .

ولابد لنا قبل أن نبدأ دراستنا أن نتناول هذه المصادر بالنقد والتحليل حتى نستطيع أن نفرق بين الأرقام التى هى نتيجة إحصاء دقيق وبين تلك التى تقوم على التخمين والتقدير .

التمردات

عملت بعض محاولات لتقدير سكان مصر الحديثة أثناء الحملة الفرنسية وفى عهد محمد على كان أولها محاولة جومار ، أحد علماء البعثة التى رافقت نابليون إلى مصر ^(١) ، غير أن هذه التقديرات كانت قائمة على أساس كشوف الممولين كما حدث فى سنة ١٨٢١ ، أو على أساس تعداد المساكن كما حدث فى سنة ١٨٤٦ ^(٢) ، ولم يكن هناك تعداد بالمعنى العلمى الصحيح لهذه الكلمة .

هذه التقديرات والتعدادات ليس من السهل الحصول على تفصيلاتها الخاصة بالمديريات المختلفة ، وليس لدينا أرقام مفصلة عن مديرية البحيرة قبل سنة ١٨٨٢ ، وفى تلك السنة عد السكان لأول مرة فى يوم واحد معلوم ثم أجرى التعداد التالى فى سنة ١٨٩٧ ، ومنذ ذلك التاريخ أصبح التعداد يعمل بدقة ونظام مرة فى كل عشر سنوات (١٩٠٧ — ١٧ — ٢٧ — ٣٧ — ٤٧) ، ولكننا مع الأسف مضطرون إلى الاعتماد على التعدادات السنة الأخيرة

(١) محمد عوض محمد (١٩٣٦) راجع فى هذا الكتاب شرح الطريقة التى اتبناها جومار فى تقديره لسكان مصر . ص ٢٧ — ٢٧٧

(٢) الاحصاء السنوى العام لسنة ١٩٣٦ — ١٩٣٧ ص ١١

دون الأول الذى يجب إعتباره من التقديرات القديمة لا من التعدادات الحديثة المنظمة حيث لا يمكن الأخذ بأرقامه كحقيقة ثابتة ^(١) ، لأسباب كثيرة منها : أنه لم يعمل على أساس علمى منظم كالتعدادات الأخرى التى تلتها ، ثم إنه أجرى فى وقت انتشرت فيه الفوضى واختل النظام ، فقد أجرى فى ٣ مايو سنة ١٨٨٢ والثورة العرابية فى عنفوانها ، وإلى هذا يشير المستر « د . س . لويس » مدير تعداد سنة ١٩٠٧ بقوله : « وربما لا يكون فى الثلاثين سنة الفارة سنة واحدة كانت أحوالها أقل ملائمة لاقامة تعداد مثل تلك السنة . . . ولا مشاحة فى أنه لو جاء تعداد سنة ١٨٨٢ على ما كان فى عهده من الانقلاب والاضطراب لتعداداً يصح الاستناد عليه لكان للأمر عجب عجيب ^(٢) » .

كذلك لم يطمئن الأهالى الى التعداد خوفاً من أن يكون وسيلة للتعذيب . ولذلك وجدت الحكومة كثيراً من الصعوبات واضطرت الى إتخاذ وسائل متعددة من الترغيب والترهيب فى سبيل إجرائه ^(٣) .
وليس هذا فقط هو الذى يخول بيننا وبين الاعتماد على أرقام سنة ١٨٨٢ فى هذه الدراسة بل هناك أمر آخر وهو أن كثيراً من جداول ذلك التعداد لم تطبع . فقد جمعت المعلومات ونظمت فى جداول وذكر فى مقدمة الجزء الأول منه أنها ستظهر فى الجزء الثالث ، ولكن الجزء الثالث لم ينشر ، ويذكر الدكتور كلياند أنه « بالسؤال عنه فى مصلحة الإحصاء قيل أنه لم يطبع . . . ولما سألت : هل من الممكن الحصول على المعلومات الخاصة به ؟ قيل إنها ليست فى المصلحة ولكن من المحتمل (!) أن تكون مدفونة فى القلعة ^(٤) » .

(١) السيد سبرى (١٩٣٥) ص ٢

(٢) ته ٨٤ سكان القطر المصرى لسنة ١٩٠٧ ص ٢٣

(٣) أ. م. ش. ف (١٨٨٤) راجع ص ٨٧ وما بعدها .

(٤) كلياند (١٩٣٦) ص ٩

من كل هذا يتضح أن أرقام تعداد سنة ١٨٨٢ لا يمكن الارتكان عليها في الدراسة المقارنة ولا بد من الاكتفاء بالتعدادات الستة الأخرى فهل سلت هذه التعدادات من عيوب أو أوضاع لا... فالطريقة التي اتبعت في عملها ، والأسلوب الذي سير عليه في تنفيذها ، والوقت الذي أخير لها ، كل أولئك لم يخفى من نقص يؤدي دون شك إلى نوع من عدم الدقة في النتائج التي يحصل عليها .

أما عن الطريقة التي عملت وما زالت تعمل التعدادات بها في مصر فهي طريقة De Facto (La Population de Fait) أى طريقة الحالة الراهنة ، وهى ما تثبت حالة السكان يوم التعداد حين وحال عدم ، أى أن هذه الطريقة لا تعرف منها عن محال الإقامة إلا المحال التى وجد بها السكان ليلة التعداد . وهى بهذا تختلف عن طريقة De Jure (La population de Droit) أى طريقة الحالة الناجبة التى توزع السكان بحسب محلات إقامتهم العادية وبذلك يمكن معرفة حالة الهجرة الحقيقية بمقارنة محال الميلاد بمحال الإقامة العادية .

والطريقة الأولى غير مرضية في تحليل نواحى كثيرة مما يشمل التعداد^(١) . خصوصاً في منطقة كديرية البحيرة تتطور الآن في كل نواحى الحياة الاقتصادية والاجتماعية وتشهد حركة عمرانية عظيمة قوامها إصلاح الأراضي البور فيها ، ولهذا كان من الضروري معرفة اتجاهات موجات الهجرة الآتية اليها ، وهذا لا يمكن الوقوف عليه بدقة إلا إذا عمل التعداد بطريقة (De Jure) غير أن البعض يرى صعوبة ذلك نظراً لوجوب القيام بعملية إرجاع السكان إلى محال إقامتهم العادية وهى عملية كبيرة من جهة ويتخللها كثير من الصعوبات من جهة أخرى ، فتعريف محل الإقامة العادى ليس من السهل بحيث يتصور الانسان لأول وهلة ، ثم أن هناك حالات يكون للشخص فيها محلان للإقامة العادية

(١) نيزورم (١٩٢٣) ص ٢٩ — ٣٠

كأن يقيم صيفاً في جهة وشتاء في جهة أخرى^(١١). ولكن هذه الصعوبات ليست من القوة بحيث لا يمكن التغلب عليها في جهات القطر المصري جميعها .

أما الأسلوب الذي سار عليه في تنفيذ التعداد فأهم عيوبه انعدام سلسلة الاتصال بين التعدادات المختلفة ، الأمر الذي يجعل من الصعب بل وأحياناً من المستحيل القيام بدراسة مقارنة ذات قيمة لبعض المظاهر الاجتماعية الرئيسية ، فمثلاً مساحة الأحياء المنسككة أو المؤجرة وطريقة استغلال الأراضي لم تظهر إلا في تعداد سنة ١٩١٧ وحده . ولذا فلا يمكن إطلاقة دراسة تطور الملكية بناء على هذه التعدادات ، كذلك لم يظهر عدد العرف المسكونة إلا في تعدادي ١٩١٧ ، ١٩٣٧ مما يجعل من المحال دراسة نظام السكنى وازدحام السكان في منازلهم^(١٢) . ولم تظهر الجداول التفصيلية للعربان إلا في تعداد سنة ١٨٩٧ ، ثم اختفت في التعدادات التالية ، وعلى هذا الأساس لا يمكن القيام بدراسة مقارنة إلا في النواحي التي ظهرت في التعدادات جميعاً وهي : العدد والنوع ، والعمارة والتبعية ، والديانة والحالة العائلية والحرف والصنائع .

يضاف الى هذا أنه قبل تعداد سنة ١٩١٧ كانت كشوف التعداد عبارة عن كشوف فردية^(١٣) . ومعنى هذا إهمال كل التفاصيل الخاصة بالعائلة وتكوينها^(١٤) ، ثم أن كشوف التعداد نفسها لم تخل من غموض في الاصطلاحات المستعملة فيها مما يؤدي إلى الالتباس في كثير من الأحيان خصوصاً وأن الجزء الأكبر من السكان من غير المتعلمين ويجب ألا نغفل حاجتهم الى أسئلة مباشرة سهلة ، كما يجب أن نتذكر من ناحية أخرى أن عملية التعداد في مصر يقوم بها عدد

(١١) صبرى (١٩٣٥) ص ٥٣

(١٢) كيلاند (١٩٣٦) ص ١١ — ١٢ وعمار ، (١٩٤٢) ص ٤

(١٣) تعداد سكان القطر المصري لسنة ١٩١٧ ج ٢ ص ١٣

(١٤) كان ف . أمثني بك قد نصح باستعمال كشف الدائمة سنة ١٨٨٢ و السكان

لم يحل بهذه التسمية استسهالاً لطريقة الفردية . راجع أمثني (١٨٨٤) ص ٨٨

من أشياء الأميين الذين يقعون بسهولة في أخطاء شنيعة إذا لم تكن الكشوف
المطبوعة واضحة .

أما فيما يختص باختيار الوقت المناسب للتعداد « فمن الضروري أن يقع
يوم التعداد في الوقت الذي يكون فيه السكان على حالتهم الطبيعية، فلا يقع خلال
مدة تكون المهاجرة من البلاد أو إليها أقن أو أكثر من المتوسط بسبب
الظروف العادية زراعية كانت أو تجارية أو دينية أو خاصة بالسائحين » .
وفي كثير من الحالات اتبعت هذه القاعدة . ولكن في الحالات الأخرى
كان الوقت المختار أقل الأوقات صلاحية لمثل هذه العملية ، فتعداد ١٨٨٢ مثلا
عمل في وقت كانت فيه البلاد مضطربة اضطرابا شاملا ولذا فلا يمكن اعتبار
نتائج صادقة ويؤكد بوانيه بك Bonnet Bey المدير المسئول عن هذا التعداد
أن الأحمالي لم يظهروا عدا، نحو هذه العملية بل بالعكس رحبوا بها ولكن
من الصعب أن نقبل هذه العبارة وقد كان الوقت غير ملائم لإطلاقة هذه العملية.
في السنة السابقة للتعداد قامت الثورة العراقية وفي يناير سنة ١٨٨٢ قدمت
بريطانيا وفرنسا مذكرتي المشهورة إلى الخديو ، ولم يأت شهر يولي من تلك
السنة حتى ضربت الاسكندرية ثم كانت موقعة النيل الكبير في شهر سبتمبر .

كذلك تعداد سنة ١٩١٧ أجرى في أيام الحرب الكبرى الأولى . وقد عارض
كثيرون في عمل ذلك التعداد ^(٢١) إذ أن عدداً غير قليل من السكان كان يعمل
لحساب السلطة العسكرية في خارج البلاد . ومهما يكن من البواعث القوة
التي دفعت إلى إجراء ذلك التعداد في حينه ^(٢٢) فإن نتائجه قابلة للشك .

ويمكن أن نضيف إلى الملاحظات السابقة ذلك اليوم الذي يجري فيه التعداد
من واحد إلى آخر فاختلاف التاريخ الهجري عن الميلادي وضرورة تحيى
عمل التعداد في شهر رمضان أو في أيام الأعياد يجعل من العسير إجراء التعداد

(٢١) راجع تعداد سنة ١٩١٧ ج ٢ ص ١٢ ، صبرى (١٩٣٥) ص ٥١

(٢٢) تعداد سنة ١٩١٧ ج ١ ص ١٠

(٢٣) راجع كريتج في مجلة مصر المعاصرة ج ٨ ص ٢٢٩ — ٢٣٤

في يوم معين ، فمثلا كان يجب أن يجري تعداد سنة ١٩٢٧ في يوم ٧ مارس . ولكن كما جاء في المذكرة التفسيرية لذلك التعداد : « نظراً لوقوع غرة رمضان المبارك في اليوم الخامس من ذلك الشهر — مارس — وتعذر إجراء عملية التعداد أثناء شهر الصوم كان من المحتم ترتيب مواعيد عمليات التعداد بحيث تنتهي جميع الاجراءات اللازمة حتى وصول كشوف التعداد للمصلحة قبل اليوم المذكور (١) » .

وهناك ناحية تقص ليس التعداد نفسه مسؤولاً عنهما : احداها عامة في القطر المصري والأخرى خاصة بمديرية البحيرة . أما الناحية العامة فهي أن انتشار الجهل في مصر يجعل الناس ينظرون الى عملية التعداد بشيء كثير من الحذر والشك فتضطرب أرقام العداد نتيجة لموقفهم هذا . ويعترف تعداد سنة ١٩١٧ بهذه الحقيقة فيشير الى أنه : « لا يزال الفلاح المصري والطبقة العاملة من سكان المدن ينظرون الى عمليات التعداد بعين الشك والريبة . وقد وقع هذا أيضاً في أغلب البلاد الأخرى إلا أنه أقل ممّا في مصر » . لأنهم لا ينظرون الى فائدة التعداد إلا من جهة واحدة فقط ، ألا وهي منفعة للحكومة في أغراضها المالية والحربية والإدارية . وهم يغفلون الارتباط بين المصلحتين العامة والخاصة ويجهلون ضرورة تزويد الحكومة بالبيانات الصحيحة » (٢)

أما الناحية الخاصة بمديرية البحيرة فهي أن المديرية وأن تكن حدودها الإدارية لم تتغير في العصر الحديث إلا أن حدود مراكزها دخل عليها التعديل الكثير حتى أن المراكز يختلف عددها بالزيادة أو بالنقص في كل تعداد عنه في الآخر .

ويكفي القاء نظرة على الجدول العاشر من الجزء الأول من تعداد سنة ١٩٣٧ (٣) حتى نرى ذلك التطور العظيم الذي طرأ على التقسيم الإداري

(١) تعداد سنة ١٩٢٧ ج ١ المقدمة.

(٢) تعداد سنة ١٩١٧ ج ٢ ص ١٢

(٣) تعداد سنة ١٩٣٧ ص ٤٧

للمديرية وهذا يجعل الدراسة الديموجرافية التفصيلية المقارنة مستحيلة اللهم إلا في مختص بدراسة الكثافة والنمو بصفة عامة إذ وضعت مصلحة الاحصاء جداول للمقارنة كالجداول السابع^(١) من تعداد سنة ١٩٣٧ الخاص بالمساحة الحالية لكل مركز وتزاحه بالسكان وعدد المساكن المأهولة في الستة تعدادات الأخيرة (١٨٨٢ — ١٩٣٧) حسب حدود هذه المساحة . وكالجداول التاسع^(٢) الخاص بمجملة عدد السكان في كل مركز في الستة تعدادات حسب حدوده الحالية ، مع بيان الزيادة أو النقص ونسبتها ولولا هذا الجدول لأصبح من الصعب علينا أن ندرس تطور نمو السكان وتطور كثافتهم في مراكز المديرية المختلفة .

هذه هي أهم نواحي النقد التي يمكن أن توجه الى التعدادات ، المصدر الاول للدراسة الديموجرافية . ولقد تقدمت التعدادات في مصر فعلا منذ سنة ١٨٨٢ فاستخدمت الآلات الحديثة منذ سنة ١٩١٧ مما أدى الى تقليل الأخطاء كثيراً . كذلك ازدادت العناية باختيار القائمين بعملية التعداد وبمراجعة أعمالهم ولكن هذا التقدم في حد ذاته قد يكون مصدراً لعدم الدقة في الدراسة المقارنة . واختبار درجة صحة التعداد أمر صعب لعدم وجود مستوى ثابت نستطيع أن نقارن بينه وبين نتائج التعداد . وقد لا نثق بالتعداد أحياناً لنتاقلص نتائجها المختلفة أو للتباين الواسع بين أرقامه وأرقام التعدادات السابقة له أو للاحتمال به ولكن عندما تفكر في تقدير درجة صحة التعداد يصبح من المستحيل وضع تقدير ثابت يمكن من ضبط النتائج التي نحصل عليها في المراحل المختلفة .

الاهم ملاحظات المحقق

والمصدر الآخر للدراسة الديموجرافية لمديرية البحيرة هو احصائيات المواليد والوفيات والزواج الواردة في :

١ — النشرات السنوية عن المواليد والوفيات والأمراض المعدية

التي تصدرها مصلحة الاحصاء والتعداد منذ سنة ١٩١٤

(١) المصدر السابق ص ٢٣ — ٢٧

(٢) المصدر السابق ص ٣٦ — ٣٧

٢ — الاحصائيات الصحية التي تصدرها وزارة الصحة سنوياً .

٣ — التقديرات السنوية لوزارة الصحة .

هذه الاحصائيات تتساوى مع التعدادات في عدم الدقة وذلك لأنها تعتمد على التسجيل المستمر، ومن ثم فتمتعدها صحتها في المكان الأول على تمام ذلك التسجيل واستمراره ، ولأسباب واضحة نجد أن نشرات الزواج أكثر صحة من نشرات المواليد والوفيات ، إذ أن الزواج في مصر لا يعتبر شريعياً ولا قانونياً إلا بالتسجيل .

أما تسجيل المواليد فعلي العكس، بعيد جداً عن أن يؤخذ به ولا يستطاع من سجلاته الحصول على نسبة صحيحة لعدد المواليد^(١) فزعم التقدم العظيم الذي أدخل على تسجيل المواليد لما زال أمر التسجيل موكولاً في المناطق التي تخلو من مكاتب الصحة إلى «الدايات» وحلّاق الصحة والمبارف وكل هؤلاء ليس لديهم الخبرة الكافية ولا الدقة اللازمة لمثل هذه الأمور^(٢) . يضاف إلى هذا إهمال الأهالي من جهة واتخاذهم عدم تسجيل مواليدهم وسيلة للهرب من الخدمة العسكرية أو التحصيل من دفع بدلها من جهة أخرى . ثم هناك عامل آخر يجب أن تدخله في حسابنا وهو وجود العرب بكثرة في مديرية البحيرة وم أكثر الناس عداوة لتسجيل المواليد^(٣) .

حقاً أن التسجيل الاجباري للمواليد والوفيات يدي به في سنة ١٩١٢ ولكن العوامل التي ذكرناها وخاصة العامل الأول جعلت احصائيات المواليد غير دقيقة حتى لقد قرر أحد كبار الموظفين في سنة ١٩٣٣ أن نحو ١٠ ٪ على الأقل من المواليد لا يقدون في السجلات^(٤) ويظهر هذا واضحاً من مقارنة المواليد في المراكز الحضرية حيث توجد مكاتب الصحة ورجالها

(١)راجع فقد تسجيل المواليد في : كمال . ص ٣ — .

(٢) كيلاند (١٩٣٦) ص ٢١

(٣) استقال مشيخ عرب الهنادى في مديرية الشرقية احتجاجاً على جعل التسجيل إجبارياً . واصل عمار (١٩٤٢) ص ٦

(٤) كيلاند (١٩٣٦) ص ٢٠

المسؤولين بالمواليد في المناطق الريفية المحيطة بها حيث يترك الأمر للديات والصيارف . فبدلاً من أن نجد معدل المواليد في الريف المتجانس السكان أكثر منه في المدن أو على الأقل لا يقل عنه في المدن نجد أن العكس هو الواقع فعلاً فأحصائية المواليد في مديرية البحيرة سنة ١٩٣٠ تبين أن معدل المواليد في الجهات التي بها مكاتب صحة ٤٦,٢ في الألف في حين أن معدلهم في المناطق الريفية المجاورة هو ٣٥,٥ في الألف .

ولكن لنفرض أن الحالة الراهنة للتسجيل تعطى أساساً يعتمد عليه إلى حد ما في الدراسة الديموغرافية فهل إحصائيات الطبوعة التي في متناول أيدينا تعطى بشكلها الحالي صورة واضحة لقوة الإنتاج الجنسي عند سكان مديرية البحيرة ؟ الجواب على ذلك لا (١) إذ أن هذه السجلات تفعل عمر الأمهات عند الوضع وهو أمر ضروري لمعرفة درجة خصوبة المجتمع وقوته الحيوية ، ولا أرى في الواقع سبباً وجهاً لهذا الإغفال ما دام السن يسجل في التعدادات وفي إحصائيات الزواج والطلاق . يبيّن قتيبي :
 "أما فيما يخص تسجيل الوفيات فالمعتقد أنه أكثر دقة من تسجيل المواليد وكذا لا يري بعض المسؤولين أن أكثر من ١٠٪ من الوفيات تسجل الآن (٢) . إذ أصبح الدفن — بمقتضى دكره رقم ٢٣ الصادر في ١١ أغسطس سنة ١٩١٢ — غير جائز إلا بتصريح رسمي يحصل عليه قبل عملية الدفن نفسها . ولا يستثنى من هذا إلا وفيات الأطفال في الجهات النائية غير أنه مع هذا لا تزال عملية الدفن سرّاً موجودة في الريف (٣) . وبخاصة في العزب الصغيرة النائية وما أكثرها في مديرية البحيرة .

وتظهر عدم الدقة أيضاً في تسجيل الوفيات بمقارنة معدل الوفيات في منطقة ريفية بمعدلها في مراكز حضرية . مثل هذه المقارنة تظهر أن نسبة

(١) راجع في هذا بالتفصيل : عمار (١٩١٢) ص ٤٦ ص ١٧

(٢) كيلاند (١٩٣٦) ص ٢٥

(٣) صبري (١٩٣٥) ص ١

الوفيات في المنطقة الأولى أقل منها في الأخرى مع أن الوفيات في القرى المصرية دون شك أكثر منها في المدن نظراً للأحوال الصحية السيئة التي عليها الزيف المصري ولجمل الفلاح بالقواعد الصحية . ولذا فمن الغريب أن يكون معدل الوفيات في مديرية البحيرة في سنة ١٩٣٠ في المناطق الريفية ١٦.٩ في الألف بينما يصل في المراكز الحضرية إلى ٢٦.٣ في الألف . ولا يمكن تعليل هذه الظاهرة إلا بأن تسجيل الوفيات في المراكز الحضرية أكثر دقة لوجود مكاتب الصحة التي تعنى بأمور التسجيل .

ويظهر النقص في تسجيل الوفيات من مقارنة زيادة السكان في تعدادين متتاليين بالزيادة الطبيعية (أى بالفرق بين المواليد والوفيات) في نفس الفترة ، إذ يظهر لنا أن رقم زيادة السكان بين التعدادين أقل من الزيادة الطبيعية في حين يجب أن يكون العكس . فمثلاً زاد سكان مديرية البحيرة في تعداد سنة ١٩٣٧ عن سكانها في تعداد سنة ١٩٢٧ بنحو ٩٠ في الألف بينما كانت الزيادة الطبيعية في نفس المدة ١٣٧ في الألف ، ولما كان من الملاحظ أن المديرية تكسب دائماً من حركة تبادل السكان^(١) فإن الفرق بين رقمي التعداد والزيادة الطبيعية يبعث على الشك في دقة الاحصائيات^(٢) . ويميل رجال الاحصاء الى الاعتقاد في أن هذا الفرق يرجع الى عدم الدقة في التبليغ عن الوفيات^(٣) .

من هذا العرض لمصادر مادتنا يظهر لنا أن من الصعب الخروج بنتائج نهائية صحيحة إذ أن الكثير من نواحي الدراسة الديموجرافية لا يمكن تحليله عن طريق هذه المصادر ، ولهذا سنكتفي بدراسة النواحي التي يمكن أن نوفيها حقها عن طريق المعلومات التي بين أيدينا .

(١) راجع الجدول الثامن الخامس بحركة تبادل السكان في مديرية البحيرة ص ١١١
(٢) في الفترة بين ١٩٢٧ و ١٩٣٧ كان الفرق بين رقمي التعدادين ٨١,٦٣١ نفساً بينما كان الفرق بين عدد المواليد والوفيات أى الزيادة الطبيعية في نفس الفترة ١٣٥,٤١٤ نفساً أى زيادة ٥٠,٨٦٣ نفساً أو نحو ٦٠ ٪
(٣) مصري (١٩٣٥) ص ٤

(٢)

نمو السكان في مديرية البحيرة

نظرة عامة على الظاهر في مديرية البحيرة

إن أقدم تقدير يمكن الحصول عليه لسكان البحيرة هو تقدير سنة ١٨٤٦ الذي أجرى على أساس تعداد المساكن وتظهر أرقامه أن عدد سكان المديرية كان ١٩١,٦٦٥ نفساً^(١) وفي النتيجة الأولية لتعداد سنة ١٩٤٧ بلغت جملة سكان البحيرة ١,٢٤٥,٦٤٣ نفساً^(٢)، ومعنى هذا أنه في مدى قرن واحد زاد عدد السكان بمقدار ١,٠٥٣,٩٧٨ نفساً أي نحو ٥٥٠٪ (٥,٥٪ في السنة) وبين الجدول الأول الذي وضع على أساسه الرسم البياني رقم ١ جملة عدد السكان في كل تقدير أو تعداد في هذه المدة (١٨٤٦ — ١٩٤٧) مع بيان الزيادة ونسبتها ، تلك الزيادة التي يجب أن نبحث عن أسبابها في الهجرة من ناحية وفي الزيادة الطبيعية من ناحية أخرى .

أما الهجرة فهجرتان : خارجية وداخلية ومعنى بالاولى مواليد خارج القطر الذين عدوا بداخله ، وبالأخرى المولودين بالقطر وعدوا في حدوده . ومن الواضح ان الهجرة الخارجية ليست العامل الاساسي في نمو سكان مديرية البحيرة ، إذ أن عدد الاجانب في المديرية قليل جداً بالنسبة لمجموع سكانها ، وزيادة هؤلاء الاجانب محدودة للغاية ، ويوضح هذه الحقيقة الجدول الثاني الذي بين عدد الاجانب ونسبتهم الى جملة السكان في المديرية .

ومما تجدر ملاحظته في هذا الجدول اضطراب الزيادة في عدد هذه العناصر في نهاية القرن التاسع عشر ، وبداية القرن العشرين . إذا كانت الظروف السائدة حينذاك تساعد على زيادة النشاط الاوربي واستخدام رءوس الاموال

(١) أمتى ، ف (١٨٨٤) ج ١ ص ٧

(٢) الاحماء السنوي للجيب سنة ١٩٤٧ جدول ٣ ص ٥

الجدول الأول

جملة عدد السكان في مديرية البحيرة في التعدادات المختلفة بين (١٨٤٦—١٩٤٧)^(١)

مع بيان زيادتهم ونسبة الزيادة

ملاحظات	الزيادة		عدد السكان	تاريخ التعداد
	النسبة	الرقم الحقيقي		
	% سنوياً			
أرقام مشكوك فيها	—	—	١٩١,٦٢٥	١٦ ديسمبر ١٨٤٦
(تقدير وليس بتعداد)	٠,٦ تقريباً	٢٩,٨٩١	٢١١,٥٥٦	١١ مارس ١٨٧٢
أرقام مشكوك فيها	٧,٨ »	١٧٣,١٥٦	٣٩٤,٧١٢	٣ مايو ١٨٨٢
	٤,٥	٢٣٤,١٧٢	٦٢٨,٨٨٤	١ يونيو ١٨٩٧
	٢,٢	١٣٦ ٢٠٣	٧٦٥,٠٨٧	٢٩ أبريل ١٩٠٧
	١,٧	١٢٧,١٥٩	٨٩٢,٢٤٦	٧ مارس ١٩١٧
	٠,٩	٨٤,٧١٩	٩٧٦,٩٦٥	١٩ فبراير ١٩٢٧
	٠,٩	٨٤,٦٣١	١,٠٦١,٥٩٦	٢٧ مارس ١٩٣٧
	١,٧	١٨٤,٠٤٧	١,٢٤٥,٦٤٣	٢٧ مارس ١٩٤٧

الأجنبية والسكن بعد سنة ١٩٠٧ أخذ عدد الأجانب في التناقص لعاملين هما :
ضعف النشاط الاقتصادي أولاً ، ثم تفضيل عدد كبير من العثمانيين التجنس
بالجنسية المصرية ثانياً ، ولذا فقد انخفض عدد العثمانيين من ٣,٤٠٩ نفساً
في سنة ١٩٠٧ الى ٢٨٦ نفساً في سنة ١٩١٧ . ولم تكن هذه الظاهرة ، ظاهرة
نقص عدد الاجانب خاصة بمديرية البحيرة بل كانت ظاهرة عامة في مصر
كلها . ولكنها كانت أكثر ظهوراً في البحيرة عنها في المديرية الاخرى .

(١) عدد سكان ١٨٤٦ و ١٨٧٢ نقل عن أمتشي ج ١ ص ٧—٨ ولكن مبدله
الزيادة لسنة ١٨٧٢ ، ١٨٨٢ من حساب الباحث . . . أما بقية الأرقام فن كتاب
تعداد سكان القطر المصري لسنة ١٩٣٧ ج ٢ ص ٣٦ ما عدا أرقام سنة ١٩٤٧ فن
الاحصاء السنوي للجيب سنة ١٩٤٧ ص ٥

الجدول الثاني

عدد الأجانب في مديرية البحيرة في التعدادات المختلفة

بين (١٨٨٢ — ١٩٣٧)^(١)

تاريخ التعداد	عدد الأجانب	٪ من مجموع السكان	الزيادة أو النقص		ملاحظات
			الرقم الحقيقى	٪ من مجموع معدوم	
١٨٨٢	١,٧٠٤	٠,٤٣			تعداد ٨٢ س (ى — ك)
١٨٩٧	٢,٢٥٥	٠,٥٠			٩٧ ج ١ س ٥٥
١٩٠٧	١٣,٨٧٢	١,٨٠			عدد الثمانين ٣٤٠٩
١٩١٧	٢,٠٩١	٠,٢٣	١١,٧٨٠ —	٨٤,٩ —	٢٨٦
١٩٢٧	٢,٧٧٠	٠,٢٨	٦٧٩ +	٣٢,٦ +	
١٩٣٧	١,٥٣٩	٠,١٤	١٣٣١ —	٤٤,٤ —	

وهذا يرجع الى صعوبة استيطان الأجانب فيها نظراً لموقعها المتطرف مما يجعل الامن في نواحيها أقل استقبالياً منه في المديرىات الأخرى.

أما فيما يختص بالمهجرة الداخلية فلا يمكن ان تقطع برأى في مدى تأثيرها على نمو السكان في المديرية حيث لا توجد إحصائيات عنها قبل سنة ١٩٠٧ وليس من شك في أن مجال أصلاخ الأراضي البور في الجزء الأكبر من المديرية كجبهات أبو المطامير وكفر الدوار ورشيد اجتذاب كثيراً من العائلات من جهات القطر الأخرى المزدهرة بسكانها، كما يدل ذلك الجدول الثالث وان كان يظهر أن العدد الأكبر من المهاجرين إنما جاء من المراكز الأكثر

(١) عدد الأجانب لسنة ١٩١٧ من كتاب تعداد القطر المصرى لسنة ١٩١٧ ج ٢
 من ٤٩٨ ، وعديم سنة ١٩٢٧ من كتاب التعداد لسنة ١٩٢٧ ج ١ من ٢٨ ، وعديم
 في سنة ١٩٣٧ من كتاب التعداد لسنة ١٩٣٧ ج ٢ من ٢٢١
 أما عدد الأجانب في سنة ١٩٠٧ فن حسب الباحث (تعداد سنة ١٩٠٧ جدول ١٧
 من ١٦٣) وكذلك بقية الأرقام .

الجدول الثالث

حركة تبادل السكان في مديرية البحيرة (١٩١٧ - ١٩٣٧) ^(١)

سنة التعداد	التنقلون إلى المديرية Immigrants	التنقلون من المديرية Emigrants	صافي الزيد أو الخسارة
١٩١٧	٧٠,٠٧٧	٤٠,٣٣٥	+ ٢٩,٧٤٢
١٩٢٧	٦١,٥٧٠	٣٨,٩٧٠	+ ٢٢,٦٠٠
١٩٢٧	٦٣,٠٥٢	٥٠,٥٧١	+ ١٢,٤٨١

إزدحاما بالسكان في المديرية نفسها ^(٢). وبما يؤسف له أن التعدادات بعد سنة ١٩٠٧ لا تظهر حركة تبادل السكان بين المراكز بعضها وبعض بل تكفي بذكر حركات زيادتهم بين المديرية المختلفة .

من الواضح إذن أن السبب في ذلك النمو السريع لسكان مديرية البحيرة الذي وصل إلى ٥٥٠ ٪ في قرن واحد لا بد أن نبحث عنه إما في الخصوبة الشديدة لسكان المديرية . وإما في أخطاء فنية في طريقة التعداد نفسها ، وإما في الأرضين معاً .

أما عن الأمر الأول فالأدلة كافية على أن التقدم الاقتصادي لمصر الحديثة وما تبعه من تقدم اجتماعي . ثم الجهود العظيمة التي بذلت لتحسين الأحوال الصحية في البلاد قد رفعت نسبة المواليد وخفضت نسبة الوفيات ولكن الإحصائيات التي في متناول أيدينا لا يمكن أن توضح إلى أي حد أثر ذلك في نمو سكان مديرية البحيرة . فهي على حدائث عهدنا بها لم تحل من عدم الدقة

(١) الأرقام مأخوذة من تعداد سنة ١٩١٧ ج ٢ جدول ١٨ وتعداد ١٩٢٧ ج ١ جدول ١٠ وتعداد سنة ١٩٢٧ ج ٢ جدول ١٣
وبلاحظ أن كتاب التعداد لسنة ١٩٣٧ يذكر أن عدد التنقلين إلى المديرية في سنة ١٩٢٧ هو ٥٩,٣٧٨ نقلاً بدلاً من العدد ٦١,٥٧٠ الذي جاء في إحصاء سنة ١٩٢٧

(٢) تعداد سنة ١٩٠٧ الجدول السابع من ص ٢٤ - ١١٠

الذى قد يؤدى إلى نتائج خاطئة . وإذن فلا بد لنا من أن نتناول التعدادات أولاً وأن نناقش أرقامها لعل فى هذه المناقشة ما يفسر لنا تلك النسبة العالية لنمو السكان .

أقدم الأرقام التى لدينا هى أرقام سنة ١٨٤٦ ولكنها أرقام مشكوك فيها ويشابهها فى ذلك أرقام سنة ١٨٧٢ فكلاهما لم يكن نتيجة إحصاء حقيقى ، وليس هناك جداول تفصيلية لهذه التقديرات وليس لدينا معلومات عن الطريقة التى عمل بها التعداد ، ولذا فنتجن مضطرون إلى أن تقتصر على الأرقام التى وردت فى التعدادات المختلطة إجماعاً من سنة ١٨٨٢ .

تظهر أرقام الجدول الأول أن أعظم معدل لزيادة السكان كان فى الخمس عشرة سنة التى قلت إحصاء سنة ١٨٨٢ إذ بلغت الزيادة السنوية ٤ ٪ . ثم أخذ معدل الزيادة بعد ذلك فى التناقص التدريجى وبظهر النقص بصفة خاصة فى الفترة بين ١٩١٧ و ١٩٢٧ ، إذ انخفض المعدل من ١٧ ٪ سنوياً إلى ٩ ٪ سنوياً أى بمقدار النصف تقريباً ، ثم ثبت معدل الزيادة فى الفترة بين ١٩٢٧ و ١٩٣٧ على حاله . وعاد فارتفع إلى الضعف فى الفترة بين ١٩٣٧ — ١٩٤٧ . وهنا يجب أن نتساءل عن الأسباب التى أدت إلى هذا التناقص المضطرد فى معدل الزيادة السنوية بعد سنة ١٨٩٧ باستثناء تعداد سنة ١٩٤٧ الذى يرجع الزيادة فيه إلى مبالغة الجمهور فى إعطاء البيانات فلما منه أن التعداد إنما أجري لأغراض التمرين . وقد سأل مثل هذا السؤال المستر « س . لويس » المدير العام لإحصاء سنة ١٩٠٧ ، حينما تكلم على حركة السكان فى القطر المصرى . ويجب على هذا السؤال بقوله : « ان مصر قد توفرت أسباب ثرائها وعمرانها توافراً متجاوزاً فى غضون العشر سنين السالفة ولكنها فى الخمس عشرة سنة التى تقدمتها كان تدرجها فى سلم الاستصلاح أسرع وأجمل ، ولا مشاحة فى أن الزيادة المتجاوزة التى وقعت فى السنين الأولى كانت ناشئة عن الأحوال غير الاعتيادية التى كانت البلاد يومئذ عليها عقيب الاحتلال ، فكان لابد من تباطؤ فى الازدياد » ^(١) .

(١) تعداد سنة ١٩٠٧ (الطبعة العربية) ص ٢٣

ولقد يكون هذا مساعداً على تفسير انخفاض معدل زيادة السكان في مديرية البحيرة بعد سنة ١٩٠٧، ولكنه لا يفيد فيما قبل ذلك التاريخ إلا انخفاض المأموس في نسبة الأراضي البور في المديرية وازدياد عدد الأجانب المستمر حتى سنة ١٩٠٧ يظهر أنه حتى ذلك التاريخ كان التقدم الاقتصادي لمديرية البحيرة يزداد باستمرار وإذن فمن الأفضل أن نكون حذرين في تطبيق رأى «مستر لويس» على مديرية البحيرة وإن كنا نتفق معه في قوله: «ولا يعد أن يكون التزايد المفرطاً بين سنتي ١٨٨٢—١٨٩٧ في الظاهر لا في الحقيقة»^(١). فالظروف التي أجري فيها تعداد سنة ١٨٨٢ والتي ناقشناها من قبل نجعل نتائجها مختلفة باتفاق الجميع. ولم تحدث هناك ظروف طيبة غير عادية في السنوات السابقة لتعداد سنة ١٨٩٧، بل بالعكس انتشرت الكوليرا في مصر في سنتي ١٨٩٥، ١٨٩٦. ولا يمكن أن نفعل أثر مثل هذا الوباء على نسبة الوفيات^(٢) خيبوصاً في وقت لم تكن فيه وسائل العلاج أو طرق الوفاة متوفرة. ولما كانت الهيئات المشرفة على التعداد تعتبر أن معدل الزيادة البالغ ٢,٩٪ سنوياً لكل سكان القطر المصري، في المدة بين ١٨٨٢—١٨٩٧ أكثر من قوة الانتاج الجنسي للشعب المصري فمن الحق لنا أن نشك في صحة معدل حال مثل ٤٪ في السنة بمديرية البحيرة في نفس المدة.

ثم هناك أمر آخر يجب أن ندخله في حسابنا وهو عدد «العرب» في المديرية فهذه العناصر التي تكثر في شمال غرب المديرية كانت شديدة النفور من تعداد سنة ١٨٨٢ بما أدى إلى عد العرب منفصلين حتى في المناطق التي يعيشون فيها مع الفلاحين. وليس من شك في أن موقف العرب قد تغير كثيراً منذ التعداد الأول، خصوصاً وقد تحول عدد كبير منهم إلى فلاحين. وقد أثر هذا العامل المحلي دون شك في نتائج تعداد سنة ١٨٩٧ في مديرية البحيرة حتى ليكن أن نرجع إلى حد ما بمعدل الزيادة المرتفع في هذا التعداد

(١) المصدر السابق ص ٢٣

(٢) راجع في ذلك صدى ص ٢ — ٣ وعمار ص ١٢

الى ذلك العامل . ويؤيد هذه الحقيقة مقارنة متوسط معدل الزيادة في هذه المدة . في مختلف مراكز المديرية كما يوضحه الجدول الرابع . في أبو المطامير حيث تزداد نسبة العرب وحيث استقر عدد كبير من البدو أخيراً نجد أعلى نسبة مئوية لمعدل زيادة السكان في مراكز المديرية (١٧,٥ ٪ سنوياً) بل أعلى نسبة مئوية لمعدل زيادة السكان في أى مركز من مراكز القطر المصري جميعاً . ويشبه في ذلك مركز كفر الدوار (١٠,٩ ٪ سنوياً) وهو مركز على حدود الصحراء ثم مركز أبو حصص (٧,٧ ٪ سنوياً) . وكلما ابتعدنا عن غرب المديرية وجنوبها ، أى ابتعدنا عن المناطق الصحراوية حيث تعيش العناصر العربية كلما أخذت هذه النسبة في القلة : فمثلاً مركز دمنهور الذى يوسط المديرية تقريباً تبلغ النسبة المئوية لمعدل زيادته ٥,٩ ٪ سنوياً . فإذا ما تنوعنا شرقاً أو شمالاً تقل النسبة فتصبح في مركز المحمودية ٢ ٪ سنوياً وفي شبراخيت ١,٢ ٪ ثم في رشيد في أقصى الشمال الشرقى ٠,٩ ٪ سنوياً . وإذا كان لا بد لنا من معرفة الرقم الحقيقى لعدد سكان مديرية البحيرة في سنة ١٨٨٢ فلنأخذ تعداد سنة ١٩٠٧ ، ولنفحص أرقامه لنكتين منها النهاية العظمى لمعدل الزيادة في الفترة ١٨٩٧ — ١٩٠٧ ثم نطبقها تطبيقاً عكسياً من ١٨٩٧ الى ١٨٨٢

الجدول الرابع

النسبة المئوية لمعدل زيادة السكان (في السنة) في مراكز مديرية البحيرة
في المدة بين ١٨٨٢ ، ١٨٩٧ ^(١)

المدة	شبراخيت	أبو المطامير	إشعيا	المنيا	دمنهور	كفر الدوار	المنيا	المنيا	المنيا	المنيا	المنيا	المنيا
١٨٨٢ — ١٨٩٧	٧,٧	١٧,٥	٣,٥	٦,٨	٢,٤	١,٥	١,٥	١,٥	١,٥	١,٥	١,٥	١,٥

(١) تعداد سكان القطر المصري لسنة ١٩٣٧ ج ٢ جدول ٩ من ص ٣٦ — ٣٧

من الجدول الأول يظهر أن المعدل السنوي للنمو كان ٢,٢٪ في الفترة من ١٨٩٧ إلى ١٩٠٧، و ١,٧٪ في الفترة بين ١٩٠٧، ١٩١٧ و ٩,٠٪ بين ١٩١٧، ١٩٢٧، و ٩,٠٪ بين ١٩٢٧، ١٩٣٧، وبذلك يكون متوسط نقص نسبة النمو لكل عشر سنوات هو ٤٣ ر ٠,٠٪^(١). وعلى هذا يكون معدل الزيادة السنوي لمدة قبل ١٨٩٧ أكبر من معدل الزيادة في المدة بين ١٨٩٧، ١٩٠٧ بنحو ٤٣ ر ٠,٠٪ أي أن النسبة المئوية للزيادة السنوية في الفترة السابقة لتعداد سنة ١٨٩٧ هي ٦٣ ر ٢٪ (٤٣ + ٢٠). فإذا ما رجعنا إلى الوراء من سنة ١٨٩٧ إلى سنة ١٨٨٢ أي مدة خمس عشرة سنة فهذا المعدل ينحصر على عدد السكان لسنة ١٨٨٢ على وجه التقريب وهو ٦٢٥ ر ٤٥٠ نفساً وهذا العدد يزيد على الرقم المذكور في التعداد المطبوع (٧١٢ ر ٣٩٤) بمقدار ٢٦٣ ر ٥٦ نفساً أو نحو ١٢٪ من جماعته.

وربما يطرق إلى الذهن بعد هذا التفسير أننا نغني وجوب أعمال الزيادة الطبيعية للسكان بين ١٨٨٢، ١٨٩٧ ولكن هذا غير صحيح فكل ما أردنا تأكيده هو استحالة أرجاع تلك النسبة العالية لزيادة النمو (٤ ر ٠٪ سنوياً) إلى الزيادة السنوية لعدد المواليد عن عدد الوفيات دون غيرها من العوامل. ولعل من سوء الحظ أن تسجيل المواليد والوفيات لم يكن معروفاً في تلك الفترة غير أن دراسة الإحصائيات الصحية في السنين التالية تجعل زيادة طبيعية مقدارها ٤٠ في الألف سنوياً أمراً غير معقول. وإذن فمن الأسلم ألا نعتبر تعداد سنة ١٨٨٢ صالحاً لمقارنته بتعدادات السنوات الأخرى وأن نبدأ بتعداد سنة ١٨٩٧ في دراستنا الديموغرافية المقارنة.

$$١,٤٣ = \frac{(١,٧ - ٢,٢) + (١,٧ - ٠,٩)}{٣}$$

الجدول الخامس

النسبة المئوية لمعدل زيادة السكان (سنوياً) في مديرية البحيرة
وفي القطر المصري في المدة من ١٨٨٢ إلى ١٩٤٧ ^(١)

الفترة	١٨٨٢ إلى	١٨٩٧ إلى	١٩٠٧ إلى	١٩١٧ إلى	١٩٢٧ إلى	١٩٣٧ إلى	١٩٤٧ إلى	زيادة (%)
مديرية البحيرة	٤٠	٢٢	١٧	٠٩	٠٩	١٧	٩٨٠	١٨٩٧ - ١٩٤٧
القطر المصري	٢٩	١٦	١٤	١١	١٢	٢٠	٩٦٤	١٨٨٢ - ١٩٤٧

محو السطحة في الميريّة (دراسة مقارنة) :

لدراسة تباير السكان في مديرية البحيرة ومقارنته بتباير عدد السكان في مصر وضع الجدول الخامس . وبدراسة أرقامه نجد أن المظهر العام له هو الزيادة العظيمة في تلك الفترة الوجيزة . ويرى الفرق واضحاً في الفترة بين ١٨٨٢ ، ١٨٩٧ ولكن دلالة مثل هذا الفرق مشكوك فيها . أما زيادة السكان في مدى الخمسين سنة بين ١٨٩٧ ، ١٩٤٧ فهي أكبر نسبياً في مديرية البحيرة عنها في مجموع القطر . هذه الحقيقة يمكن تحليلها بسهولة إذا رجعنا إلى ما ذكرناه عن استقرار البدو الكثيرين في المديرية وحيثما نعرف أنها كانت وما زالت إحدى مديريات القطر القليلة التي يوجد فيها مساحات واسعة من الأراضي التي تحت الإصلاح .

ويلاحظ أنه منذ سنة ١٩٠٧ أخذ معدل زيادة السكان في المديرية يقترب من معدل زيادتهم في القطر بصفة عامة واستمر في التناقص حتي أصبح منذ سنة ١٩١٧ دون معدل زيادة القطر وإن يكن الفرق بينهما بسيطاً . هذا التغير يمكن أن يتخذ دليلاً على أن التقدم الاقتصادي للمديرية بصفة عامة أخذ يتأخر عن معدل تقدم القطر إذ كانت الأراضي التي تحت الإصلاح

(١) تعداد سنة ١٩٣٧ ج ٢ الجدول التاسع .

في المديريات الأخرى أوفر ربحاً ، وأكثر اجتذاباً للسكان . ثم أن اتساع المساحة التي أصبحت تروى رياً دائماً في الوجهة القبلى أثرت دون شك في هجرة أهل الصعيد إلى مديريات الوجه البحري ، ومنها مديرية البحيرة .

وبعين الجدول السادس النسبة المئوية لمعدل زيادة السكان سنوياً في مديريات الوجه البحري ، ويظهر منه أن الزيادة مضطردة في كل المديريات إلا أن نسبتها كانت تقل بالتدرج حتى تعداد سنة ١٩٣٧ ، ثم إزدادت مرة أخرى في تعداد سنة ١٩٤٧ ، وقد سبق لنا تحليل هذه الظاهرة . وتعتبر مديرية البحيرة أكثر مديريات الوجه البحري نمواً في السكان في الخمسين سنة الأخيرة إذ تبلغ نسبة الزيادة فيها ٩٨ ٪ كما يتضح من الجدول بينما تبلغ نسبة الزيادة في نفس المدة في المديرية التي تليها مباشرة وهي الدقهلية ٩٢ ٪.

الجدول السادس

النسبة المئوية لمعدل زيادة السكان (سنوياً) في مديريات الوجه البحري

(١٩٩٧ — ١٩٤٧)^(١)

المدينة / المديرية	١٨٩٧ إلى ١٩٠٧	١٩٠٧ إلى ١٩١٧	١٩١٧ إلى ١٩٢٧	١٩٢٧ إلى ١٩٣٧	١٩٣٧ إلى ١٩٤٧	الزيادة (٪) ١٨٩٧ — ١٩٤٧
البحيرة . .	٢٢٢	١٧٧	٠٩	٠٩	١٧	٩٨
الدقهلية . .	١٠٨	١٣٣	١٠	١٣	١٤	٩٢
الشرقية . .	١٠٨	١٢٢	٠٦	١٠	١٧	٨١
الغربية . .	١٠٥	١٢٢	٠٨	١٠	١١	٨٠
القليوبية . .	١٠٧	١٢٤	٠٦	٠٩	١٠	٨٠
المنوفية . .	١٠٣	١١٠	٠٢	١٥	٠٨	٣٦

(١) نسب هذا الجدول من حساب الباحث اعتماداً على أرقام التعدادات المختلفة .

وإذا نظرنا إلى تفاصيل الجدول نجد أن البحيرة ظل ترقبها الأولى بن مديريات الوجه البحرى جميعاً حتى سنة ١٩١٧ ، ثم ترك محلها للمديرية الدقهلية فى الفترة بين ١٩١٧ ، ١٩٢٧ حتى إذا كانت السنوات العشر التالية نجد أن نسبة الزيادة السنوية فى البحيرة نثبت على حالها بينما ترداد نسبة النمو فى الدقهلية والشرقية والغربية وتصبح البحيرة فى المرتبة الرابعة فيما يختص بنمو سكانها فى تلك الفترة . ثم تعود المديرية إلى أولويتها فى التعداد الأخير وان يكن يشاركها فى ذلك مديرية الشرقية . وهنا نتساءل عن الأسباب التى جعلت مديرية البحيرة أكثر مديريات الوجه البحرى نمواً فى نصف القرن الأخير .

نثبت الاحصائيات التى فى متناول أيدينا وجود علاقة وثيقة بين نسبة نمو السكان فى مديريات الوجه البحرى . وبين ما تشتمل عليه تلك المديريات من الاراضى البور التى تحت الإصلاح ^(١) . فكلما زادت مساحة هذه الاراضى كلما كانت المديرية أكثر اجتذاباً لسكان المناطق الأقل بوراً والمتكاثفة تبعاً لذلك بسكانها الذين استنفدوا كل ما حبتها به الطبيعة من خيرات حتى لم تعد فى مواردها الطبيعية زيادة لمستزبد . . . هذه المناطق البور المبسورة الاستصلاح تجتذب إليها السكان حيث يتيسر العمل للجميع . ويؤدى هذا بطبيعة الحال الى نمو عدد السكان وزيادة الزمام المتزرع بها . ويساعد على الهجرة الى هذه المناطق تدخل الحكومة منظمة لوسائل الرى والصرف ، وقيام الشركات العقارية وكبلد الملاك باصلاح الاراضى . ولما كانت مديرية البحيرة أكثر مديريات الوجه البحرى اشتغالاً على الاراضى البور القابلة للإصلاح اذ تبلغ نسبة البور الى جملة مساحة زمام المديرية ٤١,٧ ٪ ^(٢) فقد اجتذبت أكبر عدد من المهاجرين وكانت بذلك أكثر مديريات مصر السفلى نمواً فى السكان .

(١) راجع صبرى (١٩٣٥) ص ١٨ — ١٩

(٢) راجع الجدول الثالث عشر .

الزيادة الطبيعية والهجرة

سبق أن أشرنا إلى أن إحصائيات المواليد والوفيات التي في متناول أيدينا رغم ما بها من عيوب لا ترجع إلى أكثر من سنة ١٩١٢ كذلك لم تثبت إحصائيات الهجرة قبل سنة ١٩٠٧، ولذا فتنحصر مضطرون إلى قصر الدراسة على الفترة بين ١٩١٧ ، ١٩٣٧ ولم نمتد بها إلى سنة ١٩٤٧ لتعذر الحصول على النتائج التفصيلية للتعداد الأخير إذ لم تفرغ مصلحة الإحصاء والتعداد من إعدادها بعد .

أما عن الزيادة الطبيعية ومعدل المواليد والوفيات فقد وضع لها الجدولان السابع والسابع ١ وأن كانت أرقامها في الواقع كما برهنت الأبحاث الديموجرافية الأخيرة محدودة القيمة في قياس مدى خصوبة السكان ، وأهم ما نلاحظه على أرقام الجدولين ارتفاع نسبة المواليد ونسبة الوفيات من جهة ، وارتباط هاتين النسبتين أحدهما بالآخرى من جهة ثانية، وأن يكن مدى هذا الارتباط غير تام الوضوح .

ويتبين من أرقام الجدولين ومن الرسم البياني رقم ٢ الخاص بالمعدل السنوي لنسبة المواليد والوفيات ومعدل الزيادة لكل ألف من السكان في مديرية البحيرة ، أن معدل المواليد بصفة عامة أكثر ثباتاً من معدل الوفيات في المديرية إذ يتراوح بين ٣٢ ، ٣٨ في الألف وأن كان يلاحظ أن المعدل الشائع هو حوالي ٣٦ ، ٣٧ في حين أن معدل الوفيات قد يرتفع إلى ٣٢ في الألف وقد ينخفض إلى ١٩ في الألف وتوجد أكبر نسبة للمواليد بصفة عامة في دمنهور والسبب في ذلك راجع دون شك إلى أن تسجيل المواليد في عاصمة المديرية أكثر دقة منه في الجهات الريفية المحيطة بها .

الجدول السابع (١)

نسبة المواليد والوفيات في مديرية البحيرة لكل ألف نفس من السكان

في المدة بين ١٩١٧ — ١٩٤٥^(١)

السنة	المواليد	متوسط معدل المواليد لكل ١٠٠٠ سنوات	الوفيات	متوسط معدل الوفيات لكل ١٠٠٠ سنوات	زيادة المواليد عن الوفيات في كل ١٠٠٠ سنوات	متوسط
١٩١٧	٣٦٠		٢٤٨		١١٢	
١٩١٨	٣٦٩		٣٢٣		٤٦	
١٩١٩	٣٤٣	٣٦٩	٣٦٤		٧٩	٩١
١٩٢٠	٣٦٨		٣٦٥		١٠٣	
١٩٢١	٣٦٦		٢٥٠		١١٦	
١٩٢٢	٣٧٥		٢٣١		١٤٤	
١٩٢٣	٣٦٥		٢٢٧		١٣٨	
١٩٢٤	٣٧٤	٣٧٢	٢١٦		١٥٨	١٤٩
١٩٢٥	٣٧٠		٢٢٠		١٥٠	
١٩٢٦	٣٧٨		٢٢١		١٥٧	
١٩٢٧	٣٦٠		٢٠١		١٥٩	
١٩٢٨	٣٦٧		١٩١		١٧٦	
١٩٢٩	٣٧٨	٣٦٩	٢٠٠		١٧٥	١٦٩
١٩٣٠	٣٧٣		١٩٢		١٨١	
١٩٣١	٣٦٦		٢١٣		١٥٣	
١٩٣٢	٣٤٢		٢٣٥		١٠٧	
١٩٣٣	٣٤٨		٢٤٦		١٠٢	
١٩٣٤	٣٣٤	٢٤١	٢٣٦		٩٨	١٠٥
١٩٣٥	٣٢٣		٢٢٦		٩٧	
١٩٣٦	٣٥٦		٢٣٦		١٢٠	
١٩٣٧	٣٦٥		٢٣٦		١٢٩	
١٩٣٨	٣٨٩		٢٣٦		١٥٣	
١٩٣٩	٣٧٩	٣٧٦	٢٢٥		١٥٤	١٤٦
١٩٤٠	٣٦٩		٢٣٦		١٣٣	
١٩٤١	٣٧٩		٢٥٥		١٢٤	
١٩٤٢	٣٥٦		٢٥٠		١٠٦	
١٩٤٣	٣٥٩		٢٢٧		١٣٢	
١٩٤٤	٣٧٨		٢٢٥		١٥٣	

(١) وضع هذا الجدول على أساس التفرات السنوية للمواليد والوفيات في المدة من ١٩١٧ إلى ١٩٤٦ أما الفرق السنوي ومتوسطات ذلك الفرق فمن حساب الباحث.

الجدول السابع (س)

معدل المواليد والوفيات في مراكز مديرية البحيرة (لكل ألف من السكان)

في سنوات ١٩٢٠، ١٩٣٠، ١٩٤٠ (١)

المراكز	١٩٢٠			١٩٣٠			١٩٤٠		
	المواليد	النسبة ‰	زيادة المواليد	المواليد	النسبة ‰	زيادة المواليد	المواليد	النسبة ‰	زيادة المواليد
أبو حمس . . .	٣٦٢	١٧	١٨٤	٣١٥	١٣	١٧٦	٣٠٨	٢٠	٩٠
أبو الطامير . . .	—	—	—	—	—	—	٢٨٩	١٥	١٣
إيتاي البارود . . .	٣٩٩	٢٥	١٤٤	٤٣٢	٢٥	١٧٩	٤٩٧	٢٥	٢٤
المنجيات . . .	٣٢٢	٢٤	١٤٦	٣١٧	١٩	١٦٣	٢٣٦	٢٤	٩١
بندر دمنهور . . .	٤٨٧	١١	١٠٧	٤٩٢	٢٧	٢٧١	١٩٦	٣٠	٢٦
مركز دمنهور . . .	٣٨١	٢٥	١٣١	٣٢٥	١٨	١٦٧	٢٠٩	٢٣	١٢
رشيد . . .	٤٣٦	٣٠	١٣٠	٣٣٣	١٤	١٨٨	١٢٩	٢٥	١٧
شبراخيت . . .	٢٨٨	٢٠	٨٢	٣٩٣	٢٢	١٧٢	٣٧٢	٢٣	١٣
كفر الدوار . . .	٣١٣	٢٣	٨١	٣١٥	١٦	٢٢٩	٣٨٣	٢١	١٧
كوم حادة . . .	٣٧٧	٢٧	١٠٥	٣٨٧	٢٠	١٨٦	٢٥٠	٢٣	١١
الحمدية . . .	—	—	—	٤٤١	٢٧	١٧١	٢٩٣	٢٧	١٢
البحيرة . . .	٣٦٨	٢٧	١٠٣	٣٧٣	١٩	١٨١	٢٩١	٢٣	١٣

أما الوفيات فقد ارتفعت نسبتها جدا في سنتي ١٩١٨ و ١٩١٩ نظراً لانتشار الحمى الاسبانية في الوجه البحري في هاتين السنتين كذلك عادت فارتفعت في سنتي ١٩٤١، ١٩٤٢ لانتشار حمى الملاريا . ويلاحظ وجود ارتفاع نسبي في معدل الوفيات منذ سنة ١٩٣٠ رغم تقدم الأحوال الصحية في السنين الأخيرة ، ولعل سبب ذلك زيادة الدقة في تسجيل الوفيات . ويؤيد

(١) هذا الجدول موزع على أساس الأرقام الواردة في النشرات السنوية للمواليد والوفيات في مراكز المديرية المختلفة .

هذه الحقيقة الدراسة المحلية لمعدل الوفيات . فيندر دمنهور تزيد فيه نسبة الوفيات عنها في أى مركز آخر في المديرية مع أن الأحوال الصحية فيه أرقى دون شك منها في أى جهة أخرى . ولكن وجود تفتيش الصحة يؤدي الى ضبط تسجيل الوفيات .

أما عن الهجرة فندل الأرقام الواردة في جداول تعداد سنة ١٩٣٧ للقرات المختلفة^(١) على أن مديرية البحيرة هي أولى مديريات مصر جميعاً ورحما من حركة الانتقال المتبادلة بين مختلف جهات القطر . ولا يفوقها في ذلك الا المحافظات نظراً لما لها من ظروف خاصة تجذب السكان اليها . وبين الجداول الثامن حركة تبادل السكان بين مديرية البحيرة ومديريات الوجه البحري الأخرى في الفترة بين ١٩٠٧ ، ١٩٣٧ . ومنه يظهر أن مديرية البحيرة تكسب دائماً من تلك الحركة وأن أكثر المهاجرين اليها من مديريتي المنوفية والغربية . ولا شك أن ربح المديرية كان يزداد لولا موقعها قريباً من الاسكندرية الأمر الذي يؤدي الى فقدانها عدداً كبيراً من سكانها الذين يجذبهم هذه المدينة اليها كما يوضح ذلك الجدول التاسع .

هذه الهجرة ترجع الى زيادة الأراضي المستصلحة ولذا كانت المراكز المتطرفة في الشمال والغرب أكثر نمواً من المراكز الأخرى . فاذا رجعنا الى تعداد سنة ١٩٣٧ نجد أن المراكز التي زادت نسبة نمو سكانها عن متوسط نسبة نمو القطر في ذلك التعداد (١٢ ٪) هي المراكز المتطرفة حيث الأراضي الميسورة الاصلاح وتشمل مراكز أبو حمص (١٤ ٪) وأبو المطامير (١٥ ٪) ورشيد (٢١ ٪) والمحمودية (٢٣ ٪) . هذه الظاهرة لا تؤيدها أرقام تعداد سنة ١٩٣٧ بحسب بل تؤيدها أرقام كل التعدادات الأخرى السابقة له . كما تؤيدها النتائج الأولية لتعداد سنة ١٩٤٧ باستثناء مركز أبو حمص الذي ألتخص متوسط نسبة النمو فيه (٧ ٪) عن متوسط نسبة نمو المملكة المصرية (٢٠ ٪) .

(١) الجزء الثاني الجدول الثالث عشر .

الجدول الثامن

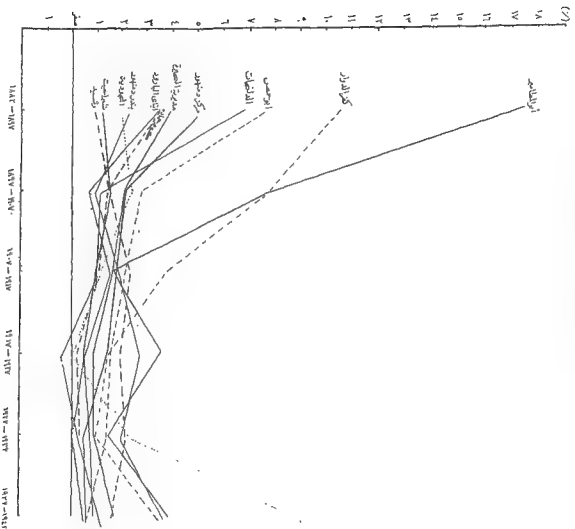
حركة تبادل السكان بين مديرية البحيرة ومديريات الوجه البحري الأخرى ^(١) (١٩٠٧ — ١٩٣٧) ^(٢)

المنطقة	في الثلاثين سنة ١٩٠٧ — ١٩٣٧									
	مكتب	من البحيرة	المهاجرون إلى البحيرة	مكتب	من البحيرة	المهاجرون إلى البحيرة	مكتب	من البحيرة	المهاجرون إلى البحيرة	مكتب
القليوبية	٧٥٣٧	٢٤٨٥	١٠٠١٧	٥١٥٩	٧٧٦	٥٩٢٥	١٣٦٨	٧٨١	٢٠٤٩	١١٠٥
المرقية	١٧٥٢	٧٨٠٨	٤٥٦٠	٥٨٧	١٠٦	١٧٧٦	٣٦٤	٧٨٧	١٤٧١	١٩٣
الشرقية	٢٥٢٧	٢٦٤٧	٥٢٩١	٧٥٨	١١١١٦	١٤٤٧	١١٤٠١	٥٧٧٠	١٧١٧١	١٩٦٨
القليوبية	٥١٣	٢١٠٩	٢٦٣٢	١٠	٧٠٨	٨٠٨	١٥٢	٦٣٩	٧٩١	٣٥١
الشرقية	٢٨٥٢٩	٦٢٢١	٢٤٧٦٠	٤٦١٦	١٥٠٨	١١٦٣٤	١١٥٦٩	١٨٩١	١٣٤٦٠	٢٣٤٤
إجمالي	٦٤٠٦٣	٤٠١١٠	١٠٤١٣٨	١٩٠٢٩	٩٠١٠٩	٢٤١٣٨	٢٥٠٧٠	٩٦٨١	٢٤٤٤٣	١٩٩٦١
										١٥١١٣
										٢٥٠٩٤

(١) انقصر على مديريات الوجه البحري لأن المديرية من مديريات الوجه القبلي معدومة.

(٢) هذا الجدول من وضع الباحث اعتماداً على ما ورد في تعداد ١٩١٧ ج ٢ ص ٥٢٤ — ٥٢٥ وتعداد سنة ١٩٢٧ ج ١ ص ١٤١ وتعداد سنة ١٩٣٧ ج ١ ص ٦٢ — ٦٣

(٣) المدخل السنوي لزيادة السكان أو تقسيم لكل مركز (١/٠)
في السنين ١٨٨٢ - ١٩٣٧



الجدول التاسع

حركة تبادل السكان بين مديرية البحيرة والاسكندرية

(١٩١٧ — ١٩٣٧) (١)

سنة التعداد	المتقنون من البحيرة إلى الاسكندرية	المتقنون من الاسكندرية إلى البحيرة	خسارة المديرية
١٩١٧	١٤,٥٦٩	١٠,١٧٨	٤,٣٩١
١٩٢٧	١٦,٧٠١	٧,٢٦٤	٩,٤٣٧
١٩٣٧	٢٠,٣٩٩	٥,٤٤٥	١٤,٩٥٤
الجملة في عشرين سنة	٥١,٥٦٩	٢٢,٨٨٧	٢٨,٦٨٢

نمو السكان في مراكز مديرية البحيرة

يبين الجدول العاشر جملة عدد سكان كل مركز في مديرية البحيرة في السبعة تعدادات الاخيرة (١٨٨٢ — ١٩٤٧) حسب حدوده الحالية مع بيان الزيادة أو النقص ونسبتهما. وعلى أساسه وضع الرسم البياني رقم ٣ الخاص بالمعدل السنوي لزيادة السكان أو نقصهم (٪) في المدة بين ١٨٨٢ و ١٩٤٧ ومن الجدول والرسم البياني تبين مايلي :

١ — أن الزيادة الكلية بين كل تعدادين تتوزع على جميع مراكز المديرية. ويمكن أن نلاحظ بسهولة أن كل مركز يشترك في هذه الزيادة العامة وأن كان مقدار الزيادة يختلف اختلافا بينا من مركز لآخر كما يوضح ذلك الجدول الحادي عشر.

(١) هذه الأرقام من حساب الباحث اعتماداً على ماورد في تعداد سنة ١٩١٧ ج ٢ الجدول ١٨ ص ٥٧٤ — ٥٧٥ ، وتعداد سنة ١٩٢٧ ج ١ الجدول ١٠ ص ٥٤٤ وتعداد سنة ١٩٣٧ ج ١ الجدول ١٢ ص ٦٢ و ٦٣

جولة عدد سكان كل مركز في مديرية البحيرة
حسب حدوده الحالية مع بيان

(۱۱) راجع آمادہ سنہ ۱۹۲۹ ج ۲ جدول ۹ ص ۳۶ — ۳۷

العاشر

في السبعة تجمعات الأخيرة (١٨٨٢ - ١٩٤٧)

الزيادة أو النقص ونسبتهما

١٩٤٧			١٩٣٧			١٩٢٧			١٩١٧		
الزيادة (أو النقص) —		عدد السكان	الزيادة (أو النقص) —		عدد السكان	الزيادة (أو النقص) —		عدد السكان	الزيادة (أو النقص) —		عدد السكان
الرقم الحقيقي	نسبة		الرقم الحقيقي	نسبة		الرقم الحقيقي	نسبة		الرقم الحقيقي	نسبة	
٧,٥٨٦	٠,٧	١١٨,٠٥١	١٣,٨٣٥	١,٤	١١٠,٤٦٥	١٢,٢٣٥	١,٥	٦٩,٦٣٥	٢,١	١٤,٤٧٣	١٤,٤٧٣
٢٦,٢٦١	٣,٨	٩٥,١٥١	٩,٢٠٢	١,٥	٦٨,٨٩٠	١٥,٥٩١	٣,٥	٥٩,٦٨٨	١,٧	٦,٥٥٨	٦,٥٥٨
٦,١٩٧	٠,٥	١٣٠,٦٧٩	٣,٤٤٨	—	١٢٤,٤٨٢	٥,٩٤٨	٠,٥	١٢٤,٣٤	١,٥	١١٥,٢٤٢	١١٥,٢٤٢
٨,٠٥٦	١,١	٨٣,٢٤٧	٦١٢	٠,٢	٧٥,١٩١	٢,٨١٢	٠,٤	٧٣,٥٧٩	١,٠	٧,١٨٥	٧,١٨٥
٢٣,٠٣١	٣,٧	٨٤,٩٨٣	١٠,٢٥٣	٢,٠	٦١,٩٦٢	١١,٠٤٨	١,٧	٥١,٧٠٩	١,٩	٦,٥١٩	٦,٥١٩
٦,٣٥١	٠,٦	١١٢,١٤٦	٥,٣٠٥	٠,٥	١٠٥,٧٩٥	١٢,٢٣٣	١,٤	١٠٠,٤٩٢	١,٨	١٣,٣٥١	١٣,٣٥١
١١,٧٩٧	١,٦	٨٦,٢٩٨	١٢,٨٧٣	٢,١	٧٤,٥٠١	٩,٦٣٦	١,٩	٦١,٦٢٨	٢,٣	٩,٦٥٣	٩,٦٥٣
٩,١٢٧	٠,٩	١٠٧,٨٠٥	٦,٧٩٣	٠,٧	٩٨,٦٦٧	١,٤٧٧	٠,٤	٩١,٨٧٥	٠,٩	٧,٤١٢	٧,٤١٢
٤٤,٤١٥	٣,٤	١٧٥,٦٦٨	١١,٤٢٣	١,٠	١٣١,٢٥٣	١٤,٩٠١	١,٤	١١٩,٨٢٠	٢,٧	٢٨,٣٩٠	٢٨,٣٩٠
٣٠,٤٧٠	٢,١	١٦٩,٢١٠	٤,٥٠٧	٠,٣	١٦٥,٧٤٠	٢,٤٧٧	٠,٢	١٦١,٢٣٣	١,٠	١٤,٧٤٢	١٤,٧٤٢
٣٨,٠٥٨	٨,٥	٨٢,٧٠٥	٨,٢٧٠	٢,٣	٤٤,٦٤٧	—	٩٥	٣٦,٢٧٧	١,١	٣,٦٣٤	٣,٦٣٤
١٨٤,٠٤٧	١,٧	١,٢٤٥,٦٤٣	٨٤,٦٣١	٠,٩	١,٠٦١,٥٩٦	٨٤,٧١٩	٠,٩	٩٧٦,٩٦٥	١,٧	١٣٧,١٥٩	١٣٧,١٥٩

الجدول الحادى عشر

نمو السكان في مختلف مراكز مديرية البحيرة (١٨٩٧ — ١٩٤٧)

النسبة المئوية للزيادة	مقدار الزيادة	عدد السكان		المركز
		١٩٤٧	١٨٩٧	
١١٦,٠٨	٦٣,٣٦	١١٨,٠٥١	٥٤,٤٥١	أبو حمس . .
٣٥٣,٣٨	٧١,١٦٤	٩٥,١٥١	٢٠,٩٨٧	أبو الطامير .
٣٦,٠٠	٣٤,٥٩٨	١٣٠,٦٧١	٩٦,٠٨١	إيتاي البارود
٣٤,٦٠	٢١,٤٩٢	٨٣,٤٧	٦١,٩٧٨	الدلتجات . .
١٧٤,٣١	٥٤,٠٠٣	٨٤,٩٨٣	٣٠,٩٨١	بندر دمنهور
٨١,٩٦	٥٠,٥١	١١٢,١٤٦	٦١,٦٣٦	مركز دمنهور
١٣٤,٧٦	٤٩,٣٨	٨٦,٢٩٨	٣٦,٩١٨	رشيد . . .
٥٢,٨٠	٣٧,٢٤	١٠٧,٨٠٥	٧٠,٥٦٥	شبراخيت . .
٣٣٨,١٠	١٣٢,٦١٨	١٧٥,٦٦٨	٤٣,٥٠٠	كفر الدوار
٣٤,٤٨	٤٣,٣٦٣	١٦٩,٢١٠	١٢٥,٨٤٧	كوم حمادة .
٢١٣,٩٤	٥٦,٣١٥	٨٢,٧٠٥	٢٦,٣٩٠	المحمودية . .
٩٨,١٥	٦١,٦٧٥٩	١٢٤,٥٦٤٣	٦٢,٨٨٨٤	البحيرة . .

٢ — اتجاه نمو السكان في كل المراكز بصفة عامة يشابه اتجاه نمو السكان في المديرية بجملة . ولا يشذ عن هذا الاتجاه العام إلا مركزا المحمودية والدلتجات إذ يظهر تعداد سنة ١٩٢٧ أن هناك نقصاً في مركز المحمودية مقداره ٩٥ نفساً ونقصاً في مركز الدلتجات مقدار ٢٨١٢ نفساً (— ٤,٤ ٪ سنوياً) ^(١) . ويمكن أن نهمل النقص في مركز المحمودية لضآلته أما نقص مركز الدلتجات الذي أصبح تعداداه في سنة ١٩٢٧ (٧٣,٥٧٩ نسمة)

^(١) حاولنا تحليل هذا النقص بافتراض أن هذين المركزين كانا أكثر تأثراً من المراكز الأخرى بالجي الأسبانية التي انتشرت سنة ١٩١٨ ولكن لم نجد إحصائيات الوفيات خاصة بمركز المحمودية إذ لم ينشأ هذا المركز إلا في سنة ١٩٢٩ . كما أن إحصائيات الوفيات في مركز الدلتجات في تلك السنة لم يحقق ما ذهبنا إليه من افتراض .

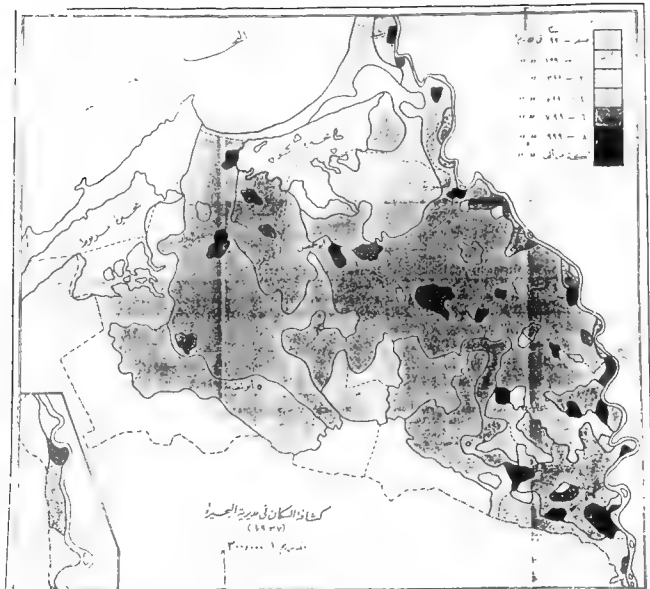
بعد أن كان ٧٦,٣٩١ نسمة في سنة ١٩١٧ فإنه لا يمكن تطيله في الواقع ولكن ينبغي أن نلاحظ أن هذا النقص لم يمس طبقة الزراعة بل بالعكس زاد عددهم من ٢٠,٧٠٣ نسمة في سنة ١٩١٧ إلى ٢٥,٥٥٤ نسمة في سنة ١٩٢٧ أي زيادة سنوية مقدارها ٢,٥ ٪. ومعنى هذا أن النقص كان في عدد المشتغلين بالهن الأخرى . ولقد أخذ المركزان في الازدياد مرة أخرى في الفترة التالية (١٩٢٧ — ١٩٣٧) : المحمودية بزيادة سنوية مقدارها ٣,٧ ٪. والدلتجات بزيادة سنوية مقدارها ٢,٠ ٪. واستمر الازدياد في الفترة الأخيرة في المركزين حتى أصبح مركز المحمودية أكثر المراكز في نسبة الزيادة السنوية : ولم يعد مركز الدلتجات أقل مراكز المديرية نمواً كما كان في الفترة السابقة .

٣ — أكثر المراكز نمواً هي المراكز المتطرفة في المديرية . ولكن ترتيبها من ناحية النمو يختلف من تعداد إلى آخر فبينما نجد الأولية لمركزى أبو المطامير وكفر الدوار في تعداد سنة ١٩٠٧ نجدها لمركزى رشيد والمحمودية في تعداد سنة ١٩٣٧ . ويرجع هذا لأسباب محلية تتعلق بهوفر ماء الري وتحسين نظام الصرف . ففي بداية القرن الحالى توفرت مياه الري في الجهات النائية في غرب المديرية واتسع نطاق الاراضى المستصلحة . وفي السنوات الأخيرة زادت العناية بشئون الصرف وتجفيف الاراضى الغدقة في شمال المديرية فيما جاور بحيرة إدكو .

٤ — إن نسب الزيادة في هذه المراكز المتطرفة في تعداد سنة ١٩٠٧ كانت أعلى منها في التعدادات التالية جميعاً ، ولا يستثنى من ذلك إلا مركز المحمودية في تعداد سنة ١٩٤٩ . ولعل أهم أسباب هذه الظاهرة هو أن هذا التعداد عمل بعد قيام الشركات العقارية الخاصة باصلاح الاراضى كالشركة الصناعية الزراعية في أبو المطامير ، والشركة القرواوية في الكوم الاخضر ، وشركة البحيرة المساهمة ، ثم اتجاه كثير من أصحاب رؤوس الاموال كالمغازى باشا والوكيل باشا وهم أصلاً من التجار الى استثمار الكثير من أموالهم في الزراعة واستصلاح الاراضى :

هذه الاراضى المستصلحة والورثى المختلفة التى اتبعتها الشركات وكبار الملاك ساعدت على هجرة كثير من الفلاحين من المراكز الجنوبية فى المديرية ومن مراكز مديرية الغربية المزدحمة بسكانها كمراكز كفر الزيات وطيطا والسطة وزفتى وغيرها . ثم من مراكز مديرية المنوفية . وقد أدت هذه الهجرة دون شك الى زيادة السكان زيادة كبيرة فى تلك الفترة . ثم هبط معدل الزيادة بعد ذلك إذ أخذت حركة اصلاح الأراضى تسير ببطء وخاب أمل الكثيرين ممن انتقلوا الى هذه الجهات فرجعوا الى قراهم الأصلية ، كما بدأت المناطق الأخرى فى شمال الدلتا تستهوى المهاجرين . ولا يمكن تعليل هبوط معدل الزيادة بأحد هذه الأسباب دون الباقي بل أنها كلها مجتمعة مسؤولة عن هذا الهبوط .

٥ - كانت أكثر الجهات نمواً فى الفترة بين ١٩٣٧ ، ١٩٤٧ هى مراكز المحمودية (٨٥ ٪) وأبو المطامير (٣٨ ٪) وكفر الدوار (٣٤ ٪) ثم بندر دمنهور (٣٧ ٪) وقد خص هذه المراكز مجتمعة أكثر من ٧٠ ٪ من جملة زيادة السكان فى مديرية البحيرة فى العشر سنوات الأخيرة . وترجع الزيادة فى بندر دمنهور الى ظروف الحرب العالمية الثانية واجتذاب المدينة لعدد غير قليل من الأيدى العاملة . كذلك ترجع الزيادة فى مركز كفر الدوار إلى التوسع فى صناعات النسيج التى يشتغل فيها آلاف من العمال . أما الزيادة فى مركزى أبو المطامير والمحمودية فترتبط على التوسع فى اصلاح الأراضى البور واستغلالها ولكننا نشك كثيراً فى صحة الأرقام الخاصة بمركز المحمودية الذى وصلت الزيادة السنوية فيه إلى ٨,٥ ٪ مع أنها لم ترق فى أى تعداد سابق إلى ٢,٥ ٪ سنوياً . ولا بد من وجود عامل خارجى ترك أثره فى رقم التعداد كأن يكون فى المركز فى يوم التعداد مشروع انشائى يشتغل فيه آلاف من العمال حسبوا ضمن سكان المركز مع أن اقامتهم فيه إقامة مؤقتة . وهذا عيب من عيوب التعدادات على أساس « الحالة الراهنه » كما سبقت الإشارة .



وبمقارنة عدد سكان كل مركز في تعداد سنة ١٨٩٧ بسكانه في تعداد سنة ١٩٤٧ أى في مدة خمسين سنة يمكن أن نقسم مراكز مديرية البحيرة إلى المجموعات الآتية :

١ — مراكز تولى الزيادة فيها الى اكثر من ٢٠٠٪ وتشمل الخيئات الغربية والشالية (أبو المطامير وكفر الدوار والمحمودية) وأول هذه المراكز أبو المطامير إذ بلغت نسبة الزيادة فيه ٣٥٣٪.

٢ — مراكز تروح فيها الزيادة بين ١٠٠٪/٢٠٠،٤٠٪ من مجموع سكان سنة ١٨٩٧ وتشمل مركزى رشيد وأبو حصص ثم بندر دهنهور ويلاحظ أن نمو هذا البندر لا تظهر فيه أى زيادة سريعة غير عادية فى السكان فى الفترة بين أى تعدادين (يستثنى من ذلك الفترة الأخيرة ١٩٣٧ — ١٩٤٧) إذ أن أهمية هذه المدينة كمركز تجارى أو صناعى محدودة ثم ان الاسكندرية القريبة منها أكثر اجتذابا للمهاجرين .

٣ — مراكز تراوح فيها الزيادة بين ٥٠٪/١٠٠،٤٠٪ وتشمل مركزى دهنهور وشبراخيت .

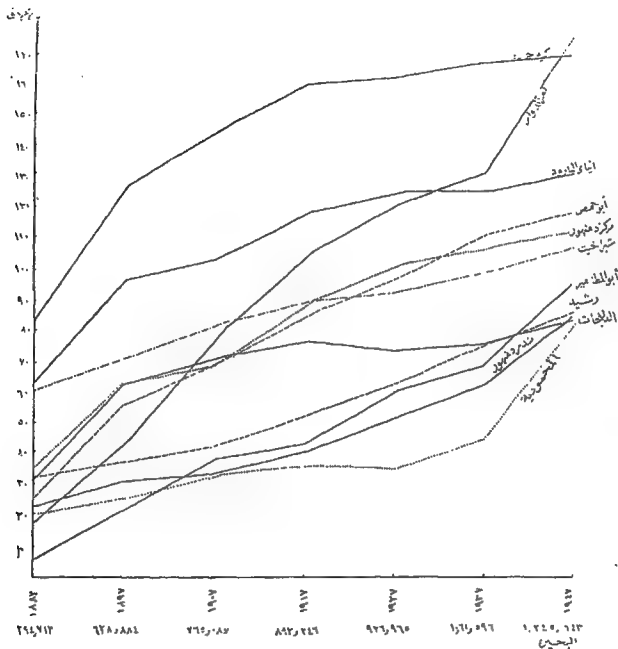
٤ — مراكز تقل نسبة الزيادة فيها عن ٥٠٪ من عدد السكان فى سنة ١٨٩٧ وتشمل مراكز ايتاى البارود والدلتنجات وكوم حمادة ويلاحظ أن هذه المراكز ومراكز المجموعة السابقة تقع كلها فى شرق وجنوب شرق المديرية حيث يصبح مجال زيادة الاراضى الزراعية محدوداً .

[لبحث بقية]

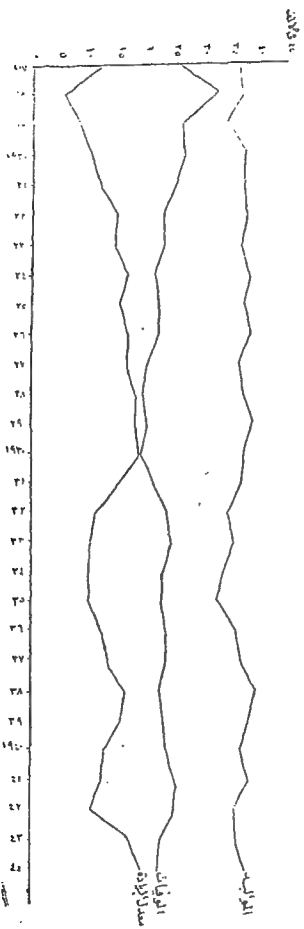
(١) جملة عدد السكان بكل مركز في كل تعداد

من السبعة تعدادات الأخيرة

(١٩٢٧ - ١٩٢٢)



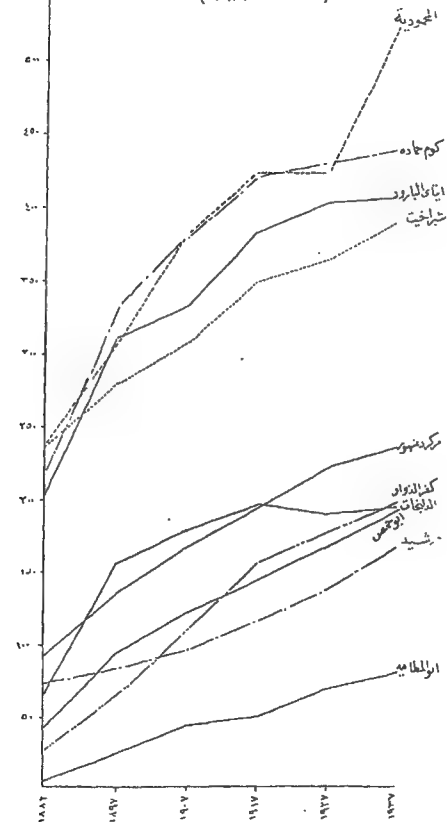
(٢) نسبة المواليد والوفيات ومعدل الزيادة لكل ألف من السكان
في مديرية البحيرة
(١٩١٧ — ١٩٤٤)



(٤) كثافة السكان في مراكز مديرية البحيرة

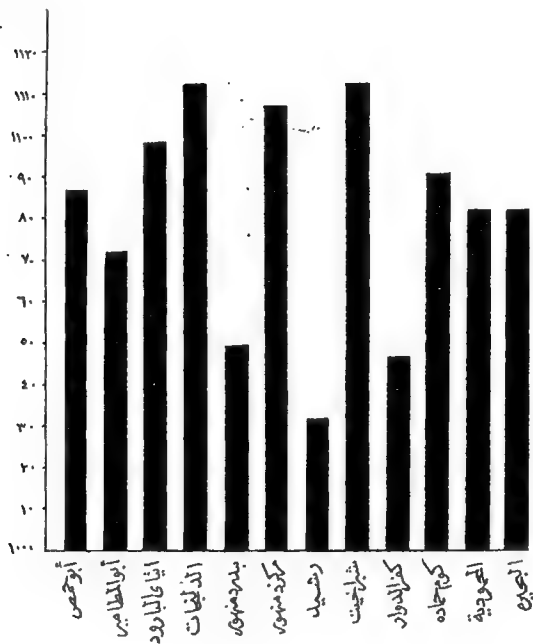
في الستة تعدادات الأخيرة

(١٩٣٧ - ١٨٨٢)

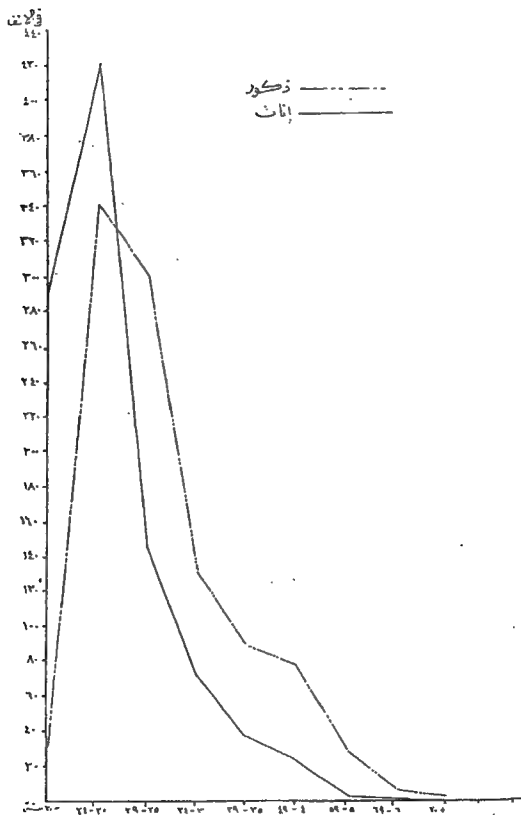


(٦) نسبة الإناث لكل ألف من الذكور
في مراكز المديرية المختلفة
(١٩٤٧)

النسبة في الألف



(٧) الحالة المدنية حسب فئات السن المختلفة
في مديرية البحيرة (١٩٣٥)



مصر والكتاب المقدس

للكنوز اسماعيل على معنوي

لا شك عند الباحثين اليوم في أن الكتاب المقدس بهديه ، أعني القديم والحديث ، استغرق جميعه أكثر من ألف عام ، أو ما يقرب من خمسة عشر قرنا ، كانت مليئة بالأحداث السياسية والتاريخية والمعتقد الدينية المتنوعة المختلفة . ولا شك أيضا في أن الكتاب المقدس من أهم السجلات التي دوت فيها آثار تلك الفترة التاريخية من عمر الشرق الأدنى . ففي العهد القديم مثلا ، وأعني هنا التوراة وسائر الأسفار التي يتكون منها كتاب اليهود المقدس ، نجد حديثا عن الخلق ، وآخر عن الحوادث التاريخية والعلاقات السياسية الخارجية بين مختلف شعوب الشرق الأدنى . ففيه شيء عن مصر ، وشيء عن بابل وأشور ، وشيء عن شعوب الهلال الخصيب ، وشيء عن بعض القبائل العربية ، كما أنه لم يهمل أثر الشعوب الأخرى غير السامية كالإيرانيين مثلا .

والعهد القديم في حديثه عن هذه المواضع ، كان ولا شك حريصا على عرضها لا من وجهة نظر الوحي الإسرائيلي القديم غصب ، بل من وجهة النظر السياسية العامة للشعب الاسرائيلي أيضا .

وغير التاريخ في العهد القديم نجد أيضا أسفار الحكمة والأدب سواء كان في الشعر أو في النثر . ويلاحظ أن هذه الأسفار خاصة الأمثال ، تتصل كما ظهر أخيرا اتصالا وثيقا بهذا الضرب من الأدب الذي عرفته مصر القديمة ، والذي جاءنا على مثال نصائح وعظات من أحتب إلى ابنه .

لذلك كان لا بد وأن تعتبر مصر من الدول ذات الشأن التي عني الكتاب المقدس بها ، كما عنت هي بلفت نظر الوحي الاسرائيلي إليها .

هذه الصلات العديدة المتبادلة بين مصر وبين وطن الكتاب المقدس ، هي التي حدثت بي إلى إجمالها في هذا البحث ، راجيا أن أبين للقارئ* إلى أي حد أثرت مصر في هذا الكتاب .

ونحن قبل أن نتحدث عن مصر والكتاب المقدس يجب علينا قبل كل شيء أن نرجع إلى الوراثة وتبين صلة مصر بوطن الكتاب المقدس . فالنوراثة والانجيل كما نعلم ظهرا في أرض فلسطين . وفلسطين كانت قبل أن يترجح العبريون ومن إليهم إليها آهلة بهذا الشعب السامي الذي عرف في التاريخ تحت اسم الكنعانيين . وعلاقة مصر هؤلاء السكان الأقدمين بفلسطين ، كانت قوية متصلة . ونستطع أن ننظر إليها بين عصور ثلاثة ، أو بتعبير آخر بين علاقة مصر السياسية بهذه البلاد .

فالعصر الأول الذي عرفت فيه مصر الكنعانيين يمتد من فجر التاريخ حتى نهاية الدولة الوسطى في مصر ، أعني ما بين (٢١٠٠ — ١٦٨٠ ق م) ، ويوصف هذا العصر عادة بأنه عصر صفاء ومودة وسلام بين مصر وهذا الشعب السامي الكنعاني ، كما تدل النصوص التي وصلتنا على أنه كان عصر تبادل ثقافي عظيم .

أما العصر الثاني ، فهو العصر الذي اصطلاح على تسميته بعصر المهكسوس وهو يمتد فيما بين (١٦٨٠ — ١٥٨٠ ق م) ، فالمهكسوس وهم شعب سامي تمكنوا من غزو مصر واستيطانها ما يقرب من قرن من الزمان ، ولم يحلوا عنها إلا بعد أن تركوا أثرا قويا في حياة مصر سواء كان من الناحية العسكرية أو النواحي الأخرى .

وأما العصر الثالث فهو كما يسمى بحق العصر الذهبي للدولة الحديثة وهو يمتد من (١٥٨٠ — ٧١٢ ق م) . وقد تمكن فيه المصريون من غزو شعوب الشرق الأدنى خاصة سوريا وفلسطين . وكانت نتيجة هذا الغزو ، أن تزاوجت الثقافات بين الشعبين ، وزاد الاتصال أيام الأسرة الثامنة عشرة حيث نجد تحوتمس الثالث (حوالي ١٥٠٠ ق م) .

فقد استطاع هذا الفرعون أن يخضع سوريا أكثر من مرة . وكذلك في أيام الأسرة التاسعة عشرة حيث نجد زحوس الأول (حوالي ١٣٠٠ ق.م) ورمسيس الثاني (حوالي ١٢٥٠ ق.م) .

وظلت سلطة مصر قائمة على هذه الجهات حتى أيام مفتاح (حوالي ١٢٢٠ ق.م) حيث دالت وانحسرت عن هذه البلاد .

فإذا تركنا هذا التاريخ جانباً واستنطقنا الآثار التي وصلتنا لوجدنا النصب المعروف باسم نصب اسرائيل المكتوب في المصرية القديمة ، يتحدث عن وجود الاسرائيليين في أرض كنعان . وهذا يؤيد ولا شك أن أرض كنعان التي يخضعت لمصر - زهاء ثلاثة قرون (من ١٥٠٠ - ١٢٠٠ ق.م) ، والتي ظلت فيها الثقافة المصرية قائمة حتى بعد هذا ، ورثها الشعب الاسرائيلي ، كما ورث معها هذا التراث الثقافي المصري القديم .

ومن أم الآثار التي تؤيد هذا الرأي ، تلك التي ترجع إلى عهد الدولتين القديمة والوسطى ، وكذلك خطابات قل العارضة (عصر أمينوفيس الثالث والرابع حوالي ١٤٠٠ ق.م) . فهذه الآثار علمتنا أن الثقافة الكنعانية خليط من السامية والمصرية القديمة .

فالكنعانيون يكتبون بالبابلية إلى المصريين ، ومعرفة هذه الكتابة وهذه اللغة قديمة جداً ، وإنها قد ترجع إلى الألف الرابع ق.م ، كما أن هذه الثقافة لم تكن بابلية خالصة ، بل كانت مزيجاً من البابلية والمصرية القديمة . ومن هنا نرى أهمية أثر مصر في الكتاب المقدس .

تحدثنا عن العلاقة بين مصر وأرض كنعان لنهتد للحديث عن مصر وإسرائيل . فالمصادر التي بأيدينا تحدثنا أن هذه العلاقات بدأت منذ عهد سليمان وخصمه الأدومي المسعى حداد (Haddad) فقد تزوج الاثنان أميرتين لفرعون مصرى لم يذكر اسمه وربما يكون من فراعة الأسرة الحادية والعشرين (ما بين ١٠٩٠ - ٩٤٥ ق.م) وتبين هذه العلاقة من النص الآتي :

מלכים א' 1:10 וַיִּתְּחֶנּוּ לְשַׁלֵּמָה אֶת־פָּרְעָה מֶלֶךְ־מִצְרַיִם
וַיִּקַּח אֶת־בֶּת־פָּרְעָה (1000) וַיִּסְחָח 9:16: פָּרְעָה מֶלֶךְ־מִצְרַיִם
עָלָה וַיִּלְבֹּד אֶת־גִּמְרֵי וַיִּשְׁרָפָה בָּאֵשׁ וְאֶת־דִּבְעָנֵי הַיִּשָּׁב בְּעִיר
דָּרָג וַיִּהְיֶה שְׁלֹהֵם לְבָהּ וְאִשֶּׁת שְׁלֹמֹה:

(الملوك الأول 3 آية ١ ، إصحاح 9 آية ١٦ وما بعدها) .

كما نجد (سوسق الأول I Susak) (من ٩٤٥ — ٩٢٤ ق. م)
وهو مؤسس الأسرة الثانية والعشرين بحسب (Jerobeam) كما أنه
أرسل حلة إلى كنعان جاء خبرها في النص الآتي :

(وַיִּבְקֹשׁ שְׁלֹמֹה לְהָמִית אֶת־יֶרֶבְעָם בְּיָמָם יֶרֶבְעָם וַיִּבְרַח מִצְרַיִם
אֶל־שִׁישַׁק מֶלֶךְ־מִצְרַיִם וַיְהִי מִצְרַיִם עַד־מוֹת שְׁלֹמֹה: (1)
(الملوك الأول إصحاح 11 آية 4٠ .

وكذلك

וַיְהִי בַשָּׁנָה הַחֲמִישִׁית לְמֶלֶךְ־רִהְבֶּעַם עָלָה שִׁישַׁק מֶלֶךְ־מִצְרַיִם
עַל־יְרוּשָׁלָּם: (2)

راجع إصحاح 14 آية 2٥

وفي الكرنك نجد ذكرى المدن التي فتحها هذا الفرعون ومنها حقل أبرام .
ثم نجد بعد ذلك حرباً بين أسوركون الأول (Osorkons I) من ٩٢٤ —
٨٩٥ ق. م وبين أسا Asa .

: וַיִּצְאָ אֲסָא לִפְגִּיז וַיַּעֲרֹכוּ מִלְחָמָה בְּגִיָּא צָפְתָּה לְמֶרְשָׁה: (3)

أخبار الأيام الثاني إصحاح 14 آية 9

(1) راجع نفس المصدر ص 1/1٢ وما بعدها .

(2) راجع نفس المصدر ص 14/26

(3) راجع كذلك نفس المصدر ص 16/1

ثم نسمع بعد ذلك في الملوك الثاني عن رسالة الملك الحيثي إلى سوا
حوالي عام ٧٢٥ ق. م وقد كان سوا هذا قائد فرعون مصر وربما كان
هو شاباكاه مؤسس الأسرة الخامسة والعشرين (٧١٢ — ٧٠٠) :

(وַיִּמְצָא מֶלֶךְ־אַשּׁוּר בְּהַתְּשֵׁעַ קִשְׁרָא אֲשֶׁר נִשְׁלַח מִלְּאֻכִּים אֶל־סוּא
מֶלֶךְ־מִצְרַיִם....)

(إصحاح ١٧ آية ٤) .

وفي عام ٧٠١ ق. م زى أن سنحريب هزم جيشا مصرية عند التيكه
(Elteke) تحت رئاسة ترهاقا الأتيوبي

وَيִשְׁמַע אֶל־הַרְקָה מֶלֶךְ־בּוּשׁ לֹא־מָר הָיָה יָצָא לְהִלָּחֵם אִתּוֹ...
(الملوك الثاني إصحاح ١٩ آية ٩) .

وقد نجح بَرْدَقَا فتوج بعد ملكا وملك من ٦٨٨ — ٦٦٣ ق. م
وفي عصره غزا أسر هدون (Asarbaddon) عام ٦٧٠ مصر كما فتح
أشور بانيال مدينة طيبة عام ٦٦٣ (نحميا ص ٣) .

ثم جاءت الأسرة السادسة والعشرون وعلى رأسها حكام أشداء أمثال
بَرْعَا بِذَهِ فرعون نيكو من (٦٠٩ — ٥٩٣ ق. م) الذي ساعد الدولة
الأشورية منذ سقوط نبثوى عام ٦١٢ ق. م فقتل عام ٦٠٨ يوشع عند مجدو
(magiddo) وسجن إِدَوَاكَا (هو آحاز) وتوج أَبْلُكِيْت (يوافيم) ملكا .

بِمִיּוֹ עָלָה בְּרַעְיָה נֶבִיָּה מֶלֶךְ־מִצְרַיִם עַל־מֶלֶךְ אֲשּׁוּר עַל־בְּרַ
פָּרַח וַיִּלָּךְ הַמֶּלֶךְ יֹאשִׁיָּהוּ לְקִרְאָתוֹ וַיְמַיְתֵדוּ בְּמִגְדוֹ: ^(١)

(الملوك الثاني إصحاح ٢٣ آية ٢٩ وما بعدها) .

إلا أن نيوخذ نصر هزم هذا الحاكم المصري عند كر كبش .

(١) راجع أيضا الملوك الثاني ص ٢٢ من الآية ٣٠ — الآية ٢٤

وَلَا دُخَانٌ مِنْهَا وَمِنْهَا شَجَرٌ كُنُسٌ يُسَبَّحُونَ بِهِ هَذَا مَثَلٌ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِئُونَ
 (الملك الثاني إصحاح ٢٤ آية ٧) .

وفي أيام هوفرا Hophra . (من ٥٨٨ — ٥٦٩ ق. م.) نزع كثير من
 من اليهود بسبب تخريب أورشلیم عام ٥٨٦ ق. م إلى مصر حيث كان في مصر
 جالية يهودية يرجع تاريخها إلى القرن السابع ق. م. ومن هؤلاء اليهود الجالية
 التي كانت تقيم في جزيرة الفيلة (١) .

وما كاد يمر التاريخ للمصري ويجلس على عرش مصر البطالمة حتى وفد
 كثيرون من اليهود إلى مصر واستوطنوا الإسكندرية وغيرها من المدن
 خاصة المدينة المسماة (ليوتوبوليس Leotopolis) (اليوم تل اليهودية)
 حيث أسس فيها عام ١٦٨ ق. م. أحد كبار رجال الدين اليهودي الذين
 طردوا من أورشلیم معيداً يهودياً .

زت فمن هذا يتبين لنا أن العلاقات منذ سليمان مع مصر لم تنقطع ولو أن الجالية
 اليهودية في مصر لم تبلغ مكانة محترمة إلا في العصر الهليني في عصر البطالمة
 المتبد من بطليموس الثاني إلى الخامس ، أعني من ٢٨١ — ١٩٨ ق. م .

لذلك لا غرابة في أن نجد الأثر المصري يغفل ويقو في الحياة اليهودية
 سواء في فلسطين أو في خارجها وسواء في العصور القديمة أو في العصور المتأخرة .

وإذا ما عرضنا للعهد القديم وجدنا فيه الكثير من الاشارات التي تشير
 إلى كثير من العلاقات والذكريات الجغرافية والتاريخية بين مصر واسرائيل
 فنلا في سفر يشوع ص ١٥/٩ وكذلك ص ١٨/١٥ نقرأ اسم عين مفتاح
 (אֵין מִתְכַּח) وهذا الاسم يحمل ولا شك اسم الفرعون المصري
 مفتاح . كذلك الخمر الوارد في سفر العدد .

(١) راجع أيضا أرميا ص ٤٦/٢

(٢) راجع أرميا ص ٤٣/٧ ، اشعيا ص ١٩

(והברזו נבדע נזנים נבנתה להני צעו פצרים:)(¹¹)

إصحاح ١٣ آية ٢٢

فهذا الخبر تدبّر منه أن حيرون بنيت قبل تنبّس ، وهو ولا شك يرجع إلى عهد الهكسوس أى حوالى عام ١٦٨٧ ق. م :

وتشير المراجع المصرية إلى أن آخر حصون الهكسوس كان حصن شروخن الواقع في جنوب فلسطين ، سفر يشوع ص ١٩/٦ :
וְיָבִית בְּאַחֶזְתָּהּ וְיִתְרוֹהָ : :

وكثيرون من العلماء يرون في قصتي يوسف وموسى صدى للهكسوس وزمنهم بالرغم من أن يوسف كان وزيرا فقط . ومدينة رمسيس في قبة موسى ترجع ولا شك إلى عصر رمسيس الثاني حوالى ١٢٥٠ ق. م. سفر الخروج .

:..... וַיִּבְנוּ עָרֵי מִסְכְּנָה לְפָרְעָה אֶת־פֶּתֶחַם וְאֶת־דִּעְיָהם:⁽¹²⁾

إصحاح ١١ آية ١١

لذلك اتجهت الآراء أخيراً إلى كثير من الحقائق التاريخية التي نستطيع أن نجعلها في أن كثيراً من الساميين كانوا يعبرون الحدود إلى مصر، كما راجت سوق يبيع العبيد من الساميين في مصر ومن هؤلاء العبيد من ارتقى في وظائف الحكومة حتى صار وزيراً مثل يانجامو (Junchamu) الذي جاء ذكره في رسائل تل العمارنة ، والذي كان يهوى أرض كنعان بالقلال . كما يتبين من هذه النصوص التاريخية القديمة أيضاً وجود أسماء مصرية في عائلة موسى فمثلاً لفظ موسى قد يكون معناه *وُلد* أو *ابن الماء* وكذلك اسم بنخاس (Pinchas) أى (أسود) وغير ذلك كثير . فهذان الاسمان وغيرهما قد أخذوا ولا شك عن المصريين .

أما حديث العهد القديم عن جماعة مصر الوارد ذكرها في تكوين ص ٤١

(11) n. pr. loc. Tanis : in Egypt. (W. gesenius P. 858). *צעו*

(12) Ramses, city in Egypt built by Rameses II. (W. gesenius P. 947) *רַעֲיָהם*

وكذلك حديثه عن امرأة فوطيفار (Potiphar) سفر التكوين ص ٣٩ ، وقصة خروج موسى سفر الخروج ص ١ ، والسحرة سفر الخروج ص ٧ - ٨ ، فكلها قصص ناس فيها الأثر المصري ، خاصة هذه الأسماء المصرية القديمة الواردة فيها ، والتي بمقتضاها نستطيع إرجاع هذه القصص إلى أوائل الألف الأول ق. م . فمثلا نلفظ بوتيفيرا (Potiphra) معناه في المصرية القديمة ذلك الذي يعطيه الإله رع . واسم أنثا (Asnath) أعني التابعة للإلهة نيث (Neith) وكذلك الاسم سنفثا بناخ (Safnath Paneach) معناه (إله يتكلم) وهو (الغلام يميني) أبو (يعيش)
وهكذا نجد العهد القديم غنيا بالأسماء المصرية والتعبيرات المصرية والمقائيد المصرية .

كما نجد أيضا طريقة اختيار الملك شاول ، كما يصورها لنا سفر صموئيل الأول ص ١٠/١٧ وما بعدها ، وقتل الأطفال في بيت لحم انجيل متى ص ٢ ، وولادة المرأة في السماء الواردة في الكتب المنسوبة إلى الكتاب المقدس مأخوذة جميعها عن أسطورة إيزيس^(١)

وإلى جانب أدب القصص المصري وأثره في الأسرائيليين ذكرنا فيما مضى شعر الحكمة المصري والدور الذي قام به في الشرق الأدنى . والآن نضيف إلى هذا أن تلك الأمثال المنسوبة لسليمان خاصة تلك الواردة في ص ٢٧/١٧ إلى ص ٢٣/١١ فهي مترجمة ترجمة تكاد تكون حرفية عن تعاليم أمينوموبه (Aminomope) . وبغير هذه الأمثال نجد الكثير المنتشر بين طيات الكتاب المقدس .

كذلك سفر أيوب على جانب أسلوبه الفلسفي الديني الذي استعمله خاصة هذا الأسلوب الحوارى فأننا نجد فيه عنصرا مصرية أخرى وهو هذه الصور المستعارة من الحياة المصرية والطبيعة المصرية . ففي سفر أيوب

(١) راجع صموئيل الأول ص ١٠ من الآية ١٧ - ٢٤ ، وكذلك انجيل متى الانجيل الثاني ، وكذلك Apok. 12.

نجد وصفا للحيوان المعروف باسم بهيموث (Behemoth) والتساح وفرس البحر وليفيثان (Leviathan) (أيوب ص ٤٠) .

وإذا ما تركنا العهد القديم ولجأنا الى كتاب آخر من الكتب التي لا تقل قداسة عن العهد القديم أعني سفر يسوع بن سيرا ح ٣٨/٢٤ وما بعدها فأننا نجد يتحدث عن كثير من الحكم والأمثال التي سبقه اليها المصريون بالرغم من تفاوت العهد بين حياة اليسوع بن سيرا ح وبين العصر الذهبي للدب المصري القديم . وإذا ما فرغنا من العهد القديم وعرجنا على العهد الجديد وجدنا شيئا يشبه هذا . أعني وجدنا الأثر المصري في العهد الجديد لا يقل روعة وقوة عنه في العهد القديم .

في العهد الجديد نقرأ مثلاً في انجيل لوقا ١٦/١٩ وما بعدها قصة الرجل الفنى والفقيز ، كما نقرأ في لوقا أيضاً ١٦/١ وما بعدها قصة صاحب البيت الظالم . والقصتان ترجعان الى كتب الأمثال المصرية .

وحتى القصص الخرافية التي نجدها في كورنثوس الاول ص ١٢/١٤ وما بعدها والتي سبق أن عرض لها اشعيا ص ١٠/١٥ وما بعدها . حتى هذه القصص نجد أصولها في مصر القديمة .

وإذا تركنا الأثر الأدبي والثقافى والفلسفى فى الكتاب المقدس وانتقلنا الى العادات والتقاليد ، وجدنا كثيراً من عادات مصر وتقاليد أهلها تنتقل إلى الاسرائيليين وتكون ركناً هاماً من أركان العقائد الاسرائيلية مثل الختان وتشيد المعابد وما إليها .

من هذا العرض نرى أن دراستنا للعهد القديم أو الكتاب المقدس عامة يجب قبل كل شئ أن تدرس على ضوء ثقافات بلاد الشرق القديم خاصة مصر .

حول بحث "أول من وضع النحو"

للمؤستاذ عبر الوهاب محمود

نشرت المجلة في الجزء الثاني من المجلد العاشر بحثنا طريفا للأستاذ الجليل إبراهيم بك مصطفي في موضوع « أول من وضع النحو » . وهو بحث ألقاه في مؤتمر المستشرقين ، جاء الأستاذ فيه برأى طريف خالف فيه السابقين واللاحقين من مسلمين ومشرقين .

بعد أن عرض الأستاذ لروايات المؤرخين ، بدله أن ينتهج منهجا جديداً وصل منه الى أن هذه التواعد النحوية التي كتب لها هذا العمر الطويل — على حد تعبيره — أول من نهج سبيلها هو عبد الله بن أبي اسحق المتوفى سنة ١١٧ هـ ، لا كما يقول الرأي السائد بأن واضعها أبو الأسود الدؤلي .
سند الأستاذ في هذا الرأي هو :

(أولاً) أن عبد الله بن أبي اسحق أقدم من نسب إليه سيويه آراء نحوية ، فقد ذكره في كتابه ست مرات .

(ثانياً) أن الأستاذ لم يجد في كتاب سيويه ولا في بعده من الكتب رأياً نحوياً نسب الى أبي الأسود ولا الى طبقتين من بعده .

(ثالثاً) أن ما قام به أبو الأسود من نقط المصاحف على طريقته هو عمل يرجع الى ضبط المصحف لا الى النحو .

(رابعاً) أن الأمر قد اختلط على الرواة في نسبتهم النحو الى أبي الأسود ، وسبب هذا الاختلاط أنهم كانوا يريدون بالنحو ضبط الكلام على سبيل العرب وسنمها في القول . وهذا هو ما جاء في اللسان والمخاض لابن جني يصدد

تعريف النحو . ثم لما تقدم الرواة في البحث جعلوا لهذا النحو سببا فقالوا:
في الكلمة ترفع لأنها فاعل ، وسموا ذلك علل النحو . ثم تقدموا بعد ذلك
خطوات في التعليل .

(خامسا) كثره الناس أن ينسب شيء إلى زياد ، وحجهم أن ينسب كل
شيء إلى علي وشيعته ، جعلهم يروجون نسبة وضع النحو إلى علي بن أبي طالب
نخفت الحقيقة حتى أن أن يجعلها البحث في كتب النحو ذاتها لا في أخبار
الطبقات .

هذه هي خلاصة واقعة لنحو الأستاذ وأسائده .
وإني أخالف الأستاذ في النهج الذي اتبعه وفي الإحتياط الذي
استعمله وذلك :

(أولاً) إن عدم سبق كتيب النحو لكتاب سيبويه في النقل عن العلماء
الذين تقدموا عبد الله بن أبي إسحق ، وبين دليل على أن أولئك الأئمة
لم يكن لهم سبقي في التفكير في النحو ، ولم يقوموا بأية محاولات تصبح
أن تعتبر نواة ، كما اعتبرت محاولات عبد الله بن أبي إسحق نواة ، إذ ليس
من السهل طرح جميع الروايات ، التي رويت في وضع أبي الأسود للنحو
أو للعربية ، كما هو نفس غالب الروايات . وكان لتضعيف الروايات ورفضها
قوانين وقواعد وضعها علماء الرواية .

ـ (ثانياً) اتنا إذا رجعنا إلى ما ذكره سيبويه في كتابه :رواية
عن ابن أبي إسحق ، ونجدناه لا يخرج عن محاولات رواياتهم قد قام بمثلهم
من سبقوا ابن أبي إسحق ، كيعقوب بن يعقوب وعبد الرحمن بن هرم ، بن نصر
ابن عاصم ، غير أن ميدان هؤلاء هو كتب القراءات لا كتيب النحو ،
فقد كانوا جميعاً في أول أمرهم من القراء حتى ابن أبي إسحق
سبوي سيبويه عن ابن أبي إسحق أنه قرأ قوله تعالى : (يا ليتني فرد
ولا فيكتب) بآيات يدلنا ويكون من المؤمنين) ويذهب إلى ولا فيكتب

ويكون - وهذه هي إحدى المرات الست التي اعتمد عليها الأسياد
في نهجه الجديد .

وروت كتب القراءات عن يحيى بن يعمر وهو شيخ ابن أبي اسحق
أنه قرأ قوله تعالى (كبرت كلمة تخرج من أفواههم) برفع « كلمة » على الناقلة
وروت عن ابن هرم أن قرأ قوله تعالى (قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها
ويسفك الدماء) ينصب الكاف من ويسفك .

وقرأ ابن هرم أيضا قوله تعالى (بل ملة إبراهيم حنيفا) برفع ملة .
وهو خير مبتدأ مجزوف أى بل الهدى ملة .

وقرأ يحيى بن يعمر وابن أبي اسحق قوله تعالى (ثم آتينا موسى الكتاب
تماما على الذي أحسن) برفع النون في (أحسن) .

ليس هذا فقط بل وردت عن أبي الأسود الدؤلي نفسه مناقشة نحوه
في بيت من الشعر تشبه تماما إحدى المرات الست التي روت عن ابن أبي
اسحق في كتاب سيبويه وكانت سرياً في نهج الأسياد الجديد .
جاء في سبط الإله وأمالى المرتضى والأغاني والكامل للسرد وإنباه
الرواة للقفطى أن أبا الأسود قال برد على أصهاره بنى قشير وكانوا عمانية ،
وهو من المشهورين بالتشيع في على .

يقول الأزدلون بنو قشير طوأل الدهر لانتسى عليا
فقلت لهم وكيف يكون تركي من الإعمال ما يقضي عليا
أحب محبداً حباً شديداً وعباسا وحمزة والوصيا
بنو عم النبي وأقربوه أحيى الناس كلهم إليا
فإن يك حرمهم رشداً أضيئ وليس بخطئ إن كان غيا

روى ابن الأنباري بسنده عن أبي عبيدة العنزي قال : كتب معاوية
إلى زياد كتابا وقال للرسول إنك ستري إلى جانبه رجلا ، فقل له إن أمير

الذين يقول لك قد شككت في قولك (فإني لك) . فقال له ، فأجاب
أبو الأسود لاعلم لك بالعربية ، قال تعالى : (وإنا أو إياكم لعلى هدى
أو في ضلال مبين) فسكت معاوية لم يبلغه احتجاج أبي الأسود ، وهو يريد
أن يقول أفترى الله شك ؟

على أنى لا أمتنع أن يكون لابن أبي اسحق تفوق في القياس ، وشخصية
في التعليل ، ولكن ذلك لا يكتفى في أن نسلب المتقدمين جهدهم ومحاولتهم
في اتجاهات هذا العلم — علم النحو .

(ثالثا) إذا علمنا أن ابن أبي اسحق أخذ عن ميمون الأقرن وعن يحيى
ابن يعمر وعنسة التليل ونصر بن عاصم ، وكل هؤلاء أخذوا عن شيخهم
أبي الأسود الدؤلى ، فهل غريب في العقل والعادة أن يكون التلميذ ممثلا
لاتجاهات أساتذته ، ومشخصا لآراء شيوخه وصورة لهقليتهم واتجاهاتهم .

(رابعا) كيف يسوغ في العقل أن رجلا مثل أبي الأسود ، وقد وصفه
المحافظ في البيان والتبيين والبكرى في اللائحة بأنه كان خطيبا عالما ، وكان قد جمع
شدة في العقل ، وصوابا في الرأي ، وجودة في اللسان ، وقول الشعر والظرف .
كيف يسوغ أن رجلا كهذا ، وحوله المجتمع يعجب باللحن تارة في القرآن
الكريم ، وتارة في غير القرآن الكريم ، ثم هو لا يفكر في موانع لهذا اللحن
وضوابط لهذه العربية ، فكما سلم الأستاذ لأبي الأسود بما اخترعه من النقط
ضابطا للمصحف ، كان ينبغي أن لا يمنع عليه التفكير في ضوابط أولية
ساذجة لهم يبدى بها الإعاجم في كلامهم وتكون لهم حواجز من اللحن
وقد فشا ، حتى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال حين لحن رجل بمحضرتة
« أرشدوا أخاكم فقد ضل » وقال أبو بكر ، لأن أقرأ فأسقط أحب إلى
من أن أقرأ فألحن . وكتب كاتب أبي موسى الأشعري إلى عمر قال
فكتب إليه عمر : أن اضرب كتابك سوطا واحدا ، وروى عن النبي
صلى الله عليه وسلم أنه قال : « أنا من قرئش ونشأت في بني سعد فأني لى اللحن »
وغير ذلك من أخبار اللحن وهي كثيرة .

(خامساً) إن ذهاب الأثر في بطون التاريخ لا يسقط من قيمة الرواية خلو فرضنا أنه ليس هناك من أثر كتابي لأبي الأسود وتلامذته قبل ابن أبي اسحق ، لا يدل هذا على أن الرواية ساقطة وغير صحيحة ، وإلا فأين القرآن الكريم الذي كان يأمر صلوات الله عليه كتاب وحيه بكتابه على الرفاع والخاف والعصب ؟ بل أين القرآن الكريم الذي نسخ منه في العرصة الأخيرة مانسوخ كما وردت بذلك الأخبار الصحيحة ، بل أين المصحف التي جمعها أبو بكر ؟ فإذا قلنا إن هذه ممثلة في المصحف الامام الذي أمر بكتابه عثمان بن عفان ، فنقول قياساً على هذا إن الآراء الساذجة الأولية التي رسمها أبو الأسود وتلامذته في العربية قد نجدها ممثلة فيمن جاء بعدهم . ولا مانع عندي من ذلك . ولا سيما إذا رجعنا إلى ما ذكره صاحب التهرست واعتبرناه وقد كان كثير البحث والتفتيش عن الأمور القديمة ، كثير الرغبة في الكتب وجمعها وذكر أخبارها وأخبار مصنفها ومعرفة خطوط المتقدمين ، كما ذكر ذلك التفطى في كتابه « إنباء الرواة على أنباء النحاة » .

يقول صاحب التهرست :

كان بمدينة الخديثة رجل يقال له محمد بن الحسين جماعة للكتب له خزانة لم أر لأحد مثلها كثيرة تحتوي على قطعة من الكتب العربية في النحو واللغة والأدب والكتب القديمة ، فأخرج لي قطراً كبيراً فيه نحو ثلثمائة رطل ، جلود وصكاك فيها تعليقات عن لغة العرب . ورأيت ما يدل على أن النحوي من أبي الأسود ، ماهذه حكايته وهي أربع أوراق وأحسبها من ورق الصين ترجمتها « هذه فيها كلام في الفاعل والمفعول من أبي الأسود — رحمة الله عليه — بخط يحيى بن يعمر » ونحت هذا الخط بخط عتيق « هذا خط علان النحوي » ونحته « هذا خط النضر بن شميل » .

قال ابن النديم . ثم لما مات هذا الرجل فقدنا التمطر وما كان فيه ، فما سمعنا له خبراً ، ولا رأيت منه غير المصحف ، هذا على كثرة بحثي عنه .

وذكر ياقوت في معجمه في ترجمة ابراهيم بن عقيل النحوى الدمشقي
أبي اسحق القرشي المعروف بابن المكبري :

«قال ابن عساكر: وكان أبو اسحاق يذكر أن عنده تعلية أبي الأسود
الدؤلى ، التي ألقاها اليه على بن أبي طالب كرم الله وجهه ، وكان كثيراً
ما يعد بها أصحابه ولا سيما أصحاب الحديث ولا يفي الى ان كتبها عنه بعض
تلاميذه الذين يقرءون عليه . وهذه التعلية هي في أمالي أبي القاسم الزجاجي
نحو ما من عشرة أسطر » .

بعد كل هذا ، لنا ماخذ على البحث :

الماخذ الأول : قول الأستاذ أن المرحوم صادق الرافعي قال في كتابه
« تاريخ الأدب » ان معرفة واضع النحو في العربية يكاد يكون معضلة .
وكنت أود أن يكون الأستاذ دقيقاً في نقله .

أولاً : إن اسم كتاب الرافعي « تاريخ آداب العرب » لا تاريخ الأدب .
ثانياً : إن الرافعي لم يذكر ان معرفة واضع النحو معضلة وإنما هو
يقول في ص ٣٣٥ من الجزء الأول :

« أما تاريخ وضع النحو فلا سبيل إلى تحقيقه البتة » وذلك لأن الرافعي
كان بصدد تحديد تاريخ الوضع ، لا الوضع حيث يقول في الصفحة نفسها :
« في وضع النحو أقوال كثيرة ، والتبقات تجمعون على أن أبا الأسود أخذه
عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه . ولكن العلماء جميعاً أغفلوا ذكر التاريخ
الذي كان فيه ذلك الوضع . فلا سبيل الى تحقيقه البتة » .

أما واضع النحو فقد ذكر الاديب الكبير الرافعي ، في مواطن متعددة
من كتابه أنه يوافق على أن واضعه هو أبو الاسود الدؤلى ، (راجع
ص ٢٤١ ، ٢٨٧ ، ٣٣٥) .

وإنما الذي ذكر ذلك هو الأستاذ الجليل أحمد بك أمين في ضحى
الاسلام فربما اخطط الامر على ابراهيم بك مصيطفى . فقد ذكر

الأستاذ أحمد أمين في صفحة ٢٨٥ من الضحى الجزء الثانى « وتاريخ النحو في منشته غامض كل الغموض » .

لما أخذ الثانى : ذكر الأستاذ فى البحث :

أن الذى قام بضبط المصحف الضبط الاول بجمع الناس على حرف واحد هو أبو بكر الصديق .

وهذا رأى يكاد يخالف فيه الأستاذ جميع الباحثين المحققين ، وليس له سند فيه من رواية صحيحة أو غير صحيحة . وهو يخالف لطبيعة الأشياء التى هى البواغى التى حملت أبا بكر بعد إشارة عمر على جمع القرآن فى المصحف فإن الروايات الصحيحة جميعها فى البخارى وغير البخارى تبص على أن عمر ابن الخطاب « دخل على أبى بكر فقال إن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم باليمامة يتهافون تهافت الفرائس فى النار ، وإنى أخشى أن لا يشهدوا موطننا إلا فعلوا ذلك حتى يقتلوا ، وهم حملة القرآن فيضيع القرآن ويقتل ، فلو جمعته وكتبته » .

فأبو بكر رضى الله عنه لم يجمع القرآن لحديث خلل فى قراءته ، وإنما جمعه خوفاً من ذهاب حملته بقتلهم فى الغزوات . وكان جمعه له بالأحرف السبعة والناس ظلوا يقرءون بها إلى زمن عثمان .

وقد ذهب إلى هذا رأى « ميور » فى كتابه « حياة محمد » ص ٢٠ من المقدمة . وكذا نيكلسون فى كتابه « التاريخ الأدبى للعرب » ص ١٤٢ ، وهو الرأى الذى ذهب إليه دائرة المعارف البريطانية فى مادة « قرآن » :

هذا وإذا أخذنا برأى الأستاذ من أن صحف أبى بكر جمعت الناس على حرف واحد ، فلم إذن قزىخ عثمان بن عفان ؟ وكون لجنة رئيسها زيد بن ثابت لكتابة المصحف الامام الذى أجمع عليه الصحابة . ثم كيف يمكن تفسير وجود مصاحف لبعض الصحابة كصحف ابن مسعود ، ومصحف أبي بن كعب ، ومصحف عائشة ، وهى لم تكن على الحرف الواحد الذى يزعم الأستاذ أن أبى بكر جمع الناس عليه :

المتأخذ الثالث : قول الأستاذ « ان الخليفة الثالث عثمان نشر هذا المصحف في الأمصار ليقرأ منه القارئون » .

والروايات الصحيحة تقول أن الباعث لعثمان على الجمع يختلف عن الباعث لأبي بكر على الجمع .

فإن عثمان رضي الله عنه لم يجمع القرآن إلا بعد أن رأى اختلاف الناس في القراءة حتى أن بعضهم كان يقول قراءتي خير من قراءتك ، بل ذهب بعضهم إلى تكفير بعض ، كما يروى البخاري ، غشي حذيفة بن اليمان أن يختلف المسلمون في الكتاب اختلاف اليهود والنصارى ، ف أشار على عثمان بالجمع .

قال أبو بكر الباقلائي في الانتصار ، لم يقصد عثمان قصد أبي بكر في جمع نفس القرآن بين لوحين ، وإنما قصد جمعه على القراءات الثابتة المعروفة عن النبي صلى الله عليه وسلم وإلغاء ما ليس كذلك ، وأخذهم بمصحف واحد لا تقديم فيه ولا تأخير ولا تأويل أثبت مع تنزيل ، ولا منسوخ تلاوته كتب مع مثبت رسمه .

فصاحف عثمان مشتملة من الأحرف السبعة على ما يحتمله رسمها . وهي تدفع للقراءات التي يقرأ بها القراء اليوم . أما ما لا يتفق مع رسم المصاحف الثمانية فلا تجوز القراءة به ، وفي هذا ضبط للقراءات وتحديد لألفها وحصر ليدانها .

ثم للإستاذ أخطاء منهجية ينبغي أن تذكرها :

١ — لا ترى صلة بين موضوع البحث وهو « أول من وضع النحو » وفكرة جمع القرآن زمن أبي بكر وزمن عثمان ، فإن هذه الفكرة أقدمت على موضوع البحث إجحاما ، فهي ليست من النحو في شيء .

٢ — كان منهج البحث يقتضى الأستاذ أن يبين لنا ما مراده بالحرف الواحد الذي جمع أبو بكر الناس عليه كما يزعم ، حتى تعرف صلة ذلك الحرف الواحد بالقراءات التي يقرأ بها اليوم في الأمصار .

٣ — عدم تحريره في العبارة فقد قال :

« يلاحظ أول ما يلاحظ أننا لم نجد في كتاب سيويه ولا فيما بعده من الكتب رأياً نحويًا نسب إلى أبي الأسود ولا إلى طبقتين من بعده » مفهوم هذه العبارة أنه لم نجد ذلك إلى الطبقة الثالثة .

ثم يذكر بعد ذلك :

« أن الزيدى جعل النحاة طبقات ، الطبقة الأولى طبقة أبي الأسود والثانية طبقة نصر بن عاصم ، والثالثة طبقة عبد الله بن أبي اسحق ، ولم نجد لأحد من علماء الطبقتين الأولى والثانية شيئاً من الآراء النحوية » .

مفهوم العبارة أنه لم نجد رأياً نسب إلى طبقة واحدة بعد طبقة أبي الأسود لا إلى طبقتين من بعده ، كما هو مفهوم العبارة الأولى .

بعد كل هذا نكاد نجزم أن الأستاذ إبراهيم بك مصطفى حين بحثه هذا كان — كما يقول النقاد القدماء — ينظر إلى بحث الأستاذ أحمد أمين بك في ضحى الإسلام ، وكان متأزماً به ، من غير أن يشير إلى ذلك ولو إشارة طارة . وهو في ذلك يشبه موقفه حين ألف كتاب « إحياء النحو » فقد كان ناظراً حينذاك إلى كتاب « ابن مضاء القرطبي » وقد كان مخطوطاً ، أما الآن وقد أصبح مطبوعاً تسهل مراجعته ومقابلته .

أما دليل دعوانا فسنقتصر فيه على ذكر أمثلة ثلاثة تكفي في الإقناع مع ملاحظة أن أسلوب الأستاذ أحمد أمين هو أسلوب العالم المتعدد المتروى . المتحفظ الذي لا يقطع بالرأى ولا يت بالاستنباط ، شأن الباحث في أمور للرأى مجال واسع للاخذ والرد فيها .

١ — يقول الأستاذ أحمد أمين
ص ٢٨٥ : ذكروا أن واخضع النحو
أبو الأسود الدؤلي بل منهم من نسبته
إلى علي بن أبي طالب .

وكل هذا حديث خرافة .
فطبيعة زمن علي وأبي الأسود تأتي
هذه المعاريف وهذه التقاسيم الفلسفية .

١ — يقول الأستاذ إبراهيم
مصطفى : هذه جملة ما يمكن أن تشير
إليه هذه النقول ، ولكننا لانستطيع
أن نستسيخ أن هذا الزمن المبكر
قد تمكن فيه العرب من الاشتغال
بالعلوم ووضع القواعد على هذا الوجه
الذي نراه في كتب العرب .
وقد أنكر ذلك المستشرقون
وعدوه حديث خرافة .

٢ — يقول الأستاذ أحمد أمين
ص ٢٨٦ : يظهر لي أن نسبة النحو
إلى أبي الأسود لها أساس صحيح
وذلك أن الرواة يكادون يفتقون
على أن أبا الأسود قام بعمل من هذا
النمط وهو أنه ابتكر شكل المصنخف
بالنقط ووضع الخط في ذلك وأمر
الكتاب أن يسروا على هذا النمط .
وواضح أن هذه خطوة أولية
في سبيل النحو تنبئ مع قانون
النحو . ويمكن أن تأتي من أبي الأسود
وواضح كذلك أن هذا يلتفت النظر
إلى النحو . فعلم أبي الأسود يسلم
إلى التفكير في الاعراب ووضع
القواعد له . أضف إلى هذا أن النحو
لم يكن في العصور الأولى مفهوما

٢ — يقول الأستاذ إبراهيم
مصطفى : فعمل أبي الأسود هو
نقط المصنخف ، كما أشارت إليه
الروايات وكانوا يستعملون ذلك ضبط
الكلمات بالنحو أو بالعربية . فإذا
اختلفوا في كلمة قالوا النحو كذا
أو العربية كذا . ويجب لي لنا سبب
اختلاط الأمر على الرواة وتقديمهم
بنسبة النحو إلى أبي الأسود أنهم
كانوا يريدون بالنحو ضبط الكلام
على سبيل العرب وسمتها في القول .
قال ابن جني في أول الخصائص
يعرف النحو :
« النحو انتحاء سمت العرب
في القول » .

منه هذا المعنى الدقيق الذي نعرفه
اليوم :

بل إن ابن خني نفسه وهو من
المتأخرين، يعرف النحوي بأنه « انتحاء
سمت كلام العرب في تصرفه من
إعراب وغيره » .

٣ — يقول الأستاذ أحمد أمين
ص ٢٨٩ : وبدأ البصريون يستعملون
القياس ويوسعون به مسائل النحو
وكان من أسبق الناس في ذلك ابن
أبي اسحق الحضرمي ، فهم يقولون
أنه كان أعلم أهل البصرة وأقلهم ،
ففرع النحو وقاسه .

ومع هذا فلا نظن أنه كان يعلم
كثيراً من النحو الذي عرف في عهد
سيبويه . فقد روى عن يونس أنه
سئل عن علم ابن أبي اسحق من علم
الناس اليوم (أيام يونس) فقال
يونس « لو كان في الناس اليوم من
لا يعلم إلا علمه لضحك منه » ذكر
ذلك ابن سلام في طبقاته .

واكنهم لما تقدموا في البحث
جعلوا لهذا النحو سبباً وعللاً وسموا
ذلك علل النحو .

٣ — يقول الأستاذ إبراهيم
مصطفى أما هذه القواعد النحوية
التي كتب لها هذا العمر الطويل .
فإن أول من بهج سبيلها عبد الله ابن
أبي اسحق ونجد لذلك اشارات
في الروايات .

فابن سلام يقول « وكان أول
من بهج النحو ومد القياس والعلل
عبد الله بن أبي اسحق » .

ولكن ابن أبي اسحق تروى
عنه مسائل قليلة ويتردد اسمه نادراً
ويظهر أنه بدا التفكير النحوي ولم
يستنبط كثيراً من قواعده .

ففي نزهة الالباء أن يونس بن
حبيب سئل عن عبد الله بن أبي
اسحق ومزله في النحو فقال لو كان
في الناس من لا يعلم إلا علمه
اليوم لهزى به .

ونحن نرى أن نقل الأستاذ أحمد أمين عبارة يونس بن حبيب
أصدق وأدق . فإن هذه الرواية هي في طبقات ابن سلام وأخبار النحويين
البصريين للسيرافي . وليس لها وجود ولا ذكر في كتاب نزهة الالباء
كما نقل ذلك الأستاذ إبراهيم مصطفى .

هذا إلى أن صحة العبارة هي كما ذكرها الأستاذ أحمد أمين (لضحك منه)
لا كما ذكرها الأستاذ إبراهيم مصطفى (لهزئ به) .

وبعد فقد وددت مخلصاً لو أن الأستاذ استصحب الدقة في بحثه والتزوى
في استنباطاته ولا سيما في بحث يلقى بين يدي المستشرقين في مؤتمر
من مؤتمراتهم وهم أشد الناس عناية في تقوُّلهم وتجريراً لبحوثهم واتساعاً
في استقصاءاتهم

آثار السهروردي المقتول

تصنيفاتها وخصائصها التصوفية والفلسفية

للككتور محمد مصطفى علمي

(١)

تمهيد : السهروردي بين المتقدمين والمتأخرين

خلف حكيم الاشراق يحيى بن حبش بن أميرك السهروردي المقتول كثيراً من الآثار المنشورة والمنظومة في كثير من الموضوعات التصوفية والفلسفية ، وكتب بعض هذه الآثار بالعربية ، وبعضها الآخر بالفارسية ، وطائفة ثالثة منها بالعربية ثم ترجمها إلى الفارسية ، وكلها يؤلف تراثاً ذوقياً وعقلياً له قيمته الكبرى وخطره العظيم في تاريخ الحياة الروحية الإسلامية . وقد ذكر أكثر الذين ترجموا لشيخ الاشراق طائفة من هذه الآثار فأثبتوا أسماءها ، واختاروا مقتطفات منها ، وأشار أقلهم إلى محتويات بعضها ، أو العلوم التي وضعت فيها : فابن أبي أصيبعة وابن خلكان وياقوت والشهرزوري ، كل أولئك وكثير غيرهم من المؤرخين والمترجمين قد حدثونا عن آثار حكيمنا أحاديث تختلف إجمالاً وتفصيلاً ، وتتفاوت ضبطاً واضطراباً .

على أن الشهرزوري يمتاز من بين هؤلاء المؤرخين والمترجمين بأنه هو الذي انفرد بذكر ثبت يعد أعم وأتم وأشمل لآثار السهروردي وذلك بالتقاييس إلى ما أورده غيره في هذا الصدد : فقد بلغت عدة الآثار التي أثبتها الشهرزوري في ترجمته للسهروردي ثلاثة وأربعين كتاباً ورسالة ، فضلاً عما ذكره من مقتطفات منشورة ومنظومة تصوم أسلوب شيخ الاشراق في النثر والنظم ،

وما اصططنه في هذا الأسلوب من رموز وإشارات ومصطلحات فلسفية وتصوفية ، تعبر عن بعض منازعه في الحكمتين البحيية والذوقية ، وعما صبح به مذهبه من صبغة إشراقية ، على حين يقف غير الشهرزورى عند ذكر أسماء لطائفة محدودة من الكتب والرسائل ، ويقنع بانبات مقالات أو أبيات معدودة من بين الآثار الخفية الحافلة العديدة التى خلّفها حكميم الاشراق .

على أن من المصنفات التى يعدها الشهرزورى كتباً ورسائل لم تصل إليها أيدينا بعد ، وكتباً ورسائل أخرى نشر أقلها وما يزال أكثرها مخطوطاً حتى الآن ، وتوجد منه نسخ خطية تختلف كثرة وقلة في مكتبات الشرق والغرب . يضاف إلى هذا أن صحة نسبة بعض ما يذكره الشهرزورى إلى السهروردي ما تزال في حاجة إلى دراسة تحقيق وموازنة تكشف عن وجه الحق فيها . ونهنا يمكن من شيء ، فإن ثبت الشهرزورى لآثار السهروردي يمكن أن يعد ثباتاً كلياً إذا قيس إلى ثبوت غيره الذى أخض خصائصها أنها جزئية ذكرت شيئاً وأغفلت أشياء ، وما أغفلته كان أكثر بكثير مما ذكرته . فثبت الشهرزورى من هذه الناحية له أهميته وقيمتة في أنه يستوعب آثار حكيمينا كلها ، ويكشف إلى جانب هذا عن بعض الخصائص التصوفية والفلسفية التى يمتاز بها بعض هذه الآثار ، وذلك من خلال القصائد القصاير والطوال والعبارات المقتضبة والمسهبه التى يوردها في آخر ترجمته للسهروردي ،

على أن هذا النقص الذى نلاحظه على التصنيفات الجزئية التى أوردها المترجمون المتقدمون لآثار السهروردي ، والذى يشق بينها إلى حد بعيد ، ويشترك معها فيه تصنيف الشهرزورى الكلى إلى حد ما ، قد وجد في فريق من الباحثين المتأخرين من حاول إكائه : حاجي خليفة في كتابه (كشف الظنون عن أسامى الكتب والفنون) ، وبروكلمان في كتابه (تاريخ الأدب العربى) ، وهنرى كوربان في مقدمة طبعته التى نشر فيها آثار السهروردي تحت عنوان (الأعمال الميثاقية والتصوفية) ، وريت في مقاله المنشور

بمجة (الاسلام)^(١) ، قد حاول كل منهم على طريقته ، وفي حدود المواد التي جمعت لديه ، أن يقدم تصنيفاً ما لكتب حكيم الاشراق ورسائله ، ولما وضع على بعضها من شروح وتعليقات . وليس من شك في أن الجهد الذي بذله هؤلاء الباحثون المنقبون عن الأسفار خلاق بالاعجاب والتقدير . ولكن واحداً من تصنيفاتهم لا يستكفي بنفسه ، ولا يكفي وحده لأن يعطينا نبأ كاملاً شاملاً لآثار السهروردي جميعاً ، وإنما هي تصنيفات يتفاوت حظ كل منها من النقص والتمام ، ولم أحدها بآثار السهروردي على وجه يختلف سعة وضيقاً عن الوجه الذي يتناوله عليه غيره ، ولا نكاد نستثني منها غير تصنيف ريتز ، فإنه من هذه الناحية أنما وأوقاها بالغاية ، وأدلسا على آثار حكيمنا وشروحها ، وأينها للغات التي كتبت فيها هذه الشروح وتلك الآثار ، وأكثرها تعريفاً بالنسخ الخطية لكل أثر وكل شرح من ناحية ، وبأية مكتبة من مكتبات استامبول توجد كل نسخة من ناحية أخرى .

ولكي يتبين لنا هذا كله ، فلا بد من أن نقف وقفات قصارا أو طوالا عند مختلف التصنيفات التي أوردتها المترجمون المتقدمون والباحثون المتأخرون لآثار حكيمنا ، ومن أن نوازن بين تلك التصنيفات ، بحيث ننتهي آخر الأمر إلى تصنيف كئي شامل يجمع جل المصنفات السهروردية إن لم يكن كلها ، ويبين العلوم التي عرَضتها ، والموضوعات التي تناولتها ، والخصائص التي امتاز بها كل منها ، ويشير إلى ما نشر منها وما لا يزال مخطوطاً : ففي رأينا أن مذهب السهروردي الاشراقي ، وإن كان قد أتيح له بعض الذين درسوه من بعض

(١) حاجي خليفة : كشف الظنون ، طبعة فلوجن : مواضع متفرقة من مواد التي يدخل تحتها اسم كل مصنف بحسب ترتيبه الابداعي .

C. Brockelmann, *geschichte der Arabischen Literatur*
 z. Corbin : *Opera Metaphysica et Mystica*. Vol I, intr. fr : p XVI XXIV. Les motifs zoroastriens dans la philosophie de Suhrawardi, teheran 1949, p. 17-18.
 H. Ritter : *Philologika* p. 270-286.

النواحي كالبارون كارادى فو^(١) ، والدكتور محمد إقبال^(٢) ، والأستاذ لويس ماسينيون^(٣) والأستاذ هنرى كيربان^(٤) ، إلا أنه ما يزال في حاجة إلى مزيد من الدراسة والتحقيق على وجه أتم وأشمل لجميع نواحيه ، بحيث تبين العناصر المختلفة التي يتألف منها ، وتظهر الخصائص الفلسفية والتصوفية التي يتسم بها ، وتبرز المنازعات الاشراقية التي يزرع إليها ، وبحيث يبدو المذهب الاشراقي للحكيم الاشراق في صورته التي تجعل منه كلا مؤلف العناصر متسق الأجزاء يرتبط بعضها ببعض ويتأدى من بعضه إلى بعض . وليس من شك في أن نتيجة كهذه في دراسة كذلك لا سبيل إليها إلا إذا أحصيت آثار السهروردي واستقصيت ، وضبطت وحقت ، ثم ألفت بينها تأليفا يجمع المتفرق منها ، ويكشف عن الجميل في طائفة منها بالمفصل في طائفة أخرى ، ويفسر الملفز الغامض من بعضها بالواضح البين في بعضها الآخر .

(٢)

تصنيفات جزئية

أشرنا فيما سبق إلى أن هناك تصنيفات جزئية لمصنفات السهروردي ، وتصنيفات أخرى لعلها أن تكون كلية وأشمل لمصنفات حكيمنا من تلك .

Carra de Vaux : La philosophie illuminative de Suhrawardi Mesqal-Journal (١)
Asiatique (9^{serie}, t. XIX 1902).

Shaikh Muhammed Iqbal: The development of metaphysics in Persia, (٢)
London 1908, p. 121-150.

L. Massignon : Recueil de textes inédits, p 113 وما اضع مترقمة من كتابه عن الملاح (٣).

H. Corbin : Opera Metaphysica et mystica. p. I—LXXXI. (٤)

فما التصنيفات الجزئية فهي التي أوردتها كل من ابن أبي أصيبعة^(١) ، وابن خلكان^(٢) ، وياقوت^(٣) ، والتي نبينها فيما يلي :

١ — فقد ذكر ابن أبي أصيبعة في آخر ترجمته للسهروردي أن لهذا الأخير من الكتب : كتاب التلويحات اللوحية والعرشية ، وكتاب الألواح العبادية ألفه لعماد الدين أبي بكر بن قره أرسلان بن داود بن أرتق صاحب خرت برت (هكذا) ، وكتاب الملح ، وكتاب المقامات وهو لواحق على كتاب التلويحات ، وكتاب هياكل النور ، وكتاب المعارج ، وكتاب المطارحات ، وكتاب حكمة الاشراق .

٢ — وقال ابن خلكان إن للسهروردي تصانيف منها : كتاب التنقيحات في أصول الفقه ، وكتاب التلويحات ، وكتاب الهياكل ، وكتاب حكمة الاشراق ، وله الرسالة المعروفة بالغربة الغريبة (هكذا والأرجح أنها الغريبة) على مثال رسالة الطير لأبي علي بن سينا ، ورسالة جني بن يقظان لابن سينا أيضاً ، وفيها بلاغة تامة أشار فيها إلى حديث النفس وما يتعلق بها على اصطلاح الحكماء .

٣ — وأما ياقوت فإنه يذكر من تصانيف السهروردي : التلويحات في الحكمة ، والتنقيحات في أصول الفقه ، وحكمة الاشراق ، والغربة الغريبة (هكذا) في الحكمة ، وهياكل النور في الحكمة أيضاً ، والألواح العبادية ، والمعارج ، والملح ، والمطارحات ، والمقامات . وبعد أن عدد ياقوت هذه المصنفات عقب بقوله : « وغير ذلك » ، مما يدل على أن ما ذكره لم يكن كل مصنفات حكيم الاشراق ، وإنما هو بعضها ، وأما البعض الآخر فله

(١) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء في طبقات الأطباء ، طبعة المطبعة الوهبية سنة ١٢٩٩ هـ = سنة ١٨٨٢ م ج ٢ ، ص ١٧٠ — ١٧١

(٢) ابن خلكان : وفيات الأعيان ، طبعة مطبعة السعادة سنة ١٩٤٩ م ، ج ٥ ، ص ٣١٣

(٣) ياقوت : معجم الأدباء ، طبعة مطبعة دار المأمون ، ج ١٩ ، ص ٣١٦

أغفله إما التزاماً للإيجاز ، أو اكتفاءً بالتقدير الذي أورده ، أو لأنه لم يعرف من تلك المصنفات أكثر مما ذكر .

وللتأمل في هذه التصنيفات الثلاثة يلاحظ عليها بادى ذي بدء أنها مشتركة جميعاً في صفة الجزئية ، إذ يشير كل منها إلى أن ما ورد فيه إن هو إلا من مصنفات السهروردي وليس كلها ، ويلاحظ بعد ذلك أن تصنيف ياقوت هو أوسعها لأنه زاد على ما ذكره ابن أبي أصيبعة كتابين هما (رسالة الغريبة العربية) و (كتاب التنقيحات في أصول الفقه) ، علي حين أغفل ابن خلكان عما ذكره كل من ابن أبي أصيبعة وياقوت كلاهما من (الألواح العبادية) و (اللوحة) و (المعارج) و (المطارحات) ، ويلاحظ أخيراً أن ابن أبي أصيبعة ذكر للسهروردي كتاباً باسم (المقاومات) وأن هذا الكتاب لم يذكره ياقوت ، وإنما ذكر كتاباً آخر باسم (المقامات) .

وقد يتبادر إلى الذهن أن هاتين تحريفاً وقع في اسم هذين الكتابين الأخيرين ، وأنهما ليسا إلا كتاباً واحداً ذكره أحد المترجمين باسم (المقاومات) ، وذكره الآخر باسم (المقامات) ، وأنه إما أن يكون اسمه (المقاومات) أو (المقامات) ، وأن أحد اللذين ذكراه بأحد الاسمين خطأ . والآخر مصيب . ولكن الحق الذي لا شبهة فيه أن السهروردي كتاباً يعرف باسم (المقاومات) ذكر السهروردي نفسه في مقدمته أنه مجرى من كتابه الموسوم بالتلويحات مجرى اللواحق ، وفيه إصلاح ما يحتاج إلى إصلاحه مما كان الأولون يرسلونه أرسالا ولم يتيسر إرادته في التلويحات لشدة إيجازها ^(١) ، وأن له كتاباً آخر في التصوف ذكر السهروردي أنه يعرف باسم (الكلمة) ^(٢) ، وذكره ريتز باسم (مقامات الصوفية = كلمة التصوف) ^(٣) ، وأورد أوله وهو قول السهروردي : « اللهم لك العبادة

(١) مجموعة في المسكة الإلهية ، المجلد الأول ، إستانبول سنة ١٩٤٥ ، ص ١٢٤

(٢) السهروردي : نزهة الأرواح (نسخة فوتوغرافية بمكتبة جامعة فزاد

رقم ٢٤٠٣٧) ص ٢٣٦

Von H. Ritter: Die vier Suhrawardi, Der Islam XXIV, 1937, p. 282. (٣)

والتسليح ، والأذكار والتعديس . . . أما بعد : فإن الصداقة التي تأكدت بيننا ألزمتني اسعافك في تحرير كلمات مومية إلى الحقائق ، شارحة لمقامات الصوفية ومعاني اصطلاحاتهم » . وينتهي بنا هذا كله إلى أن المهروردي كتاباً في الحكمة ونقد المنطق ودحض آراء المتقدمين فيه ، وهو ذلك الكتاب الذي ذكره ابن أبي أصيبعة باسم (المقامات) ، وأن له كتاباً آخر في التصوف ، عرض فيه للحقائق الإلهية والمقامات الصوفية ، وهو ذلك الكتاب الذي ذكره ياقوت باسم (المقامات) ، وذكره الشهرزوري باسم (الكلدية) أو (كلمة التصوف) على نحو ما سنبينه في موضعه من الحديث عن تصنيف الشهرزوري لمصنفات المهروردي .

٤ — ولعل ما أغفله أو أهمله أو ألزم الإيجاز فيه واقتصر على الإشارة إليه كل من ابن أبي أصيبعة وابن خلكان وياقوت فيما يتعلق بمصنفات المهروردي ، قد جاول حاجي خليفة أن يلتمسه ويثبت ، وي زيد عليه أشياء من شأنها أن تكشف عن موضوعات تلك المصنفات وخصائصها من الناحيتين الفلسفية والتصوفية ، وإن لم تكن محاولته عامة ولا شاملة لجميع تلك المصنفات . ومع ذلك فإن ما عمد إليه حاجي خليفة من بيان عتويات الكتب والرسائل التي عرض لها وذكر شروحها من شأنه أن يكمل النقص الذي يلاحظ على تصنيفات ابن أبي أصيبعة وابن خلكان وياقوت ، ويعين على تصنيف بعض مصنفات حكم الأشراف تصنيفاً لعله أن يكون أدق وأوفى وأقع وأجدي في إرشاد الباحث وتوجيه البحث في المذهب للأشراق لذلك الحكم . ومن هنا نلاحظ على حاجي خليفة أنه عني ببعض مصنفات المهروردي عناية خاصة فذكر أسماءها وأبان عن موضوعاتها وأثبت شروحها ، على حين نراه من ناحية أخرى قد وقع فيما وقع فيه ابن أبي أصيبعة وابن خلكان وياقوت من وقوف عند حد ذكر اسم الكتاب أو الرسالة مكتفياً بقوله إنه أو إنها للمهروردي فقط دون أن يزيد على ذلك شيئاً . وبدين لنا هذا كله من خلال ما يمكن أن نستخلصه من تصنيف لآثار المهروردي

وشروحها التي ذكرها حاجي خليفة في مواضع متفرقة من كتابه (كشف
الظنون عن أسمى الكتب والفنون ^(١))، وذلك فيما يلي :

(أ) فمن المصنفات التي اكتفى حاجي خليفة بذكر أسمائها ، واقتصر
على القول بأنها للمهروردي فقط (كشف الغطاء لآخوان الصفاء)
(و (الدحة) و (المقامات) .

(ب) ومن المصنفات التي أشار حاجي خليفة إلى ما تبحث فيه من العلوم
أو ما تشتمل عليه من الموضوعات ، كما ألم بما وضع على بعضها
من شروح : (التلويحات) و (المطارحات) و (هياكل النور)
و (الألواح العادية) و (حكمة الاشراق) .

فالتلويحات لا يكتفى حاجي خليفة بذكر اسمه واسم المهروردي معه ،
وإنما هو يقول أيضاً إنه في المنطق والحكمة ، وإنه من الكتب التوسطات ،
وإنه رتب على ثلاثة علوم هي المنطق والطبيعي والالهي ، كل منها على
تلويحات . وعلى التلويحات شرح لعز الدولة سعد بن منصور المعروف بابن الكونة
الاسرائيلي وهو شرح ممزوج .
والمطارحات في المنطق والحكمة .

وأما هياكل النور فمن شروحها التي ذكرها حاجي خليفة شرح وضعه
مولانا جلال الدين محمد بن أسعد الدواني المتوفي سنة ٩٠٨ هـ وعليه حاشية
ليجي بن نصوح المعروف بنوعي والمتوفي سنة ٩٠٧ هـ . وذكر أنه قد شرحه
أيضاً الشيخ اسماعيل المولوي الأنقروبي المتوفي سنة ٩٠٢ هـ شرحاً تركياً
سماه (ايضاح الحكم) ، كما ذكر أنه قد شرحه كذلك الفاضل غياث الدين
منصور بن صدر الدين محمد الحسيني شرحاً رد فيه كثيراً على الدواني ،
وهو شرح ممزوج لكنه لم يتم .

والألواح العادية يختصر ذكر فيه أن الملك عماد الدين قره أرسلان
ابن داود أمره (المهروردي) بتحرير مجله في المبدأ والمعاد على رأي

(١) حاجي خليفة : كشف الظنون (طبعة طولج ، ليبك سنة ١٨٤٥ م) ، ج ١
ص ٤٢١ — ٤٢٢ ج ٢ ص ٤١٩ ج ٣ ص ١٠٢ ج ٤ ص ٢٣٠ و ٢٣١ ج ٥ ص ٥٠٦
ص ٦٦ و ٥٥ و ٥٠٦ .

الألهيين ، فأجاب واستشهد فيه بالسبع الثاني ، ورتب على مقدمة وأربعة ألواح .

وحكمة الاشراق ذكر في آخره أنه فرغ من تأليفه في جمادى الآخرة سنة ٥٨٢ هـ . وهو متن مشهور شرحه الأكابر كالعلامة قطب الدين محمود ابن مسعود الشيرازي المتوفى سنة ٧١٠ هـ ، وشرحه ممزوج مفيد . وقد قيل إن في هذا الشرح كلمات لا يمكن تطبيقها على الشرع الشريف ، ولعل هذا الغائل ممن لا يقدر على تطبيقها ، ولا يلزم من عدم قدرته عدم الامكان ، لأن أمر التطبيق والتوفيق عند الشارح الفاضل وأمثاله أمرهين . وعلى الشرح حاشية بالفارسية لمولانا عبد الكريم المتوفى في حدود سنة ٩٠٠ هـ . وفي بعض الكتب أن العلامة السيد الجرجاني شرح حكمة الاشراق ، ولكن حاجي خليفة يذكر هنا أنه لم ير شرحه .

هذه جملة الكتب التي يذكرها حاجي خليفة للسهروردي ، لا نستطيع أن نقول عنها إنها تصنيف لأنار حكيم الاشراق ، ولكنها إذا أضيفت إلى ما ذكره ابن أبي أصيبعة وابن خلكان وياقوت وغيرهم من الذين ترجوا للسهروردي وذكروا مصنفاته ، رأينا إلى أي حد يمكن أن يكون حاجي خليفة أكثر تحريماً للتفصيل وعلى أي وجه يمكن أن تعد بياناته عن المصنفات التي أوردها لحكيم الاشراق متممة للنقص الذي لاحظناه على ما أورده المترجون من هذه المصنفات .

على أن هذا كله لا يغني في إعطاء تصنيف عام شامل لجميع ما خلفه السهروردي من آثار : فلا ما ذكره كل من ابن أبي أصيبعة وابن خلكان وياقوت وحاجي خليفة على حدة ، ولا ما ذكره كل أولئك مجتمعاً يمكن أن يقال عنه إنه تصنيف لأنار حكيمنا ، بل إنه ستظل هناك طائفة من تلك الآثار لم يذكر أحدهم أو كلهم أسماءها ، ولم يشر إلى شيء منها أو شرح عليها . ولعل هذا النقص راجع إلى أن بعض تلك الآثار لم تصل إليه أيدي المترجين للسهروردي ، وأن ما وقع لهم أو وقعوا عليه من بعضها الآخر

وهو الذى ذكره ، يطيلوا النظر فيه ، ولم يكتفوا أنفسهم مشقة البحث عما يحتويه ، بل اكتفوا منه بذكر الأسماء على نحو ما فعل ابن أبى أصيدعة وابن خلكان وياقوت وكثير غيرهم من ترجم للسهروردى ، ناهيك بأن بعضهم كان ينقل عن بعض نقلا يكاد يكون حرفياً وخلوا من التحقيق وتحرى الدقة ، حتى إذا كان حاجى خليفة رأيناه يعتمد إلى الإحصاء والاستقصاء ، ويوغل فيها وراء أسماء الكتب وعناوينها ومؤلفها إلى ما تعرض له وتنطوى عليه . ولكن إحصاءه لكتب السهروردى لم يكن شاملاً ، واستقصاءه لها لم يكن كاملاً ، وإنما هو قد فصل عند ذكر طائفة من الكتب ، وأجل عند ذكر طائفة أخرى ، واكتفى عند ذكر طائفة ثالثة بالإشارة إلى أنه للسهروردى فقط ، ولم يذكر البتة طائفة رابعة منها ، ولعل الذى لم يذكره كان أكثر من الذى ذكره . هذا إلى أن منهجه فى كتابه (كشف الظنون) كان يحتم عليه أن يتناول كل كتاب أو رسالة أو شرح تناوولا جزئياً ، بحيث يعرض له أو يشير إليه أو يفصل القول فيه فى مواضع متفرقة من مواد كتابه : فلم تكن البيانات التى قدمها عما ذكره من آثار السهروردى تصنيفاً بالمعنى الدقيق الذى تدل عليه لفظة التصنيف من ترتيب أو تبويب أو تقييم أو تنظيم فى إطار واحد ، يجمع بين هذه الآثار ويرتبها وينسقها بحسب طبيعتها أو مادتها أو تاريخها أو خصائصها العامة أو الخاصة ، أو لغتها التى كتبت فيها أو ترجمت إليها .

(٣)

تصنيف كلى : السهرزورى — ريتز

وإذا كان ما يذكره المؤلفون السابقون من مصنفات السهروردى . وشروحها ناقصاً إلى الحد الذى رأينا ، فلا بد إذن من أن نلتصم لآثار حكيم الاشراق تصنيفاً لعله أن يكون أتم وأجمع لها وأدل عليها . وليس من شك فى أن الثبت الذى يورده السهرزورى فى ترجمته للسهروردى

هو الأساس الذي ينبغي أن يقوم عليه ذلك التصنيف ، كما أن المعلومات والبيانات التي يقدمها العالم الجليل الأستاذ ريتز في مقاله (السهرورديون الأربعة وخطوطاتهم في مكتبات استانبول)^(١) ، لها من القيمة الكبرى والفائدة العظمى ما لا يمكن جحده أو إنكاره أو إنكار أثره في العون على تأليف تصنيف كلي جامع لا تار شيخ الاشراق ، سواء من ناحية ذكر أسماء المصنفات أم من ناحية الارشاد إلى موضوعاتها وشروحها ونسخ هذه الشروح وتلك المصنفات الخطية التي توجد في مكتبات استانبول . فثبت ريتز من هذه الناحية ومن تلك متم ثبت السهرزوري ، لأن ما يذكره السهرزوري من مصنفات السهروردى ، واقفاً عند حد أسمائها دون أن يزيد عليها شيئاً إلا قليلاً ، كأن يقول إن هذا الكتاب أو هذا الشرح لذلك الكتاب ينسب للسهروردى وهو ليس له ، لا يقع به ريتز ولا يقف عنده ، وإنما هو يتجاوز به إلى شيء آخر لم يعمد إليه السهرزوري ولا غيره ممن ترجموا للسهروردى وعرضوا لذكر مؤلفاته . ذلك بأن ريتز قد حاول على ضوء ثبت السهرزوري أن يلتمس مصنفات السهروردى في أصولها ، وأن يبحث عن نسخها الخطية ، وعن شروحها المختلفة في مكتبات استانبول ، وزاد على هذا كله أسماء مصنفات السهروردى لم يذكرها السهرزوري ، وأسقط من ثبته أسماء مصنفات أخرى لعله لم يتحقق من صحة نسبتها للسهروردى ، أو لم يقع منها على مخطوط في أية مكتبة من مكتبات استانبول التي اختلف إليها . ومن هنا كان الجمع بين ثبتي السهرزوري وريتز من شأنه أن يميّننا على الالتصاق بأثار حكيم الاشراق من ناحية ، وعلى تصنيفها تصنيفاً كلياً شاملاً من ناحية أخرى . ومن هنا أيضاً رأينا أن نلتمس في ذكر أسماء المصنفات التي تبين الذي أوردها عليه السهرزوري ، وأن نصنيف إلى إسم كل مصنف ما يكفي للإبارة عن موضوعه من بين البيانات العديدة التي وفق إليها ريتز في بحثه . ولسكى يتبين ما ذكره كل من السهرزوري وريتز في ثبته من مصنفات السهروردى وما اتفقا أو اختلفا فيه ، فقد أشرنا

مع كل مصنف إلى أن هذا المصنف قد ذكره ريتز ولم يذكره الشهرزورى ،
وأن ذلك المصنف ذكره الشهرزورى ولم يذكره ريتز ، وذلك على الوجه التالى :

١ — المطارحات : ذكره الشهرزورى هكذا ، وذكره ريتز باسم (المشارع
والمطارحات) . وهو يشتمل على العلوم الفلسفية الثلاثة من منطق وطبيعيات
والهيات . وقد أوجب الشهرزورى نفسه أن يقرأ هذا الكتاب قبل كتابه
الموسوم بحكمة الاشراف وبعد تحقيق المختصر الموسوم بالتلويحات (١) .
ويبدأ القسم الأول من هذا الكتاب بقول المؤلف : « هذا كتاب يشتمل
على العلوم الثلاثة ... » . ويبدأ القسم الثانى بقوله : « هذا شروعتنا فى العلم
الثانى ... » ، ويبدأ القسم الثالث بقوله : « الاشراف سبيلك اللهم ونحن
عبيدك ... » .

٢ — التلويحات : وهو كتاب فى المنطق والطبيعيات والالهيات ،
ويشتمل على أقسام ثلاثة ، يبدأ القسم الأول منها بقول المؤلف : « السبحات
لجلالك اللهم ... » ، والقسم الثانى بقوله : « نستعين بالله واهب العقل ... »
والقسم الثالث بقوله : « تباركت ربنا خالق النور ... » .

وقد وضع على التلويحات شروح ، ذكر منها ريتز شرحاً لمحمد بن محمود
الشهرزورى عنوانه (التفتيحات فى شرح التلويحات) ، وأوله : « الحمد لله
رافع الحجب لأولياته ... وبعد : فلما كان العالم الأرضى محل اجتماع الأشعة ...
ولما كان كتابه الموسوم بالتلويحات فى الحكمة النظرية ... مشتملاً على لباب
القواعد الحكيمية والأبحاث العقلية ... » .

وذكر ريتز أيضاً شرحاً آخر على التلويحات وضعه عز الدولة سعد
ابن منصور بن سعد بن الحسن بن هبة الله بن الكونة فى سنة ٦٦٧ هـ ،
وأول هذا الشرح : « بعد حمد الله تعالى على آلائه المتواترة ... لما كان
المختصر ... » .

(١) مجموعة فى الحكمة الإلهية ، المشارع والمطرحات — طبعة كوربان ، استانبول
سنة ١٩٤٥ ، ص ١٩٤

وقد كتب السهروردي نفسه ذيلاً للتلويحات هو كتابه المسمى بالتلويحات.
سند كره في رقم ٧ ، قال السهروردي في أوله : « هذا مختصر يجري من كتابي
الموسوم بالتلويحات مجرى الواحق ... » .

٣ — حكمة الاشراق : وقد ذكر المؤلف في آخره أنه انتهى من تأليفه
في آخر جمادى الآخرة سنة ٥٨٢ هـ لما كانت الكواكب السبعة في برج
الميزان . ويبدأ هذا الكتاب بقوله : « جل ذكرك اللهم ، وعظم قدمك ... »
والكتاب قيمان : قسم في المنطق ويشتمل على مقالات ثلاث ، وقسم
في الأنوار الالهية ويشتمل على مقالات خمس . ويعد هذا الكتاب أهم مصنفات
السهروردي وأجمعها لثنتان مذهبه وأدلهما على مؤذعه الاشراق .

وعلى حكمة الاشراق شروح وتعليقات ذكر منها ريت شرح قطب الدين
محمود بن مسعود الشيرازي تلميذ نصير الدين الطوسي والمتوفى سنة ٧١٠ هـ ،
ألفه واضعه سنة ٦٩٤ هـ ، وأوله « قال مولانا قطب الله والحق والدين ...
الاشراق سبيلك اللهم ، والأشواق دليلك ... » أما بعد : فإن أحوج خلق الله
إليه محمود بن مسعود الشيرازي يقول : إن المختصر للموسوم بحكمة الاشراق
للشيخ ... أبي الفتوح عمر بن محمد (؟) السهروردي ... » .

ويوجد على هامش هذا الشرح حاشية لنجم الدين الحاج محمود التبريزي ،
ألفه للوزير ناصر الدين سديد السلطان بن السلطان أحمد بهادور خان . وأوله
هذه الحاشية : « أحمد الله أحكم الحاكمين ... » وبعد : فيقول حاجي محمود :
إن شطراً من كتاب يقال له الاشراق للنور من أنواره ، أردت أن أعلق
عليه حاشية تميز الخطأ من الصواب .. » .

وثمة شرح آخر لحكمة الاشراق وضعه محمد بن محمود الشهرزوري ،
وأوله : « سبحانه يا فاضل أمور الأزل ... » أما بعد : فإن المقصود من هبوط
النفس الناطقة في العالم العلوي ... » .

٤ — اللوحات : ذكره ريت باسم (اللوحات في الحقائق) ،
وهو مختصر صغير في العلوم الحكيمية الثلاثة من منطق وطبيعيات وإلهيات

وأوله : « أصلحنا بتورك ياذا العرش العظيم ... فان هذه لمحات في الخفايا على غاية الایجاز ، ولم أذكر فيها غير المهم من العلوم الثلاثة ... » .

وعلى هذا اختصر شرح لنظام الدين محمود بن فضل الله بن احمد التوزي الحمذاني ، وضعه إجابة لطلب أعز أصحابه وإخوانه في الدين ناصر الدين أبي بكر بن شجاع الدين الحاصري ، وذلك في سنة ٦٥٠ هـ . وقد أورد ريت هذا الشرح باسم (شرح اللمعات) .

٥ — الألواح العبادية : وهو كتاب في العلوم الحكيمة ومصطلحاتها ، وضعه السهروردي إجابة لما توارث عليه من مكاتبات الملك النعمان عماد الدين ظهير الاسلام قره أرسلان بن داود ، كما يدل على ذلك اسم الكتاب من ناحية ، وما ورد في أوله وأثبتته ريت في ثبته من ناحية أخرى .

وعلى هذا الكتاب شرح عنوانه (مصباح الأرواح في كشف حقائق الألواح) ، ألفه الودود بن محمد التبريزي ، وفبرغ من تأليفه في الخامس من ربيع الثاني سنة ٩٣٠ هـ ، وذلك عند ما كان المشتري والزهرة في برج الحوت . وقد وضع الشارح فيما بعد زيادات على شرحه ثم شرحها وأطلق على شرحه لها اسم (شرح ذيل الكتاب) ، وكان فراغه منه عند ما كان الكوكبان السعیدان في برج الثور أمين سنة ٩٣٢ هـ .

٦ — الهياكل النورية : ذكره ريت باسم (هياكل النور) . كتبه السهروردي بالعربية وترجمه هو نفسه إلى الفارسية . وقد أثبتته الشهرزوري في ثبته مرتين : مرة على أنه بالعربية واسمه (الهياكل النورية) ، ومرة على أنه بالفارسية واسمه (الهياكل) فقط . وأورد ريت أول المتن العربي وهو : « ياقيوم أبدنا بالنور ، وثبتنا على النور ... » ، وأول المتن الفارسي وهو : « الهيكل الأول : بدانك جسم آنست كه مقصود باشارت بود ... » .

وعلى هذا الكتاب شروح أربعة أوردتها ريت وهي : شرح لجلال الدين محمد بن أسعد الدواني المتوفى سنة ٩٠٧ هـ ، وعنوانه (شواكل الحور) ، وضعه في سنة ٨٧٢ هـ في تبريز : وأوله : « يا من نصب رايات آيات قدرته

على كواهل هياكل المكنات ... » . وشرح آخر كتيبه ابن صدر الدين الشيرازي وهو منصور بن محمد الحسيني انتوفى سنة ٩٠٣ هـ ، وعنوان هذا الشرح : (إشراق هياكل النور لكشف ظلمات شواكل الغرور) ، وهو كما يدل عليه عنوانه تقتض لشرح الدواني السابق واعراض عليه . وشرح ثالث تركى وضعه اسماعيل المولوى الانقروى شارح المثنوى والمتوفى سنة ١٠٤١ هـ . وشرح رابع منظوم وعنوانه (ألفية الحكمة الالهية على مذهب الاشراقيين مما حوتها الهياكل النورية) مع زيادات من شرحها وشئ من كتاب الاشراق ؛ نظمها حسن الكردى . ويرى ريتز أن هذا الشرح المنظوم هو حاشية عصام الدين ابراهيم على رسالة السمرقندى ، ويعرف ذلك الشارح الناظم باسمه الكامل وهو حسن بن محمد الزيارى .

٧ — المقاومات : وهو مختصر جعله السهروردى من التلويحات بمثابة الذيل ، كما يدل على ذلك قوله فى مقدمته وهو : « هذا مختصر يجرى من كتابي الموسوم بالتلويحات مجرى اللواحق ، وفيه إصلاح ما يحتاج إلى إصلاحه ، مما كان الأولون يرسلونه ولم يتيسر إirاده فى التلويحات » .

٨ — الرمز الموى : ذكره الشهرزورى ، ولم يذكره ريتز ، ولا ذكره أحد ممن ترجموا للسهروردى غير الشهرزورى .

٩ — المبدأ والمعاد : وهو بالفارسية ، ذكره الشهرزورى ، ولم يذكره ريتز ولا غيره .

١٠ — بستان القلوب : وهو مختصر فى الحكمة ، كتيبه السهروردى بالفارسية لماعة من أصحابه فى إصفهان ، وأوله كما أورده ريتز : « سپاس خدای را که بن واسطه "بجود خود وجود ما پیدا کرد ... أما بعد جماعتی از اهل صفای اصفهان که مرا با ایشان نشست و خاستی بود در خواستند تا کلمه "چند در حقیقت جمع کنم چنانکه تکلف در آن راه نیابد ... قسمی تعلقی بعالم اجسام دارد و قسمی تعلقی بعالم ارواح » .

- ١١ — طوارق الأنوار : ذكره الشهرزورى ، ولم يذكره ريتز .
- ١٢ — التنقيحات فى الأصول : ذكره الشهرزورى ، ولم يذكره ريتز .
- ١٣ — كلمة التصوف : ذكره الشهرزورى بهذا العنوان ، وذكره ريتز باسم (مقامات الصوفية) ويتبين موضوعه من مقدمته التى أورد ريتز أولها وهو قول المهروردي « اللهم لك العبادۃ والتسبيح ، والأذكار والتقديس . أما بعد : بأن الصداقة التى تأكدت بيننا ألزمتنى إسعافك فى تحرير كلمات مومية إلى الحقائق ، شارحة لمقامات الصوفية ومعانى اصطلاحاتهم » .
- ١٤ — البارات الإلهية : ذكره الشهرزورى ، ولم يذكره ريتز .
- ١٥ — النفحات البناوية : ذكره الشهرزورى ، ولم يذكره ريتز .
- ١٦ — لوامع الأنوار : ذكره الشهرزورى ، ولم يذكره ريتز .
- ١٧ — الرقم القدسي : ذكره الشهرزورى ، ولم يذكره ريتز .
- ١٨ — اعتقاد الحكاء : ذكره الشهرزورى ، ولم يذكره ريتز .
- ١٩ — كتاب الصبر : ذكره الشهرزورى ، ولم يذكره ريتز .
- ٢٠ — رسالة العشق : ذكرها الشهرزورى بهذا العنوان ، وذكرها ريتز باسم (مؤنس العشاق) ، وهى بالفارسية ، وأولها قوله : « نحن نقص عليك أحسن القصص ... » . وعلى هذه الرسالة شروح لشرح مجهولين .
- ٢١ — رسالة در حاله طفوليد : ذكرها الشهرزورى ، ولم يذكرها ريتز ، وهى بالفارسية .
- ٢٢ — رسالة المغراج : ذكرها الشهرزورى ، ولم يذكرها ريتز .
- ٢٣ — رسالة روزى باجاغت صوفيان : ذكرها الشهرزورى ولم يذكرها ريتز ، وهى بالفارسية وموضوعها كما يدل عليه عنوانها يؤم مع جماعة من الصوفية .
- ٢٤ — رساله عقل : ذكرها الشهرزورى ، ولم يذكرها ريتز ، وهى بالفارسية ، وموضوعها كما يدل عليه عنوانها هو العقل .

٢٥ — « شرح » رسالة أوانر جبرئيل : ذكره الشهرزورى وريت ، وهو بالفارسية ، ومعناه شرح رسالة صوت جبرائيل . وعلى هذه الرسالة شرح لشارح مجهول ذكره ريت وأثبت له نسخة خطية محفوظة في مكتبة الشهيد على .

٢٦ — رسالة برتونامة : ذكرها الشهرزورى وريت ، ومعناها رسالة النور ، وهى مختصر بالفارسية فى الحكمة ، تناول فيها المهروردى شرح بعض الاصطلاحات ، وتعريف الجسم ، وبعض الأحوال ، والنفس واستبصارها وقواها ، وذات واجب الوجود وصفاته وفعله .

٢٧ — رسالة لغه* موران : ذكرها الشهرزورى وريت ، وهى بالفارسية ومعناها رسالة لغة الخلل ، وهى عبارة عن حكايات رمزية ، وأولها كما يورده ريت : « سياس مبدعى راكه بحقيقت همه همكى باعتراف همه موجودات از روى شهادت وجود اورا سزاوارست ودرود بر روان پاكان باذ خصوصاً بر محمدالنبي . . . » .

٢٨ — رسالة غربة الغريبة : ذكرها الشهرزورى هكذا ، وذكرها ريت باسم (الغربة الغريبة) وهى قصة رمزية تأثر فيها المهروردى قصة حى ابن يقظان لابن سينا ، وأورد ريت أولها وهو قوله : « أما بعد : فاقى لما رأيت قصة حى بن يقظان صادقها مع ما فيها . . . » .

٢٩ — رسالة صغير سيمرخ : ذكرها الشهرزورى وريت ، وهى بالفارسية ، وأولها قول المهروردى : « سياس بادواهب حيوه را ومبدع موجودات را » .

٣٠ — رسالة الطير : ذكرها الشهرزورى هكذا ، وذكرها ريت باسم (ترجمه* رساله* طير) ، وهى ترجمة فارسية لرسالة الطير لابن سينا .

٣١ — رسالة تفسير آيات من كتاب الله وخبر عن رسول الله : ذكرها الشهرزورى ، ولم يذكرها ريت .

٣٢ — رسالة غاية المبتدى : ذكرها الشهرزورى ، ولم يذكرها ريت .

٣٣ — التسيجات ودعوات الكواكب : ذكرها الشهرزورى ، ولم يذكرها ريتز بالاسم ، وأكبر الظن أنه عدها ضمن نصوص متفرقة للسهروردى يجمعها اسم واحد هو (الواردات والتقدسات)^(١) .

٣٤ — أدعية متفرقة : ذكره الشهرزورى .

٣٥ — السراج الوهاج : ذكره الشهرزورى ، وشكك فى صحة نسبته إلى السهروردى ، وذلك إذ يقول : « والأظهر أنه ليس له » .

٣٦ — الدعوة الشمسية : ذكره الشهرزورى .

٣٧ — الواردات الالهية بتجويرات الكواكب وتسيجاتها : ذكره الشهرزورى .

٣٨ — مكانبات إلى الملوك والمشايخ : ذكرها الشهرزورى .

٣٩ — كتب فى السيميا : ذكرها الشهرزورى هكذا دون أن يعين أسماءها ، ولم يقطع بصحة نسبتها إلى السهروردى كما يتبين ذلك من قوله : « تنسب إليه » دون أن يزيد عليه شيئاً .

٤٠ — كتب الألواح : ذكرها الشهرزورى مرة أخرى على أنها بالفارسية ، وكان قد ذكرها قبل ذلك على أنها بالعربية (أنظر رقمه من هذا التصنيف) .

٤١ — تسيجات العقول والنفوس والعناصر : ذكرها الشهرزورى .

٤٢ — الهياكل : ذكرها الشهرزورى مرة أخرى على أنها بالفارسية ، وكان قد ذكرها قبل ذلك باسم (الهياكل النورية) على أنها بالعربية (أنظر رقم ٦ من هذا التصنيف) .

٤٣ — شرح الاشارات : ذكره الشهرزورى ، وهو بالفارسية ، وقال إن بعض المعارف قد ذكر له أنه عنده ، ولكنه لم يقف عليه .

(١) يرى ريتز فى هذه (الواردات والتقدسات) أنها تشتمل على ترانيم وأدعية لكواكب والجن مع إطلاع البخور ، وأن السهروردى يمرض هنا سحراً تنجيماً هائلاً من النوع الذى يمثله كتاب (ظاية الحكيم) للشمسى الجرجاني ، وكتاب (سر المستوم فى مخاطبة النجوم) لفتح الدين الرازى (Der Islam XXIV (1937) p. 285) ويدخل تحت هذه (الواردات والتقدسات) للمصنفات ٣٤ ، ٣٦ ، ٣٧ ، ٣٩ ، ٤١ من هذا التصنيف .

٤٤ — كشف الغطاء لإخوان الصفاء : لم يذكره الشهرزورى ، وذكره ريتز ، وأورد أوله وهو قول السهروردى « اللهم أعدنا من غيرك إليك . . . » وبعد : فهذه النعمة الموسومة بكشف الغطاء لإخوان الصفاء . . . »

٤٥ — الكلمات الذوقية والنكات الشوقية = رسالة الأبراج : لم يذكرها الشهرزورى ، وذكرها ريتز : وأورد أولها وهو قول السهروردى « كتاب فيه كلمات ذوقية ونكات شوقية ، كتبت بالتماس بعض إخوان التجريد . . . اعلم يا أخى أن فائدة التجريد سرعة العود إلى الوطن الأصيل . . . »

٤٦ — رسالة لاعتوان لها : لم يذكرها الشهرزورى ، وذكرها ريتز : وأشار إلى أن موضوعاتها هي : الجسم والحركات والربوبية والمعاد والوحى والإلهام ، وأورد أولها وهو قول السهروردى : « الحمد لله مبدع الكل ، واهب العقل . . . » وبعد : فإن الرسالة هذه تشتمل على بعض القواعد الحكيمة أمليتها على سبيل الإيجاز . . . »

٤٧ — مختصر صغير فى الحكمة : لم يذكره الشهرزورى ، وذكره ريتز ، وأشار إلى أنه يتناول العلوم الحكيمة الثلاثة من منطق وطبيبات وإلهيات ، وأورد أوله وهو قول السهروردى : « الحمد لواهب العقل حمداً يليق بعلو شأنه . . . » وبعد : لما كانت العلوم مرتبة على القواعد والبراهين . . . »

٤٨ — طائفة من الأشعار : ذكرها الشهرزورى ^(١) ، وأشار ريتز ^(٢) إلى أنها وردت فى ياقوت (معجم الأدباء) ، وفى الشهرزورى (نزهة الأرواح) وفى اشيس (ثلاث رسائل، ص ١٠٣ — ١١٢ ١١٢-112 S 103-112) (Three Treatises) وذكر ريتز هنا القصيدة التى مطلعها :

أبدأ تحن إليكم الأرواح ووصالكم ريحانها والراح

(١) نزهة الأرواح : ص ٢٣٦ ، وكل القصائد التى سنبت مطالعها هنا من رقم ٤٩ الى ٥٩ ذكرها الشهرزورى أيضاً (نزهة الأرواح : ص ٢٣٦ — ٢٣٩) .

(٢) Der Islam XXIV (1937) p. 286.

٤٩ — قصيدة مطلعها :

لأنوار نور الله في القلب أنوار والسر في سر المحبين أسرار

٥٠ — قصيدة مطلعها :

أقول لجارتي والدمع جار ولي عزم المسير إلى الديار

٥١ — بيتان أولهما :

من أنكر مذهب الهوى فليأتني أنييه بما ممعته من ذاتي^(١)

٥٢ — قصيدة مطلعها :

خلت هياكلها بجرعاء الحمى وصبت لغناها القديم تشوقا

٥٣ — قصيدة مطلعها :

أنيت بعدكم هل عندكم خير طرفي وعيني فلا دمع ولا أثر

٥٤ — قصيدة مطلعها :

خليلى إن الأنس في فرقة الانس

فكن أبدا ما عشت في حضرة القدس

٥٥ — قصيدة مطلعها :

ولما وردنا ماء مدين نستقى على ظمأ منا إلى موقف النجوى

٥٦ — بيتان أولهما :

سر يدور وإن بدا استعان مكنون سر بل سره مستعان

٥٧ — ثلاثة أبيات أولها :

وكل صبح وكل إشراق أبكى عليكم بدمع مشتاق

٥٨ — بيتان أولهما :

يا صاح أمارأيت شهاباً ظهرت قد أحرقت القلوب ثم استقرت

(١) هكذا أورد السهرزورى البيت ، ولعل لفظة (فليأتني) محرفة ، والانبى
أن تكون (فليأت) .

أقسمت بصفو حكيم في القدم مازل إلى غير هواكم قدى

(٤)

تصنيف زمني : ماسينيون

يلاحظ المتأمل في ذلك الثبت العام لمصنفات المهروردي ، وهو الذي جمعنا فيه بين مأورده الشهرزوري وما أورده ريتز ، أن له ميزة خاصة في أنه يعطينا إيانا لعله أوفى وأشمل بيان عن مصنفات حكيم الاشراق وآثاره المنشورة والمنظومة . ولكنه على ميزته هذه لا يصنف هذه الآثار تصنيفاً زمنياً يتبين من خلاله الوقت الذي وضع فيه المهروردي كل أثر أو مصنف ، وتظهر في ضوءه الصلة التي يتفق أو يختلف فيها هذا المصنف أو الأثر عن ذلك المصنف أو ذاك الأثر .

على أننا نلاحظ من ناحية أخرى أن الاستاذ ماسينيون ^(١) قد حاول أن يصنف مصنفات شيخ الاشراق تصنيفاً موقوتاً قسم فيه هذه المصنفات تقسيماً يقوم على الأطوار الزمنية التي يرى أن حياة المهروردي الروحية قد مرت بها ، وذلك على الوجه التالي :

١ — مصنفات الصبا : ويندرج تحتها كتاب الألواح العبادية ، وكتاب هياكل النور ، والرسائل .

٢ — مصنفات الطور المشائي : ويندرج تحتها التلويحات ، واللمحات ، والمقاومات ، والمطارحات :

٣ — مصنفات الطور الأخير وهو الطور السينوي الأفلاطوني : ويندرج تحتها كتاب حكمة الاشراق ، الخ .

على أن تصنيف مصنفات السهروردى تصنيفاً زمنياً على هذا الوجه الذى يجعل من حياة حكيم الاشراق أطواراً ، ومن كل طور فترة وضع فيها مصنفات بعينها ، أمر ليس من السهولة واليسر بحيث يمكن تحديد أطواره تحديداً زمنياً دقيقاً ، وبيان مصنفات كل طور بياناً مضبوطاً . ومهما يكن من اشتراك مصنفات السهروردى فى صعوبة هذا التحديد الزمنى ، فإن منها مصنفاً واحداً هو أهمها وأشملها لنواحي مذهبه وأجمعها للعنصرين البحثى والذوقى ، وأعنى به كتاب حكمة الاشراق ، نستطيع أن نحدد على وجه الدقة التاريخ الذى انتهى فيه السهروردى من تأليفه ، وأن تبين فى وضوح وجلاء أسماء المصنفات التى وضعها حكيم الاشراق قبل هذا الكتاب وفى أثناء تأليفه له ، وأن نقف على أسماء بعض ما وضعه من مصنفات فى أيام الصبا ، وعمدتنا فى هذا كله ما يحدتنا به السهروردى نفسه فى مقدمة كتاب حكمة الاشراق ، وفى آخره : فهو قد ذكر فى تلك المقدمة أنه رتب قبل هذا الكتاب وفى أثناءه عند معاودة القواطع عنه ، كتباً على طريقة المشائين ، لمخص فيها قواعدهم ، ومن جملتها المختصر الموسوم بالتلويحات اللوحية والعريشة ، والكتاب المسمى باللمحة أو اللوحات وهو دون التلويحات وغيرهما كالمقاومات والمطارات ، على حد ما يستنبطه قطب الدين الشيرازى فى شرحه على كتاب حكمة الاشراق ، وهو قد ذكر أن من مصنفاته ما رتبته فى أيام الصبا ، وضرب له قطب الدين الشيرازى مثلاً بالألواح والهيكل وأكثر رسائله دون أن يبين شيئاً منها أو يذكر اسماً من أسمائها^(١) . وهو قد حدثنا فى آخر كتابه حكمة الاشراق بأنه فرغ من تأليفه فى يوم الثلاثاء التاسع والعشرين من شهر جمادى الآخرة من سنة ٥٨٢ هـ ، وكان ذلك فى اليوم الذى اجتمعت فيه الكواكب السبعة فى برج الميزان فى آخر النهار ، وأن هذا الكتاب قد ألقاه النافذ القدسى فى روعه فى يوم عجيب ، وإن كانت كتابته ما انقضت إلا فى أشهر لموانع الأسفار^(٢) .

(١) السهروردى : حكمة الاشراق وشرح قطب الدين الشيرازى عليه ، طهران

سنة ١٣١٦ هـ = ١٨٩٨ م ، ص ١٥

(٢) السهروردى : حكمة الاشراق ، ص ٥٦١ — ٥٦٢

فكل أولئك يدل على أن الهرودى قد شرع في التلويحات واللمحات قبل شروعه في حكمة الاشراف ، وفي أثناء تأليفه له عند ما كانت تعوقه العوائق من أسفار وغيرها ، وذلك وفقاً بصرح به الهرودى نفسه في مقدمة كتابه . وهو يدل أيضاً على أن مثل المقاومات والمطارحات كتل البلويحات واللمحات في أنهما من المصنفات التي وضعت قبل حكمة الاشراف وفي إيانته ، وأن الألواح والهيكل وأكثر الرسائل من مصنفات الصبا ، وذلك كله وفقاً يستنتجه قطب الدين الشيرازى .

والتأمل في هذا كله ، يلاحظ أن الأستاذ ماسينيون كان متأثراً في تصنيفه الزمنى لمصنفات حكيم الاشراف بما أورده الهرودى في مقدمته من ناحية ، وبما استخلصه قطب الدين الشيرازى في شرحه من ناحية أخرى ، ويلاحظ أيضاً أن صعوبة الحديد الزمنى المضبوط ، وإن كانت قد ذلت بالقياس إلى كتاب حكمة الاشراف ، فإنها ما تزال قائمة فيما يتعلق ببقية المصنفات الأخرى . صحيح أن بعض هذه المصنفات قد وضع قبل كتاب حكمة الاشراف وفي إيانته ، ولكن هذا لا يعنى بحال ما أن تصنف مصنفات الهرودى تصنيفاً زمنياً يقابل فيه بين كل طائفة منها وبين كل طور من أطوار حياة صاحبها على نحو ما فعل الأستاذ ماسينيون . وأكبر الظن أننا لو أعملنا الفكر ودققنا النظر في بعض النصوص التي اشتملت عليها المصنفات التي ذكرها الأستاذ ماسينيون في تصنيفه ، لرأينا أنه ليس من الممكن أن تفرق في مصنفات حكيمنا بين مصنفات وضعت في عهد الصبا ، وأخرى في عهد مشائى ، وثالثة في عهد سينيوى أفلاطونى أو إشرافى : ذلك بأن العنصرين المشائى والاشرافى يكادان يوجدان متلازمين ومتترجين وشائعين بين جميع المصنفات التي يأتلف منها تصنيف الأستاذ ماسينيون ، أو بين أكثرها وأهمها على أقل تقدير .

ويكفى لاثبات ذلك أن نأخذ على سبيل المثال كتاباً من المكتبة التي ذكرها الأستاذ ماسينيون في كل قسم من أقسام تصنيفه ، وأن تبين

من خلال النصوص التي سنوردها كيف كانت الحياة الروحية لحكيمنا قائمة في جملتها وفي تفاصيلها على أساسين ، أحدهما فلسفي أو بحثي والآخر تصوفي أو ذوقي ، وكيف كانت مصنثاته التي كتبها في كل طور من أطوار حياته الروحية هذه مزاجاً من البحث النظري والذوق الصوفي اللذين هما أخص ما يتألف منه المذهب الاشراقي لحكيم الاشراق .

فإذا وقفنا من بين المصنفات التي يعدها قطب الدين الشيرازي والأستاذ ماسينيون من مصنفات الصبا ، عند كتاب هياكل النور ، ألقينا هذا الكتاب حافلاً بالنصوص التي تنطق صراحة بما كان يزعم إليه حكيمنا من منازع إشراقية ، إلى جانب ما كان يعرضه من أنظار عقلية : فهو قد عرض في الهيكل الأول لتعريف الجسم والصورة واللازم والعرض ، وفي الهيكل الثاني للنفس وجوهريتها وقواها ، وفي الهيكل الثالث لأقسام المعلوم الثلاثة والسبب والمسبب والسبية ، وفي الهيكل الرابع لواجب الوجود ووحدانيته وترتب الموجودات وكيفية صدورها وأن الفاعل الحقيقي هو الحق ، وأن العوالم ثلاثة ، ولأزلية العالم وأبدية روح القدس والقرب الإلهي ، وفي الهيكل الخامس للحركة والأفلاك ونفوسها والقدر والشر وأول نسبة ثبتت في الوجود وسرياتها في الموجودات ، وفي الهيكل السادس لأبدية النفس وشكال الجوهر العاقل وحال الأشقياء وشأن السعداء ، وفي الهيكل السابع للنبوات .

فكل أولئك موضوعات تناولها السهروردي في كتابه هياكل النور ، فعرض لبعضها على طريقة المشائين ، وأقام عرضه لها على أساس من النظر العقلي الخالص الذي لا يختلف كثيراً أو قليلاً عن منهج الفلاسفة الخالص ، وعرض لبعضها الآخر على طريقتيه الذوقية ومنهجه الاشراقي الذي يستمد قوامه من الرياضة والمجاهدة ، ويقوم على الكشف والمشاهدة . وحسبنا أن نؤيد هذا بالنصوص التالية .

عرض السهروردي في الهيكل الثالث من كتابه هياكل النور^(١) لأقسام المعلوم الثلاثة ، وأن السبب التام لا يختلف عنه وجود السبب ، وبين تمام السببية ، فقال ما نصه : « الجهات العقلية ثلاثة : واجب وممكن وممتنع . فالواجب ضروري الوجود ، والممتنع ضروري العدم ، والممكن ما لا ضرورة في وجوده ولا عدمه . والممكن يجب ويمتنع بغيره ، والسبب هو ما يجب به وجود غيره . فالممكن لا يكون موجوداً من ذاته ، إذ لو اقتضى الوجود لذاته كان واجباً لا ممكناً ، فلا بد له من سبب يرجع وجوده على العدم ، والسبب إذا تم لا يختلف عنه وجود المسبب ، وكل ما يتوقف عليه الشيء فإنه يدخل في السببية ، سواء كان إرادة ، أو وقتاً ، أو مقارناً ، أو محلاً ، أو قابلاً ، أو غير ذلك . وإذا لم يوجد السبب بتمامه ، أو انتفى بعض أجزائه فقط ، لا يحصل السبب . وإذا حصل جميع ما ينبغي في وجود الشيء ، وارتفع جميع ما لا ينبغي ، وجب الشيء ضرورة » .

فهذا نص فلسفي واضح الدلالة على ما يوجد في أسلوب السهروردي من عناصر عقلية نظرية . وفي كتاب هياكل النور كثير من الأمثلة على هذه العناصر^(٢) : التي إن دلت على شيء ، فآتت تدل على أن السهروردي كان ها هنا فيلسوفاً بآدق ما تنطوي عليه لفظة الفيلسوف من المعاني .

على أن السهروردي الذي يبدو هنا فيلسوفاً مشائياً يصطنع منهج العقل ، ويدنو كثيراً أو قليلاً من الفارابي أو ابن سينا ، قد ضمن كتابه هياكل النور نصوصاً أخرى فياضة بالإشراق مقعمة بالأذواق مشتتة على رمزه إلى العقول والنفوس بالأنوار وإلى الأجسام بالظلمات ، كمن يقول ما نصه^(٣) : « ولا شك أن أنوار الملكوت نازلة لأعانة الملهوفين ، وأن شعاع القدس ينسبط ، وأن طريق الحق ينفتح ، كما أخبرت الحطيفة ذات البريق (غيبة لامة

(١) السهروردي : هياكل النور ، مطبعة السعادة ١٣٣٥ هـ . ص ١٩ — ٢٠

(٢) هياكل النور : ص ٢٠ — ٢٢ . ص ٢٥ — ٢٧ .

(٣) هياكل النور : ص ٤٧ — ٤٨

عن عالم الحس) ليلة هبت الهوجاء ، كما قال تعالى : « هو الذي يرسل الرياح بشرى بين يدي رحمته » والريقة توقية من صاحبها نازلاً وهو يدنو من النير ، فنبه صاعداً أن افتتح له سبيل القدس ، ليصعد إلى رجال منبعث البرازخ الأكثرين .

« ربنا آمنا بك ، وأقرؤنا برسالتك ، وعلمنا أن ملكوتك مراتب ، وأن لك عباداً متأملين ، يتوسلون بالنور إلى النور . على أنهم قد يهجرون النور للظلمات ، ليتوصلوا بالطلبات إلى النور ، فيجعلون بحر كات المجانين قرة عين العقلاء ، وعدتهم الزلقى ، وأرسات لهم رياحا لتحملهم إلى عليين ، ليجدوا سيحانك ، وليحملوا أسفارك ، وليعلقوا بأجنحة الكروبيين ، وليصعدوا بحبل الشعاع ، وليستعينوا بالوحشة والدهشة لينالوا الأنس ، أولئك هم الصاعدون إلى السماء والقاعدون على الأرض . أبقظ اللهم الناعسات من النفوس في مرآد الغفلات ليذكروا اسمك ، ويقدسوا مجدك . كل حصتنا من العلم والصبر ، فأنهما أبوا الفضائل ، وادزقنا الرضا بالقضاء ، واجعل الفتوة حليفتنا ، والاشراق سيولنا إنك بالجوذ الأعم على العالمين منان ، والله تعالى خير من أعان ، ولرسوله الصلاة والسلام والتحية والرضوان » .

فهذا النص مضافاً إليه نصوص أخرى في مواضع متفرقة من كتاب هياكل النور ^(١) ، لا سبيل إلى أن يشكر منكر ما تعبر عنه من الأذواق الروحية والاشراقات التورية التي لا تكاد تختلف كثيراً أو قليلاً عما ورد في كتاب حكمة الاشراق . وهذا من شأنه أن يوقفنا من كتاب هياكل النور بين اثنتين : إما أن نمدده كما عده الأستاذ ماسينيون من مصنفات الصبا ، وهذا يعني أن تنتفي عنه الصفة الاشراقية التي هي عند الأستاذ ماسينيون من أخص خصائص الطور الأخير من حياة المهروردي وهو الطور الذي وضع فيه كتاب حكمة الاشراق ، وإما أن نعد كتاب هياكل النور

(١) - هياكل النور : ص ٢٢ — ٢٤ و ٣٢ — ٣٣ و ٤٦ — ٤٧ و ٤٩ — ٥٠

من مصنفات الطور الاشرافي ، وهذا يعني أنه ليس من مصنفات طور الصبا .
ولكننا وقد تبينا من النصوص التي أثبتناها أو أشرنا إليها أن كتاب
هياكل النور قد جمع بين الحكمتين البحثية والذوقية : مثله في هذا كمثل كتاب
حكمة الاشراف ، لا نستطيع أن نعدّه من مصنفات طور الصبا فحسب ، ولا من
مصنفات الطور الاشرافي فحسب ، وإنما الذي يصح أن يكون هو أن فكرة
الاشراف كانت حظاً شاملاً بين مصنفات السهروردي حتى ما صرح هو نفسه ،
بأنه كتبه على طريقة المشائين كالشارع والمطارحات كما سيتبين هذا فيما يلي :

فالسهروردي يمدّنا في مقدمة الشارع والمطارحات ^(١) بما يبين
أنه كتاب يشتمل على العلوم الثلاثة وهي المنطق والطبيعيات والالهيات ،
وأه أورد فيه مباحث وضوابط نافعة مخرجة مشحونة من تصرفاته ،
وأه لم يخرج في هذا عن مأخذ المشائين كثيراً . ولكنه يضيف إلى ذلك
أنه أودع هذا الكتاب فكتماً ولطائف توميء إلى قواعد شريفة ، زائدة
على ما يورده للمشائون . وهنا يظهر لنا السهروردي في وضوح وجلاء
على الصلة التي توجد بين مذهبه الاشرافي والخالفين ما يعرضه من مذاهب
المشائين في العلوم الفلسفية البحتة ، فيقول ما نصه ^(٢) : « ومن لم يمه
في العلوم البحثية به (كتاب الشارع والمطارحات) فلا سبيل له إلى كتابي
الموسوم بحكمة الاشراف ، وهذا الكتاب ينبغي أن يقرأ قبله ، وبعد تحقيق
المختصر الموسوم بالتلويحات فإذا استحكم الباحث هذا النمط فليشرع
في الرياضات العروة بحكم القيم على الاشراف ، حتى يطابق بعض مبادئ
الاشراف ، ثم يتم له مباني الأمور وأول الشروع في الحكمة
هو الانسلاخ عن الدنيا ، واوسطه مشاهدة الأنوار الالهية ، وآخره
لأنهاية له . . . »

(١) مجموعة في الحكمة الالهية : الشارع والمطارحات ، استانبول ١٩٤٥ م :

ص ١٩٤

(٢) مجموعة في الحكمة الالهية : الشارع والمطارحات ، استانبول ١٩٤٥ م :

ص ١٩٤ — ١٩٥

ويلاحظ المتأمل فيما يحدثنا به المهروردي عن كتابه المشارع والمطارحات ، أن هذا الكتاب وإن كان من الكتب التي يصرح المهروردي نفسه بأنه كتبها على طريقة المشائين ، إلا أنه يصرح من ناحية أخرى بأنه زاد على ذلك أشياء ليست من طريقة المشائين في شيء ، وإنما هي من طريقة الاشراقيين في كل شيء ، وأعنى بهذه الأشياء ما يعبر عنه في النص المتقدم بالنكت واللطائف التي توفى إلى قواعد شريفة . يضاف إلى هذا أنه قد شرط فهم كتابه حكمة الاشراق بالتمهر في العلوم البحثية أي علوم المشائين . وهذا كله يعني بعبارة أوضح أن المهروردي في كتابه المشارع والمطارحات قد جمع بين الحكمتين البحثية والدوقية ، أو بين طريقتي المشائين والاشراقيين ، وأنه بهذا الجمع قد فعل في كتاب مشائي عين ما فعله في أم كتاب إشراقي له وهو كتاب حكمة الاشراق : ففي مقدمة هذا الكتاب الأخير يحدثنا المهروردي بأن طريقتي التي اتبعها فيه مختلفة عن طريقة المشائين التي اتبعها في تصنيفاته الأخرى الموضوعة على هذه الطريقة^(١) ، ولكنه يحدثنا في مقدمة الكتاب نفسه بأنه قد اصطنع الحجة العقلية لاثبات ما وصل إليه وحصل عليه من حقائق الاشراق التي يطلق عليها اسم « علم الأنوار » ، وذلك إذ يقول ما نفسه^(٢) : « ... ولم يحصل لي أولاً بالفكر ، بل كان حصوله بامر آخر ، ثم طلبت الحجة عليه حتى لو قطعت النظر عن الحجة مثلاً ما كان يشككني فيه مشكك : لأن ما ذكرته من علم الأنوار ، وجميع ما يبقى عليه وغيره ، يساعدني عليه كل من سلك سبيل الله عز وجل ، وهو ذوق إمام الحكمة ورئيسنا أفلاطن صاحب الأيد والنور ... » . يضاف إلى هذا أن المهروردي قد افرد القسم الأول من كتابه حكمة الاشراق لعلم من أهم العلوم المشائية ، واعنى به المنطق ، وجعل هذا القسم من القسم الثاني الذي افرده لعلومه الاشراق في الأنوار الالهية ، بمثابة التمهيد الذي يدخل منه طالب الاشراق إلى القسم الثاني

(١) حكمة الاشراق : ص ١٥

(٢) حكمة الاشراق : ص ١٦

من الكتاب وهو الخاص بالاشراق^(١١) . فكل أولئك شواهد صدق وأدلة حق على أن المهروردي في كتابه حكمة الاشراق قد جمع الى الحكمة الذوقية طرقاتاً هاماً من الحكمة البحثية ، وعند هذا الطرف مما لا غنى لطلاب الاشراق عنه .

فاذا كان ذلك كذلك ، وكان المهروردي قد جعل في مقدمة هذا الكتاب طلاب الحكمة على ثلاث مراتب : طالب التأله والبحث ، وطالب التأله فقط ، وطالب البحث فقط ، وكان خير هؤلاء الطلاب عنده هو طالب التأله والبحث ، فقد قصر شيخ الاشراق كتابه هذا على طلاب التأله والبحث بحيث لا يكون للباحث الذي لم يتأله ، ولا للطالب الذي لم يطلب التأله نصيب فيه^(١٢) .

ويتمى بنا كل ما تقدم من حديث عن كتاب هياكل النور وكتاب المشارع والمطاريحات وكتاب حكمة الاشراق ، إلى أن الجمع بين العناصر المثائية والعناصر الاشراقية ، حظ مشترك بين مصنفات المهروردي ، سواء في ذلك ما عده منها قطب الدين الشيرازي والأستاذ ماسينيون من مصنفات الصياح كهاكل النور ، أم ما عده الأستاذ ماسينيون وحده من مصنفات الطور المثاني ككتاب المشارع والمطاريحات ، أو من مصنفات الطور السبئوي الأفلاطوني ككتاب حكمة الاشراق . وتسلمنا هذه النتيجة إلى نتيجة أخرى هي أن تصنيف مصنفات المهروردي تصنيفاً زمنياً أمر لا سبيل إليه ، إذ هو يتنافى مع طبيعة الموضوعات التي يتناولها المهروردي في مختلف مصنفاته من ناحية ، ومع الخصائص الفلسفية والتصوفية الاشراقية التي انطوت عليها هذه المصنفات من ناحية أخرى ، وأن الخير هو أن ينظر إلى ما خلفه شيخ الاشراق من الآثار نظرة شاملة تؤلف بينها ، وتجعل منها وحدة متسقة مطبوعة بطابع واحد ، ومتجهة إلى غاية واحدة هي إقامة حكمة إشرافية على دعامتين إحداهما بحثية والأخرى ذوقية .

(١١) حكمة الاشراق : ص ٢٧ — ٢٨

(١٢) حكمة الاشراق : ص ٣٥ — ٢٦

على أن صعوبة تصنيف مصنفات المهروردي تصنيفاً زمنياً ، لا تقف عند حد المصنفات التي ضربناها الأمثال ، وأوردنا منها بعض نصوصها التي تنزع إلى المنزع التصوفي الإشرافي بقدر ما تعرض للأُنظار الفلسفية المشائية ، وإنما هي تتجاوزها إلى مصنفات أخرى وضع الاستاذ ماسينيون كل طائفة منها في كل طور من الأطوار التي يتألف منها تصنيفه الزمني ، وأبدى الاستاذ كوربان على وضع كل من هذه المصنفات الأخرى في كل من هذه الأطوار ملاحظات دقيقة سديدة : ففما يتعلق بكتاب الألواح العبادية الذي أهده المهروردي إلى عماد الدين أمير خربوط ، وعده الاستاذ ماسينيون من مصنفات الصبا ، يستخلص الاستاذ كوربان ^(١) من تاريخ تولى ذلك الأمير وهو سنة ٥٨١ هـ ، ومن تاريخ وفاة المهروردي وهو سنة ٥٨٧ هـ ، أنه لابد من أن يكون كتاب الألواح العبادية معاصراً لكتاب حكمة الاشراق الذي انتهى المهروردي من تأليفه سنة ٥٨٢ هـ ، وللمصنفات الاعتقادية الكبرى . وفضلاً عن هذا فإن في كتاب الألواح إشارة إلى كتاب حكمة الاشراق .

وأما فيما يتعلق برسائل المهروردي التي عدّها الاستاذ ماسينيون من مصنفات الصبا ، وسبقه إلى اعتبارها كذلك قطب الدين الشيرازي ، فقد لاحظ الاستاذ كوربان ^(٢) أن تلك الرسائل التي كتبت في صورة أمثال وحكايات توجيهية ، تشر طريقة إنشائها فضلاً عن محتوياتها لأول وهلة بما فيها من اتجاه اشراقي راسخ . وهنا ينهي الاستاذ كوربان إلى أنه لوـ بان هذه الرسائل من مصنفات الصبا ، (دون أن ننسى السن التي توفي فيها شيخنا) ، لكان من العسير أن يتصور انقباضها عن كتاب حكمة الاشراق بفترة مثالية خالصة .

وكذلك المصنفات التي عدّها الأستاذ ماسينيون من آثار المهروردي في الطور المشائي ، وعدد منها المشارع والمطارحات والتوجيهات والمقاومات ،

Opera Metaphysica et Mystica. Intr. Fr. p. VII.

(١)

Opera Metaphysica et Mystica, Intr. Fr. p. VII.

(٢)

فقد اعترض الأستاذ كوربان^(١) على اعتبارها مصنفات مشائية ، وأيد اعتراضه بنصوص مستقاة من كتابي المزارع والمطارحات والتلويحات . وحسبنا أن ننظر مع الأستاذ كوربان في الفقرة ٥٥ من كتاب التلويحات^(٢) ، وفي الفقرة ٢٠٨ من كتاب المزارع والمطارحات^(٣) ، لتبين أن السهروردي إنما يتحدث هاهنا بلسان اشراقي لا شبهة فيه ولا غبار عليه ، كما يتحدث عن كتابه حكمة الاشراق على أنه كتاب قد تم وضعه .

وهكذا تبين من كل ما تقدم أن حكيمنا لم يكن في فترة ما من فترات حياته فليسواً مشائياً يصطنع مناهج المشائين وحدها ويؤلف عليها طائفة من مؤلفاته ، ثم أصبح في فترة أخرى حكيماً اشريقياً يصطنع الذوق ويؤثر طرائق الصوفية في الرياضة والمجاهدة ويركن في تأليف طائفة أخرى من مؤلفاته إلى منهج الاشراقيين ، وإنما هو حكيم اشراقي أولاً وأخيراً : بدأ وانتهى ، في مؤلفاته كلها إن لم يكن كلها ، حكيماً متوغلاً في البحث والتأمل على حد تعبيره هو ، أو حكيماً جامعاً بين الحكمتين البحتية والذوقية على حد تعبير السهرزوري .

(٤)

تصنيف بحسب الخصائص : كوربان

عن الأستاذ كوربان بتحقيق آثار السهروردي ونشرها نشرأ علمياً تدل عليه طبعته لهذه الآثار طيبة قدم لها بمقدمة لها من غير شك قيمتها في الامام بالمصنفات المختلفة لشيخ الاشراق ، وبيان العناصر التصوفية والفلسفية والاشراقية التي تتألف منها . وآية هذه العناية هي المجلد الاول من هذه الطبعة الذي ظهر في استانبول سنة ١٩٤٥ تحت هذا العنوان العربي : (مجموعة في الحكمة

(١) Opera Metaphysica et Mystica, Intr. Fr. P VII-VIII

(٢) مجموعة في الحكمة الالهية : التلويحات : ص ٧٠ — ٧٤

(٣) مجموعة في الحكمة الالهية : المزارع والمطارحات : ص ٨٣ — ٨٤

الالهية — من مصنفات شهاب الدين يحيى بن حبش المهروردي)، وتحت هذا العنوان اللاتيني :

(Sihābaddin yahya As-Suhrawardī : Opera Metaphysica et Mystica) وكان حلقة من سلسلة (النشريات الاسلامية لجمعية المستشرقين الألمانية). وكان طبيعياً ، وقد عمد الأستاذ كوربان الى تحقيق آثار حكيمنا وإذاعتها ، أن يصنف هذه الآثار تصنيفاً اعانته عليه عشرته المتصلة للمهروردي ودراسته الدأية لمخطوطات مصنفاته . وهانحن أولاء قد رأينا فيما سبق من حديث عن التصنيف الزماني الذي وضعه الأستاذ ماسينيون ، ما يوجه الأستاذ كوربان من اعتراضات على هذا للتصنيف ، الأمر الذي كان لابد لعمه من أن يحاول هو تصنيف آثار شيخ الاشراق تصنيفاً يقوم على أساس آخر .

ويبرز الأستاذ كوربان في مصنفات المهروردي التي وصلتنا بالفعل . والتي لم تصل إلينا ولم تقف منها إلا على عناوينها التي يذكرها المؤرخون ، بين صنفين : مصنفات صيغت صياغة مذهبية منظمة ، ومصنفات وضعت في صورة رؤى وحكايات تنطوي على إرشادات وتوجيهات صوفية . ويلاحظ أنه ليس مما تمكن محارلته أن تصنف هذه المصنفات أو تلك تصنيفاً زمنياً محققاً^(١) ، ولهذا رأى أن آمن الطرق وأثمرها هو أن تصنف هذه المصنفات بحسب خصائصها الذاتية ، أصنافاً يضم كل صنف منها المصنفات التي تلتقي فيما بينها في خصائصها المشتركة^(٢) ، وذلك على الوجه التالي :

(١) صنف يشتمل على رسائل أربع يمكن أن يطلق عليها اسم « الرسائل الاعتقادية الكبرى » ، وهي مكتوبة بالعربية . وقد وضعت الرسائل الثلاث الأولى ، وهي التلويحات والمقاولات

Opera Metaphysica et Mystica, Intr. Fr. P. XIII

(١)

Opera Metaphysica et Mystica, Intr. Fr. P. XIV-XVII

(٢)

Corbin: Les motifs Zoroastriens dans la philosophie de Suhrawardi, Teheran 1946

P 17-18.

والمشارع والمطارحات على أن تكون إعداداً وتمهيداً لدراسة الرسالة الرابعة وعلى حكمة الأشراف التي يعدها المهروردي أهم مصنفاته جميعاً .

(ب) صنف يشتمل على طائفة من الرسائل الاعتقادية الصغرى ، كتب بعضها بالعربية ، وكتب بعضها الآخر بالفارسية مثل برتا وقامه ، أو كتب بالعربية وترجمه المهروردي نفسه إلى الفارسية كما هو الشأن في هيا كل النور . ويدخل تحت هذا الصنف الأنواع العانية وبستان القلوب واعتقاد الحكماء وكلمة التصوف وكشف الغطاء^(١) واللمحات .

(ج) صنف يشتمل على طائفة أخرى من الرسائل الصغرى التي وضعت في صورة أمثال وحكايات توجيحية وقصص رمزية ، وقصدها إلى الارشاد والتوجيه ، ويكاد كلها يكون مكتوباً بالفارسية إلا القليل منها فقد كتب بالعربية ، أو كتب بالعربية والفارسية ، كما هو الشأن في رسالة الغربة الغريبة . ويدخل تحت هذا الصنف : رسالة غفل ، ورسالة آواز هجر ائيل ، وكلمات ذوقية (= الأبراج) ، ولغة موران ، ومؤنس العشاق (= رسالة العشاق) ، ورسالة در حالة طفولية ، ورسالة روزى باجماعت صوفيان ، ورسالة أنطير ، وصغير سيمرخ (د) صنف يشتمل على مجموعة من الواردات والتقدسات التي هي أشبه ما تكون بالزامير ، وتدور على طقوس يومية تقديساً للملائكة القائمين على أمر السكون . والمخطوطات التي عثر عليها من هذا الصنف ما تزال نادرة حتى الآن ، ويقول الأستاذ كوربان إنه لم يبق منها إلا على مخطوطات استانبول . ويدخل تحت هذا الصنف الواردات والتقدسات التي أوردناها في تصنيف المهروردي رتبة بالأرقام ٣٤ ، ٣٥ ، ٣٦ ، ٤١ ، ٤٣ ، ٤٥ ، ٤٦

(١) Henry Corbin : Suhrawardī d'Alep 1191, fondateur de la doctrine illuminative (ishraqi) Publications de la Société des Etudes Iranienne, n. 19 Paris 1939 .

هذا مجل تصنيف الأستاذ كوربان لآثار شيخ الاشراق بحسب خصائصها التي تؤلف بين كل طائفة منها . وما أجهلناه هنا قد فصله الأستاذ في مقدمته الفرنسية التي قدمها بين يدي المجلد الأول من مجموعة الحكمة الإلهية ، وأودعه إلهيات كل من التلويحات والمقاومات والمشارع والمطارحات ، ونشره في استانبول سنة ١٩٤٥ م . وهناك غير هذا المجلد الأول مجلدان آخران لم يظهر بعد ، وسيضمن الأستاذ كوربان أحدهما كتاب حكمة الاشراق للمصنفات الصغرى (Opera minora) ، ويضمن الآخر للمصنفات الطبيعية (Opera Physica) . وإننا نرجو أن يهباً للأستاذ كوربان من التوفيق ما يمكنه من إخراج هذين المجلدين تحفة للعمل الجليل الذي بدأه ، وتعميماً للنفع ، وإحياء لآثار شيخ الاشراق التي بعثت هنا وهناك ، وظلت زماناً طويلاً مطوية الصفحات ، مغمورة في ثنايا المخطوطات ، وزوايا المكتبات : فإنه بهذا سيتيح للباحثين أن يقبلوا على دراسة تلك الآثار دراسة علمية تمكنهم من الوقوف على مذهب صاحبها الاشراق في مجلته وتفاصيله ، والتمسك العناصر التصوفية والفلسفية التي يتألف منها ، والكشف عن منازعه الروحية التي يفرع إليها .

الأمة

نشأتها ودعائهم الاجتماعية

للككتور مصطفى الخشاب

للمدرس بقسم الاجتماع بكلية الآداب

يقوم علم السياسة كغيره من العلوم على طائفة من المصطلحات التي قد تبدو في الظاهر متقاربة المعنى والمداول . ولكنها في حقيقة الأمر متمايزة ومتفاوتة وكل لفظ منها يؤدي معنى عليا يختلف كل الاختلاف عن المعاني التي يؤديها لفظ آخر . ولذلك يجب على الباحثين أن يظنوا إلى ما تتطلبه المصطلحات السياسية من دقة ملحوظة ، وعليهم أن يحددوا على وجه صحيح الاستعمال العلمي لكل منها ، ويدركوا الفروق الجوهرية بين هذه المصطلحات . لأن كثيراً من الصعوبات قد نشأت من الإهمال في تحديد معاني المصطلحات السياسية ، وعدم التمييز بين ما يقصد منها عادة في الاستعمال العادي وبين ما يقصده العلماء والكتاب السياسيون . ولهذا السبب جاءت الكتابات القديمة في علم السياسة غامضة يكتنفها كثير من الإبهام . ولعل عدم توفيق هذه البحوث في حل القضايا والمشاكل السياسية التي عالجتها يرجع بعض أسبابه إلى قصور أصحابها في التمييز بين المصطلحات والألفاظ التي تتطلبها طبيعة البحث وعدم استعمالها استعمالاً علمياً دقيقاً . نذكر على السبيل المثال لفظ أمة ودولة وحكومة وقومية وجنسية ... الخ . ومن ثم يحين علينا أن نضع هذه الحقيقة موضع الاعتبار ونمرن أنفسنا على التمييز بين المعاني العلمية التي تؤديها المصطلحات السياسية لأن هذا يساعدنا كثيراً في حل المشاكل الصعبة والإشكالات التي تنشأ من تقارب المدلولات ومن الغموض النشوي .

ولذلك قبل أن نتكلم عن مفومات الأمة والدعائم الأساسية التي تقوم عليها، يجب أن نحدد بالذقة ماهو المقصود بهذا اللفظ، وما الفرق بينه وبين ما يقصد بكلمة «الدولة» أو «الحكومة» وكلها ألفاظ قد تبدو قريبة التصدد متشابهة المعنى مع أن هناك فروقا جوهرية بين هذه الحقائق يجب إدراكها .

فيقصد عادة بالدولة مجموع منظم من الناس دائم البقاء يقطن أرضا معينة، له موارده المالية ونظمه الاجتماعية والسياسية والاقتصادية ، ويخضع لسيادة موحدة ، ويسعى وراء غرض عام مشترك . وبهذا المعنى تعتبر الدولة تصورا قانونيا أو شخصية قانونية سياسية .

ويقصد بالحكومة الهيئة التنفيذية في الدولة . أى مجموع الأشخاص الذين تتركز في أيديهم السلطة العليا . فهي الأداة المنفذة لرغبات الدولة وغاياتها . فالحكومة في ذاتها ليست لها سيادة أو سلطة وإنما تستمد ذلك من صلتها بالدولة وتزاول وظيفتها وسلطانها بتفويض منها لأن الدولة هي صاحبة السلطة العليا . وصاحبة السيادة والنفوذ . فالحكومة إذن هي مظهر سيادة الدولة ، وهي الوسط العملي الذي عن طريقه تنشر الدولة سيادتها وتحقق سلطانها على الأفراد الخاضعين لها .

أما «الأمة» فيقصد بها معان مغايرة لما سبق الإشارة إليه . فقد اصطلاح كثير من علماء السياسة على اعتبار الأمة (وحدة جنسية) أى أنها جماعة من الناس تربطهم رابطة «الجنس» . وعلى هذا الأساس تعتبر الأمة تصورا إنثنولوجيا في حين أن الدولة تعتبر تصورا قانونيا وسياسيا . ورأى علماء آخرون أن الاشتراك في الوحدة الجنسية لا يصح أن يكون دعامة لقيام أمة ما ؛ لأن الأمة بالمعنى الصحيح يجب أن تتميز ، فوق ما تتميز به من وحدة جنسية ، بوحدةها الجغرافية واللغوية وحضارتها ومقومات آدابها وتقاليدها . هذا فضلا عن وحدة الشعور والعواطف والاتحاد في الرغبات والاتجاهات العامة .

ولابأس من أن نعرض بعضا من الآراء التي ذهب إليها علماء السياسة وفلاسفتها بصدد تعريف الأمة وتحديد مقوماتها المميزة .

يقول العلامة « برجس Burgess » : « الأمة هي الشعب الذي يشترك في اللغة والحضارة والآداب والتاريخ والتقاليد والعادات ، وتشتبك في استقرارها في قطعة أرض تمتاز بوحدها الجغرافية » ^(١) . ويوضح لنا أن صاحب هذا التعريف قد أهمل عنصر (الجنس) في تحديد خصائص الأمة . ويرى العلامة الفرنسي فودريه (Pradier Fodéré) : « أن الأمة عبارة عن مجموعة متحدة من السكان يعيشون في بلد واحد ويتكلمون لغة واحدة وتسرى عليهم قوانين واحدة وتربطهم رابطة الجنس الواحد والأصل المشترك والميزات الطبيعية والخواص الفيزيائية » ^(٢) . ووضح من هذا التعريف أن صاحبه أكد ضرورة (الوحدة الجنسية) في تحديد خصائص الأمة .

وعرفها العلامة أماري (Carrazza Amari) بأنها « مجموعة من العائلات انضوت تحت حكومة حرة موحدة ، وأقامت مساكنها على قطعة أرض محددة ، وتسعى إلى العمل على احترام شخصيتها من الناحية الخارجية » ^(٣) . ولعلنا نجد في ثنايا هذا التعريف اتجاه آخر في تحديد مقومات الأمة . إذ اشترط صاحب التعريف مبدأ السيادة والشخصية القانونية . وهذا الوضع يجعلنا نخلط بين المقصود (بالأمة) وبين ما يفهم عادة من لفظ (دولة) .

ولعل (أماري) قد فطن إلى هذا الخلط وعدم التحديد . فعزل تعريفه لتمييز بين الحقيقتين بقوله : « الدولة في نظري اجتماع قائم على القوة والقهر والاستبداد ؛ أما الأمة فهي الدولة المؤسسة على الطبيعة والضرورة وليست بطريقة صناعية — أي أنها اجتماع من عدة عائلات تربطهم مصالح مشتركة بحيث يؤلفون عائلة واحدة قوية » .

وأرى أنه بهذا التعديل أو بعبارة أخرى بهذا التوقيع قد أساء إلى فهم الحقيقتين معاً . فلم يكن موثقاً لا في تعريف الدولة ؛ ولا في إدراك الفرق الجوهرية التي تميزها عن الأمة .

Burgess = Political science and Constitutional Law Vol. I.

(١)

Fodéré = Principes généraux de Droit Politique et de Législations.

(٢)

Gilchrist = Principles of Political Science.

(٣)

ومن أشهر العلماء السياسيين الذين خاضوا في هذا الموضوع العلامة الألماني بلنثلي (Bluntchli) فقد عرف الأمة بأنها مجموع من الأناس يعيشون في مجتمع ورأى ، ويرجعون إلى أصل واحد ويجلس مشترك ، ويتحدثون في اللغة والعادات والحضارة . واتحادهم في هذه الأمور يضمن عليهم شعوراً جميعاً بالوحدة ويميزهم عن غيرهم من الأجانب والغريباء ، ^(١) .

ويبدو أن العلامة (بلنثلي) قد لمس في تعريفه كثيراً من جوانب الحقيقة وضغط على أمور هامة لا بد من توافرها لقيام الأمة . مثل الوحدة الإثنولوجية والوحدة اللغوية ووحدة الثقافة والتفكير . وهو من المتعمقين لفكرة (الجنس) لأن وحدة الأمة في نظره إنما ترجع إلى وحدتها الإثنولوجية . وهو يميز بين الأمة (كوحدة جمعية ترجع إلى أصل مشترك) وبين الشعب (Volk) . وهو قوة سياسية . فيعني بالشعب جميع أفراد الدولة المتحددين والحاضعين لنظمها وقوانينها . فالتمييز بين الأمة والدولة إنما يقوم في وجود الوحدة السياسية في الدولة ، بينما لا تلزم هذه الوحدة في الأمة . فليس من الضروري أن تتحقق مثل هذه الوحدة لتستكمل الأمة مقوماتها . هذه أمثلة من التعاريف التي وضعها أشهر علماء السياسة في تعريف الأمة وتحديد دعائها الجوهرية .

ويبدو لي أن هذه التعاريف ، على ما فيها من طفرة في التعميم ، قد وضعت وضماً بدون أن يمد لها أصحابها بدراسة منهجية تحليلية لمقومات الأمة والأسس الجوهرية التي يجب توافرها في الأمة بالمعنى السياسي والاجتماعي الصحيح . ولم يعتمد أصحابها في الوصول إلى نتائجهم على أمثلة مادية . ولذلك جاءت هذه التعاريف خاطئة في بعض نواحيها ، وغير دقيقة في بعضها الآخر . وهي في معظمها لا تتفق مع ما يدنا به التاريخ من حقائق .

لقد بدا لكثير من هؤلاء الباحثين أن الدعائم الجوهرية التي تقوم عليها الأمة واضحة إلى حد ما . ولكن تبين بالدراسة والتحليل وتطبيق النظريات على الأمم الموجودة أن المسألة ليست سهلة ، وأنها تتطلب دراسة تاريخية علمية لحقائق الموضوع .^(١)

وبالرجوع إلى التاريخ نجد أن أشكال المجتمعات الانسانية كثيرة ومتغايرة . فقديمًا عاشت شعوب في الصين وفي مصر وفي بابل . وانتظمت البلاد العربية والعربية قبائل متعددة . وقامت في العصور القديمة مدن مثل اسبرطة وأثينا ، وظهرت إمبراطوريات واسعة مثل إمبراطورية الاسكندر والامبراطورية الرومانية . ونشأ بعد في هذا التاريخ الحديث قيام أمم متميزة مثل الأمة الانجليزية والفرنسية ، وقيام دول تعاهدية مثل سويسرا والولايات المتحدة الأمريكية . هذه أمثلة من المجتمعات التي عاشت ولا تزال تعيش ، ونحن لا نستطيع أن نميز بين خصائص كل منها إلا بصعوبة بالغة . فهل يمكننا أن نطلق على هذه المركبات الجمعية اسم « أمة » .

هذا ، إلى أن بعض المفكرين المحدثين قد ارتكبوا خطأ كبيراً في كتاباتهم وذلك بأن خلطوا بين الجنس والأمة وراحوا ينسبون إلى الجماعات المتشابهة إتولوجيا ولغوا خصائص الأمة . فإلى أى حد يمكننا الحكم على صحة هذه الأمور ؟

يذهب بعض العلماء إلى اعتبار أن الدعامة التي تقوم عليها الأمة هي وجود أسرة حاكمة قهرت جيرانها وانتصرت عليهم منذ القدم ، وفرضت عليهم الخضوع والطاعة والالتزام معها في وحدة . وهذا الاتحاد الذي كان الدافع إليه الغلبة والقهر ، يصبح فيما بعد مصدراً لاتحاد مصالح الأفراد المكونين له ، وتبادل آرائهم وامتزاج رغباتهم . وينطبق أصحاب هذا الرأي نظريتهم على بعض الأمم الحديثة التي ترجع في أصل تكوينها إلى وجود عائلة أصيلة تمتعت منذ القدم بمزايا الاقطاع وتصارعت وتناست في وسط معين نشأت فيه ثم تفرعت وفرضت عليه سيادتها . وعن هذا الطريق تكونت « الأمة » .

Harold Laski—A Grammar of Politics. Chap Six, p 219 sqq.

(١)

ولكن هل كان هذا المبدأ دعامة أساسية في نشأة كل أمة ؟

لا تؤيد حقائق التاريخ هذه النظرية ولا تنهض دليلا على صحتها . فسويسرا والولايات المتحدة مثلا قد تكونتا من تكتل القبائل والجماعات تباعا وبصفة دائمة على عمر العصور بدون وجود سلالة حاكمة أو أصل ملكي مما يجعلنا يتردد في التسليم بأن نشأة الأمة تتوقف على وجود عائلة ملكية أو أسرة حاكمة . ومما يدلنا على أن المبدأ الذي تقررته هذه النظرية ليس له من أثر يذكر في مقومات الأمة ، أن الأمم التي قد يبدو أنها قامت على أساسه يمكنها أن تخرج عليه بدون أن تفقد كياناتها وحيويتها ، وبدون أن يؤثر انقلابها هذا على خصائصها وميزاتها . وفي ذلك أبلغ دلالة على فساد هذه النظرية وعدم صحتها .

والظاهر أن أنصار هذه النظرية قد خطئوا بين الدولة والأمة . لأن المبدأ الذي يقولون به يعتبر في كثير من الظروف أساسا طبيعيا لقيام بعض الدول القديمة . ويبدو أيضاً أن فكرة الأمة بمعناها العلمي لم تتضح في أذهانهم ، ولم يفهموها على وجه صحيح بدليل أنهم اعتبروا الدول القديمة أمما تامة التكوين مثل قدامى الهنود والحيتيين والكلدانيين مع أن هذه الشعوب وما إليها لا يصدق عليها لفظ أمة بالمعنى السياسي المفهوم حديثا . لأن فكرة الأمة والقومية كانت بعيدة عن تصور هذه الشعوب ولم ترق أحوالهم الاجتماعية وشعورهم الجمعي إلى درجة القوميات الحديثة . فكانت هذه الشعوب القديمة وما إليها عبارة عن جمهوريات وممالك أو اتحادات من مدن محلية يترعها ملوك أو أمراء يظن فيهم أنهم من سلالة الآلهة أو من أبناء الشمس والسماء . ومما يدل فوق ذلك على أن أصحاب النظرية المشار إليها لم يفهموا المعنى العلمي لكلمة « الأمة » أنهم أطلقوها على المدن القديمة مثل أثينا واسبرطة وصور وصيدا وغيرها من المدن التي ازدهرت في العصور القديمة . ولا شك أنهم في ذلك يخطئون لأن هذه المدن كانت في حقيقة الأمر عبارة عن مراكز حية للحياة الوطنية ولا تزيد عن كونها

وحدات سياسية وقوميات صغيرة منزلة لم تكتمل فيها الخصائص والمقومات التي تجعل منها أمما بالمعنى الصحيح .

من هذه الأمور يوضح لنا فساد النظرية التي نحن بصدد مناقشتها فليوضح الاعتماد عليها في تفسير نشأة الأمة وليس للبدا الذي تقول به من أثر يذكر في تحديد الدعائم التي ترتكز عليها الأمم في قيامها .

وذهب كثير من العلماء في تفسير أصل الأمة إلى « وحدة الجنس » . وقد اعتمد هؤلاء في تبرير مذهبهم على الاشتقاق اللغوي لكلمة (أمة) إذ يعبر عنها في اللغات الحديثة بكلمة (nation) وهذه الكلمة مشتقة من الأصل اللاتيني (natus) ومعناه الولادة والانحدار من جنس واحد وأصل مشترك ^(١) وعلى هذا الأساس اعتبر أصحاب هذه النظرية الأمة (تصوراً إنشائياً) وميزوا بينها وبين الدولة التي اعتبروها (تصوراً سياسياً وشخصية قانونية) .

ويرى هؤلاء أن التقسيمات الصناعية التي كانت نتيجة عهد الاقطاع أو تزاوج الأمراء أو مؤتمرات السياسيين ، تقسيمات لا تدوم ومآلها الزوال والانتقاص لأنها لا تقوم على أساس سليم . أما التقسيم الصحيح في نظرم فهو التقسيم الذي يقوم على أساس الأجناس ؛ لأن هذا المبدأ يعتبر الدعامة الجوهرية في تكوين الأمم وهو الذي يعطى للأفراد المنتمين إلى جنس واحد حقاً مشروعاً في تكوين أمة مستقلة عن غيرها لها صفاتها وخصائصها المميزة . ومعظم أنصار هذه النظرية من العلماء الألمان (وأشهرهم بمسن Moinsen) الذين يرون أن الأسرة الألمانية لها الحق الشرعي في أن تسترد كل أعضائها وجميع أفرادها من الأصل الجرمانى المثلث ، حتى ولو كانت هذه الأعضاء لا ترغب رغبة أكيدة في الانضمام إليها . لأن حق الجنسية الألمانية يجب أن يكون أقوى وأعنف ، في أي ولاية من الولايات

R.N. Gilchrist—Principles of Political science p. 55.

(١)

التي يرجع سكانها إلى الأصل الجرمانى ، من أى رغبة أو تيارات أخرى تسود هذه الولايات — أى أن أنصار هذه النظرية خلقوا لنا بصدد نشأة الأمة نوعاً من الحق الأولى الضرورى (à priori) مماثلاً تماماً لحق الملوك المستمد من الحق الإلهى ؛ بمعنى أنهم جعلوا من مبدأ الإثنولوجيا ووحدة الجنس دعامة جوهرية يقوم عليها أصل الأمة .

وليس من شك فى أن الوحدة الجنسية هى إحدى القواعد الكلية العامة التى تقوم عليها الأمة ، وهى خاصة بميزة الأمم التى ظهرت فى التاريخ . بل إن مجرد الاعتقاد فى الأصل المشترك ، سواء كان هذا الاعتقاد حقيقياً أو صورياً ، قد يكون كافياً فى تقوية روابط القومية .

غير أن هذه النظرية كانت هدفاً لانتقادات كثيرة واعتراضات جوهرية تجعلنا نتردد فى التسليم بصحتها ، وتدُلنا على أن التعصب الشديد الذى بدا من جانب العلماء الألمان فى الدفاع عنها لا يقوم على أساس ممكن ^(١) .

من ذلك أن ليس ثمة جنس خالص نقي . لأننا نلاحظ بالدراسة والتجربة أن الأجناس فى الأمم الحديثة مختلطة لدرجة يصعب معها تحديد العناصر الإثنولوجية فى المجتمع الواحد . ونما يزيد الأمر تعقيداً أن (علم الأجناس) لم ينتج حتى العصر الحديث فى وضع نظرية دقيقة لتمييز الأجناس المختلفة ، ولم يوفق علماء الإثنولوجيا والإثنجغرافيا على نظرية واحدة مسلم بها فيما يتعلق بالتوزيع الإثنولوجى ، وخصائص ومميزات كل جنس من الأجناس . ولا نجد بينهم اتفاقاً على الأصول الإثنولوجية وفروعها ، ومهد كل منها ، والظروف الجغرافية والتاريخية التى خضعت لها . إن الآراء بين الخبراء وعلماء الإثنولوجيا بصدد هذه الأمور ، لا تزال حتى عهدنا هذا مضطربة وغير مستقرة .

فالأمة لا يمكن اعتبارها سلالة ماثلية خالصة ونقية من عناصر الاختلاط . حقا إن أصول القبائل والعشائر قد تنسب أو تُعزى — فى غالب الأمر — إلى جد واحد أو أصل مشترك ، ولكن الشعور بالقومية الذى يضفى عليها

صفة الأمة لا يمكن أن يقوم بدون اختلاط الدم . فإن التمازج والتمازج واختلاط الأرحام والأنساب لا بد أن يسبق ظهور القوميات . قد تعتبر (وحدة الجنس) رابطة قوية في نشأة الأمة ، ولكن ليس عن طريق النسبة الإيتولوجية ، بل لأن هذه الوحدة تتضمن ارتباطات أبعد من ذلك مدى مثل وحدة اللغة ووحدة البيئة والثقافة والتقاليد المشتركة .

ولا أدل على فساد هذه النظرية أن أعظم الأم الحديثة رقباً وحضارة ، وأقواها شعوراً بالوحدة وبالقومية ، هي الأم التي اختلطت فيها الأجناس والأصول والأنساب . فمثلاً ترجع الأمة الفرنسية في تكوينها الإيتولوجي إلى أصول كلتية وجرمانية وإيبيرية (Ibérique) ، ونجد أن الأمة الإيطالية ، بعد تمام وحدتها الحديثة ، معقدة من الناحية الإيتولوجية . فقد امتزجت فيها مجموعة متشابهة من أجناس مختلفة : امتزج فيها الدم (العالي والاروسكي والبلاسيك واليوناني) وغير ذلك من الأجناس التي التقت في ظروف وملايسات غامضة ، وانصهرت جميعاً وكونت مزيجاً لا يمكن فصل عناصره أو تمييزها . والأمة البريطانية ترجع في نشأتها إلى عناصر جنسية متعددة أهمها العنصر الجرمانى والعنصر الكلتى . وقد امتزجت فيها هذه العناصر بنسب لا يمكن تحديدها أو تمييزها . ولعل أبلغ حالة لاختلاط الأجناس وتفاعل العناصر الإيتولوجية المختلفة ما حدث في الولايات المتحدة الأمريكية . فإن هذه الولايات على ما فيها من اختلاف وتباين من الوجهة الجنسية والأصول المشتركة ، قد أصبحت في المصور الحديثة مميزة من الناحية القومية .

هذه أمثلة من الأم التي اختلطت فيها الأجناس والأصول مع أنها من أقوى القوميات الحديثة وأشدّها اتحاداً . فلا وجه إذن لإصرار العلماء الأسان على الدفاع عن النظرية التي نحن بصدد مناقشتها بعد أن تبين أنها لا تتفق مع الحقائق التاريخية ولا يمكن تطبيقها على الأم الحديثة ، ولا يمكن بصفة خاصة تطبيقها على ألمانيا نفسها . لقد سلمنا من الأمثلة المتقدمة مبلغ الاختلاط والتفاعل الذي أصاب العناصر الإيتولوجية ، فهل سلمت ألمانيا

من هذا الاختلاط ؟ وهل هي الأمة الوحيدة التي شذت عن ذلك ؟ وهل ترجع جميع عناصرها إلى أصل جرمانى خالص كما يدعى أنصار هذه النظرية ؟ لاشك أن هذا وهم وتعصب من جانب أصحاب هذه النظرية لأن الجزء الجنوى من ألمانيا يغلب فيه الجنس الغالى ، ويرجع معظم الجزء الشرقى إلى الأصل السلافي . على أن الأجزاء الأخرى التي يظن أنها من أصل جرمانى خالص لم تكن كذلك في الحقيقة لأنها خضعت في كثير من أطوارها التاريخية إلى دوافع الاختلاط وعوامل التفاعل ^(١) .

وبما يزيد في فساد هذه النظرية أن بعض الشعوب التي تنفق من الناحية الإثنولوجية قد تكون متميزة من الناحية القومية وتكون أمماً مستقلة . فالإنجليز والسكوت مثلاً متشابهان إثنولوجياً ولكنهما متمايزان من الناحية القومية . والدانيارك والشعوب الإسكندنافية من جنس واحد ولكنها تكون مجموعة متميزة من الأمم لكل منها قوميتها ووجدتها وعناصرها الخاصة .

وكما أخطأت هذه النظرية في تصور ما قد كان وما هو كائن ، فقد أخطأت كذلك في تقرير ما يجب أن يكون . فإن ما تقرره في هذا الصدد يعذر تحقيقه . فهناك استحالة مادية تمنع من إعادة توزيع الأمم على هذا الأساس ، أو على الأقل تشجيع مثل هذا الاتجاه على الانتشار لأن إجراء من هذا القبيل يفقد العالم حضارته ، ويسبب اضطراباً خطيراً في الأمم القائمة ، وانقساماً لامتثل له في تاريخ العالم . إنه من الصواب أن يقال إن فكرة الجنس كانت لها أهميتها في قيام القبائل والأمم القديمة ؛ لأن القبيلة أو المدينة لم تكن سوى امتداد للأسرة أو البطن في أبسط صورها . وهذا ما لوحظ بوضوح في مدن مثل (اسبرطه وأثينا) فقد كان معظم المواطنين ذوى قرى إلى حد ما . ولوحظ هذا أيضاً عند قدامى العبريين والعرب . ولكن العالم سرعان ما انتقل من نظام المدن البسيطة إلى نظام الامبراطوريات الواسعة التي تكونت أولاً بالعبادة والقهر ثم استقرت على أساس المصالح المشتركة .

ولا شك أن تجانس المصالح والرغبة في التعاون بين مختلف القبائل والمدن والولايات التي تخلف اختلافاً كبيراً من ناحية الجنس ، هذا الاتحاد والشعور المتبادل قد خفف كثيراً من فكرة (التعصب الجنسي) وأزال كثيراً من الموانع والعقبات التي كانت تثيرها فكرة (وحدة الجنس) (١١) .

وقد كان لانتشار المسيحية فضل كبير في القضاء على فكرة التعصب الجنسي . إذ كان في تعاليمها وخصائصها العامة وفي اعتناق مختلف الأجناس لمبادئها ما جعل الأفراد يستشفون إلى حد ما بقيمة وحدة الأصل المشترك أو المبادئ الإتنولوجية التي يزعمون أنهم انحدروا منها : وما يقال عن المسيحية يقال أيضاً عن الديانة الإسلامية . فقد كان من نتيجة هذه الحركات التاريخية الهامة أن اختفى ، منذ قرون ، من أذهان كثير من الأمم العامل الانتماء في . ولم تعد له قيمة يعتد بها في بحث مسائل الإنسانية .

ومن الحركات التاريخية الهامة التي ساعدت على إضعاف روح التعصب للأصل الواحد أو الجنس المشترك ما استهدفت له أوروبا بصفة خاصة من هجوم البرابرة . فإن هذا الهجوم كان من العوامل الهامة التي ساعدت على القضاء على فكرة الجنس لأن الفزاة استطاعوا أن يتدججوا ويتصاهروا ويتجانسوا مع السكان الأصليين . وقد تولد عن ذلك جيل جديد مع أن أجناس الشعوب التي أخضعوها لسلطانهم كانت مغيرة لأجناسهم إلى حد كبير . وجاء بعد ذلك شرمان فكوّن امبراطورية واسعة الأرجاء كما فعل الرومان ؛ وامتازت امبراطوريته بالوحدة ، وكان يسودها الشعور بالقومية مع أنها مكونة من أجناس مختلفة . وعندما أخذت هذه الامبراطورية في الاضمحلال وفكر البساسة في تقسيمها نجد أن هؤلاء الذين اشتركوا في معاهدة (فردون) لتقسيمها ، لم يعملوا حساباً لتلك الأجناس التي تقوم على شئ خط التقسيم أو حوله . هذا إلى أن الحركات السياسية التي قامت حول تعديل الحدود في القرون الوسطى كانت بعيدة عن الميول والرغبات الإتنولوجية .

وهذا ما لوحظ أيضاً في تخطيط أوروبا الحديثة وتعديل حدود الدول . كل هذه الأمور تدلنا بوضوح على أن الاعتبارات الإثنولوجية لم تكن لها بصدد قيام الأمم ونشأتها تلك الأهمية التي بالغ في تقديرها أصحاب (نظرية وحدة الجنس) وخاصة العلماء الألمان منهم . إن التعصب لهذه الاعتبارات أخذ في الضعف ، وفكرة الأصل الواحد والجنس المشترك في طريقها إلى الزوال ، وقد فقدت أهميتها الآن .

والحق أن (الجنس) ليس هو كل شيء في الأمة . وإذا كانت دراسة الأجناس تعتبر الآن من أهم الدراسات لهؤلاء الذين يشتغلون بالتاريخ العام للإنسانية ، وتاريخ الحضارات وتوزيع الأجناس ، ولكن ليس هناك أى علاقة بين هذه الدراسات وبين تطبيق نتائجها في ميدان السياسة . إذ يجب أن نفرق بين حقائق علمى الأنتروبولوجيا والإثنولوجيا وبين تطبيقاتهما السياسية . لأنه بجانب الخصائص الجنسية يوجد العقل والشعور والآمال والآلام والمصالح المشتركة والاتجاهات المتجانسة ؛ ولا شك أن الاتحاد في هذه الأمور وما إليها يضمن على أفراد المجتمع الواحد شعوراً بالوحدة أقوى بكثير من (وحدة الأصل) .

ويذهب بعض العلماء إلى اعتبار (الوحدة الجغرافية) هى أهم دعامة تقوم عليها الأمة . فنانسبه بالحدود الطبيعية له جانب كبير من الأهمية في تقسيم الأمم . ويرى أصحاب هذه النظرية أن العامل الجغرافى لعب دوراً خطيراً في تاريخ الأجناس وقيام الأمم الموحدة . فالأنهار مثلاً ساعدت الأجناس المختلفة على الانتشار والذوبان والاختلاط ، وأتاحت نشأة الأمم والقوميات الموحدة ؛ بينما وقفت الجبال والمرتفعات فى سبيلها حجرة عثرة وأثمت بينها الحواجز والموانع . وفصلت الحواجز الجغرافية الطبيعية بعض أجزاء المعمورة عن بعضها الآخر ، ودفعت كل جزء إلى الاستقلال عن غيره فى قوامه وقوميته ^(١) .

Barker, National character.

(١)

فلاستقرار الدائم في منطقة جغرافية مميزة محدودة يعتبر أول عنصر من عناصر تكوين الأمة . وهو الباعث على نموها واتساع نطاقها . أما القبائل الرحل فلا ينتظر منها أن تكون أمة ما دامت في حالة ظن . ولكن إذا أتاحت لها فرص الاستقرار مدة طويلة فإن ذلك قد يؤدي إلى شعورها بالقومية ولا تلبث أن تكون أمة لها مميزاتها الخاصة وطابعها الذاتي . وإذا حدث لسبب ما أو لعوامل طارئة أن تستعيد طغيانها وترحلها فمن المحتمل جداً أن تحتفظ بوطنيتها وبشعورها القومي وقد تعمل جاهدة إلى استعادة وطنها القومي .

ويقول أصحاب هذه النظرية أننا إذا نظرنا إلى أمم العالم نرى أن معظمها يحتفظ بحدود إقليمية معينة هي التي اكتسبتها صفاتها الخاصة وعناصرها المميزة . ولا أدل على ذلك من أن الاسم الذي يطلق على الوحدة الجغرافية قد يطلق على الأمة التي تستوطنه . وقد يطلق أيضا اسم الأمة على الجزء الإقليمي الذي استقرت فيه . فمثلا نقول مصر للمصريين ، وفرنسا للفرنسيين ، ودانمارك للدانماركيين ، واسكتلند-للاسكتلنديين - ولذلك يذهب أنصار هذه النظرية إلى أن حدود الأمم مكتوبة ومرسومة على الخرائط ؛ وأن أي أمة لها الحق في أن تتخذ ما هو ضروري لكي تصل إلى مرتفع ما أو نهر تعتقد أنه يحدها منذ نشأتها . وبهذه النظرية برروا كل حركات العنف التي قامت في أوروبا حول مشا كل الحدود والوحدات الجغرافية .

ولكن حقائق السياسة التي بين أيدينا لا تنمض دليلا على صحة هذا الاتجاه في تفسير الدعامة التي تقوم عليها الأمم . لأننا نشاهد أنما كثيرة وقوميات ناضجة سياسيا مبعثرة في طول العالم وعرضه ، ومنتشرة بين ربوع الدول وتكون في كل منها مراكز سياسية حية محتفظة بقوميتها الأصيلة . فظواهر الهجرة والزوح والتدخل الاجتماعي لا تؤثر في القومية ولا تهدم أنما أصيلة . فالرجل الانجليزي أو الأيرلندي هو إنجليزي أو أيرلندي في أي جزء من أجزاء العالم . وهذا ما يقال عن السلواك والتشيك والبولنديين .

فقد عرف عن البولنديين أنهم يستطيعون الاحتفاظ بقوميتهم أمدا طويلا في الأوساط الغريبة التي يعيشون فيها . هذا إلى أن أمما كثيرة قد قامت في التاريخ القديم والحديث بدون أن يستند قيامها إلى فواصل جغرافية طبيعية ، وأن المنطقة الجغرافية الواحدة قد تسكنها أمتان أو أم كثيرة . وهذا يدل على أن العامل الجغرافي أو الوحدة الطبيعية ليست عاملا جوهريا في قيام الأمة . قد تكون هذه الوحدة عاملا مساعدا في المحافظة على الشعور بالوحدة في داخل الامة الواحدة ؛ ولكن هذا العامل لا يكفي لأن يكون دعامة لقيام أمة ما لم تتضافر معه عوامل أخرى .



ويذهب بعض العلماء إلى اعتبار «الوحدة اللغوية» هي الدعامة الجوهرية في قيام الأمة . ويرون أنه من الضروري لقيام الأمة أن يشترك أفرادها في « اللغة » لأنها وسيلة التعبير والتخاطب ؛ وعن طريقها يفهمون فيما يجب عمله ؛ وبدونها يعجز عليهم جميعا الاتفاق على غاية مشتركة . ويقرر أصحاب هذه النظرية أن « وحدة اللغة » من شأنها أن تخلق جوأ من التفاهم وتبادل الآراء ؛ وتسهل إلى حد كبير ظروف المخالطة والمعايشة والاجتماع . ومن ثم تنشأ ثقافة مشتركة وآداب مشتركة وحضارة مشتركة وتاريخ مشترك وهذه الأمور في نظرهم من أهم مقومات الأمة .

ومن أشهر المؤيدين لهذه النظرية العلامة «جملوفتش» (Gumplowicz) الذي يذهب إلى أن الاشتراك في اللغة هو أساس الوحدة القومية وبدأ جوهرى في قيام الأمة . لأن تجانس وسائل التخاطب والتعبير وتشابه الأفكار والاشتراك في مقومات حضارة واحدة يعتبر ثمرة ماض مشترك أكثر منه نتيجة للاشتراك في أصل واحد ^(١) . ويقرر هذا العالم أن الأصول الإثنولوجية للأمم الحديثة مختلفة ومتشعبة ولا يمكن تحديدها . ومن ثمة ، فالوحدة الجنسية لا تصلح أن تكون أساسا أو مقياسا صحيحا مرتزا عن الخطأ في الكشف عن طبيعة تكوين الامة ، ومعرفة عناصرها الأساسية . ويضرب

Garner. Introduction to political Science. chap. (Elements of nationality). (١)

في هذا العدد أمثلة متعددة بالألم الألمانية والإيطالية والأسبانية والفرنسية التي نشأت من خليط غير متجانس من الأصول الإثنولوجية . ولكنها أصبحت أما مميزة ومستقلة بطابعها وشخصياتها وذلك بفضل الاشتراك في اللغة ومقومات الحضارة بصفة عامة التي يرجع الفضل فيها أيضا إلى الاشتراك في طرق التفاهم والتخاطب وطرق التفكير ووسائل العمل .

ومن أنصار هذا الرأي أيضا الفيلسوف الألماني (فخته Fichte) وهو من أبرز رسل القومية الألمانية . فقد أعلن في كثير من كتاباته أن الوطنية شيء روحي ومظهر من مظاهر الوحدة العقلية . وأهم عامل يترجم عن هذه الوحدة هو (اللغة) . لأنها في الواقع تترجم وتعبّر عن مجموعة التجارب العامة التي خضع لها الأفراد منذ تجمعهم ، وتترجم عن المصالح المتبادلة بينهم ، والمثل العليا التي يسعون إليها . فهي دعامة الوعي القوي وبدونها لا يستقيم للأفراد فكر أو منطق ويتعذر عليهم الاتفاق على قدر مشترك من الأفكار والمبادئ الضرورية لوجودهم مجتمعين (١) .

ويستدل أنصار هذا الاتجاه على صحة ما يذهبون إليه بأن كثيرا من الحركات القومية التي قامت حديثا في أوروبا كان الدافع إليها « اللغات القومية » فقد كانت هذه الحركات ترمي إلى ضرورة استقلال بعض القوميات مادامت تشترك في اللغة وآدابها وذلك مثل ما حدث في بولندا وبوهيميا . فاللغة البولندية لعبت دورا هاما في استكمال الأمة البولندية خصائصها واستقلالها الذاتي ؛ واللغة التشيكية هي أهم ما يميز به الشعب التشيكي .

وقد أخذ ساسة الألمان بوجهة النظر هذه . فعمدوا إلى إلغاء اللغات القومية التي كانت منتشرة في بعض الأقليات والتي كانت سائدة في بعض المقاطعات الداخلة في حدودها ، وذلك للقضاء على مختلف النزعات الانفصالية . وفي ضوء ما نوحى به هذه النظرية نستطيع أن نفهم ما تبذله حكومات

الهند الحاضرة من جهود في سبيل توحيد اللغات الهندية والعمل على تقوية اللهجات الهندية المختلفة وتقريرها بقدر الامكان بعضها من بعض .

ولكن الحقائق التاريخية التي نشاهدها لاتنقض دليلا على صحة هذه النظرية ، ولاتجعلنا نسلم بأن (اللغة) هي الدعامة الجوهرية لثبات القوميات . حقا إن اللغة تساعد على الاتحاد ولكنها لاتلزم ذلك ولاتفرضه . فنلاحظ مثلا أن الولايات المتحدة الأمريكية وانجلترا يشكلان اللغة الانجليزية ، ومع ذلك فهما مستقلتان قوميا ، وتؤلف كل منها أمة لها خصائصها وميزاتها . وأمريكا اللاتينية وأسبانيا يشكلان لغة واحدة ، والأمة الأسبانية مستقلة قوميا ومتميزة تماما عن شعوب أمريكا اللاتينية . وبالعكس من ذلك نجد أن سويسرا التي تتداول بين سكانها ثلاث لغات أو أكثر تكون وحدة قومية مستقلة . ومع أننا نلاحظ أن كل جزء من أجزائها يستقل بلغة معينة ، إلا أن هذا الاختلاف اللغوي لم يكن له من أثر يذكر على وحدتها القومية وعلى خواصها كقائمة مستقلة . وهذا يدلنا على أنه يوجد في الإنسان شيء أسمى من اللغة ألا وهو الإرادة والرغبة في الاتحاد ^(١) .

وإلّا الأهمية السياسية التي خلطها العلماء على « اللغة » إنما جاءت من أنهم ينظرون إليها على أنها من خصائص الجنس وميزاته . بمعنى أنهم يذهبون إلى أن الوحدة الإثنولوجية تستدعي الوحدة اللغوية . لأن لكل جنس في نظرم لغة يتميز بها ، ولكن هذا الرأي خاطيء من أساسه ولا تبرره الحقائق المادية الملحوظة . فمقاطعة بروسيا مثلا التي لاتتكلم أهلها إلا اللغة الألمانية تعتبر من أصل سلافي ، والأسبانيون الذين يتحدثون من جنس غالي لايزالون يتكلمون اللغة الألبية البدائية ، والمصريون يتكلمون اللغة العربية . ولوحظ قديماً في القبائل الآرية والسامية أن العبيد والأرقاء يتكلمون لغات أسيادهم مع أن هؤلاء الأرقاء كانوا يختارون عادة من أجناس مغايرة لأجناس أسيادهم . وهذا يدلنا على أن تجانس اللغة لايعد دليلا على وحدة الأصل أو على الاتحاد الإثنولوجي — والأمثلة على هذه الظاهرة كثيرة ولا تحصى .

ومما يزيد في خطأ هذه النظرية ، أن تقسيم اللغات إلى لغات هندية -
أوروبية وسامية قائم على أساس الفيلولوجيا المقارنة ولا يتفق مطلقاً مع تقسيم
علماء الإثنولوجيا للأجناس . إن اللغة عبارة عن تكوين تاريخي لا تدل
في شيء على دم هؤلاء الذين يتكلمون بها ، وهي من جهة أخرى ، لا تستخدم
بأى إلزام عندما يرغبون في تحديد الأسرة الإثنولوجية التي يريدون الاتحاد معها
وربط مصالحهم الحيوية بها . وفوق كل هذا يجب علينا ألا نهمل المبدأ
الانسانى الأسمى وهو أن الانسان كائن مفكر وعاقل وله شخصية أخلاقية
قبل أن يكون أسيراً للغة ما أو يعتقد أنه منحدر من جنس معين أو تابع
لثقافة أو حضارة بالذات .

وبذهب كثير من المفكرين إلى اعتبار الوحدة الدينية من أهم الدعام
التي تقوم عليها الأمم . لأن هذه الوحدة من شأنها أن تخلق في قلوب أعضائها
عقيدة حية تدفعهم إلى الاجتماع ليذاكروها فيما بينهم . وهذه الضرورة للاجتماع
من شأنها أن تقوى فيهم وحدة التآلف والتآزر والاتحاد في الآمال والآلام .
ومن ثم يتميز أصحاب هذه الوحدة تتميزاً ذاتياً ، ويكونون وحدة اجتماعية
مستقلة .

ومن الأمثلة البارزة التي لعب فيها الدين دوراً خطيراً « تحقيق الوطن
القوى لليهود » ، فإن الوحدة الدينية لبني إسرائيل وتمسكهم بتعاليم الدين
ونصوبه هو الذى قوى فيهم الأمل نحو تحقيق وطن قوى لهم .

ويرى أنصار هذه النظرية أن الوحدة القومية لا يمكن أن تقوم وتناكد
بين أفرادها إذا كان هناك خلاف جوهرى في العقائد . فقد كان السائد قديماً
أن دين الأمة هو الدين الذى يعتنقه جميع أفرادها بلا استثناء . وكل من يخرج
عن تعاليم الدين أو يرفض الإيمان به ، يعتبر خارجاً عن الأمة ؛ ومن ثم ،
يفقد قوميته ويحل دمه . فديانة أثينا مثلاً ، في كثير من عصورها القديمة ،
هى الطقوس والعبادات التي يجب على كل أثينى أن يزاومها ويؤمن بها .
والفرد لا يعتبر أثينياً إذا رفض مزاولتها ؛ ففى هذا الرضا إعلان للجمهور

المواطنين بأنه لم يعد أثينا . وما يقال عن أثينا يقال عن أسبرطه وعن غيرها من القوميات الصغيرة التي انتظمت مدنا احتفظت كل منها بتقاليدها وعاداتها ونظمها الدينية .

ومما يدل على شدة تأثير الدين وقوة فاعليته في السياسة أن كثيراً من الحروب التي قامت قديماً كانت حروباً دينية . فالبروتستانتية دفعت إنجلترا إلى غزو أسبانيا في زمن الأرمادا . واستطاعت الكنيسة في العصر الوسيط أن تسيطر على الملوك والباطرة وتفرض عليهم القيام بحروب لتوطيد سلطتها ونشر تعاليمها ، لدرجة أن أصبحت حروب الدولة هي حروب الكنيسة ، وحروب الكنيسة هي حروب الدولة . ولعل أبرز مثل لذلك هو الحروب الصليبية التي استهدف لها الشرق في القرون الوسطى . وفي العصور الحديثة نجد أن الحركات القومية التي قامت بين الصرب والكروات كانت قائمة على أساس ديني ؛ لأن الصرب كانوا أرثوذكساً وكان الكروات كاثوليكاً . زوبانا . ومع أنهما كانا مشتركين في اللغة وفي التقاليد ويمتعان بثقافة واحدة إلا أن الخلاف في المذاهب الدينية أدى إلى شقاق قومي بينهما . وهذا ما لوحظ أيضاً بين الأتراك والمجرين فانهما من جنس واحد تقريباً وبينهما قرابة لغوية ؛ ولكن انقسامهما إلى مسلمين ومسيحيين قضى على آمالهم في الوحدة القومية .

وقد أيد هذه النظرية كثير من الفلاسفة المحدثين وعلى الأخص « أوجيست كونت » الذي نادى بوجوب قيام وحدة دينية في العالم بأسره . لأن مثل هذه الوحدة تقف سداً منيعاً في وجه القوميات الراغبة في الحروب ؛ ومن شأنها أن تعزز وحدة الأمم وتقضي على كثير من المساوئ الناشئة من الاختلاف في المذاهب وفي الطقوس وفي العادات . وضماناً لتحقيق هذه الوحدة ، وضع « كونت » نظاماً دينياً جديداً هو « الدين الوضعي » أو « عبادة الإنسانية » . ووظيفة هذا الدين الجديد هي تحقيق التضامن العالمي والتضامن على تنافس القوميات وتناحرها لأن جميع الأفراد سيتجهون بقلوبهم في ضوء تعاليم هذا الدين ، نحو فكرة واحدة ومركز واحد . وبذلك تحقق

الانسانية وحدتها وكاملها . وبأقن ذلك اليوم الذي نرى فيه « الأجناس البشرية الثلاث : الجنس الأبيض والأصفر والأسود التي تمثل في الانسانية الذكاء والعمل والعواطف ، قد حققت وحدة الانسانية ، وتوجت عصرها ذهبيا لدين كلي حقيقي » (١) .

ولاشك أن هذا إسراف بالغ من « كونت » ومن نحاسه من المفكرين والفلاسفة الذين يريدون الرجوع بالعالم إلى الوحدة الدينية التي كانت تسيطر على أوروبا في العصور الوسطى ، والذين يرون أن الوحدة الدينية هي دعامة جوهرية في نشأة القوميات أو على الأقل في تعزيز القوميات التي تم تكونها . والتاريخ يمدنا بأمثلة كثيرة لأنهم تقدمت وتطورت بالرغم من الاختلافات الدينية . فالقومية المصرية مثلا الآن تعتبر مكتملة العناصر وميزة القومات بدون النظر إلى الخلافات الدينية والطائفية الموجودة بين أفرادها . وذلك لأن القوميات الحديثة أصبحت تركز على مثل عليا أسمى من أن يؤثر فيها الاختلاف في العقائد أو في الطقوس .

وافتقت الآراء الحرة الحديثة على أن العقيدة أصبحت شيئا شخصيا يجعل بضمير الإنسان . ولكل فرد الحرية في أن يعتقد ما يشاء من الأديان ، وله أن يشارك فيما يشاء من الطقوس . ولكل فرد الحرية في أن يختار أسلوبه في الحياة ويوجهه بالعبادة والتقديس إلى ما يرغب الاتجاه إليه بدون إلزام من الدولة أو من الأمة التي يعتبر عضواً في أسرتها . وليس هناك دين رسمي لكثير من الدول . فقد يكون الفرد فرنسيا وهو في الوقت نفسه إما كاثوليكيا أو بروتستانتيًا أو مسالما أو يهوديا ؛ وقد يكون الفرد واحدا من هؤلاء وينتمي في الوقت نفسه من الناحية القومية للأمة الانجليزية أو الأمة الألمانية أو الإيطالية . والمسيحي والمسلم مصريان سواء بسواء .

ومما بدلنا أيضا على فساد هذه النظرية أن الوحدة الدينية لم تتحقق قديما . فالاضطهاد الديني الذي وقع في العصور الأولى لاختضاع الشرق

(١) « أوجيست كونت » للدكتور مصطفي الحشاش ص ١٤٥

A. Comte. Système de Politique Positive. I.P. 140 sqq.

لديانة الامبراطورية الرومانية وإقامة ديانة موحدة الامبراطورية لم ينجح ، ودل على حق بالغ وعدم تقدير لمبادئ القوميات التي أريد إرهابها في ظل الوحدة الدينية الصناعية . هذا إلى أن الدين لم ينجح حتى الآن في إقامة سياج متين حول ميادينه . فلم نشاهد تقسيما للامم على أساس تقسيمات دينية ولم نسمع بأهم كاثوليكية وأهم بروتستانتية وأهم إسلامية وأهم ملحدة .

هذه هي أهم الدعائم التي ظن العلماء أن الأمة ترتكز عليها في نشأتها . وتشيع كل فريق منهم إلى مبدأ من المبادئ التي سبق الإشارة إليها ، وتعميمها في هذا الصدد تعصبا شديدا ، ولجأوا إلى كثير من المساجلات والمناقشات التي أفادت العلم فائدة محققة لا سيما من الناحية التحليلية . ولعل الحركات القومية والاضطرابات السياسية التي حفل بها النصف الأخير من القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين أفسحت المجال لهذه المساجلات ، وأمدتها بمادة غنية ، وأعطت الفرصة لظهور طائفة من الآراء والأفكار التي في ضوءها استطاع العصر المحترق أن يبرروا بها تصرفاتهم المفرضة .

وحاول فريق معتدل من علماء السياسة ألا يعتمد في تفسير قيام الأمة على دعامة واحدة من الدعائم التي سبق مناقشتها وتحليلها . وحاول أن يجمع بينها جميعاً واعتبرها عناصر ذاتية يكمل بعضها بعضاً ^(١) .

ويذهب هذا الفريق إلى القول بأن الأمة ذات روحية أو نفس روحية ترجع في آخر تحليلها إلى المقومات التي درسناها في الفقرات السابقة . فهذه المقومات هي بمثابة « إكسير الحياة » الذي يضيء على مجموع معين من الأفراد خواص الأمة . فالأمة أشبه ما يكون بمركب كيميائي امتزجت فيه العناصر التي ذكرناها واتحدت وفقدت صفاتها الخاصة . واتخذت باتحادها وتفاعلها اتجاهها خاصا تحده نسب التفاعل ومداه ، وشدته وضعفه ؛ وهذا هو سر

الاختلاف بين الأمم: فبقدر ما يكون هذا التفاعل شديداً ، تكون وحدة الأمة . وتضامنها . وإذا ظهر أن عنصراً منها لم ينسجم إلى حد ما مع باقي العناصر ، أو أن واحداً منها لم يمثل بصفة كلية في هذا المركب الكياني ، فإننا نشاهد أثره ملموساً فيما ينشأ في جو الأمة من انقسام . فكثيراً ما نتاجاً الأمم بظهور تيارات عارضة تخلفها المناسبات وتبعها الظروف ؛ فنخرج هذه البقايا التي لم تمثل بعد ، أو التي لم تهضم بصورة كافية من حالة الكون لتعمل عملها في النيل من وحدة الأمة ومن تضامنها .

ومن أمثلة هذه التيارات العارضة تلك الحروب الطاحنة التي قامت في أمريكا بين البيض والسود أي بين الشمال والجنوب ، واستغلت فيها فكرة الجنس استغلالاً سيئاً كاد يأتى على وحدة أمريكا لولا أنها انتهت بانتصار أصحاب الوحدة . وكثيراً ما نسمع من حين لآخر ببعض الحوادث المحلية أو بعض الإجزاءات في الولايات المتحدة التي تفسر لنا بوضوح أن الوحدة الإثنولوجية لم تتمثل . بعد وأن لها بقايا ورواسب ما زالت تظهر في الـ (Folklore) الشعبي ؛ أي في العادات الشعبية الدارجة .

ومن أمثلة ذلك أيضاً ما لجأ إليه الإنجليز في الثورة المصرية التي قامت عام ١٩١٩ وفي مناسبات سياسية أخرى وفي الحركات القومية التي تلت ثورة سنة ١٩١٩ من إثارة موضوع الطائفية والأقليات . وذلك رغبة في استغلال الفكرة الدينية في هدم القومية المصرية الناشئة .

ومن هذا القبيل ما لجأ إليه «هتلر» من إثارة موضوع العنصرية والجنسية لاعداء اليهود والتخلص من معارضيهِ والقذف بهم خارج الحدود . فكان يشردهم باسم الاضطهاد العنصري وعدم التجانس التوحي أو عدم التكافؤ في وحدة الأصل والدم .

وهذا ما لجأ إليه السوريون أخيراً إذ أثاروا موضوع العنصرية والجنسية لإبعاد حكومة حسنى الزعيم وتبرير إعدامه ؛ وذلك عندما بدت منه مظاهر لتقريب العنصر الكردي وإحلال الأكراد محل السوريين في الوظائف الأساسية في الدولة .

وحياة الأمم. حافلة بأمثلة كثيرة من هذا القليل التي تدلنا بوضوح على أن بعض العناصر والمقومات التي تدخل في تكوين الأمم لا تتمثل بكفاية ، وتترك راسب عمرة الهضم تظهر آثارها في الأزمات التي تعرض لها الأمم . ولذلك يجب على كل أمة أن تدرس نفسها (شخصيتها) وتحلل عناصرها المكونة ، وتعمل حساباً كبيراً لمثل هذه البقايا التي لم يتم تفاعلها في وجدة الأمة ، فقد نحشأ أحياناً من اتساع فجوات هذه الثغرات البسيطة ، فيؤدى ذلك الى تصدع عتيف في جهة الأمة .



ونحن إذا تركنا مناقشة العناصر التي أشرنا إليها فيما سبق ، ونظرنا إلى الأية على أنها حقيقة اجتماعية متبلورة ، واعتبرناها عمرة ماض طويل ، ونتيجة تاريخ شاق انتهى بها التطور الاجتماعى الى ما هي عليه . . . إذا نظرنا إلى الأمة على هذه الاعتبارات أمكننا أن نقول إن الأمة قوة روحية حية تقوم على مبدأين أساسيين تكشف عن أحدهما في ماضيها ونفس الآخر في حاضرها ومستقبلها . فالأول هو اشتراك الأفراد في قدر كبير من الذكريات الجافلة بالتضحيات بالآمال والآلام ^(١) . هذا الإرث التاريخى الذى توارثه جيل بعد جيل تركفى عقول الأفراد ، ورسب في تكوينهم النفسى . فنشأ الأفراد وهم يشعرون بقوة ضغطه عليهم ، وذلك لأنهم يشاركون فيه بالضرورة . وعن هذا الطريق أصبح الإرث التاريخى المشار إليه أساساً لوحدهم الاجتماعية ، ودعامة لضمائمهم القوى . ولا شك أن الوحدة التى تنشأ عن هذا الاعتبار تكون أشد رابطة وأقوى فاعلية من أى اتحاد آخر يرجع الى العوامل التى درستها في صدر هذا البحث .

والعامل الثانى هو الرضى والقبول الفعلى الذى تتجاوب أصدائه بين جميع الأفراد ، ورغبتهم الصادقة فى أن يعيشوا مجتمعين فى ظل النظام والحرية ، وعزمهم على الاحتفاظ بذلك الارث التاريخى الذى ورثوه معاً وتواتر إليهم بالاشتراك ، وانتماهم على الاعتزاز به والابقاء على قيمته الأخلاقية .

فالأسيان ليس إذن أسيراً للجنس ما ، أو لغة ما ، أو دين ما ، وليس أسيراً أيضاً لمجموعة من الحدود الطبيعية أو الحواجز الجغرافية ، ولا يتحكم في قوميته نهر أو مرتفع ؛ فهو ليس أسيراً لانبجاس سلاسل الجبال أو أودية الأنهار . لأن اجتماع الأفراد على الصورة التي عرضتها في الفقرة السابقة ، واتفاقهم في الميول والرغبات ، واشتراكهم في الآلام والآمال ، وخضوعهم لظروف ومناسبات تاريخية ، ورغبتهم الصادقة في بذل تضحيات في سبيل تضامنهم والمحافظة على تراثهم التاريخي والقوى ؛ هذه الأمور المعنوية من شأنها أن تخلق في المجموع كائناً أخلاقياً شاعراً بقوته وبذاته وبحيويته . هذا الكائن المعنوي هو ما يسمى بالأمة أو بالقومية .

وهذه النظرية في مجملها هي النظرية التي ذهب إليها العلامة رينان في نشأة الأمة وفي مساجلاته مع العلامة الألماني مومسن^(١١) .

ويرى بعض علماء السياسة أن الأمة التي تتكون بالصورة التي ذكرناها ، والتي تقوم على الدعايم التي أشرنا إليها ، يمكنها أن تحافظ على جوهرها وعلى قوميته إذا كانت تخضع برمتها لحكم سياسي واحد . أي أن جميع أعضائها وعناصرها تدخل في نطاق سلطة واحدة . وقد نبتا هؤلاء بأن الدول في المستقبل ستكون دولا قومية : أي أن كل قومية ستسعى إلى أن تكون دولة مستقلة ، ورأي هؤلاء أيضاً أنه يجب أن يكون لكل أمة دولة مستقلة ؛ وأن تشمل الدولة أمة واحدة وذلك وفقاً للنظرية السياسية المعروفة (One nation, One State) لأن ذلك أدعى إلى استقرار نظم الحكم فيها .

وقد وجه العلامة "Gumprowicz" نقداً شديداً إلى هذا المبدأ ، وأكد أن ليس هناك تبرير تاريخي أو اجتماعي يبرهن على صحة هذا الانبجاس . فلم نر أن الدول ذات القومية الواحدة (mono-national) تمتاز في عناصرها وتتقدم في ركب الحضارة عن الدول المكونة من عدة قوميات

Renan. Discours et Conférences (qu'est ce qu'une nations ?).

(١١)

(Poly- national) . بل يذهب إلى عكس ذلك ، فيقرر أن الدول ذات القوميات المتعددة تتوافر فيها فرص الاختلاط والتبادل بين مختلف القوميات . وبفضل هذه الفرص قد تستفيد قومية من أخرى وتكتسب بعض عناصرها الفاضلة . ففي سويسرا مثلاً استطاعت الدولة أن تسير قدماً في طريق الحضارة بالرغم من تعدد قومياتها . ويتفق معه في هذا الرأي العلامة « بلنتشلي Bluntchli » الذي يذهب إلى أن وجود العناصر الأجنبية في قومية ما هو بمثابة همزة وصل تربطها بحضارة الأمم والقوميات الأخرى . وعلى أسوأ الاحتمالات والفروض قد يكون فضل هذه العناصر الغربية على القومية الأصلية كفضل المدن الزائفة الذي يضاف إلى المدن الثمين ليكسبه القوة والصلابة ويساعده على التبادل .

كتاب رايات المبرزين وغايات الميزين

لابن سعيد

نشر وتحقيق الأستاذ غرسية غومس

بقلم البركتور سوفي ضيف

هذا الكتاب طرفة قسيمة من طرف الشعر العربي في بلاد الأندلس والمغرب وصقلية . انتخبه ابن سعيد من كتاب المغرب في حُجَلَى المغرب ، وهو الكتاب الذي ألفه بالتوارث في مائة وخمسة عشرة سنة ستة رجال هم : الحِجَارَى ، ثم أربعة من آباء ابن سعيد وأعمامه ، ثم هو نفسه ، فهو آخر من عني بهذا الكتاب من الأسرة ، وقد أخرجه في خمس عشرة مجلدة . ویدار الكتاب المصزية نسخة بخطه ، بدأها سنة ٧٤٥ هـ وانتهى منها سنة ٧٤٧ هـ . وقد كتبها لابن أبي جرادة في حلب ، ثم تعاورت عليها الأيدي حتى تملكها المؤيد شيخ ، ووقفها على مكتبة مسجده . ومعروف أن ابن سعيد ارتحل عن الأندلس إلى المشرق حول سنة ٦٣٨ هـ واستمر متجولا بين مصر وحلب والعراق والحجاز وتونس حتى آخر حياته عام ٦٧٣ هـ . وفي رأى بعض المؤرخين أنه عاش حتى سنة ٦٨٥ هـ .

وفي أثناء مقامه بمصر عرف ابن يعقوب نائب السلطنة ، وكان يحب الأدب ويكرم أصحابه ، فتوثقت عرى الصداقة بينه وبين ابن سعيد ، فكلفه كما يقول في مقدمة الرايات أن ينتخب له خير ما في كتاب المغرب الكبير من شعر للأندلسيين والمغاربة والصقليين ، فكتب هذه المجموعة التي نشرها المستشرق الثبت غرسية غومس الأستاذ في جامعة مدريد معتمدا في ذلك على نسخة وجدها بمكتبة المرحوم أحمد زكي باشا ، وهي مصورة عن

نسخة في الآستانة ، وقدم لها بمقدمة بديعة عرض فيها لما اعتمد عليه من مراجع ، وتحدث عن وصف النسخة ، وعن ابن سعيد ومن سبقوه . في تأليف كتاب المغرب ، كما تحدث عن منتخبات الرايات وحللها ، وأتبع ذلك بالأصل العربي ، حتى إذا فرغ منه ترجمه إلى الأسبانية وعلق عليه وألحق به فهارس مختلفة .

وهذا كله عمل جدير بالشكر والثناء لما قام به حضرة الأستاذ الناشر للكتاب من خدمة الشعر الأندلسي في بعث وإحياء نص طريف من نصوصه التي تستحق العناية والدرس . فهو خلاصة ممتازة لما أحدثت شعراء الأندلس والمغرب وصقلية من تجديد في شعرهم وما أودعوه من صور وتأملات . غير أنني رأيت هتات نشوب هذه الطبعة ، لاشك أن أكثرها جاء من أن الكتاب لم توجد منه إلا هذه النسخة الوحيدة ، وهي نسخة متأخرة في زمن كتابتها ، إذ كتبت في القرن الثاني عشر للهجرة . وقد صحح الأستاذ غرسية غومس النص في غير موضع ، وأقام ما فيه من عوج واضطراب . وبقيت أشياء رأيت أن أبادر إلى وضعها بين يديه حتى يتم الانتفاع بهذا النص البديع . فمن ذلك ما جاء في ص ٢٦ من قول ابن عمار :

ملكٌ يروك خلقه وخلقه . كالروض يحسن منظرا ومخبرا .

فإن هذا البيت من قطعة صيغت من وزن الكامل ، وقد وضعت فيه واو العطف مكان أو ، فأخل وزن البيت ، وصحته :

ملكٌ يروك خلقه أو خلقه كالروض يحسن منظرا أو مخبرا .

ومن ذلك ما جاء في ص ٥٢ من عتاب بعض الشعراء لملك من ملوكهم ، إذ يقول في بعض شعره :

فيا لملك ليس يرى مكاني وقد كحلت ناظره بنوري
كما المسواك مطرحا مهانا وقد أبقى بجلا في الثغور

والبيتان من وزن الوافر، فينبغي أن تقرأ كلمة «جلاء» بالمد، وإسن هذا
صهو حدث أثناء الطبع. ومثله ما جاء في ص ٦٦ إذ يقول بعض الشعراء :
والنصن من فوق الثرى واسكنه كرما يعيل إلى ثراء ويسجد

والبيت من وزن الكامل، فالواو في كلمة «ولكنه» مزبدة، فينبغي.
أن تحذف حتى يستقيم الوزن. ومن هذه الشاكلة ما جاء في ص ٧٠ من قول.
بعض الشعراء :

قم ستنى شفق الشمول بسفرة وإنما شفق الصباح شمول

والبيت أيضا من وزن الكامل، وأول شرطه الثاني لا يستقيم، وأكبر
الظن أن كلمة «وإنما» حرفت عن كلمة «وكأشما» ، ولعل في هذا
ما يدل بوضوح على أن النسخة المحققة كانت متعبة، وأن تحريفات كثيرة
وقعت فيها. وتقرأ في ص ٨٢ هذا البيت :

شكر الله ما أنيت وجازا ك ولا زلت نجم هدى لسا

وقد شكلت فيه كلمة «هدى» بضم ففتح، والبيت من وزن الخفيف،
فينبغي أن تقرأ «هدى» بفتح فسكون، حتى يلتزم الوزن.

ويظهر أن التصويب والتصحيح للأصل كان كثيرا، وفي مثل
هذه الأحوال قد تند بعض التصحيحات، وكل من يعانى نشر نص قديم
من مخطوطة واحدة، يعرف مدى هذه الصعوبة. ونجد كلمة «نعش»
مكان كلمة «نفس» في البيتين الواردين في ص ١٦ إذ يقول ابن بسام
في دعوة نديم له وقد قعد للشرب في حديقة سترها ضباب :

ألا بادِرْ فما ثانٍ سوى ما عهدت : الكأس والبدر التمام
ولا تكلْ برؤيته ضباباً نعش به الحديقة والمدام

فكلمة « تعض » تنبو عن المعنى ، والأصل « تنص » وهو صحيح .
ومن ذلك ما جاء في ص ٢٠ إذ يقول بعض الشعراء في فوارة :

يَا حُسْنَ فَوَارَةٍ لِلْأَفْقِ رَاجِعَةٍ بِالشَّهْبِ تَنْزَوْ كَنْزِ الْوَاتِبِ اللَّيْلِ

فكلمة « كنزو » وضعت مكان كلمة « نزو » في الأصل ، وهي صحيحة ،
على أن تقرأ « نزو » بضم النون والزاي وتشديد الواو . وفي ص ٢١ يقول
أبو الحجاج بن عتبة الإشبيلي وقد شرب مع أصحاب له تحت قصب فارسي ،
فجعلت الريح تميل ذوائبه عليهم :

أُسَيْبُهُ مِنْ أَكْوَانِنَا وَلَوْ أَنَّهُ سَكَرَانُ يُصَفِّحُ حَقَّ مَا لَمْ يَرَوْسُ

وواضح أن كلمة أكواسنا محرفة في الأصل عن « أكوابنا » ، وكان
في الأصل « سكران يطفح » أي سكران يمتلئ ، فصحبها حضرة الناشر
« يصفح » وأظن أن الأصل صحيح . وفي ص ٨٤ يقول عيادة بن ماء السماء
في وصف الخمر :

كَأَنَّهَا شَبَّهَا شَارِبٌ أَمْسَكَهَا فِي الْكَفِّ سَرْمَدًا

وكلمة « شبها » لا معنى لها في البيت ، والأصل « شباها »
وهو صحيح أي أنها تجعل شاربها الذي أمسكها دهرًا طويلًا شابًا وربما
كانت « شبيها » ، فقد شابت في يد شاربها الذي أمسكها زمنًا طويلًا
أو سمردًا . وفي ص ٩٧ يقول ابن سفيان في مدح بعض الملوك :

إِنْ هَرَمَ الْمَسْحُ فَلَا مَنَازِلَ فِي بَدَدٍ وَالْقَصْنُ مَا هَرَمَ إِلَّا بُدَدَ النَّمْرِ
مَتَّعَ جَفَوْنَكَ فِي وَجْهِ بِلَا تَعَبٍ إِنْ كَانَ شَمْسًا يَدَاهُ تَحْتَهَا الْمَطَرُ

وكلمة وجه لا تستقيم ، وهي في الأصل « وَجْد » بالذال ، وهي صحيحة
أي متع جفونك فيما تجده من نوال المدوح وكرمه .

والحق أن النسخة التي تعد للنشر إن لم تكن سليمة في أصلها وكان كاتبها
يوثق به ، فإنها تكون كثيرة التحريف ولا نشك في أن حضرة الأستاذ

الناشر حل كثيرا من تحريفات هذه النسخة ، وأعادها إلى صورتها الصحيحة .
واكن بقيت بعض تحريفات أرى أن أذكرها ، لعله يرى رأيي فيها ،
فمن ذلك ما جاء في ص ١٢ إذ يقول ابن الامام في وصف درع :

إذا رميت بها في القاع مُطَرِّفًا حسبها نُظْنًا تجرى إلى نُظْبٍ

وواضح أنه يشبه الدرع حين تلقى بالنطف أو الدكيات القليلة من الماء
الصابي ، وإذن فالكلمة « مطرطا » ينبغي أن يكون الناسخ حرفها عن كلمة
« مطرعا » . وفي ص ١٣ قرأ هذا البيت لأبي بكر محمد بن التوطية :

اشرب على السوسن النض الذي نما وباكر الأنس والورد الذي نجما
وكلمة « نما » محرفة عن كلمة « فغا » أى انتشرت رائحته ، وكذلك
كلمة « الأنس » محرفة عن كلمة « الآس » . وفي ص ٢٣ يقول بعض
الشعراء :

ضاعت بين الرياح مُحْكَمَةٌ في نهرٍ واضح الأسارير

وهو يجرى في هذا مع التشبيه المعروف الذى توارد عليه الشعراء
إذ يشبهون ما تحده الرياح فوق المياه بالدروع وما فيها من غصون ، فالكلمة
« ضاعت » في أول البيت محرفة عن كلمة « صاغت » ..
ونقرأ في ص ٢٤ لابن شكيل في غلام :

وقالوا أتهواه على فلجٍ به قتل هنائي دون غيرى موردُ
مضى أبصرت عينك في الماء طحلباً إذا كان في كل الأحايين بوردُ

وكلمة « فلج » أى تباعد ما بين الأسنان ليست عيباً ، فوضعها هنا ناب
مع سياق الكلام ، وإنما هي « قَلَح » بالقاف والحاء ، وهو الصفرة التى تعلو
الأسنان كما تعلو الطحلب الماء . وواضح أن ابن شكيل يدافع عن غلامه
مع وجود هذا العيب فيه . وفي ص ٢٧ روى هذا البيت الناقص .

لا تمجيتك عليا ولا تخل عُرة ما ابيض من كفَل

وفي الماشم مكان الأصفار في الشطر الأول «تديم لها» . وهو حقيقة تحريف شديد من الناسخ ، ويستقيم البيت إذا قرئت كلمة «تديم» «قديم» وزيدت عليها لا هكذا :

لا تعجبك عليا [لا] قديم لها ولا تَحَلْ غُرَّةً ما ابيض من كحل
وفي ص ٣٠ نجد شاعرا يستهدي بأزيا من بعض ملوك الأندلس ، فيجري على لسانه قوله :

وَأَمَّنْ به صافي الجناح كأنما حُدِيت قوادمه بريح الشمال
وكلمة «صافي» محرفة عن كلمة «ضافي» بالضاد أى شامل وسابغ .
ومن هذا الباب ما جاء في ص ٣٣ - ٣٤ من قول ابن مقان :

شربوا الرياح على حَذِّ رَشَا ورَد الورد به والياسمين
وجلت آياته عامدة تُسبِج الشَّعر على عاج الجبين
والشطر الأول من البيت الثانى رواية نفخ الطيب واختارها حضرة الناشر لأن رواية الأصل مضطربة إذ تجرى هكذا «وجلت داياته» .
والدايات : المشاطات . وهي خير هنا من رواية النفخ التى لا تستقيم فاذا قرأنا كلمة «وجلت» المحرفة «رجلت» أى مشطت استقام البيت ، وأصبح :
رجلت داياته عامدة تُسبِج الشَّعر على عاج الجبين
والسبج : خصل الشعر . وقرأ فى ص ٤٠ لابن حزم الأندلسى قوله :
الحُرَّ كَالْبُرِّ يُلْقَى تحت مِيقَعَةٍ طورا وطورا يَرى ثاجا على ملائِك
وربما كانت كلمة «مِيقَعَةٍ» محرفة عن كلمة «مِيقَعَةٍ» بالفاء ، أى التل :

وفي ص ٤٦ يقول ابن عياض :

أَتَكُونِ الاستغَامَ طَرْفَ وأى سيف بلا ذباب

والشطر الأول مضطرب لأن الناسخ وضع كلمة « الأستقام » وضعها متلاصقا مضطربا وإِنما هي كلمتان « إلا ، سقام » فصحة البيت :

أُنْكِرْتَ إِلَّا سِقَامَ طَرْفٍ وَأَيَّ سَيْفٍ بِلَا ذَلِيلٍ

وذباب السيف : طرفه الرقيق ، وفي نفس الصفحة يقول ابن ميمون :

تَفَحَّمَتْ حَائِمَ حَرِّ الصَّلَوَعِ كَمَا خَضَتْ بِحَرِّ دُمُوعِ الْخَلْدِقِ .

يتحدث عن خيال صاحبه . وكلمة حائم — كما هو واضح — محرفة

عن « جاحم » من الجحيم . وفي نص ٤٨ في ترجمة أبي بكر يحيى بن بلى « له في بني عزة قضاة سلا موشحات مشهورة ، وإِنما هم بنو عشرة وقد ورد ذكرهم ثانية في الكتاب ص ٩٣ . وفي ص ٥٠ يقول ابن خروف في خياط :

فَالْخِيطُ يَنْتَلِ قَلْبِي حِينَ يَفْتَلُّ يَا لَيْتَهُ مِثْلَهُ مَا دَامَ فِي أَثَرِهِ

والبيت غير واضح ، وفي رأيي أن كلمة « مثله » محرفة عن كلمة « فتل »

جمع فتيل ، كما أن كلمة « أثره » محرفة عن كلمة « إيره » فصحة البيت هكذا :

فَالْخِيطُ يَفْتُلْ قَلْبِي حِينَ يَفْتَلُّ يَا لَيْتَهُ فُتِّلَ مَا دَامَ فِي إِيرِهِ

يتمنى أن يحول قلبه إلى فتل ما دامت في إير صاحبه الخياط .

وفي ص ٦٤ يقول بعض الشعراء في الغمر :

مَشْوَلَةٌ ظَلْنَا بِهَا بُجْجًا بِالنَّارِ وَالْمَاءِ حَوَتْ كَتْمَلَهَا

صِيرَهَا الْمَاءُ بِجُوسِيَّةٍ وَالسُّكْرُ قَدْ صَبَّرَنَا مِثْلَهَا

ويقول ابن سعيد يعقب هذه الأبيات « هذا معنى يديع لأنه صير الماء

كالآب ولما كانت النار ؟ وصيرهم السكر لها سجدا حكوها في الدين »

وقد وضع حضرة الناشر بعد كلمة النار استفهاماً وهي تصح بوضع الكاف

مع النار أي « ولما كانت كالنار الخ » ،

وفي ص ٦٥ يقول ابن سعيد في أثناء حديثه عن شاعر « نزل بمراكش في منزل شخص قدم له شراباً غليظاً أسود وخرباً وزيبياً فيه غصون » وإنما هي « وخروباً وزيبياً فيه غصون » وهي الأعناق المتصلة به من أصل شجرته . وفي هذه الصفحة أيضاً يقول الشاعر في وصف أترجة ، وقد شبهها ببياضة النعام :

فإن خلَّتْها بنت الظلم أضلُّها فقد فرش الأذخر من تحتها تبراً

والبيت مضطرب وقد وضعت إشارة على كلمة « الأذخر » تشير إلى ما جاء في المصاحف من أن الكلمة في الأصل « الأرحى » ، وهي الأذخى بالدال وهو مبيض النعام . يقول الشاعر إن الأترجة كبيضة نعام نزلت في مهد فرش بالتبر إشارة إلى أنها صفراء . وواضح أن كلمة « أضلُّها » بحرفة عن كلمة « أصلها » فصحة البيت :

فإن خلَّتْها بنت الظلم أضلُّها قد فرش الأذخى من تحتها تبراً
والظلم مصغر الظلم وهو ذكر النعام . وفي ص ٦٧ يصف شاعر هواج المحبوبة فيقول :

وقد علاها احمرار من ترخرفها فقلت هيجمتموها هذه السير

وواضح أن كلمة « السير » بحرفة عن كلمة « الشرر » يزيد به احمرار الرشي المتصل بالهواج . وفي ص ٦٨ يقول بعض الشعراء :

فإن نأيتم عند مزجي بكم فيثبت العقل بمزج المدام

وثبات العقل عند مزج الخمر وشرها لا يستقيم ، وهو لا يتفق مع ما يريد به الشاعر من أن عقله يفر منه حين تأخذ صاحبه في البعد عنه ، فالتأنيخ حرف الشطر الثاني ولعل البيت في الأصل كان هكذا :

فإن نأيتم عند مزجي بكم تشتت العقل بمزج المدام

وفي ص ٦٩ يقول شاعر في وصف فرس أصغر :

كَأَنَّهُ فِي وَهَجٍ قَيْمَةٍ مَصْفُورَةٍ عُرَّتُهُ نَارُهَا

وكلمة الوهج معرفة عن كلمة « رهج » بالراء ، وهو الغبار ، وذا لما
توصف الخيل في غبار الحرب . وفي ص ٧٠ يقول بعض الشعراء في حبيب له :

فَالْبَدْرُ فِي وَجْهِهِ كَدُوحٍ حِينَ اجْتَدَى الشَّمْسُ فِي الشَّعَاعِ

وأكبر الظن أن كلمة « كدوح » معرفة عن كلمة « كلوح » . يقول
إن البدر في وجه صاحبه يمتلئ من نوره كاللوح تنطبع عليه أشعة الشمس .
وفي ص ٧١ يقول بعض الشعراء في يوم غيم ورعد وبرق ومطر :

إِنْ غُيِّبَتْ شَمْسُهُ فَالْبَرْقُ مَهْجَتُهُ وَالرَّعْدُ رَقْدَتُهُ وَالْقَطَرُ أَذْمَعُهُ

والرقدة غريبة مع الرعد ، ولعل الناسخ حرقها عن كلمة « زفرته » .
وفي ص ٧٥ يقول بعض الشعراء :

وَاشْرَبْ عَلَى شِدْوِ الْحَنَامِ فَإِنَّهُ أَشْبَهَنِي إِلَى مَنْ الْغَرِيدُ وَمَعْبِدُ

وكلمة « الغريد » معرفة عن « الغريص » بالاضاءة ، وهو فغن مكي كان معاصراً
لمعبد وكلاماً من العصر الأموي . وفي نفس الصفحة أيضاً :

لَوْ أَبْصَرْتُ عَيْنَاكَ زُورِقُ فَنِيَّةٍ يَبْدَى لَمْ لَحْجُ السَّرُورِ مَرَاةُ

وكلمة « لهج » معرفة عن كلمة « بهج » بالياء لا باللام . وفي ص ٧٨
يقول بعض الشعراء :

قَلَّتْ لَهَا إِذَا ضَحَكَ الْوَصْلُ قُرْهَا أَلْبَلَّتْ هَذَا الْقَطَرُ هَذَا الْأَطْحَا

والأطحي جمع أطحوان ، فينبغي أن تكون كلمة « هذا » الثانية التي يشار
بها للمفرد معرفة عن كلمة « هذني » فأخر البيت « هذني الأطحيا »
لا « هذا الأطحيا » . وفي ص ٧٩ تقرأ لبعض الشعراء :

سَأَشْكُو إِلَى النَّدَمَانِ أَمْرَ زَجَاجَةٍ تَرَدَّتْ بِثَوْبٍ حَالِكِ الْوَنِ أَسْحَمَ

نصبت بها ثمنس المدامة بيننا فتقرب في جُنْحٍ مِنَ اللَّيْلِ مُظْلَمِ

وواضح أن كلمة « نصبت » محرفة عن كلمة « نصب » . وفي ص ٨٥ يقول الرصافي في وصف الأصيل هذا البيت البديع :

طائر شادٍ وغصنٌ مُنتَقٍ . واللُّبِّي يشرّب صهباء الأصيل

وفي رأي أن كلمة « منتق » محرفة عن كلمة « منق » . وفي ص ٨٨ يقول ابن خفاجة في وصف فرس :

وأشقرٌ نُضْرَم منه الوغى بشعلةٍ من شُملِ الناس

وكلمة « الناس » محرفة عن كلمة « الباس » أى اليأس والشجاعة . وفي ص ٩٥ تقرأ هذا البيت :

يا من قصبت إليه ألتفت النقي . والنفسُ مقرونٌ بها إتلافها

وكلمة « ألتفت » واضحة التجريف ، ولعلها حرفت عن كلمة « ألتقط » . وفي ص ٩٩ يقول بنض الشعراء في وصف بيكين :

فكان من السكين سكينك بالحشا . ومن قطعها هذى القطيمة والحجر

وكلمة « الحجر » محرفة عن كلمة « المهجر » . وتقرأ في ص ١٠٤ هذا البيت :

وأسمر غير النعم شيباً برأسه . إلا إنما بعد القشيب مشيب

وكلمة « غير » محرفة عن كلمة « ذر » بالذال . ونستمر فنقرأ في ص ١٠٩ هذه العبارة « كان أحمد (اليفاشي) كاتب الملك فقصد المعتز ابن الرند » . والجملة على هذا النحو غير مفهومة ، ولذلك وضع حضرة الناشر عنها علامة استفهام . وفي رأي أن كلمة « فقصد » حرفها الناسخ عن « قصصة » إحدى بلدان المغرب وكانت حاضرة مُلك المعتز بن الرند ، فصحة العبارة « كان أحمد (اليفاشي) كاتباً لملك قصة المعتز بن الرند » . وفي ص ١١٠ نجد شاعراً يصف البرّادة ، وهى تشبه الابريق المعروف الآن بمصر ، وقد علقت عليها النكتان لشرب الناس منها فيقول :

ترى كل خَلْفٍ لا يدرَ وطفلة تدرُّ عليه بالرحيق المُسَكِّل

يريد أن أخلاف البرادة لا تذّر إلا لأطفالها من الكيزان ، وإذن فكلمة
« وطفلة » ينبغي أن تكون « وطفلها » حتى ينتظم السياق . وتنتهي النسخة
في ص ١١٤ هكذا : « ووافق القراخ من كتابة هذه النسخة ثاني يوم من عام
سنة مائة وخمسة عشر بعد الألف من الهجرة » . وواضح أن كلمة « ستة »
محرقة عن « سنة » بالنون ، وكان الكاتب للنسخة لمى أنه ذكر كلمة عام
فوضع كلمة سنة ، وكان ينبغي أن تحذف إحداهما .

وهذه هي أمّ التصحيفات التي لاحظناها على هذه النسخة ، وتوجد وراءها
بعض أغلاط في الحركات ، لأنك في أن أكثرها مطبعي ، فمن ذلك أننا
نقرأ في ص ه هذين البيتين :

شعرٌ على الشَّعْرَى علا قدرُهُ عنه ثناء الصديق لا ينثني
ينقلب القلب له جَوْدَةٌ ويدخل القلب بلا إذنٍ

وبشكل البيت الثاني هكذا في ناقية « إذن » بأسكان الذال يجعله كأنه
من قصيدة أخرى ، ولو بدلت كلمة إذن « بأذن » بعد الألف وكسر الذال
لا تفقت الغافية في البيتين ولم يدخلهما هذا الليس وخاصة أن المؤلف رواها
متصلين لا متقطعين ، فهما من قصيدة واحدة لا من قصيدتين . وفي ص ٤٩
نقرأ لابن خروف يشكو سوء مقامه بحلب هذا البيت :

حلبت الدهر أشطُرُهُ وفي حلب صفا حلبى

وقد سكنت لام « حلبى » وهي بحركة بالفتح . ومن ذلك ما جاء لبعض
الشعراء في ص ٦٦ إذ يقول في وصف الرج :

وتميل الأغصان بعد إيلائها حتى تقبل أوجه النُدُرَانِ

وقد ضبطت كلمة « أوجه » بفتح الجيم وإيماء بالضم « أوجه » جمع
وجه ، كما تدل على ذلك كلمة « تقبل » .

ولا ترتاب في أن كثيرا من هذه الأغلاط نداء أثناء الطبع . على أن هناك أياتا يلفت ترتيب ألفاظها النظر ، فمن ذلك قول بعض الشعراء في ص ١٠ من الكتاب :

لا غرو أن زاد شوق في مرورهم فزوية الماء تذكى غلة الصادي

فالشوق لا يزيد في المرور ، وإنما المرور هو الذي يزيد في الشوق ، ولذلك كنا نرى أن صحة هذا البيت :

لا غرو أن زاد في شوق مرورهم فزوية الماء تذكى غلة الصادي

وأظن أن البيت بهذا الترتيب يتضح معناه . ومن هذا الباب ما جاء في ص ٦٨ من قول بعض الشعراء :

جعلوا خواتمهم من كل قلب معاند حسب المنقذ خنصرا

فكلمة « كل قلب معاند » واضحة أن ترتيب ألفاظها يحتاج إلى شيء من التعديل ، وهو ليس أكثر من توضيح لفظة « كل » بين قلب ومعاند ، فيصبح البيت هكذا :

جعلوا خواتمهم من قلب كل معاند حسب المنقذ خنصرا

وقد بقيت ملاحظات على بعض الأعلام الواردة في الكتاب ، فمن ذلك ما جاء في ص ٥١ ، إذ يقول ابن سعيد « ومن فرائد ابن بليطة وقد رويته للمتقبل المذكور » . وعقب حضرة الناشر بعلامة الاستفهام وراء كلمة « المتقبل » . وإنما هو « المنقل » الذي ترجم له ابن سعيد في الكتاب ص ٥٨ ، ولذلك قال عقبه المذكور . ومن ذلك ما جاء في ص ٥٣ إذ يقول ابن سعيد « الوزير الرئيس أبو الحسن علي بن الإمام وزير والي غرناطة عمر بن يوسف ابن تاشفين » . وفي رأينا أن كلمة « عمر » حرفت عن « تميم » والي غرناطة في عهد المرابطيين إذ لم يلبس شخص يسمى عمر ، وإنما هو تميم بن يوسف ابن تاشفين واليها من قبل أخيه علي بن يوسف سنة ٥٠١ هـ وقد استمر

واليا عليها حتى سنة ٥١٥ هـ إذ ولاه أخوه على الأندلس كلها وظل هناك حتى سنة ٥٢٠ هـ. ومما يتصل بذلك أننا نجد في ص ٩٤ شاعراً يسمى أبا جعفر بن البقي وضبط هكذا « البقي » بالياء، ووضعت إشارة تلفت إلى الهامش حيث نجد أن الكلمة في الأصل كانت « البني » بالنون. والأصل صحيح طبقاً لما في المطمح ص ٩١ وقلاند العقيان ص ٣٠٠ وتفتح الطيب طبعة دوزي وزملانه ص ٣٢٧، ٥٨٣ من الجزء الثاني.

وما قدمناه كله لا يفض من هذا العمل المجيد الذي اضطلع به الأستاذ جارسيا جومث في نشر هذا النص الطريف، إنما أردنا أن نؤكد الفائدة منه بالإشارة إلى بعض تحريفات سقطت فيه بحكم أن النسخة التي اعتمد عليها حضرة الناشر لم تكن جيدة. ونحن جميعاً نعرف صعوبة نشر النصوص العربية، وخاصة حين لا تتعدد النسخ. فله حضرة الناشر جزيل الشكر والثناء على ما قدم لعشاق الشعر الأندلسي والمغربي من هذا النص النفيس.

ومن المحقق أن هذا التعليق متأخر عن زمان نشر هذا الكتاب، فقد نشر في مدريد عام ١٩٤٢ ولاكنه لم يقع لي إلا منذ أشهر قليلة، ولذلك بادرت إلى كتابة هذا المقال، للتنويه به، ورغبة في تعميم النفع والفائدة منه.

تعقيب على نقد كتاب "رايات المبرزين"

بقلم اميليو غارسيا غومس^(١)

EMILIO GARCÍA GÓMEZ

نشرت كتاب «رايات المبرزين» لابن سعيد المغربي بمadrid في سنة ١٩٤٢ ، واعتمدت في إخراجه على نسخة وحيدة فيما علمت ، حذينة النسخ ، غير متقنة ، والكتاب يحتوى على مئات من الأبيات لشعراء كثيرين من المغرب اختلفت عصورهم وموضوعاتهم ، واختلف أسلوبهم ، والطبعة التي طبع بها ينقصها الاستعداد الذي لطبع تواليف من هذا النوع ، والعمال بها لا يعرفون اللغة العربية ، وقد بذلت ما استطعت أن أبذه من العناية في سبيل التغلب على هذه العقبات ، فإذا ما تمررت بمض الزلات إلى طبعي لهذا الكتاب بعد الذي فعلته فأظنني قد أنشدت :

لكن قدرة مثلى غير خافية والنمل يُعذّر في القدر الذي حملا

وقد نكرم الدكتور شوقي ضيف فقرأ الكتاب وصحح بعض هذه العثرات وجمع هذه التصحيحات في المقال الذي قدمه لهذه المجلة ، وكان من كرم خلقه أن عرض على تجارب مقاله ، راجياً أن أعقب عليها بالموافقة أو الرد ، فله على عنايته بالكتاب وخلقته الكريم خالص شكرى وتقديرى .

ووقتي الآن لا يتسع لإعادة النظر في الكتاب بصفة نقدية لأتبع السبب الذي جعلني أثبت كلمة بدل أخرى أو أرجح رأياً على آخر ، لأن مراجعنى

(١) أفضل أن يكتب اسمى بالعربية على هذه الصورة التي أوردتها أعلاه لأن لفظى «غرسيه» و«غومس» وردا على هذه الصورة في النصوص العربية الاندلسية القديمة .

وكتبي التي احتجت اليها عند دراسة النص تنصني هنا ، غير أنه — مع ذلك —
لا يسعني إلا أن ألبى رغبة الدكتور اللطيفة .
وقد قسمت ملاحظات الدكتور إلى أقسام :

١

بعض ملاحظاته صحيحة أقبلها بمدر رحب ، شاكرآ له حسن عونه ،
ومردداً المثل الاسباني السائر : « إن أربع أعين ترى أكثر مما تراه عينان » .

٢

بعض ملاحظاته صحيحة ولكنها طفيفة ، تدرت الى النص عند الطبع
للاسباب السابقة ، ولو أن الدكتور شوقي قرأ ترجمة النص الاسبانية لرأى
أنها صححت في الترجمة ، فمثلاً جاء في ص ٢٣ : « ضاعت يمين الرياح محكمة » ،
وقد أصلحت هذا التصحيح في الترجمة في ص ١٥١ . حيث قلت : *finos*
trabajos de orfebre ، وكذلك صيغ الدكتور في ص ٢٧ البيت بالصورة
التالية : « لا تعجبك عليا [لا] قديم لها » ، وقد ترجمته *مضطجعا* في ص ١٥٨
حيث قلت : *No admires una nobleza sin antigüedad* ، وورد
النص في ص ٤٨ : « له في بنى عزة قضاة سلا » ولا أزال أعتقد أن هناك
سبباً — لا أذكره الآن — جعلني أبقي النص هنا كما هو ، على أن وروده
في ص ٩٣ « بنو عشرة » مما دفعني إلى القول (في الحاشية رقم ١١٩
من ص ١٩٣) أنهم « بنو عشرة » ، وفي ص ٨٨ أصلح الدكتور النص
العربي : « بشعلة من شعل البأس » ، ولو عاد الى الترجمة في ص ٢٥٩ لرأى أنها
تقوم على « البأس » ، لا على « الناس » (وهذه هي الترجمة : *con un tizón*
de coraje) ، وفي ص ١١٤ حيث أقمحت الكلمة « ستة » عوض « سنة »
إقحاما ، كانت الترجمة في ص ٣٠٠ ما يأتي : *año 1115* ، وواضح أنها تقوم
على النص بعد تقويمه .

٣

وأخالف الدكتور شوقي في بعض تفسيراته التي يعقب بها التصحيح
الذي يقترحه والذي أوافق على صحته ؛ ففي ص ٢٤ في بيتي ابن شكيل أوافق

الدكتور على أن كلمة « قلع » ، بدلالة البيت الثاني ، هي الكلمة الصحيحة ، ولكن لا أستطيع أن لا يكون « القلع » — وهو تباعد ما بين الأسنان — عيباً ، وفي ص ٣٤ يترح الدكتور — تبعاً لرواية « المغرب » — أن يروى البيت بهذه الصورة :

رَجَلَتْ دَايَاتُهُ عَامِدَةً سُبَّحَ الشَّعْرَ عَلَى عَاجِ الْجَبِينِ

ثم يقول : « والسَّبَّحُ : خصل الشعر » ، والرواية صحيحة ، ولكن لا أقر الدكتور على شكله وتفسيره لكلمة « سبج » ، لأن السَّبَّحَ يفتحان (وفي اللغة الأسبانية : azabache) هو المادة الأصلية السوداء المعروفة ، اتخذت منها — منذ القديم — الدمى والحلى ، وقد رمزوا بها إلى السواد ، كما دلوا على اليباض بالعاج . ألا يرى الدكتور أن معنى قول ابن مقانا :

سَبَّحَ الشَّعْرَ عَلَى عَاجِ الْجَبِينِ

هو أن الدابت رجلان شعره الذي يشبه في سواده الشديد السبج ورتبه على جبينه الذي أشبه لشدة يياضه العاج ؟

٤

وفي بعض ملاحظات الدكتور كان لي رأى خاص أثبت بمقتضاه النص . ففي ص ٧٨ مثلاً يترح الدكتور أن يثبت البيت على الصورة الآتية :

فَقَلَّتْ لَهَا إِذَا ضَحَكَ الْوَصْلُ ثُفْرَهَا أَثْنَبْتُ هَذَا الْقَطْرَ هَذَى الْأَفَاحِيَا

ثم قال : « والأفاحى جمع أفحوان ، فينبغي أن تكون كلمة « هذا » الثانية التي يشار بها للفرد بحرفة عن كلمة « هذى » ، فأخر البيت « هذى الأفاحيا » ، لا « هذا الأفاحيا » . وكلام الدكتور صحيح ، وما غاب عن ذهني الفرق بين « هذا » و « هذه » عند الإشارة بهما ، ولا أن « الأفاحى » جمع أفحوان ، غير أن بعض الأندلسيين يستعمل « الأفاحى » مفرداً ، وأذكر الآن من استعمالهم هذا قول ابن الخطيب في رسالة أوردتها الفقه شدي

في «صبح الأعشى» ٥٥٢/٦ : «... حيث تغور الأفاح الباسم ، تتبلها بالسكر زوار النواسم » ، ورد مثل هذا أيضاً في ديوان ابن الزقاق أكثر من مرة ، وقد جعلني ذلك أحافظ على هذا الاستعمال الخلي ، مع اعترافي بصحة الملاحظة .



ورأيت في بعض ملاحظات الدكتور شوقي أنها غير ملائمة للجو الشهري فلذلك أتمسك بما جاء بطبعي .

فالدكتور شوقي يرى أن الرواية الصحيحة البيت التالي هي :

اشرب على السوسن النض الذي فتما . وبارك الآس والورد الذي نجما

بدل « وبارك الآس » . ولست أدري هل يظل الدكتور مستمسكا برأيه هذا إذا قرأ بقية الأبيات نثراً ، هل تحدث الشاعر فيها عن أكثر من شيئين هما « السوسن » و « الورد » ؟ ألا يرى أنه لو وضع « الآس » بدل « الآس » لتحتم أن يكون الضمير بعد المذكورات جمعا ، لا ضمير تثنية ؟ ثم ألا يكفي أن السوسن سقته السماء اللين بدل الماء فأبيض لون نوره ، وأنه ليياضه لا يعترف بياض الكافور ، وأنه أنابيب الجليد ، وأن الورد سقى الدم بدل الماء ، فعق العقيق حرته ، وأنه جمر القضا... إلخ ؟ ألا يكفي كل هذا لأن يكون ما ذكر من الزهور لا يعدو السوسن والورد ؟ أما تصحيحه لكلمة « فتما » فأشكره عليه .

وفي قول ابن سعيد ص ٦٧ من طبعي :

متّع جفونك في وجه بلا تعب إن كان شمسا يدها نمته المطر

يرى الدكتور أن رواية « وجه » لا تستقيم ، وأن رواية الأصل ، وهي « وجد » ، صحيحة ، ولست أنكر صحة « وجد » ، ولكنني أفضل رواية « وجه » ، لأنه الذي شبه في الشطر الثاني بالشمس .

وفي ص ٤٥ يرى الدكتور في قول ابن حزم :

الحز كالنبر يُلقَى تحت ميقعة طوراً وطوراً يُرى تاجاً على ملك

ان صواب الرواية : « تحت ميقعة » ، بالفاء ، ويفسرها بـ « التل » ، وأرى أن هذا التصحيح غير موفق ، وأن « الميقعة » بالفاء — بمعنى المطرقة — واقعة في مكانها تماماً ، والمعنى معها واضح .

وفي ص ٥٠ من طبعتي يصحح الدكتور بيت ابن خروف ويرويه على هذه الصورة :

فالخيط يقتل قلبي حين يفتله ياليتني فُتِلُ ما دام في إبره

وأنا أقره على تصحيح كلمة « ابره » ، بدل « اثره » ، في آخر البيت ، وأتمسك بكلمة « مثله » كما هي في الأصل ، بدل « قتل » التي يقترحها الدكتور ، وأرى أن المعنى : « ياليت قلبي مثل هذا الخيط تقتلوه يد المحبوب » .

وفي ص ٦٥ من الكتاب : « وأنشدني لنفسه وقد نزل بمراكش في منزل شخص قدم له شرباً غليظاً أسود وخروباً وزيبياً فيه غصون » ، ورأى الدكتور أن رواية الأصل ، وهي « غصون » ، لا يصح غيرها ، ثم فسر « الغصون » بأنها « الأعناق المتصلة به من أصل شجرته » ، وأعتقد أن الرواية الصحيحة هي « غصون » ، كما اخترت ، ويريد المؤلف بالغصون تلك التجاعيد الغائرة ، وحينئذ يكون الزبيب رديئاً لا لظلم فيه ، وبدل على هذا قول الشاعر بعد ذلك : « زيبيا كخيلائن خد العجوز » .

وفي ص ٦٨ أوردت البيت التالي بهذه الصورة :

فان نأيتم عند مزجي بكم فيثبت العقل بمزج المدام

وعلق الدكتور شوق عليه بقوله : « وثبات العقل عند مزج الخمر وشربها لا يستقيم ، فهو لا يتفق مع ما يريده الشاعر من أن عقله يفر منه حين تأخذ صاحبته في البعد عنه . » ، ثم يستظهر أن يكون البيت بهذه الصورة :

فان نأيتم عند مزجي بكم تشتت العقل بمزج المدام

وأرى أن المعنى الذى أرادته الشاعر أقرب من هذا كله ، فالخمر إذا مزجت حد الماء من سورتها ، فهي بذلك أخف وطأة منها إذا كانت غير مزوجة ، ويقول لأخته — لا لصاحبته كما يرى الدكتور —: حينما نشرب الخمر ضرفة تذهب بالعقل ، أما مع مزجها فلا ، ولذلك يجب أن نترج لنبقى على محبتنا ، وقد أوضحت هذا المعنى فى الترجمة .

وفى ص ٧٥ روى الدكتور اليتين الآتين هكذا :

لَبْدُلٌ وَجِبَى إِلَى لَيْثِمٍ أَمَرَ مِنْ وَقْفَةِ الْوَدَاعِ

فَالْبَدْرِ فِي وَجْهِهِ كَدُوحٍ حِينَ اجْتَدَى الشَّمْسُ فِي الشَّمَاعِ

وعلى كلمة «كدوح» يقول : «وأكبر الظن أن كلمة «كدوح» محرفة عن كلمة «كلوح» ، يقول إن البدر في وجهه جيبه جميل من فوره كاللوح يتطبع عليه أشعة الشمس» . وفهم الدكتور لهذين اليتين غريب جداً ، فالشاعر لا يتحدث عن وجه جيب ، وإنما يتحدث عن آثار الامتعااض التى تبدو بوجهه هو حينما يتعرض لبذل اللثم ، ويصف حرارة هذا الموقف . وفهم الدكتور أن السكاف فى «كدوح» للتشبيه ، وبني على ذلك تفسيره ، وليس الأمر كذلك ، فكدوح بمعنى خدوش ، وتروى كتب اللغة أن ابن عن النبي أنه قال : «السائل كدوح يكدح بها الرجل وجهه» ، وقال : «... من بآل وهو غنى جاءت مسائله يوم القيامة كدوحا» ، والمعنى على هذا أن السكاف التى على وجه البدر — وهى التى عناها بالسكدوح — إنما جاءت نتيجة الاستجداء المؤلم ، وقد أوضحت ذلك فى ترجمة الكتاب .

وفى ص ٧٩ يقول ابن مجير :

سَأَشْكُو إِلَى النَّدْمَانِ أَمْرَ زَجَاجَةٍ تَرَدَّتْ بِثُوبِ حَالِكِ الْوَدُنِ أَسْحَمِ

نَصَبْتُ بِهَا شَمْسَ الْمَدَامَةِ بَيْنَنَا فَتَغَرَّبَ فِي جَنَحِ مِنَ اللَّيْلِ مَظَلِّ

وقد علق الدكتور عليه بقوله : «وواضح أن كلمة «نصبت» محرفة عن كلمة «نصب» ، ولست أوافق الدكتور على هذا ، بل أرى أن ابن مجير

يجعل التمدان قضية بينه وبين زجاجة ويحدث عما حدث بينه وبينها فقط ،
وعلى ذلك تكون الرواية التي اخترتها واضحة وصحيحة .

وفي ص ٩٤ ورد هذا الاسم « أبو جعفر بن البني » ، بالتاء المثناة
من فوق ، ورأى الدكتور أن صحته « البني » ، بالنون ، مستنداً الى رواية
المطبع والنفع ، وكنت أرجو أن يفترض الدكتور — قبل اختياره للبني
بالنون — أن لدى علماء بأبي جعفر بن البني هذا ، وأن تمسكي بإبني إنما جاء
عن دواع بينتها في الترجمة في ص ٢٦١

ويقول الدكتور في تعليقه على البيت الوارد في ص ١٠ ، وهو :
لاغرو أن زاد شوق في مروحهم فؤوية الماء تذكي غلة الصادي :
« فالشوق لا يزيد في المرور ، وإنما المرور هو الذي يزيد في الشوق ،
ولذلك كنا نرى أن صحة البيت :
لاغرو أن زاد في شوق مروحهم فؤوية الماء تذكي غلة الصادي »
وأرى أن المعنى ليس على هذا الوجه الذي يقوله الدكتور ، وإنما
هو : « أن زاد شوق عند مروحهم » ، وبذلك لا نحتاج الى الترتيب
الذي يقترحه الدكتور .



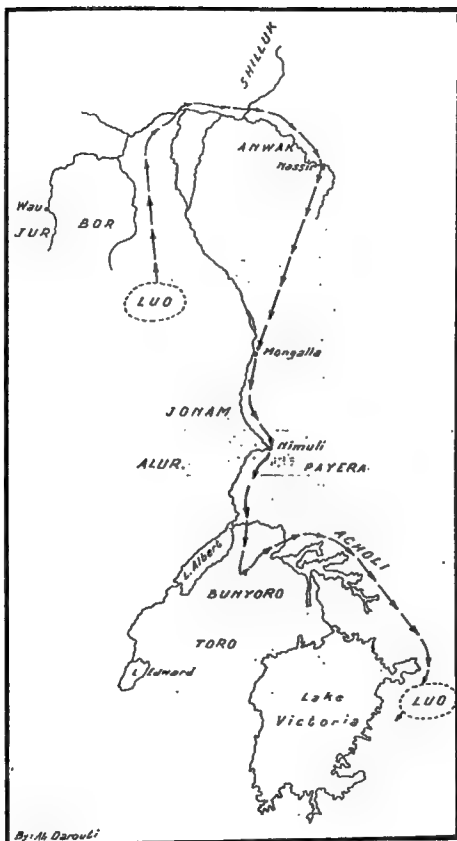
هذه ملاحظات سريعة على نقد الدكتور شوقي لكتاب « رايات البرزين » ،
وإني أكرر للدكتور شوقي ضيف شكرى على عنايته وتصحيحاته القيمة ،
وعلى ما أتاحة لى من فرصة الحديث على صفحات مجلة كلية الآداب ، أثناء
وجودى كأستاذ زائر بهذه الكلية .

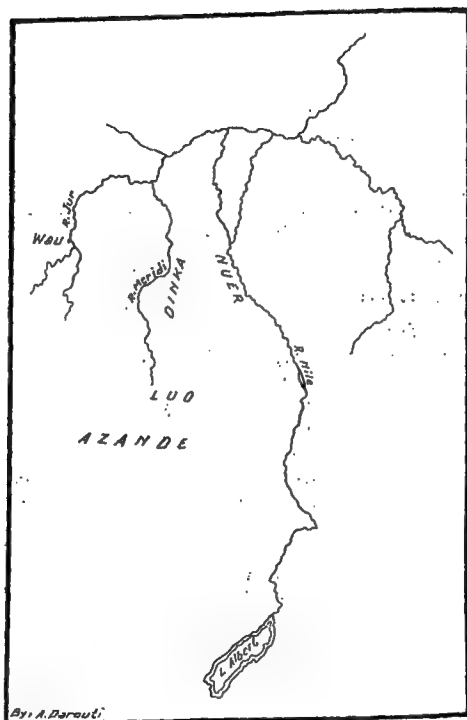
وإني لأرجو أن يكون هذا اللون من التعاون العلمى حاملاً جديداً يقوى
التفاهم الفكرى بين بلدينا — مصر وإسبانيا — فى المستقبل .

تم طبع هذه المجلة في عهد حضرة صاحب الجلالة
الملك "فاروق الأول" بمطبعة جامعة فؤاد الأول
في ٢١ من رمضان سنة ١٣٧٠ هـ .

محمد زكي خليل
سرد مطبعة جامعة فؤاد الأول

Found I Univ. Press,
1196-1950-560 ex. .





To the east and north of the Luo were the Lango. They had left the Anywak long after Olum. They had followed the same road to Nimule, and had then turned south east along the bank of the River Assua. During the dry season they brought their cattle to the same watering places as the Luo. To the west of the Luo were the Madi. One year there was a great drought which forced the Madi to press on towards the watering places of the Luo from the west and the Lango from the east. At first the Lango agreed to help the Luo to drive back the Madi, but they were not successful. So the Luo made an agreement with the Madi and turned against the Lango. They drove them away to the east. The descendants of these Luo are still in that country and are called Acholi.

The Fourth Move

But there were some Luo, to the south of the Acholi, who were not troubled by the fighting with the Lango and the Madi. But the drought made them move off to the south east. Their leaders were Adhola and Awiny. They travelled along the north of lake Kioga and then south east till they met the Banyuli in the south east corner of Busoya. Here the Luo multiplied and the Banyuli asked them to move off. They went a little away to Tororo, but soon found the country too small for them. The people of Adhola, stayed, while those of Awiny, travelled southwards, and passed through the Bantu people till they reached the coast of Sakwa, Kadimo, and Uyoma. Here they settled and from these parts spread all round the Kavirondo gulf.

tribe, called the Alur. Labongo also decided to leave the tribe, so he and his family went north east then moved on towards mountain Agoro, on the boundary of Uganda, where they settled. They are now called the Payera.

Nyiripir, another son of Olum, decided to follow Tiful, but after crossing the Nile, he and his family turned north. They are at present still living in the West Province of Uganda and are called the Jonam. Olum and the Luo went on Southwards, crossed the Nile which flows into lake Albert (Victoria Nile) and entered Bunyoro. Olum and the Luo took the Bunyoro by surprise and without much fighting, conquered them and became the rulers of the country. From here they gradually spread into the surrounding country and ruled its peoples, the Baganda, the Toro, and the Ankole. So they became the rulers of a very large district. But they were few, and scattered over a very large area. They were frightened that they would get lost as a result of inter-marriage. After about 30 years, their leader Wamara decided, that they had better go somewhere else and live by themselves. He sent out scouts over the Nile to the north east of Bunyoro. They reported that there was a large uninhabited country stretching north from the Nile. A message was sent round calling the Luo together, but those who had become powerful preferred to stop where they were. They asked for a descendant of Olum to remain as their chief. The twin sons of Wamara's brother, Kyoma, were asked to stay: they were Labonago and Kintu. Labonago was made the chief, but he soon gave Uganda to Kintu, keeping Bunyoro for himself. The descendants of these two still rule in Uganda, the Bunyoro and the Toro.

The Third Move

The Luo moved to the north east corner of Bunyoro. Before they crossed the Nile, a small group, decided to stay in that corner of Bunyoro. They form of present a very small tribe, who are called Jopahuo by the Bunyoro people.

The Luo stayed there for a long time. They increased in number and were divided into several groups. At different times some of these groups became dissatisfied and decided to move. They were:

The Luo

The Jopajok

The Pari

The Kor

The Lango

The Second Move

The Luo were the first to leave Anywak. Their leader was Olum. They went South West through bad country. In the wet season, it was all swampy, and in the dry season there was no water at all. When they reached the Nile, they turned South and stopped where Mongala stands now. From here they sent out scouts to find out what the land was like. It was quite good but they did not stay. The Lotuka tribe was there and the scouts seem to have found these people just beginning to occupy the country and so advised Olum to move on.

Olum led his people on Southwards till they reached the district round Nimule. Here a quarrel occurred between the sons of Olum: Labongo and Tiful. Before the fight was settled Olum had to move farther South along the Nile, nearly to lake Albert near which the Pachwach live today. Here the council met, but could not settle the quarrel. So Tiful said, "If you say that I am wrong, I shall throw myself into the River and be drowned unless the God of the elephants helps me".

He went to the River with the idea of throwing himself into the river, but he was safe and was able to cross it. His family followed him safely. As he went, he threw an axe into the bank as a sign that Olum and Labongo should not follow him.

Tiful travelled West from here and settled in the hilly country on the border of the Congo. His descendants are a big

west across the River Meride. He settled in the country along the River Sue; south of Wau, 300 kms. from his old home. Today his descendants are called the Bor.

Nijikango and the Luo had now reached the junction of Bahr El Arab and Bahr El Ghazal. Here Dak quarrelled with Dimo, and there was a fight in which one man was killed and many hurt. Dimo decided to leave the tribe, so he went with his family and cattle to the south west. He found a good country where he settled to the N.E. of Wau. His descendants are still called the Jur.

Nijikango and Dak and the Luo were now in an uninhabited country round the junction of Bahr El Arab and Bahr El Ghazal; but it was not big enough for them. They moved to the east along the southern bank of Bahr El Ghazal. When they reached the Nile they crossed to the north bank and went on eastwards. Here they found some Dinka, with whom they fought bitterly and finally won the battle.

Now there was a third quarrel. Gilo with most of the Luo did not like Nijikango and Dak, because they were quarrelsome. So there was fighting and Gilo won. He decided to leave Nijikango and Dak, so he crossed the Nile at the point where it turns north and followed the northern bank of the River Sobat. Nijikango and Dak continued to fight against the Dinka and slowly after many years drove them to the eastern bank of the Nile. The descendants of Nijikango and Dak remained on the west side of the Nile and gradually spread as far north as Khartoum. They are called the Shilluk. Gilo with the main group of the Luo went on along the Sobat till they reached the country round the town of Naser in Abyssinia. Here they decided to stop and those who still remain there today are called the Anywak.

THE ORIGIN OF THE LUO

BY

Dr. M. MITWALLY

It was mentioned in a previous paper ⁽¹⁾ that the Luo live in the area lying to the north of Kavirondo Gulf known as Northern and Southern Kavirondo.

According to the Luo traditions there lived between the River Nile and the River Meride three large Nilotic tribes :

The Dinka in the north and west.

The Nuer in the east.

The Luo in the south.

They are all Nilotes. Their language is similar and their physique is the same.

To the south of the Luo lived the Azande. They are not Nilotes, and were not friendly to the Luo. They were increasing in number and they wanted the land of the Luo.

The First Move

The Luo were all joined together under one chief, Nijikango. He and the elders of the tribe decided that the Luo had better move away, or the Azande would overpower them. The Dinka and the Nuer did not want to give up their land, so the Luo moved 300 kms. northwards through swampy country between the Dinka and the Nuer. Nijikango had three sons: Dak, Bor, and Dime. Before they started, Dak quarrelled with Bor. Bor was angry, and decided to leave the tribe. He took his family and cattle to the

(1) Mitwally, "Kavirondo, Land and People", Bull. Faculty of Arts, Uni. Fouad Vol. No. (12) 1950.

of many published works, manuscripts, papyri, journeys, works of literature, etc., relating to Mediaeval Egyptian History.

Dr. Zaky M. Hassan Bey has written a valuable essay on the method of historical research entitled: "Studies in the method of research and sources of Islamic History", which appeared in the Bulletin of the Faculty of Arts, Fouad I University, Cairo (May 1950); it is the fruit of a profound study of the material sources, such as papyri, coins, medals, inscriptions, archeological remains, monuments, etc. The author has also shown the best direction to be followed by the students of Mediaeval Egyptian history, who wish to study this period carefully and thoroughly.

Egypt has made a good effort in the field of historical research. I have only dealt with one period of Mediaeval Egyptian history. There are other periods of Egyptian history in which scholars and students of history have taken keen interest.

The activities of Egyptians in both ancient and modern history are no less important.

Moreover, Egypt has taken part in the International congresses of Historical Sciences, in the congresses of Orientalists, as well as in other congresses. In Egypt itself international congresses meet from time to time, other local congresses are also held; the best example is the Congress of Arab Culture which now (August-September, 1950) holds its meetings at Alexandria.

From this rapid review it can be understood how prominent a part Egypt has played in the development of historical research, by writing historical works, by publishing manuscripts, by giving lectures and radio talks and by participating in international and local congresses. We cannot, however, ignore the part played by Europeans residing in or visiting Egypt in promoting and contributing to researches in Egyptian history throughout the ages.

Material sources, such as papyri, architectural remains, coins and medals, works of arts, etc., are considered among the most important sources for the historical study of Mediaeval Egypt. These are invaluable for those who intend to study Egyptian history at all deeply. Some Egyptian scholars have taken particular interest in this field.

Among these contributions mention may be made of "al-Funûn al-Îrâniyyah in the Muslim Period" by Dr. Zaky Muhammad Hassan Bey, Dean of the Faculty of Arts, Fouad I University, Cairo. This book of 406 pages was published at Cairo in 1946. In this work the author deals with the effect of Persian art on other Muslim arts, including the Egyptian, during the Fâtîmîd period.

The same author has also written "at-Taşwîr fî'l-Islâm 'Inda'l-Furs" (Painting in Islâm among the Persians), Cairo, 1936. The author deals with Muslim painting and its development and effect on Egyptian art. He has also published: "Al-Fann al-Islâmî fî Mişr" (Muslim Art in Egypt) in 133 pages with many plates illustrating painting in Egypt from the Arab Conquest to the end of the Tûlûnid period.

The "Kunûz al-Fâtîmiyyîn" (the Treasures of the Fâtîmîds) comprising 300 pages by Dr. Zaky M. Hassan Bey (Cairo, 1937), is a further valuable contribution to the study of the Fâtîmîd period in Egypt.

Methods of historical research and the use of the various sources of Mediaeval Egyptian history have also attracted the attention of some of our scholars. I myself have taken interest in this question in my Fâtîmîds in Egypt, etc., in my Outline of Egyptian History from the Arab Conquest to the Ortoman Conquest, as well as in my History of Islâm.

Dr. Ali Ibrahim Hassan has written a book on the method of historical research (it comprises 207 pages and was published in Cairo in 1949). The author has given an adequate account

in Egypt and who died in 1209 A.D. This MS. was published by Dr. Aziz S. Atiyya Bey, Professor of Mediaeval History at Farouk I University, Alexandria, in 1943. It contains 468 pages, and deals with the geography of Egypt, its cities, towns and rivers, its agriculture and economic organisation. The editor has consulted original sources in order to elucidate the names of places (or) proper names and persons.

Mention may be made of another MS., i.e. the "Mufarrij al-Kur'ub fi Akhbār Banī Ayyūb" (the dissipator of sorrows, being a history of the Ayyūbid dynasty) by Ibn Waṣīl who died in 1297 A. D. The book was submitted by Dr. Jamal al-Līn al-Shayyāl to Farouk I University, Alexandria, with a historical introduction and commentary on the MS., and the candidate was awarded the doctor's degree for this work, which contains valuable information on the Fāṭimid and the Ayyūbid periods in Egypt.

Among the books that have been written on Mediaeval Egyptian history, mention may also be made of "Arabic Papyri in the Egyptian Library", in 8 volumes, by Prof. Adolf Grohmann. The first three volumes of this valuable contribution have appeared in English, as has the Arabic translation of the first two volumes by Dr. Hassan Ibrahim Hassan Bey.

The Arabic M. SS. discovered in the Library of the Monastery of St. Catherine in Sinai by some members of the teaching staff of Farouq I University in collaboration with U. S. A. Educational Mission, are a valuable contribution to the study of Mediaeval Egyptian history.

Mediaeval Egyptian literature also constitutes valuable material for those who like to study Egyptian society; this literature has supplied the Arab library with adequate material. Among these documents mention may be made of the "Diwān al-Mu'ayyad fi'd-Dīn Hibatu'llāh of Šhirāz. This work was published by Dr. M. K. Hussain (Cairo, 1949).

An outline of Muslim Institutions has been written by these same authors in collaboration with Abdel-Rahim Mustafa Bey, Secretary-General of Ibrahim Pasha al-Kabir University, Cairo. It consists of 159 pages, and has been printed several times and prescribed by the Egyptian Ministry of Education for the use of the students in the preparatory year of the University.

Among works dealing with Mediaeval Egyptian institutions, I may mention "Nuzum al-Hukm bi-Miṣr fi 'Ahd al-Fāṭimiyyīn" (Institutions in Egypt under the Fāṭimids), being the thesis submitted by Dr. Aṭīyya M. Musharrafa for the doctor's degree in Fouad I University (Cairo, 1945, pp. 436).

A thesis on Mediaeval feudalism until the end of the Ayyūbid period was submitted by I. A. Tarkhan for the M.A. degree in Fouad I University in 1949, but it has not hitherto been published. It deals with feudalism in Islam in general and in Mediaeval Egypt in particular.

Another thesis on the economic condition of Egypt under the Fāṭimids by my pupil Dr. Rashid M. El-Barrawy was submitted in Arabic to Fouad I University in 1944 for the doctor's degree. This was published in Cairo in 1948.

The Author studied in detail the agriculture, industry, technical development and system of labour. He then dealt with home and foreign trade and communications and with financial organisation; the book is considered the first attempt in this field.

The Egyptian scholars have taken keen interest in editing hitherto unpublished works, in order to supply other scholars and students of Mediaeval Egyptian history with original documents easily accessible for the pursuit of their researches.

Among these mention may be made of "Kitāb Qawānīn ad-Dawāwīn" (i.e. Regulations for state departments) by the eminent historian Ibn Maṣmūṭ, who flourished towards the end of the Fāṭimid period and at the beginning of the Ayyūbid period

Aghâ Khân, also by Dr. Taha A. Sharaf. It deals with propaganda as instituted by the Ismâ'ili leader, al-Hasan aṣ-Ṣabbâḥ, in Persia.

The author deals with the Fāṭimid organisation of the Ismâ'ili propaganda in Persia and the travels of this leader to Egypt during the reign of the Fāṭimid Caliph, al-Mustansîr, in order that he might be initiated into the Ismâ'ili tenets by the Caliph himself. The Fāṭimids established courses of lectures on the Ismâ'ili faith in the mosques such as the Azhar Mosque and in the institutions such as Dâr'u-l-Ḥikmah.

The author has also studied the conflict between this religious leader, al-Hasan aṣ-Ṣabbâḥ, and the higher civil-servants headed by the great Vizier, Badr al-Jamâli, who aimed at enthroning the Caliph's grandson, al-Musta'li, in the place of Nizâr, although the latter was the elder and had been proclaimed crown-prince by his father. This led to the division of the Ismâ'ilis into two parties: The Musta'liyyah or the adherents of al-Musta'li, whose descendants are now called the Buhras in India and the Yaman, and the Nizâriyyah, or the adherents of Nizâr, the eldest son of al-Musta'li, who was deprived of the throne.

Let us now pass on to the 2nd division, *i.e.* the institutions. This subject has not yet attracted the attention of scholars of Mediaeval Egyptian history, yet a few of them have produced tentative works dealing with these institutions.

"An-Nuzum al-Islâmiyyah" (Islamic Institutions) was written in Arabic by myself in collaboration with Dr. Ali Ibrahim Hassan, and comprises 384 pages, and published in Cairo in 1939. It deals with the political, administrative, financial and juridical institutions in the Muslim world from the rise of Islam in the VIIth century A. D. to the Xth century A. D., and gives a detailed account of the Caliphate until it was abolished at Constantinople in 1924; this book has been translated into Urdu and the translation published at New Delhi.

propaganda with the Fāṭimid Caliph al-Ḥākim. He also showed how Ḥamīdu'd-Dīn al-Kirmānī, the chief Fāṭimid propagandist in Persia, helped in the establishment of the House of Wisdom in Cairo (Dārul Hikmah) as well as in other cultural activities of the Ismā'īlis in Persia.

Another book on the history of the Ismā'īlī sect of which mention may be made is: "Tārīkh al-Ismā'īliyyah fī'l-Ḥayāt as-Siyāsiyyah (History of the Ismā'īlis in political life) up to the taking of Baghdād by the Mongols in 656 A.H. (1258 A.D.) by Dr. Taha A. Sharaf, a thesis for which he was awarded the doctor's degree from Foad I University in 1946.

The author dealt with the history of the Ismā'īlis from the time of their constitution as a religious sect during early 'Abbāsid period, and with the development of their history up to the XIIIth century A.D.

Dr. Sharaf divided the Ismā'īlī propaganda into two succeeding types: the old propaganda and the new. In dealing with the old propaganda he examined the leadership of the Fāṭimids in the Ismā'īlī world, and showed how the Fāṭimids organised their propaganda in Egypt as well as elsewhere. He explained likewise the relation of the Fāṭimids to their adherents and their subjects, studied the history of the Ismā'īlī dynasties, such as the Carmathians in the Yaman, Bahrayn and 'Irāq, and the Ṣulayḥīs in the Yaman. He also underlined the weak factors in this old propaganda and their effect on the fall of the Fāṭimids.

Dr. Sharaf examined the employment of the new propaganda and its development in Egypt. He analysed the history of this propaganda up to the fall of the 'Abbāsid Caliphate, which was brought about by the Tartar, Hulagu. It kept characteristic aspect until it was revived by the Aghā Khāns.

Within the last few days has appeared a book entitled: "Dawlat an-Nizāriyyah, the grandfather of His Highness the

Among these sources quoted mention may also be made of "Zahr al-Ma'āni min Kitāb al-Muntakhab fi Kutub al-Isma'īliyyah and "Ghārat al-Mawālid" by Abū'l-Khaṭṭab ad-Dā'i (propagandist) "al-Majālis wa'l-Mus'āyarat by Abū Ḥanifah an-Nu'mān al-Maghribi, well-known among the Isma'īlis as "Sayyidnā al-Qiḍi an-Nu'mān". He was perhaps the most important of those propagandists during the reigns of the first three Fāṭimid Caliphs. As chief Judge and chief Propagandist he contributed greatly to the development of Isma'īli propaganda, where his works represented the results of his long research in Isma'īli jurisprudence, as well as of his discussions, interpretations, doctrines, biographies, historical essays and sermons. Mention may be also made of "Ṭabaqāt, 'Ulamā' Ifriqiyyah" by the Maghribite historian and juriconsult Abū'l-'Arab Tamīm.

The second book which I published with Dr. Taha A. Sharaf is entitled: "Al-Mu'izz li-Dinillāh, the Imām of the Isma'īlites and Founder of the Isma'īli Dynasty in Egypt". It deals with the life of the Caliph, al-Mu'izz, the Fāṭimid conquest of Egypt, the Fāṭimid institutions, as well as with Fāṭimid arts and culture and the social conditions of Egypt in the reign of this Caliph. The book contains nineteen appendices reproducing historical documents such as "Itti'āz al-Ḥunafā" by the great Egyptian historian, al-Maqrizī, al-Majālis al-Mustashiriyah", by al-Mu'ayyad fi'd-Din Hibatu'llāh of Shirāz, the chief Fāṭimid propagandist in Persia, the Da'ā'im al-Islām, and the "Himmah fi' Adāb Atbā' al-A'imma" by Abū Ḥanifah an-Nu'mān.

Among other works on historical research that have appeared concerning the history of Mediaeval Egypt figures also: "Rasā'il Falsafiyah" by Abū Bakr Muḥammad ibn Zakariyyā ar-Rāzi, the Isma'īli propagandist in Persia; was edited at Cairo in 1939 by Paul Kraus, some-time lecturer in Foud I University. The editor demonstrated the development of the Isma'īli propaganda in Persia, and dealt with the relations of the supporters of this

of the Faith, an-Nâsir li-Dini-llâh. Thus there coexisted in the first decade of the IVth century A.H. (Xth century A.D.) three caliphates: the 'Abbâsid Caliphate in Baghdâd, the Fâtimid Caliphate in Qayrawân in North Africa, and the Umayyad Caliphate in Cordova in Spain.

The Sectarian struggle between the Fâtimid Shi'ites and the Umayyad and the 'Abbâsid Sunnites became more violent than it had been before. The three parties fought not only with the sword, but also with the pen and the spoken word; the Fâtimid schools played a prominent part in spreading Fâtimid Ismâ'ili culture, particularly in North Africa, Egypt and Persia. These centres of Ismâ'ili propaganda were called the schools of wisdom (*Madâris al-Hikmah*), and include the well-known *Dâru'l-Hikmah* established in Cairo by the Fâtimid Caliph al-Hâkim. Many Ismâ'ili propagandists graduated from these religious institutes.

Yet the history of the Ismâ'ili Fâtimids is more or less obscure, and hence has been the object of extensive research. I have been able to produce in collaboration with my pupil Dr. Taha A. Sharaf two documents dealing with the history of the Fâtimids.

The title of the first is: "Ubaydu'llâh the Mahdi (or guide), the Shi'ite Imâm and founder of the Fâtimid dynasty in North Africa" (Cairo, 1949), in 367 pages, with 14 appendices. This work deals with the history of the Fâtimids in North Africa and Egypt and contains quotations based on authentic sources, such as *Asrâr an-Nuṭaqâ*, by Ja'far ibn Manṣûr al-Yaman who occupied an important post in North Africa and Egypt; he gained the esteem and respect of the Fâtimid Caliph, al-Mu'izz, who appointed him "the door of his doors" (*Bâb abwâbihi*) in Egypt, a higher post than that of the chief propagandist (*dâ'i*), and has left us many scientific works, manuscript, copies of which have remained in the libraries of the Buhâras in India down to the present day.

man of God, and that he entrusted 'Alī with the secret of his message, and hold that the descendants of 'Alī, or, as they call them, the House of 'Alī, had the natural right to control the destiny of Islām both factually and rightfully, and as such possess the sovereignty over Islām or the Caliphate. The Persians supported the Caliphate of the House of the Prophet in order to regain some of the political influence which they had lost under the Sunnite Umayyads and 'Abbasids. Therefore, they transferred their allegiance to the Alids, because they believed that al-Ḥusayn, son of 'Alī, married Shahr-banu, the daughter of Yazdigird III, the last Sasanian King; hence the remaining Imāms (or guides) of the house of 'Alī of both great Shi'ite factions (the "Sect of the Twelve"—or "Ithnā 'Ashriyyah" now prevalent in Persia—and the "Sect of the Seven"—Sab'iyyah or Ismā'illis) to which the Fātimids belonged, represented not only the Prophet but also the Kingly right and virtue, being at the same time descended from the Prophet Muḥammad and from the House of Sasan. Hence they supported the Caliphate of the descendants of 'Alī and Fātimah.

It is from the death of the eleventh Shi'ite Imām in the eighth century A.D. that the chief activity of the Ismā'ili sect begins. In the last decade of the IXth century A.D. the choice of the Ismā'illis fell upon North Africa, because of its remoteness from the central authority of Baghdād. The Idrisids were the first of the 'Alids to establish their authority in the Farther Maghrib in the 8 and 9th centuries A.D., and the Zaydis followed their kinsmen's example in the Yaman. In 800 A.D. Ibrāhīm ibn al-Aghlab established a dynasty which was called the Aghlabite dynasty, which lasted until the 'Alid 'Ubaydu'llāh al-Mahdi established the Fātimid Caliphate in 909 A.D., in a short time extended his authority over nearly the whole of North Africa.

Not long after the establishment of the Fātimid Caliphate in North Africa, 'Abdu'r-Raḥmān III of Spain ordained in 926 A.D. that he was to be designated in public prayers and official documents, as Caliph, Commander of the Faithful, and Champion

Egyptians, the wealth and splendour of Egypt, the pomp and glory of the Fāṭimid Caliph as seen in the Friday prayer, in the celebrations, banquets, and lastly with the fall of the Fāṭimids and its causes.

In 1933, the History of Jawhar, the Fāṭimid Conqueror, by Dr. Ali Ibrahim Hassan, Professor of Islamic History, Fouad I University, was submitted to Fouad I University for the M.A. degree and published in the same year. It deals with the life of Jawhar until the conquest of Egypt in 969 A.D., and thereafter with his policy and the monuments he erected in this country.

In 1950 Dr. Gamal Eddin Šurur of Fouad I University, Cairo, published a book entitled: "Relations between Egypt and the Ḥijāz during the Fāṭimid Period", dealing with these relations from the political and religious points of view.

Among the books that have been written on Mediaeval Egyptian History, mention may be made of my "Egypt in the Middle Ages", i.e. from the Arab conquest in 640 to the Ottoman Conquest in 1517 A.D. It comprises 103 pages, and is incorporated in the series in Arabic: "An Outline of Egyptian History", written by certain members of the staff of the Department of History in Fouad I University in Cairo, edited by myself in 1942. I have given particular attention to the Fāṭimid period. Mention may also be made of "Egypt in the Middle Ages from the Arab conquest to the Ottoman conquest", by Dr. Ali Ibrahim Hassan (2nd. ed., Cairo, 1949). This author also has dealt particularly with the Fāṭimid period.

Among these sources: *Al-Qāhirah Min 'Ahd al-Mu'izz ilā 'Ahd al-Farouq* (Cairo from the reign of al-Mu'izz to the reign of Farouq) (published in Cairo in 1943 and comprising 250 pages) by Colonel Abd ar-Rahman Zaky, Curator of the Military Museum in Cairo, can also be considered a contribution to Mediaeval Egyptian History.

Fāṭimid history merges into the history of the Shi'ites, a sect which believes that the Prophet Muḥammad was the chosen

historical research and, lastly, the part taken by Egyptians in the International Congresses of Historical Sciences. You will, I trust, allow me to begin with the 1st division, *i.e.* political history.

Egyptian scholars and students of History have tackled the ancient, mediæval and modern history of Egypt, either independently or in researches dealing with Islamic History in general. I myself have written a book on the History of Islam from the political, religious, cultural and social points of view : three parts out of five have already been published.

The first deals with the history of the Arabs in the pre-Islamic period, the prophetic message of Muḥammad, the Arab Empire during the period of the first four Orthodox Caliphs and the Umayyad period.

The second part deals with the early 'Abbâsîd period (750-847 A.D.), the third with the second 'Abbâsîd period from the death of the Caliph Al-Mutawakkil in 847 A.D. to the rise of the Seljuks in 1056 A.D.

Each of these three parts gives a fairly vivid picture of the political and religious movements, foreign relations, institutions, economics, culture, arts and social conditions in the Eastern Muslim world, Egypt, and in North Africa and Spain. I have taken particular interest in the study of the history of Egypt in these periods which include that of the Fâtîmids.

Moreover, my book deals in detail with "The Fâtîmids in Egypt considered chiefly in connection with their politico-religious activities", a subject submitted by me as an English thesis and for which I was awarded the D.Lit degree of the University of London in 1927.

An Arabic translation of this book was published in Cairo in 1932. It deals with the Shi'ite movement up till the establishment of the Fâtîmid dynasty in Egypt, the organisation of Fâtîmid propaganda, the policy of the Fâtîmids towards the

CONTRIBUTIONS TO THE STUDY OF FĀṬIMID HISTORY IN EGYPT DURING THE LAST 12 YEARS (')

BY

Dr. HASSAN IBRAHIM HASSAN BEY

The Fāṭimids, who derive their name from Fāṭimah, the Prophet's daughter, and 'Alī, the Prophet's cousin and son-in-law, succeeded in establishing a powerful empire which ruled Egypt and its territories for more than two centuries (969-1171 A.D.) rivalling if indeed not surpassing the 'Abbāsid Empire.

The authority of the Fāṭimid Caliphs extended all over North Africa, Sicily, Egypt and Syria, and their names were recited in the Friday prayer in the mosques from the Atlantic to the Red Sea, in Ḥijāz and Mawṣil, and even in Baghdād, then the capital of 'Abbāsids, for about a year.

The Fāṭimids established a vast empire and a brilliant civilisation, remarkable for its excellent methods of administration, its artistic activity, the efficiency of its army and navy, the incorruptibility of its tribunals, the breadth of its religious toleration; and perhaps most remarkable of all, its patronage of learning and culture.

In order to give a picture of the achievements of the Egyptians along these lines, I will divide this subject into 7 parts, reviewing some of the most important researches that have appeared under the following heads: political history—economic history—published manuscripts—literary history—arts—methods of

(') Paper read at the IXth International Congress of Historical Sciences (Paris, 28th August-3rd September, 1950).

But these details can be usefully treated by Egyptologists only, who after many years of close intercourse with the hieroglyphic and hieratic documents could evaluate, without European coarseness, the delicate chances of spiritual intimacy between really Egyptian wisdom and really Greek philosophy. The incubations of just Greek reading students of these matters do not appear to lead anywhere.

By his visit to Egypt and by his acceptance of the music of Isis as a revigorating charm Plato tied a bond between the oldest conservatism of humanity as lingering on in Egypt and its youngest progressive impetus as breaking up in Greece. This bond proved of surprising strength in all following developments of Christian and Islamic civilisation. For present humanity in its endeavour to create a synthesis of Oriental and Occidental forces. Plato's voicing Egyptian harmonies in Hellenic words has still the full power of an actual event.

Why did Plato leave Athens after the death of Socrates, why did he start on long travels? To seek adventures? To satisfy his curiosity like Herodotus? To forget his tragic loss in foreign surroundings? All this is mere trash. Plato wanted only one thing: to find universal harmony. He found something of it among the Pythagoreans in Italy, but more of it in Egypt. So his daring flights to heaven lost their presumable character of sacrilegious attempts with insufficient forces, they became appropriate and moderate movements with new-gained transcendent security. Now the first series of dialogues describing the soaring to the stars under the guidance of Socrates could be worked out with literary mastership. But the naming of Egypt in these dialogues would have been as we saw a mere personal indiscretion of which Plato was incapable. Only much later when he had to discuss the appearance of perfection in time he could gratefully acknowledge his debt to Egypt with majestic symbols.

Is it possible to overesteem the tremendous impression made by the magic atmosphere of millenarian temples with the unbroken spirit of illuminated priests upon a mind like Plato's who was so deeply movable by the "potestas numinosa" and who, after all, lived in his country in a kind of mystical parochialism? The so-called Oriental wisdom with its doctrines and techniques which can be overrated and underrated with equal facility is of secondary significance in face of the overwhelming power of that altogether hieratic life itself. The probable initiation of the foreign sage to some stages of secret worship would be a definitive way of strengthening his metaphysical vitality, without necessary influence on the rational formulas of his philosophical message. On the other hand it is by no means excluded that single features of his myths, *e.g.* the pictures of the Beyond in the "Gorgias", the "Phaedo" and the "Republic" or the various emanations of royal wisdom as discussed in the outlines of the just community, owe a good deal to Egyptian models and suggestions.

mind, all rooting in the central problem how to reconcile that mystical sight of the ideas with the fatal challenge of reality. So the Egyptian way of imbuing as it were the perishable existence with a kind of eternal time acquired actual importance on the symbolic stage of some of the following dialogues.

Here we must ask : had that plan of Plato's old age, which culminated in the sublime fragment of his super-Homeric Egyptian epos, praising primordial Athens in her fight against titanic Atlantis, had this broad vision of universal history any significance for the precedent vision of the ideal cosmos ? That means : did the contact with Egypt also contribute to the conception of Plato's fundamental philosophy ? The answer is emphatically in the affirmative. Only in the Egyptian temples Plato found living manifestations of mystical perfection beyond the abyss of fatal perishableness. So only there he could find the courage to say yes to his own most daring hopes as involved in the conception of "ideas". Let us never forget : Plato was not a modern Utopian, who makes theoretical plans according to the requests of his impatient will or his speculating wit. All his thoughts and plans were based on mystical experience. In Socrates he had found the power through which the human being may become eternal being. But Plato would not go the way of Socrates, he would not concentrate himself on his own perfection in order to become a kind of second Socrates. His was the passionate longing for a perfect community within which the law of universe would rule in earthly harmonies. And here we see the decisive point. Plato would never develop this longing as such, he would never try (as all modern idealists do) to draw himself out of the swamp of present reality by his own brain-rooted pigtail. Still less he would just describe his ideas about a fine world beyond and leave this world with moralising superiority in its desolate state. Even theoretically he would not admit this absolute contrast of an alleged perfection "there" and a hopeless misery "here".

So we have come to the end of our interpretation. Plato had found in Egypt the key to universal history, to history as a representation of the universe in universal mankind. Now we must put our last question: how must we explain that he speaks about Egypt only in the second part of his work? As we saw it is nearly sure that he made his great travel when he was approaching his fortieth year, and only two decades later, in the "Phaedrus", we find the first use of an Egyptian symbol which speaks with unmistakable intensity of his extraordinary experience on the Nile. But in these twenty years he had written as we think the whole first series of his dialogues which culminated in the "Republic". Why did he never mention, besides a few playful allusions (Socrates' swearing by the Dog, the Egyptian god, and the registering of the fare of sailing to Egypt, both in the "Gorgias") what he had seen in his younger age? There is, by the way, one important exception: the extensive praise of Ammon's oracle in the Egyptian desert, to be found in the smaller dialogue with Alcibiades. But as this dialogue as a whole is a problem we do not want to discuss it here.

The answer to the above question is this: Plato, who never exploited personal impressions without a possible symbolical evaluation, had no reason to speak of the value of history in the first part of his philosophical display. He had to reveal the idea of perfect life as it is founded in timeless being. He had to excite in the souls of his contemporaries the longing for that life and he could stir them only by appealing to the noblest instincts, traditions and ideals of their most intimate interior which, of course, was entirely Greek. Socrates, the symbolic leader of his mystical campaign, had practically never left Athens. So Plato did not leave it either. Even the detailed description of the state of justice was carefully kept in the sphere of a metaphysical sight, with consciousness rejecting the debate about a future realisation, which forcibly would have conducted to the future, that is, to a temporal aspect. Only when the great work was done and the "Republic" brought to its mythical conclusion new questions arose in Plato's

Socrates had really said. Nevertheless all these sentences are substantially Socratic, because the concrete experience of Socrates' mystical power is their real cause.

The whole story of primordial Athens and Atlantis may be a pure invention of Plato's, but it could be put in the mouth of the Egyptian priest only, because Egypt had revealed to Plato her mystical substance of eternity in time. We are sure that Plato would never have ventured to send his ancestor Solon to Egypt, if he had not found in the tradition about him some sparks of that concrete Egyptian wisdom. Nevertheless the words addressed to Solon by the priest have no need of historical precision, they are the "expansion of the substance" in the enchanting tale. It is hardly thinkable that an Egyptian under the Saitic dynasty had already sufficient insight into Greek mentality (which was still in the pre-philosophic state) in order to understand the character of Greek irrepressible youthfulness. But the gist of it could have been discussed in Sais or Heliopolis by Plato, himself, with the priests, and the symbolical value of the discussion would not suffer from its transfer to Solon.

There could be found a contradiction between the judgment of writing, of γράμματα, in the "Phaedrus", where they are characterised as futile, and here in the "Timaeus", where they seem to contain the most elevated historical wisdom. But all the stress in the latter must be laid on the word "holy", ἅγια. This view had no place in the "Phaedrus". "Sacred signs"—that means that the hieroglyphs are here understood in the true Egyptian sense. They bear in themselves mystical powers, that is, they can be interpreted only by priests who are inspired from mouth to mouth, from living soul to living soul through cosmic knowledge (as praised by Ammon and Socrates in the "Phaedrus")—for which the signs are an appropriate help. And the history of Athens and Atlantis which could be read in them (if they were read with the secret art of reading!), that history was by no means a congeries of mere facts, but as a whole and in every detail a development of eternal truth in temporal events.

writer of the 19th or 20th century. In his master Socrates he had found the living bearer of transcendent wisdom who was illuminating the souls beyond the power of words. But undoubtedly his disciple's greatest natural gift was an overwhelming power of words.

. So Plato created a verbal manifestation of his own, melting wisdom into beauty and providing a body of symbolic speech to the soul of his metaphysical inheritance from Socrates. The art and style of his dialogues in which he had neither predecessors nor followers is purely symbolical. The words in them are not communicated in order to say something "real", *e.g.* to tell a story, but with the only scope to point to a metaphysical order into which Plato wishes to lead his hearer. This is possible because Plato had a realistic experience of metaphysical power. He could name the real causes of that experience and introduce them into his words as the lively symbols of the cosmic order. He had found the main cause personified in Socrates. The temple of Egypt with its songs and dances, its wise priests and holy signs he found as another. But this symbolism goes much farther. There is no name in which there is not hidden a mystical view, there is no reported event, no described gesture which must not be understood as the flash of a mystical hint. In this light of symbolical truth mere fantasy or artistic effectiveness simply fades out.

. According to this view the introduction of the Egyptian priests can only mean that they had conveyed to Plato a concrete metaphysical experience. So their words could have symbolic value by pointing to the eternal order with which alone Plato is concerned. On the other hand, in all details of their description, in the whole expansion of their mystical substance Plato is naturally free to follow his creative imagination without which the substantial truth could not insinuate itself into the hearts of his hearers. So perhaps no single sentence, proffered by Socrates in all the dialogues, is an exact repetition of what the historical

founded by the Goddess Athene-Neith even 1000 years before Sais (or Egypt as a whole?). Many of the laws that had granted Egypt her duration in unique dignity were given first to that Athens which, before all, had a ruling class of priests. Moreover, Athens had received from Athene a cosmic wisdom (φρόνησις περί τὸν κόσμον), she had the power of prophecy and the art of medicine. Her people, arisen from the seed of Earth with the help of heavenly Fire, had the finest spirit of justice and courage, embodied in a class of warriors whose separate character (if not virtue...) could still be found in the soldier caste of Egypt. The priest repeatedly pointed to the "holy registers", the *ἁγία γράμματα* of their temple, covering a period of 8000 years where Solon could find all documents concerning these narratives. Of no importance for our considerations are the further details of that philosophical epos which Critias is going to recite after the cosmological introduction of Timaeus. It remained a fragment. For us it suffices never to lose out of view that the whole primordial history was supposed to have come from the Egyptian holy tradition, told by the old priest to Solon, by old Solon to young Critias I, by old Critias I to young Critias II, by old Critias II to Socrates, to his friends and to (very young) us.

Many interpreters of "Timaeus" and "Critias" say: "All these Egyptian stories must not be taken so seriously. . . Plato in his old age wished to leave free course to his fantasy and to encourage his Athenian readers by telling them unknown glories of their past. How could he make such stories probable and amusing at the same time? Why not take them from Egypt, a distant country, full of horrors and secrets and lately an allied of the Greeks? Why not bring in Solon about whom fables of every kind were rife? Plato was an artistic writer of the first class. We must be comprehensive and thankful at the same time and enjoy his tales without falling into neo-Platonic obscurantism." This opinion, of course, cannot be refuted with mathematical strictness. Nevertheless it seems (in its many varieties) unconvincing. Plato was a visionary, hardly interested in the success of a European

his old namesake). Through this touching half-hidden symbol Plato puts his own existence into the mysterious after-glow of the remotest past. Old Critias who at the dramatical date of the "Timaeus" (about 420 B.C.) could not be much under eighty had heard the story as a boy of ten years (about 490 B.C., in the year of Marathon?) from his grandfather and namesake Critias, a patriarch of ninety at that time. This Critias was the son of Dropidas, a great friend and perhaps relative of the famous sage Solon, and as a young man he had been present when Solon was telling about his marvellous experience in Egypt. So we have at last arrived at the source, the run of historical tradition through the generations (especially from very old to very young men) having been developed before our eyes. Solon travelled to Egypt nearly two centuries before Plato. He came to the town Sais in the Delta, the home of the last powerful Pharaonic dynasty and the seat of a very old cult of the goddess Neith which was identified with Athene, so that the Athenians were beloved in that town like children of the same heavenly mother. Solon, received with much honour, (a remembrance of Plato?) tried to discuss antiquity with the local priests. He was not able to trace the past beyond that big deluge after which arose what the Greeks thought to be the first men. So a very old priest rebuked him with the famous words: "Oh Solon, Solon, you Hellenes are never anything but children, and there is not an old man among you". He informed his amazed guest that there had been many deluges before the last one which alone was known to the Greeks and that the Nile, "the never-failing saviour of Egypt", had preserved his countrymen from perishing in the floods or from fleeing to the highest mountains in whose bare spaces the remnants of all the other tribes had lost their cultural inheritance and had to start on a new process of civilisation after the waters had flown away.

So the Athenians have totally forgotten and only the wise people among the Egyptians know that before 9000 years there existed another Athens, the Urathen we have mentioned already,

members of noble families for whom the sacred acting was a traditional duty, not the highest aim of mystical education and thought. Still less there existed an organised community of priests which would conserve the idea and practice of an hieratic life, independently of political confusion and social decay. Plato was, of course, keenly aware of these facts and therefore expressed his debt to the Egyptian priests with the unmistakable gratitude the symbolic signs of which we now wish to make clear.

That "historical" trilogy begins with the discourse of the Pythagorean Timaeus who describes the cosmic roots of man before all historical development. But in order to make it quite comprehensible that the very aim of the whole work is to show the position of man in time Plato gives the first word of the dialogue "Timeaus" to Socrates who expresses his wish for historical enlightenment. He had the vision of the perfect state as a remote picture (which he had expounded to his interlocutors the day before), but felt unable to transfer it into the movements and actions of the real past. In Greece only poets and sophists were available to discuss and describe the past. Of these the poets were addicted to the business of imitation which did not allow them to look beyond the narrow horizon of their special experience, while the sophists were rootless intellectual vagabonds. Plato could not express clearer the traditional inability of the Greek to visualise mystical powers (as appearing in the idea of the perfect state) within the frame of historical developments and to realise the current of transcendent reality in the temporal sphere, which embraces past, present, and future. Socrates, the very genius of Greece, looks for help. Help is brought to him from Egypt, through the mouth of Critias who is going to tell the historical revelations of an Egyptian priest.

This Critias was the great-grandfather of Plato himself, namely the grandfather of his mother Perictione, daughter of Critias' son Glaucon. (The famous tyrant Critias was a son of Glaucon's brother Calleschrus and consequently a grandson of

remembered and described with transcendent inspiration only, never with empirical investigations and amusing tales. The "Phaedrus" throws just a glance at this conception of history, while a later work makes a sublime effort at realising it in a full display of past events. This work was planned as the triad of the dialogues "Timaeus", "Crito", "Hermocrates". It was intended to be not a fortuitous history of a single nation or a single period, but the description of "history itself", of the series of those cosmic events which symbolically would represent the idea of mankind in time.

The idea of mankind was once realised by an ideal community of the laws of which Plato had developed, as an abstract possibility, in the "Republic". In his old age he imagined that this community had existed nine thousand years before his time in no other country than his own: primordial Athens, Urathen, had been the seat of a human life in cosmic harmony. What else could be "history" worth of attention? The greatest historical deed of that ideal city had been the victory over the despotic power state Atlantis in whose monumental organisation all destructive possibilities of the human soul had been represented as it were by a negative picture of the cosmic idea. In the fight between Athens and Atlantis, between highest freedom and lowest servitude, between ideal harmony and material despotism history would have appeared as the mirror of genuine transcendental memory.

This conception of the past, or better, of time, of temporal development and temporal achievement as a worthy medium of philosophical thought was for Plato the gift of Egypt. In Greece nothing of the kind was to be found. There was no sense of metaphysical history in the Greek cults, not even in such centres as Delphi or Eleusis, nor any sense of a holy state in the political communities. This was impossible, because the figure of the real priest had vanished from Hellenic society. Practically all high functions of divine service were administered by worldly

Hermes, the dispenser of unexpected findings. Hermes is the Greek name for Theuth! So Plato expresses his gratitude by making him the hero of his gay little myth.

One must understand what *μνήμη* means in opposition to *ἀνάμνησις*. It is not the recollection of facts. For facts as such are shadows, they are perishable and illusory sensations in the Platonic philosophy. They are not the objects of *μνήμη*. Whether a nation remembers, by oral or written tradition, the exterior facts of its earlier existence through few or many centuries has no importance for Plato. The Greeks had a very short reminiscence of such facts and the Egyptians a very long one. But that is not the real point. Plato admires Egypt not for the amount of her reminiscences, but for the continuity of her *μνήμη* which is identical with *ἀνάμνησις*, that is, with metaphysical recollection, as expounded in "Meno" and "Phaedo". The Egyptians "remembered in their interior by themselves" (*ἐνδοθεν αὐτοὶ ὅφρα ἄσθεν, ἀνεμνήσκοντο*). In their cult the priests conserved a permanent unity of the cosmic soul and the earthly body. They "remembered", that is, they obeyed the laws of a divine order in whose all-embracing power forgetfulness, that is, the resistance of time against eternity, was suppressed and the opposition of the present to the past was cancelled. The ancient traditions were kept up and—as a minor consequence—the facts of past history were remembered, because generations after generations were inspired by the ever-renewing presence of cosmic *μνήμη*, of immortal mystery.

The Egyptian king of the "Phaedrus", that ideal statesman, who unifies in his person supreme wisdom and supreme power, gives us, the first time in Plato's work, a hint at history in the great sense. By opposition to the futile invention of writing (Egyptian only for fun's sake) he reveals the majestic power of perennial memory. This memory can find an expressive symbol in the knowledge of the past, and that is history, which as we just were seeing is not a heap of facts, but the representation of the everlasting laws in time. Therefore it could be conceived and

characters and not remember of themselves (οὐκ ἔνδοθεν αὐτοῦς ὅφ' αὐτῶν ἀναμνησκομένους). The specific which you have discovered is an aid not to memory (μνήμης), but to reminiscence (ὕπομνήσεως), you give your disciple not truth, but the imagination (δόξα) of truth".

Phaedrus admires Socrates, because he can invent so easily tales of Egypt. As an invention indeed appears this story to us too, for the simple reason that the finding of letters, that is of hieroglyphs, could never have been praised by an original Egyptian as offering a specific to memory. Hieroglyphs were signs for sounds in a partial sense and secondary way only. Their original power which was strongly felt until the end of their use appears in the magic symbolism by which they conveyed visible presence to superhuman radiations. If Plato was in Egypt he certainly was the first to realise this character of the "sacred carvings". At any rate he would have understood them, as he understood the pictures on the same walls (cf. "Laws", 656 D, also "Timaeus", 23 A) as an immediate help for representing not gestures of the body, but directives of the spirit. Even Plotinus six hundred years later had still a dim knowledge of these things. Why, then, does Plato place his criticism of Greek mechanical sound reproduction in the Egyptian milieu where the painted signs were much more than mechanical helps? Because only there the contrast of living tradition and self-deceiving forgetfulness could be made clear. In Greece there was no powerful μνήμη by which the primordial truth was carried on through the centuries. So it was impossible to show through Greek inventions in a Greek milieu the danger which could arise for that truth from fictitious tricks of a resourceful mind. On which base could a Greek divine king (supposing that ever there was such a person) have rejected the new invention of technical γράμματα? What did real μνήμη mean in Greek life? According to Plato it did not exist there. But he had found it in Egypt, and the tale in the "Phaedrus" is a precious testimony to that gift of luck, for which Plato had to thank

for transmitting visible models to the gestures of the living young... As he repeats at so many occasions painting is only a secondary imitation of reality. In these temples it had at least a vital function of helpful conservatism. The impression of this Egyptian ideal vitality is enhanced by its contrast to the arbitrary, amoral and fickle behaviour of the Greek poets whom Plato does not forget to oppose as the authors of all instability to the eternal performance of Isis.

The lasting power of sacred Egyptian life is glorified in another way in a famous passage of the "Phaedrus", written a long time before the "Laws"; but also belonging to the second period of the philosopher's work. Plato was probably not far from his sixtieth year when he was composing his last great praise of Eros as the only begetter of inspired language. Towards the end of his wonderful walk with young Phaedrus Socrates raises the question how far writing would be useful for conserving the power of speeches. He comes to a negative result. A word written in the past by a person whom one could not ask about his meaning is unable to conserve the dynamism of the spoken word as acting between living souls. In order to give this unpleasant truth a pleasant introduction Socrates tells a jocular story from Egypt about the first invention of script. According to this the Egyptian god Theuth, whose sacred bird was the ibis, had invented a great number of useful arts: arithmetic and calculation, geometry and astronomy, draughts and dice, and at last γράμματα, the art of writing. These arts he offered to Thamus or Ammon, divine king of Egypt, ruler in Thebes, for their being used by his people. The king examined them all, but he rejected the letters. Theuth had said: they will make the Egyptians wiser and give them better memories, they are a specific both for memory and wisdom (μνήμης τε καὶ σοφίας φάρμακον). To this the king replied: "This discovery of yours will create forgetfulness in the learners' souls, because they will not use their memories; they will trust to the external written

the new and weariness of the old has not strength enough to corrupt the consecrated song and dance, under the plea that they have become antiquated. At any rate they are far from being corrupted in Egypt”.

It seems difficult to think that a very old man, who speaks with such an intense praise of divine songs probably composed by Isis and of their perfect execution, should reproduce second-hand impressions and theoretically analyse the feelings of someone else. So let us keenly suppose that Plato knows of what he is speaking (he usually does...) and that he communicates an experience of immeasurable value. Whatever he may have dreamt about a perfect life here he tells us that he has seen and heard its sacred representation. And this representation knew no age. These perfect movements and gestures, these enrapturing rhythms and melodies had been created in an immemorial past and had kept their divine character in limbs and throats of immemorable generations which were blessed by a never-failing method of education. The masters of this education were the kinglike priests.

So this chain: divine creation, priestly wisdom, kinglike power, unbroken tradition, methodical education, youthful beauty in perfect present performance—this chain which was the result of his deepest thinking in Greek transcendental values found its living confirmation in Egypt. We do not wish to exaggerate. This confirmation was limited to a narrow circle of traditions conserved in hermetical enclosures within a degenerate national community. Plato was far from finding his ideal city on the Nile. But he found a miraculous message in living symbols which told him that his ideas were mysteriously one with the oldest achievements of inspired humanity. It is interesting to see that Plato's enthusiasm is concentrated on the musical and choreographic side of his experience. The artistic values of the Egyptian pictures on the temple-walls did not catch him for a minute. The pictures were nothing to him but technical devices

loved them. But doubtlessly they pointed for him towards his central conception of the royal philosopher.

Let us quote now the passages of the "Laws" which show the purest and holiest impressions Plato ever received in sacred surroundings so that eternity itself sounded in his ears (656 D). The Cretan old man asks: "What are the laws about dancing and music in Egypt"? The Athenian old man answers: "You will wonder when I tell you (Θαύμα καὶ ἀκοῦσαι). Long ago they appear to have recognised the very principle of which we are now speaking—that their young citizens must be habituated to forms and strains of virtue. These they fixed, and exhibited the patterns of them in their temples: and no painter or artist is allowed to innovate upon them, or to leave the traditional forms and invent new ones. To this day, no alteration is allowed either in these arts, or in music at all. And you will find that their works of art are painted or moulded in the same forms which they had ten thousand years ago;—this is literally true and no exaggeration,—their ancient paintings and sculptures are not a whit better or worse than the work of to-day, but are made with just the same skill".

The Cretan exclaims: "You speak of miracles" (Θαυμάσιον λέγεις). The Athenian continues: "Certainly I speak of things worthy of the legislator and of the statesman in the highest degree. I know that other things in Egypt are not so well. But what I am telling you about music is true and deserving of consideration, because showing that a lawgiver may institute melodies which have a natural truth and correctness without any fear of failure. To do this, however, must be the work of a god or of a divine person; in Egypt they have a tradition that their ancient chants which have been preserved for so many ages are the composition (ποίηματα) of the goddess Isis. And therefore, as I was saying, if a person can only find in any way the natural melodies, he may confidently embody them in a fixed and legal form. For the love of novelty which arises out of pleasure in

goes the following sentence, evidently implying personal souvenirs de voyage (Laws, 953E): "We should show respect to Zeus, the god of hospitality, not forbidding strangers at meals and sacrifices as in the manner which prevails among the creatures of the Nile (θέρματα Νείλου, nearly equal to "those beasts of the Nile"), nor driving them away by savage proclamations".

Plato does not speak either of the Egyptian state nor of the Pharaoh's divine kingship which had been just restored to liberty in his time. Nor does he join the chorus of admirers of colossal monuments. Neither the "regalis situs" of the pyramids nor the "Labyrinth" nor other monumental buildings impressed themselves on his mind as unforgettable symbols of eternal life. Were their unmoving stones rather symbols of eternal death to him? His philosophical emotions palpably arise in the atmosphere of the living priests. There is a revealing passage about Egyptian priests in the "Statesman," (290 D/E): "the priest and the diviner are swollen with pride and prerogative (φρονήματος πληροῦται) and they create an awful impression of themselves (καὶ δόξαν σεμνὴν λαμβάνει) by the magnitude of their enterprises. In Egypt the king himself is not allowed to reign unless he has priestly powers and if he should be of another class and has thrust himself in he must get enrolled in the priesthood (εἰς τοῦτο τὸ γένος)". In Greece, as Plato continues, there is also some pride in the priestly character. But it lives on in the biggest sacrifices only which are offered by the highest magistrates, that is, by merely functional priests. So at Athens "the most solemn of the ancient sacrifices are supposed to be celebrated by him who has been chosen by lot to be the King Archon". As we see the proud and awe-inspiring character of a vocational priest whose lifelong position was kinglike in substance and law could not be studied by a Greek in his country where the importance of such figures was mere recollection to be found in some archaic customs. Their presence as spiritual power was realised by Plato in Egypt, and as it were he admired them more than he

Syracuse, from where he was brought home via Aegina as a kind of prisoner, having excited the wrath of the old tyrant Dionysius. So the journey to Egypt may have taken place at any time in this decade between 398 and 388 B.C. Even a slightly later date, implying another departure of Plato's after his return from Sicily, could not be excluded on principle. We may sum up, at any rate, these considerations by stating that there is not the tiniest argument forbidding to admit the reality of Plato's travel to Egypt. So we are free to interpret the spiritual content of his dialogues under the aspect that a definite contribution of real Egyptian experience may be sought in them.

There are about twenty passages spread out over the dialogues which deal with Egyptian matters. Most of them are short mentionings of isolated facts, a few go into details. They all seem to say something of the importance which that country had for the Platonic thought. But we shall limit ourselves here to interpreting the few outstanding passages which throw, if rightly understood, a full light upon the deep impression or, as we may say, on the metaphysical revelation experienced by Plato in the sanctuaries on the Nile. Let us state one fact at once. When we are speaking of Egypt in this positive sense we mean the holy life in her temples only. Plato makes it very clear that he distinguishes between the sacred and the profane sphere of the old country. In the "Laws" he says (657A): "Other things you will find bad in that place, but what I am telling you about (sacred) music..." and so on. He does not care for what to-day would be called the "national character" of the Egyptians. Not without a smile we read his angry statement ("Laws" 747C) about the "habit of craft,—which evil tendency may be observed in the Egyptians and Phoenicians and many other races, through the general vulgarity of their pursuits and acquisitions..." or about "the love of money which may be attributed to the Phoenicians and Egyptians". We cannot help hearing in such words the echo of a traveller's unpleasant incidents (he may have been cheated when selling his oil...). Even farther

passage money of two drachmas for one person ! The residence there could be financed by some of the highly appreciated Greek export goods, *e.g.* by a big amphora full of the delicious Attic oil. Plato as his late biographer tells us ventured to travel with such oil (if this is not meant to be an allegory of Attic wisdom). Egypt had just thrown off the Persian yoke, she had again a pharaon of her own. Greeks of all kind were welcome allies and guests. They were to be found in many parts of the country, not only in the old military settlement Naucratis in the Delta. Last not least, eminent travellers like Plato—who betrayed by their appearance and speech a genuine humanism were certainly received with dignified kindliness by the priests, at whose temples they knocked in search of hidden wisdom.

It is by no means impossible that Plato was really initiated, if not to the highest degree, into the mysteries of the sun worship in Heliopolis—which whatever they were certainly were manifestations of genuine metaphysical power, incomparably more impressive than anything of the kind a Greek could find in the sanctuaries of his own country. And Plato as an Egyptian mystagogue would be bound by a double silence, the sacred seals of the cult being added to his own usual reticence about his person. We may be allowed to mention that this was the definite opinion of the late sufi René Guénon. Plato's silence was for him an evident sign of his initiation into Egyptian sacred rites. His view in this matter seems to deserve more attention than that of other modern Europeans who have lost all connection with that world of mysteries which played a tremendous rôle in Plato's thought and life.

As to the date of the Egyptian travels there is no lack of opportunities for settling it within the frame of the philosopher's life. In this we know two certain dates : Plato left Athens after the death of Socrates in 399, temporarily to stay with his friend Euclides in Megara, and he was near forty, according to his own testimony in his seventh letter, when he went the first time to

All our poor knowledge of his life is based on those late compilations, made at the earliest a half millennium after his death. There, with negligible exceptions, the voyage to Egypt is a generally recorded fact. No detailed descriptions are available in them, nor are the dates of the travels exactly mentioned. Their order, too, is given in different ways as that period has got no longer a special interest in the exactitude of facts. But there is no hint at any discussion which would have put into doubt the visit to Egypt itself.

Cicero is the first serious and informed writer in our documents for whom the sojourn of Plato in Egypt is a matter of undebated fact. Strabo and Plutarchus are his nearest and most important followers in that respect. Cicero was in personal connection with the representatives of the Academy and, of course, with many other outstanding Greek philosophers of his time. He saw the last days of an unbroken and undisturbed tradition of the enlightened spirit which had acted in Athens since the fourth century. There was an inheritance of clear and conscious reason, bearing no traces yet of the future taste for pseudo-mysticism and speculative fake. It seems incredible that "orientalising" legends about Plato should have been mixed with historical truth by the leading Greek philosophers of that time and accepted by their Roman followers. The process of obscurantism started later on spreading a veil of dimness over the spiritual relations between Greece and the older Eastern world. Plato was already safe in Egypt, protected by sober historical sense, before mere fabulosity would send him thither.

Common sense is entitled to put the opposite question to the modern systematical sceptics: why should Plato not have gone to Egypt? Really, for an Athenian of the beginning fourth century B.C. such a travel was not a more dangerous adventure than a sailing to Syracuse. There was a heavy traffic to the Nile from Attica, the "Gorgias" even mentions the modest

songs and words. This experience meant a decisive encouragement to the philosopher. It made him continue his line and bring the Greeks his message of the everlasting idea which may become real and enduring on earth.

In these few sentences we have summed up in anticipation our opinion of what Plato sought and found in Egypt. We must now interpret his own words in order to prove that they bear witness to that decisive experience we attributed to him. But first a general doubt must be discussed which is often connected with Plato's travelling to the Nile. People who are sceptics concerning all spiritual ties between Greece and the mysticism of the older civilisations never fail to raise the question: has Plato been in Egypt at all? We cannot base our arguments on mystical values only. First commonsense has a right to be satisfied. What does it tell us about the historical facts in this case?

Plato in his dialogues never speaks of himself. So we could not expect his travels to Egypt to be mentioned there. Only in his epistles, all written in his very old age, he gives direct information about his life. But even there his personal experience is treated only within the strict limits given by the scope of the special letter. So in his famous seventh epistle Plato speaks in many details of his political development in his youth and of his travels to Sicily, because he is writing to Sicilians about their and his common political problems. His Egyptian adventure had nothing to do with this line of actions and thoughts, so we are by no means surprised to see it left in silence here. Further on all biographical and historical writings treating Plato out of immediate experience have been lost. No work of Aristotle or of other disciples of Plato, where details of his life would be discussed, has escaped destruction. The whole philosophical literature of the following centuries is not known to us but in most fragmentary quotations of later compilers and does not give us, as far as we can see, the slightest direct information about Plato's earthly existence.

PLATO IN EGYPT

BY

HELMUT VON DEN STEINEN

Egypt is for us the homeland of human eternity. This is meant in the literal sense. Ancient Egyptian civilisation worked out the forms of religion and life, of art and state in which eternity was believed to be present as the soul in a living body. There was no division between the invisible eternity in heaven and the perishable existence on earth. Heaven was the immortal law ruling over the mortal beings on earth. Gods and men served the same law just as light and shadow are manifestations of the same sun. All human works were dedicated with unique intensity to the service of eternal power. So Egypt was blessed by a reward of heaven which has not been granted to any other human community. She lasted and lasted, while other nations were rising and falling. Even in the periods of decay her holy life continued to shine and the final decline of her oldest traditions stretched out through uncounted centuries.

One might say, even in her mummified state Egypt preserved a treasure of eternity from which her conquerors and visitors derived the greatest benefit for their own participation in immortality, Alexander no less than Caesar and even Bonaparte in our days. Perhaps the most important visitor to the Nile who came there in search of heavenly powers and found them in unexpected glory was Plato. In his own country he had conceived the idea of imperishable being. But would it be humanly possible to bring the idea into earthly existence? To this question Egypt gave an answer: she revealed to Plato mystical gestures of eternity, which were still living in the precincts of her sanctuaries. She showed immortality in human thoughts,

continued in its main features into Roman times : added charges are frequently found in tax-receipts of the first and second centuries A.D. under the name προσδιαγραφόμενα, at varying rates which are generally comparable to the Ptolemaic : there were alternative methods of statement, but the results are the same'.⁽¹⁾

⁽¹⁾ MILNE *J. E. A.*, XI, p. 282.

the tax-payers a certain percentage normally $6\frac{1}{2}\%$ of the amount sent into the bank. The word *sp.* on the other hand, means 'to receive', 'to collect'; hence its use as the name of an extra charge literally meaning 'collection (-dues)'.

In section 12, above, the poll and fodder-merchant's taxes are stated to have been collected 'without prosdiagraphomena'. This might, however, indicate that the prosdiagraphomena have to be paid on a future occasion. The most significant point here is the reference to the prosdiagraphomena in connection with the tax on the fodder-merchants due for the year 34 of Augustus at Thebes. This seems to show that these 'extra charges' were known at Thebes before the 41st year of Augustus and not to have been introduced there between that year and the 43rd year of the same emperor as has hitherto been supposed; cf. Tait, *Ostraca*, p. 88, note on No. 79, ad fin.

In receipts from Edfu the prosdiagraphomena never figures in connection with payments for taxes. But a receipt from that locality, issued at the beginning of the year in respect of 10 obols for *p hmt (n) ut* 'the copper of prosdiagraphomena' (if the word *ut* here has the same meaning as that which we have already dealt with above), seems to indicate that the prosdiagraphomena at that locality were not paid simultaneously with their respective taxes, as was the case at Thebes, but rather in a lump sum at the end of the year for which they were due or at the beginning of the new year; (Section 13).

From section 14 it seems that *ut* had already existed in the Ptolemaic period as the name of an 'extra charge' and that it persisted into the Roman period when it corresponded to the prosdiagraphomena. 'In the IInd and Ist centuries B.C. the Ptolemaic Government allowed the banks to charge on the farmers or payers of taxes and the farmers to charge on the payers an extra percentage to cover the costs of collection, and in the case of taxes assessed in silver a further percentage for the conversion of copper into silver'. 'The system of charges seems to have

the amount due' the officials sometimes took it to mean 'subtract $\frac{1}{16}$ from the amount paid', he compares this to the modern distinction between true and bankers' discount; (3) in receipts for λαογραφία from Arsinoë, the 10 obols said to be paid as προσδιαγραφόμενα on 20 dr. include $2\frac{1}{2}$ ob. for συμβολικά; (4) in receipts for Ἰουδαίων τέλεσμα 8 dr. 2 ob. are said to be the τιμή δηναρίων δύο, the extra charge in this case amounting to only 1 obol to the stater instead of $1\frac{1}{2}$ obols; (5) other rates of the προσδιαγραφόμενα are found in receipts for those few taxes for which, in the Roman period, payment was still accepted in Ptolemaic copper, i.e. the ἀπόμωρα, ἐπαρούριον, νόστιον and sometimes ἐγκύκλιον, the extra charges added to these taxes being survivals from the Ptolemaic period; (6) in the case of some taxes imposed for purely local purposes there was probably no extra charge. The extra charge of $6\frac{1}{4}\%$ was exacted because, he believes, the money was ῥυπαρός (just as the προσμετρούμενα were exacted because the corn was ῥυπαρός); i.e. because tax payments were made either in the debased silver of the later Ptolemies, or afterwards in the billon tetradrachms of Alexandria; and not in the Roman denarii, which alone were accepted at their full nominal value, but in practice did not circulate in the χώρα.

That the προσδιαγραφόμενα of the money-taxes is comparable to the προσμετρούμενα of the corn-tax is quite true in the sense that each of them constituted an 'extra charge' (the first, in money, and, the second, in kind) to meet the expenses of collection, but not because money and corn were ῥυπαρός, especially when we realise that the προσδιαγραφόμενα and προσμετρούμενα are the Greek counterparts of the demotic *wt* and *šp*, which literally mean 'sending' and 'receiving-dues' respectively. The word *wt*, is technically used for 'paying' money in a bank; it literally means 'to send' money into a bank. Its use as the name of an extra charge points to the practice of *sending* the money-taxes to the bank through the tax-collectors who charged

9. *'rm-w p wt hmt 2* 'with them (sc. one stater $\frac{1}{2}$ kite 2 obols for dyke-tax of the 3rd year of Tiberius) are the prosdiagraphomena, 2 obols'.

10. *'rm pe-ic wt hmt 1 $\frac{1}{2}$* 'with their prosdiagraphomena, $1\frac{1}{2}$ obols' with reference to the sum of one stater for the 'account of freemen' of the 3rd year of Tiberius.

11. *'rm (?) p wt hmt 2.t* 'with the prosdiagraphomena, 2 obols' in respect of one stater one kite $\frac{1}{2}$ obols for the dyke-tax of year 16 of Tiberius.

12. *(n) us (n) ic* 'without prosdiagraphomena' in three receipts, the first of which is for the tax on the fodder-merchants due for the 34th year of Augustus, the second for the price of barley for the 41st year of the same emperor and the third for the poll-tax of year 11 of Tiberius.

13. A receipt for *p hmt (n) ic* 'the money of the prosdiagraphomena'. It comes from Edfu and belongs to the 4th year of Tiberius.

14. In a receipt from Gebelein of the year 107 B.C. a certain Panebkhōne pays 80 Silver pieces (?) for apomoirā *e pe-ic wt hn-w* 'their extra charge (?) being (included) in them'.

Sections 1-3 record the rate of the prosdiagraphomena as $1\frac{1}{2}$ obols to the stater. Section 4 gives a rate of 1 obol only. Section 5 merely refers to the prosdiagraphomena as being paid without fixing the rate. Sections 6-10 record the total sums paid for the prosdiagraphomena. In section 6 the rate rises to 2.7 obols to the stater. In sections 7-10 the rate is $1\frac{1}{2}$ obols, while in section 11 it is 1.2 obols to the stater. The normal rate of the prosdiagraphomena was $1\frac{1}{2}$ obols to the stater of four drachmae. The exceptions Tait explains on pages 87 and 88 of his *Ostraca* as follows: (1) fractional amounts less than 2 ch., or sometimes $\frac{1}{2}$ ch., may be either neglected or reckoned as wholes; (2) although προσδιαγραφόμενα ἐξ—c properly means 'add $\frac{1}{16}$ to

(b) *p ut a h hmt 1 1/2* 'the prosdiagraphomena at the rate of 1 1/2 obols' with payments for the poll and bath taxes of year 9 of Tiberius combined, for the poll-tax of years 12 and 14 of the same emperor, for the dyke-tax of his 18th year and for the combined dyke and bath taxes of the 23rd year of Tiberius and the 5th of Gaius.

(c) *'rm pe-w ut a h hmt 1-t 1/2* 'with their prosdiagraphomena at the rate of 1 1/2 obols' with a poll-tax of the 11th year of Tiberius.

(d) *'rm ut a h hmt 1 1/2* 'with prosdiagraphomena at the rate of 1 1/2 obols' with the tax on palm-trees for the 17th year of Tiberius and the combined poll and bath taxes of the 3rd year of Gaius.

4. (a) *pe-w (?) ut a h hmt 1* 'their prosdiagraphomena at the rate of 1 obol' referring to the amount paid for the dyke tax of year 17 of Tiberius.

(b) *'rm ut a h hmt 1-t* 'with prosdiagraphomena at the rate of 1 obol' with payments for the tax on vineyards for the 18th year of Tiberius, the poll of years 7 and 8 of the same emperor and the combined poll and bath taxes of the 2nd year of Gaius.

5. *'rm p ut* 'with the prosdiagraphomena' with a payment for both vineyards and wine-taxes of the 12th year of Tiberius.

6. *'rm pe-w ut hmt 4 1/2* 'with their prosdiagraphomena, 4 1/2 obols' referring to the sum of one stater one kite 4 obols paid in respect of the dyke-tax of the 9th year of Tiberius.

7. *p ut hmt 4 1/2 'rm-w (?)* 'the prosdiagraphomena 4 1/2 obols with them' (sc. 3 staters for temple palm-trees on account of the 18th year of Tiberius).

8. *pe-w ut hmt 2 1/2* 'their prosdiagraphomena are 2 1/2 obols' with reference to the sum of one stater one kite 4 obols paid on account of the dyke-tax of each of the 2nd and 17th years of Tiberius.

In the following list I give instances which refer to these 'extra charges' together with the taxes in connection with which it occurs and the dates of their respective receipts. Sections 1-12 refer to receipts from Thebes while sections 13 and 14 concern, the first, a receipt from Edfu and, the second, another from Gebelein.

1. (a) 'rm p ut a h hmt 1 t 1/2 a t sttr 1 t 'with the prosdiagraphomena at the rate of $1\frac{1}{2}$ obols to each stater' with wine-tax of the 4th year of Tiberius, poll and bath taxes of the 6th year of Tiberius, and the tax on pigeon-houses of the 2nd year of the same emperor.

(b) 'rm pe-w ut a h hmt 1 1/2 a t sttr 1 t 'with their prosdiagraphomena at the rate of $1\frac{1}{2}$ obols to each stater' with poll, bath and dyke taxes of the 3rd, 4th and 6th years of the same emperor.

2. (a) 'rm pe-w ut a h hmt 1 1/2 a t sttr 1 t nt hry 'with their prosdiagraphomena at the rate of $1\frac{1}{2}$ obols to each of the above (-mentioned) staters' with reference to amounts paid for poll-tax of the 1st and 4th years of Tiberius and to an amount in respect of the poll, bath and pigeon-house taxes combined for the 4th year of the same emperor.

(b) 'rm ut a h hmt 1 1/2 a t sttr 1 t nt hry 'together with prosdiagraphomena at the rate of $1\frac{1}{2}$ obols to each of the above (-mentioned) staters' in connection with sums paid for poll-taxes of the 43rd year of Augustus and the first of Tiberius.

(c) rm(?) ut(?) tn(?) hmt 1 1/2 a t sttr 1 nt hry 'together with prosdiagraphomena at the rate of $1\frac{1}{2}$ obols to each of the above (-mentioned) staters' referring to the amount paid in respect of the tax on vineyards for the 43rd year of Augustus.

3. (a) 'rm p iet a h hmt 1 t 1/2 'with the prosdiagraphomena at the rate of $1\frac{1}{2}$ obols' with the tax on palm-trees of the third year of Tiberius and the dyke-tax of his 16th year.

THE PROSDIAGRAPHOMENA; ITS FORM AND HISTORY IN DEMOTIC AND GREEK TEXTS

BY

GIRGIS MATTHA

P ut is the demotic for the προσδιαγραφόμενα, "additional payments", of the Greek texts. The phrase *'rm p ut a h hmt 1.t 1/2 a t sttr 1.t* 'and the additional payments at the rate of 1½ obols to each stater' literally corresponds to καὶ προσδιαγραφή (φόμενα) ὡς τοῦ ἐνὸς στατήρος ἐκ — L of *Ostr. Strassburg* (1) 54 (cf. also *Archiv* (2), IV, p. 146). Révillout (*Mélanges* (3), pp. 201, 216 and 225) wrongly translates *p ut a h hmt 1.t 1/2* 'le versement à Alexandrie', apparently reading a *R^e-qt* 'to Rakote (= Alexandria)', instead of *a h hmt 1.t 1/2* 'at the rate of 1½ obols'. Révillout further explains the phrase 'le versement à Alexandrie' at the bottom of page 225 of his *mélanges* as follows: "Quant au versement à Alexandrie c'est un impôt spécial ... Il s'agissait sans doute de travaux faits à Alexandrie et pour lesquels on avait fait contribuer pécuniairement tous les Egyptiens comme pour la statue impériale ...". As a matter of fact no such contribution is traceable nor does Alexandria figure at all in the texts.

In translating the demotic *ut* I have used the corresponding Greek word prosdiagraphomena so as to show what kind of 'extra charge' the demotic word refers to.

(1) P. VIERECK, *Griechische und Griechisch-Demotische Ostraka der Universitäts- und Landesbibliothek zu Strassburg im Elsass*.

(2) *Archiv für Papyrusforschung*.

(3) E. RÉVILLOUT, *Mélanges sur la Mitrologie, l'Economie Politique, et l'Histoire de l'Ancienne Égypte*.

us a glimpse of the *Atellanae* in the imperial times. He says ⁽¹⁾
" *Transeuntem eum Isidorus Cynicus in publico clara uoce*
Corripuerat, quod Naupli mala bene cantitaret, sua bona male
disponeret; et Datus Atellanarum histrio in cantico quodam.

ὕλαίνε πάτερ, ὕλαίνε πῆτερ

ita demonstrauerat, ut bibentem natantemque faceret, exitum
scilicet Claudi Agrippinaeque significans, et in nouissima clausula.

Orcus vobis ducit pedes

senatum gestu notarat". we gather from this report that the *canticum* and its musical accompaniment were outstanding features, and that the audience used to take the hints and gagging as if they were improvised, and that the use of Greek in the *Atellanae* was quite common. It is also obvious that they were used as a medium of occasional political satire ⁽²⁾.

To sum up, the *Atellanae* were short masked performances with *cantica* and music. They allowed of improvisation. No wonder then, as they have all these points in common with the *Satura*, that the Roman young men turned to them in preference to the Andronican *fabula*.

⁽¹⁾ cf. *Uit. Ner.* XXXIX.

⁽²⁾ cf. also Suetonius *Uit. Gal.* XIII; *Uit. Calig.* XXVII; *Uit. Tib.* XLV.

It must be admitted, however, that in dealing with Horace's *Sat.* V. 54-70 one is necessarily never certain because (1) The scholiast says nothing about this *Sarmentus*, and (2) the *morbus Campanus* is not known, and (3) *domini* is better supported by the MSS. than *dominae* in vs. 67⁽¹⁾.

What were the characteristics of this drama that made the Roman youth prefer them to the plays of Andronicus? They were easy to act because they were short since Fronto⁽²⁾ calls them by the diminutive form *Atellaniollae*. And they were acted in masks⁽³⁾. As they dealt with the adventures of a limited number of stock characters, they allowed of improvisation, if they did not depend entirely on it. This characteristic element, added to easy acting, won the favour of the Roman youth at the beginning of their dramatic career and allowed the *Atellanae* to retain their attraction for the common folk right down to the imperial times.

Ancient scholars testify to the prevalence in the *Atellanae* of riddles and puzzles⁽⁴⁾, of jokes and funny sayings⁽⁵⁾, and of rustic facetious and ridiculous words⁽⁶⁾. Horace testifies to the introduction of dances in it⁽⁷⁾. But it is Suetonius who gives

(¹) H. Nettleship, (*Lectures and Essays*, Oxford, 1885, p. 65) adds to the list of the characters of the *fabula Atellana*, but without substantial evidence, *Bubulcus*, *Decuma*, *Fullo* and perhaps *Mamia*.

(²) cf. p. 34, Naber.

(³) cf. Festus, p. 217 "*per Atellanos qui proprie uocantur personati quia ius est eis in scena non poni personam*."

(⁴) cf. Quintilian, *Instit. Orat.* VI, 3, 47 "*illa obscura quas Atellani e more Caplanti*". *Obscura* of the MSS is now preferred to the emendation *obscena*. cf. W. Beare, *Quintilian VI. iii. 47 and the Fabula Atellana*, *The Classical Review*, 1937, vol. LI, pp. 213 sqq. cf. also Varro, *Sat. Men.* 193 b. "*potes eos non citius tricas Atellanas quam id extricatos?*".

(⁵) cf. Fronto, p. 105 Naber, "*ex Atellanis lepidas et facetas*".

(⁶) cf. Fronto, p. 62 Naber, "*In Atellana uerbis rusticanis et iocularibus ac ridiculariis*".

(⁷) cf. *Sat.* I. V. 63.

continues) Sarmentus was one of the youthful favourites of Caesar such as the Romans call *deliciae*" (1).

It is natural to suppose that Dellius was not referring to more than a clown. Plutarch is explaining that the nickname is given to a young *delicia*. There is no historical ground to identify this Sarmentus with the one mentioned by Horace.

As regards the Sarmentus mentioned by Juvenal :

Si potes illa pati, quæ nec Sarmentus iniquas.

Cæsaris ad mensas nec vilis Gabba tulisset,

the scholiast says *natione Tuscus, e domo Marci Fauoni incertum libertus an seruus, plurimis forma et urbanitate promeritis eo fiducia uenit, ut pro equite Romano ageret et decuriam quoque quaestoriam comparet. Quare per ludos quibus primum XIV ordinibus sedit, hæc a populo in eum dicta sunt :*

aliud scriptum habet Sarmentus, aliud populus uoluerat. digna dignis? Sic Sarmentus habeat crassas compedes rustici, ne nihil agatis, aliquis Sarmentum alliget.

The wording of the people's satire, and the recurrence of the word Sarmentus show that Sarmentus was a nickname for a person. It appears that each Caesar had attached to his retinue a Sarmentus who was sometimes a favourite with the people and sometimes not. The scholiast is reporting the story of one of them. But once we take Sarmentus as a nickname, the historical connection between the one and the other disappears completely. There is something certain : that the Sarmentus of Horace accused of being a runaway (*fugitiuus*) cannot be identified with the Sarmentus of Juvenal as described by the scholiast, because this one was manumitted by Maecenas.

(1) cf. Ant. 49 : ὁ δὲ Σάρμεντος ἦν τῶν καίσαρος παγνίων παιδάριον, ἃ δηλῶντα Ῥωμαῖοι καλοῦσιν.

no one of the guests took part in the *pugna*. It looks as if the professionals were left to themselves. This is clear from the jokes of Sarmentus at the expense of Cicirrus. They must be jokes that would allow Cicirrus to show his skill as an actor. We have a glimpse of the technique of the performance when Sarmentus asked Cicirrus to dance the Cyclops' pastoral dance to round off his rôle before he started his performance at Sarmentus. We have the physical description of Cicirrus as an Oscan with a bristly brow and a scar on his left side. He was tall, so much so, that he does not need a *Cothurnus*. Nor does he need a mask to perform, perhaps because his features were accentuated and marked enough.

Sarmentus, on the other hand, was a *scurra*, a jester⁽¹⁾. He starts the *pugna* and leads the game. We also know that he was lean and slender and so very weak. Sarmentus was born a slave (*Sarmenti domina exstat*). Now he is no longer a slave; he is engaged in another capacity as a free-man⁽²⁾. Yet this did not one whit abate his mistress' claims. What claims? He fled his mistress not because he had not enough food⁽³⁾, but perhaps to escape the exorbitant demands of his mistress. The obscene reference is characteristic of Cicirrus. This remark tantalizingly brings the report of Horace to an end.

Plutarch tells us that "Dellius (the historian) was also afraid of a plot against him by Cleopatra, ... For he had offended Cleopatra at supper by saying that while sour wine was served to them, Sarmentus, at Rome, was drinking Falerian. Now (he

(1) The word *scurra* occurs seven times in Plautus. *Cur.* 296: *Epid.* 15: *Most.* 15: *Poen.* 612, 1231: *Trin.* 202: *Truc.* 491. The *scurra* in Plautus is not a jester or a clown, but the effeminate man about town. In *Epid.* 15 and *Truc.* 491 he is contrasted with a soldier, in *Most.* 15, with a country slave. *Urbanus* is twice used with *scurra*, *Most.* 15 and *Trin.* 202.

(2) *cf.* vs. 63.

(3) *cf.* vs. 37 sq.

esse feri similem dico'. ridemus, et ipse
 Messius 'accipio', caput et movet. 'o tua cornu
 ni foret exsecto frons' inquit 'quid faceres, cum
 sic mutilus minitaris? at illi foeda cicatrix
 saetosam laeni frontem turpauerat oris.
 Companum in morbum, in faciem permulta iocatus,
 pastorem saltaret uti Cyclopa rogabat:
 nil illi larua aut tragicis opus esse cothurnis.
 multa Cicirrus ad haec; donasset iamne catenam.
 ex uoto Laribus, quaerebat: scribe quod esset,
 nilo deterius dominae ius esse, rogabat
 denique cur umquam fugisset, cui satis una
 farris libra foret, gracili sic temque pusillo.
 prorsus iucunde cenam producimus illam.

and whose name is glossed by Hesychius as meaning 'cock', has been ingeniously claimed by Dieterich as an addition to the characters of the *Atellana* ⁽¹⁾.

If Cicirrus is accepted, there is no reason for keeping Sarmentus out of this family. He is mentioned four times in classical authors. In the passage of Horace, quoted above, which is referred to in Quintilian ⁽²⁾, in Juvenal ⁽³⁾ and in Plutarch ⁽⁴⁾.

Horace tells us that they were entertained on that evening by an arranged *ludus*. He refers to it as *pugna*. As the characters in the *Atellanae* appear in a variety of rôles, Horace tells us that Sarmentus is in the rôle of *scurra*, in the same way as Pomponius would say *Maccus Virgo*. It should be noted that

⁽¹⁾ cf. Dieterich, *op. cit.* p. 91 sq.

⁽²⁾ *Instit. Orat.* VI. iii, 58. "*et Sarmentus Missium cicirrum equo fero comparavit*".

⁽³⁾ *V.* 8.

⁽⁴⁾ *Ant.* 59.

The third is Maccus. This name comes probably from the Greek μακκοῦν = to be stupid⁽¹⁾. It was shown⁽²⁾ that the root μακ = mak. signifies stupid greed, and that this was Maccus' chief quality⁽³⁾. As representative of stupidity he is associated with Bucco in Apuleius. He, like Dossennus seems to have appeared in a variety of rôles. In the list of Pomponius' *fabulae* we find *Macci Gemini*, *Macci Priores*, *Maccus Miles*, and *Maccus Virgo* as we find *Duo Dossenni*.

The fourth character is Pappus. Πάππος is the Greek form of the name. Varro says that Pappus was an old man and was sometimes called by his Oscan name *Cansar*⁽⁴⁾.

To these Boissier⁽⁵⁾ adds *Lamia* and refers to Horace:

Neu pransae Lamiae uiuum puerum extrahat aluo⁽⁶⁾.
Cicirrus who occurs in the following passage of Horace's *Satires*⁽⁷⁾:

nunc mihi paucis.

Sarmenti scurrae pugnam Messique Cicirri,

Musa, uelim memores et quo patre natus uterque

contulerit lites. Messi clarum genus Osci;

Sarmenti domina exstat: ab his maioribus orti

ad pugnam uenere. prior Sarmentus 'equi te

(¹) cf. Aristophanes, *Knights*, vs. 62:

ὁ δ' αὐτὸν ὥς ὄρε' μεμακκοῦκότα.

(²) cf. K. Sittl. *I personaggi dell' Atellana*, (*Rivista di storia antica e scienze affini*), I. 1890, pp. 28 sq.

(³) Modern Italians still use in the same sense the words *Matto* and *Mataccio*.

(⁴) *De Ling. Lit.* VII. 23. "item significant in Atellanis aliquot Poppum senem, quod Osci Cansar appellant". cf. also *Festi L'pit.* 33, 184. "*Cansar senex Oscrum lingua*".

(⁵) Daremberg and Saglio, s.v. *Atellanae Fabulae*.

(⁶) cf. A.P. vs. 340. For the Connection of *Lamiae* with *Lemures* Larua and λαμπρός, see Paley on Ovid, *Fasti*, V. 41.

(⁷) I.V. 51-70.

The rôles in this drama were taken by stock characters, but our knowledge here is defective, and we have to depend on the derivation of the names of these stock characters.

We have Bucco whose large cheeks betoken either folly, stupidity or greed. We meet him in Apuleius⁽¹⁾ and in Plautus⁽²⁾. Both references suggest folly and stupidity. Cornford⁽³⁾ says that the fat cheeks are borrowed from the pig which in Greece stands for stupidity.

The second is Dossennus. Varro tells us that his other name is *Manducius*⁽⁴⁾. This is described as *magnis malis ac late dehiscens et ingentem dentibus sonitum faciens*⁽⁵⁾. This description appears to link Dossennus with food and love of eating, and this impression is confirmed by his appearance in Horace as a parasite⁽⁶⁾.

Dossennus played a chief part in the *Philosophia* of Pomponius and appeared as a school-master in his *Maccus Virgo*. The passing stranger is bidden to read his wisdom in his epitaph quoted by Seneca⁽⁷⁾.

It is not difficult to imagine a parasite full of wisdom, but most probably there were many varieties of Dossenni.

(¹) *De Mag.* 81 (Helin), "omnes isti quos nominavi... si cum hac una Rufini fallacia contendantur, Macci prorsus et Buccones videbuntur".

(²) *Bacchides*, vs. 1788:

Stulti solidi fatui fungi bardı vienni buccones.

(³) *op. cit.* p. 184, note 2.

(⁴) *De Ling. Lat.* XII, 95 M. "In Atellanis Dossennum vocant Manducum".

(⁵) *cf.* Paulus quoted in Festus, p. 128.

(⁶) *cf.* *Epist.* II. 1. vs. 173:

Quantus sit Dossennus edacibus in parasitis.

(⁷) *Epist.* XIV. I, (89), 7: *sapientia est quam Graeci σοφία vocant huc verbo Romani quoque utebantur... quod et togatae tibi antiquae probabunt et inscriptus Dossenni morumento titulus:*

Hospes, resiste et sophian Dossenni lege.

ἀγῶνα πάτριον καὶ μιμολογεῖσθαι⁽¹⁾ gave rise in Mommsen's head to the theory that the *Atellanae* were entirely Roman and that they were the result of the cultured Roman laughter at the follies of uncivilized Atella. He believes that the true home of this kind of drama is Latium, and that the Oscan territories are only its dramatic setting, and that it had nothing to do with the Oscans⁽²⁾. The *Atellanae* have also been claimed as Etruscan⁽³⁾.

The Roman literary historians were sometimes under the impression that they developed Tragedy and Comedy directly from the Greeks, and as the Greeks had also Satyric drama, they maintained that their *Atellanae* were derived from the Satyric drama⁽⁴⁾.

But when Cicero remarked to his correspondent Marcus Marius⁽⁵⁾, that the latter, who had stayed away from the shows given by Pompey in 55 B.C., had not missed much in failing to see the *ludi Osci*, since he could see Oscans in his own town council (at Arpinum), and described the *Atellanae* as "*Græcos aut Oscos ludos*", he was not under such an impression, but perhaps he could see the similarity between these farces and some Greek prototype.

Modern criticism is in favour of Livy's account. It says that the *Atellanae* were performed in the old Oscan dialect by the citizens of Atella in Campania and transplanted in the third century B.C. to Rome⁽⁶⁾.

(1) V. 233.

(2) *Römische Geschichte*, Berlin, 1834-1894, vol. II. p. 438.

(3) J. Whatmough, *The Foundations of Roman Italy*, London, 1937, pp. 390-392.

(4) cf. Diomedes, *ibid.*

(5) *Ad fam.*, VII, 1, 3.

(6) cf. F. Marx, *Atellanae fabulae* (in Pauly-Wissowa, *Realencyklopädie*, Stuttgart, 1896, vol. II): A. Dieterich, *Pulcinella*, Leipzig, 1897, pp. 84 sqq.; F. M. Cornford, *The Origin of Attic Comedy*; Cambridge, 1934 ed. 2, p. 138; A. Nicoll, *Masks, Mimes and Miracles*, London, 1931, p. 67; M. Bieber, *Theatre*, London, 1933, p. 295.

THE FABULA ATELLANA AND ITS STOCK CHARACTERS

BY

DR. WAHEEB KAMEL

In his famous report on the beginnings of Roman dramatic art, Livy says "*Postquam lege hac fabularum, ab risu et soluto ioco res auocatur, et ludus in artem paulatim uerterat, iuuentus histrionibus fabellarum actu relicto ipsa inter se more antiquo ridicula intertextu uersibus iactitare coepit, unde exorta quae exodia postea appellata consertaque fabellis potissimum Atellanis sunt; quod genus ludorum ab Oscis acceptum tenuit iuuentus nec ab histrionibus pollui passa est; eo institutum manet ut actores Atellanorum nec tribu moveantur et stipendia, tamquam expertes artis ludicae, faciant⁽¹⁾*". Livy is in fact stressing the characteristics of the dramatic *Satura* when he says that when it became a *fabula* there was no room for improvisation and so it lost its spontaneity and its appeal to the young Romans. These fell back on their old way of producing a short improvised *ludus*. This happened to be the *Atellanae*. Opinions differ as regards the origin of the *Atellanae*. Livy⁽²⁾ and Diomedes⁽³⁾ make it clear that they believed that they were indigenous *ludi* of Atella in Campania. Strabo's remark Ἰδιον δὲ τι τοῖς Ὀσκοῖς, καὶ τῷ τῶν Λυσόνων ἔθναι συμβέβηκε : τῶν μὲν γὰρ Ὀσκων ἐκλειοιπότηων ἢ διάλεκτος μένει παρὰ τοῖς Ῥωμαίοις, ὥστε καὶ ποιήματα σκηνοβατεῖσθαι κατὰ τινα

(¹) VII, 2.

(²) *ibid.*

(³) *Artes Grammaticae libri. iii* (in H. Keil, *Grammatici Latini*, Leipzig, 1857, I, pp. 489-490).

14,16-4 says that the Sosius-Herod capture of Jerusalem took place in the third month, at (on) the festival of the fast. We suspect that Josephus wished to produce yet another of his date-doublings and that his fast-day for Pompey's capture is had directly from Strabo, whether from *Geog.* 16,2.40 or from *Geog.*'s source in Strabo's *History*. Here the notable differences between *B.J.* and *A.J.* given by D and E above seem to tell a plain story. *A.J.* carries a full date and list of historical authorities missing from *B.J.* Authorities listed are Strabo, Nicolas, and Livy, in that order. Full date consists of Fast-Day, particular Olympiad, particular consuls, in that order. From Livy the consuls, from Nicolas the Olympiad, from Strabo the Fast-Day—it is a good guess. The composer of *A.J.* 14,4.3-4, expanding *B.J.* 1,7.4 at the price of ugly repetition in order to achieve his date, forked into the narrative precisely that 'Fast-Day' which the composer of *B.J.* had corrected to Seventh Days and Sabbaths, reinstating Strabo's looseness of terminology as technical strictness.

Of the fact of correction in *B.J.* the man had no knowledge. But he had Strabo, and in Strabo, he had, conveniently for inclusion, 'Fast-Day'. In went Fast-Day.

In conclusion it may be recalled that Strabo's *History* was preferred to Nicolas as probable source for A and C, that B's 'fast-day' was presumed to have been present in Strabo's *History* as well as in Strabo's *Geography*, and that in conformity it was presumed that A and C corrected Strabo's 'fast-days' to 'Seventh day's' and 'Sabbaths'. Suppose, however, that Nicolas was primary source for A and C, and the argument remains unaffected, gaining in simplicity what it loses in documentation. With Nicolas as primary source supplying 'Sabbaths' to A, there was no correction of 'fast-day' to 'Sabbaths'; the man who forked 'fast-day' into the date in C had his authorities assembled under his eye and took 'fast-day' from Strabo.

On the other hand, retain B's 'fast-day' in its stricter possible sense of Tenth Tishri, and we must wholly reject A and C if we accept B. Otherwise we must suppose that Pompey was sharp twice over in this siege—sharp in selecting Sabbaths and sharp also in selecting Tenth Tishri—and that our historians divided his sharpnesses, Josephus in A and C chronicling a Sabbaths-sharpness and Strabo in B chronicling a Tenth-Tishri-sharpness. Reject, then, A and C; grant B monopoly of historical authority. B, considered alone, is unintelligible. Pompey picked on Tenth Tishri to assault and carry the temple, having previously filled up the ditch? If so, what did he get out of his sharpness? Nothing: the besieged Jews could, and did, lawfully resist, self-defence being lawful on rest-days. And if so, what moved Strabo to add "when the Jews would not work"? Was he giving his readers a piece of general information by the way, not at all suggesting to them that Pompey picked Tenth Tishri precisely because the Jews would not work? Let us try another cast in the hope of hooking some sense! Pompey had not filled up the ditch, but picked on Tenth Tishri in order to fill up the ditch when the Jews would be idle? That is not so bad, but still is not good enough to rescue our text. Strabo puts it on record that the ditch was 60 feet deep and 260 feet long. It could not occur to him therefore that Pompey expected, let alone achieved, results from one-day Jewish idleness on Tenth Tishri. He meant therefore, to say that Pompey used more than one 'fast-day' when the Jews were idle. And, if so, he must by 'fast-day' mean 'Sabbath', only one fast-day proper being possible in a three-month period.

With the Strabo-text's support withdrawn, Tenth Tishri's sole support is Josephus *A.J.* 14.4.3 ἀλοῦσης τῆς πόλεως περὶ τρίτον μῆνα τῇ τῆς νηστείας ἡμέρᾳ. This support, such as it is, is weakened by the fact that Josephus *B.J.* 1.7.4 in the parallel passage affirms the third month, but omits to mention the fast-day. It is further weakened by the fact that Josephus *A.J.*

Hence it is reasonable to presume that B, if a condensation, may well be Strabo's condensation of his *History*.

In any case the close family-relationship of the three accounts of Pompey's decisive sharpness given by A, B, and C is unquestionable. It is worth while to set out some of the features again for special notice :

B.—Strabo : τηρήσας τὴν τῆς νηστείας ἡμέραν ἥνικα ἀπείχοντο οἱ Ἰουδαῖοι παντὸς ἔργου πληρώσας τὴν τάφρον καὶ ἐπιβαλὼν τὰς διαβάθρας.

C.—(B.J.) : τὴν τε τάφρον ἔχου καὶ τὴν Φάραγγα πᾶσαν... χαλεπὴν ἢ ἢν τὸ ἀναπληροῦν... εἰ μὴ τὰς ἐβδομάδας ἐπιτηρῶν... ἐν αἷς παντὸς ἔργου διὰ τὴν θρησκείαν χειρὰς ἀπισχοῦσιν Ἰουδαῖοι ἀναπεπληρωμένης τῆς Φάραγγος πόργους ὕψηλούς ἐπιστήσας τῷ χώματι . . .

D.—(A.J.) : μόλις πλησθείσης τῆς τάφρου ... προσβαλὼν μηχανὰς ... ἐπιστήσας ... εἰ δὲ μὴ πάτριον ἦν ἡμῖν ἀργεῖν τὰς ἐβδομάδας ἡμέρας ... ὁ δὲ καὶ Ῥωμαῖοι συνιδόντες κατ' ἐκείνας τὰς ἡμέρας, ἃς δὲ σάββατα καλοῦμεν, ... χροῦν δὲ καὶ πόργους ἀνίστασθαι.

This triple similarity of language is concerned with one message—how sharp-eyed Pompey won his victory by selecting for filling ditch and for securing assault-position a time when the besieged Jews could not obstruct him. All three accounts agree in all respects but one—the time selected. C and D say, the Sabbaths ; B says, the fast-day—which the Greek fully allows to signify either one particular fast-day or, (provided that more than one such fast-day could occur during the siege) more than one fast-day. All three accounts agree in all respects if B's 'fast-day' is understood as a (by no means here unique) gentile name for 'Sabbath'.

Substitute 'Sabbath' for 'fast-day' in B, and B is intelligible and the three accounts agree. Substitute 'fast-days' (Tenth Tishris) for 'Sabbaths' in A and C, and A and C are wholly unintelligible and the three accounts still fail to agree.

μόλις πλησθεισης της τάφρου διὰ βάθος ἀπειρον, προσβαλὼν μηχανὰς καὶ ὄργανα ἐκ Τύρου κομισθέντα ἐπιστήσας κατήρατε τὸ ἱερὸν τοῖς πετροβάλοις. εἰ δὲ μὴ πάτριον ἦν ἡμῖν ἀργεῖν τὰς ἑβδομάδας ἡμέρας, οὐκ ἂν ἠνύσθη τὸ χῶμα κωλυόντων ἐκείνων· ἀρχοντας μὲν γὰρ μάχης καὶ τύποντας ἀμύνασθαι βίβωσιν ὁ νόμος, ἄλλο δὲ τι δρώντας τοὺς πολεμίους οὐκ ἔσθι. ὁ δὲ καὶ Ῥωμαῖοι συνιδόντες κατ' ἐκείνας τὰς ἡμέρας, ὡς δὲ σάββατα καλοῦμεν, οὐτ' ἐβαλλον τοὺς Ἰουδαίους οὐτ' εἰς χεῖρας αὐτοῖς ὑπῆντω, χοῦν δὲ καὶ πύργους ἀγίστασαν καὶ τὰ μηχανήματα προσήγον, ὥστ' αὐτοῖς εἰς τὴν ἐπιούσαν ἐνεργὰ ταῦτ' εἶναι.

Notable differences between *B.J.* and *A.J.*, take the form of statements found in *A.J.* and not found in *B.J.*

D.—Jos. *A.J.* 14,4,3–4 : καὶ γὰρ ἀλούσης τῆς πόλεως περί τρίτον μῆνα τῇ τῆς νηστείας ἡμέρᾳ, κατὰ τὴν ἐνάτην καὶ ἑβδομηκοστὴν καὶ ἑκατοστὴν Ὀλυμπιάδα, ὁπατευόντων Γαίου Ἀντωνίου, καὶ Μάρκου, Τυλλίου, Κικέρωνος, οἱ πολέμιοι μὲν εἰσπεσόντες ἐσφαττογ τοὺς ἐν τῷ ἱερῷ, . . . ὁ μέγιστος τῶν πύργων κατηνέχθη καὶ παρέρρηξέ τι χωρίον, εἰσερχέοντο μὲν οἱ πολέμιοι. [*Cr. B.J.* 1,7,4 : τρίτῳ γὰρ μηνὶ τῆς πολιορκίας μόλις ἕνα τῶν πύργων καταρριψάντες εἰσέπιπτον εἰς τὸ ἱερὸν.].

E.—Jos. *A.J.* 14,4–3 : μαρτυροῦσι πάντες οἱ τὰς κατὰ Πομπήιον πράξεις ἀναγράφαντες, ἐν οἷς καὶ Στράβων καὶ Νικόλαος καὶ πρὸς τοῦτοις Τίτος Λίβιος ὁ τῆς Ῥωμαϊκῆς ἱστορίας συγγραφεύς. [*Cr. B.J.* 1,7,4 : no list of authorities given].

B cited above (Strabo *Geog.* 16,2 40) looks like a condensation. The fact that Strabo *Geog.* 15 uses Nicolas, together with ὡς φασι, may suggest condensation of Nicolas. On the other hand, Strabo's *History* dealing with Pompey's career and agreeing closely with Nicolas (teste Josepho, who used both Strabo and Nicolas for Pompey) had already appeared in advance of his *Geography*, and in D and E cited above (Josephus *A.J.* 14,4,3) Josephus both claims to use Strabo along with Nicolas and actually states that the capture took place on the fast-day.

that in respect of ninety per cent of the matter either one account must be so much rewriting of the other or both accounts together must be so much reproduction of some one source. Agreements include emphatic statement of Pompey's astuteness in using against the besieged Jews their Sabbath-scruples ; which scruples (it is contended) alone enabled him to fill up ravine and ditch and mount his final assault. It is necessary to quote at length this emphatic statement-in-duplicate and to compare it with the much shorter parallel statement in Strabo, for convenience sandwiching the Strabo between the Josephus-pieces.

A.—Josephus *B.J.* 1,7,3 : αὐτὸς δὲ κατὰ τὸ προσάρκτιον κλίμα τὴν τε τάφρον ἔχου καὶ τὴν φάραγγα πᾶσαν, ὕλην συμφορούσης τῆς δυνάμεως. Χαλεπὸν δ' ἦν τὸ ἀναπληροῦν διὰ βάθος ἀπειρον καὶ τῶν Ἰουδαίων πάντα τρόπον εἰργόντων ἄνωθεν. κἂν ἀτέλεστος ἔμεινεν τοῖς Ῥωμαίοις ὁ πόνος, εἰ μὴ τὰς ἑβδομάδας ἐπιτηρῶν ὁ Πομπήιος, ἐν αἷς παντὸς ἔργου διὰ τὴν θρησκείαν χειρὰς ἀπίσχουσιν Ἰουδαῖοι· τὸ χῶμα ὕψου τῆς κατὰ χεῖρα σύμβολῃς εἰργῶν τοῦ στρατιώτας ὑπὲρ μόνου γὰρ τοῦ σώματος ἀμύνονται· τοῖς σάββάτοις· ἤδη δ' ἀναπεπληρωμένης τῆς φάραγγος πύργους ὕψηλους ἐπιστήσας τῷ χῶματι καὶ προσαγαγὼν τὰς ἐκ Τύρου κοίμισθείσας μηχανὰς ἐπειράτο τοῦ τείχους. ἀνέστελλον δὲ αἱ πετροβόλοι τοὺς καθόπερθεν κωλύοντας. ἀντεῖχον δ' ἐπὶ πλεῖον οἱ κατὰ τοῦτο τὸ μέρος πύργοι μεγέθει τε καὶ κάλλει διαφέροντες.

B.—Strabo *Geog.* 16,2,40: κατελάβετο δ', ὡς φασι, τηρήσας τὴν τῆς νηστείας ἡμέραν ἥνικα ἀπείχοντο οἱ Ἰουδαῖοι παντὸς ἔργου πληρώσας τὴν τάφρον καὶ ἐπιβαλὼν τὰς διαβάθρας.

C.—Josephus *A.J.* 41,4,2 : Πομπήιος δ' ἔωθεν στρατοπεδεύεται κατὰ τὸ βόρειον τοῦ ἱεροῦ μέρος, ὅθεν ἦν ἐπίμαχον. ἀνεστήκεσαν δὲ καὶ ἐνταῦθα μεγάλοι πύργοι, καὶ τάφρος δ' ὠρώρυκτο καὶ βαθεῖα περιείχετο φάραγγι· ἀπερρώγει γὰρ καὶ τὰ πρὸς τὴν πόλιν, τῆς γεφύρας ἀνατετραμμένης ἐφ' οὗ δὴ Πομπήιος· καὶ τὸ χῶμα ὁσημέραι ταλαιπώρως ἐγγήγερτο, τεμνόντων τὴν πέριξ ὕλην Ῥωμαίων. καὶ ἐπειδὴ τοῦτ' εἶχεν ἱκανῶς,

POMPEY'S CAPTURE OF JERUSALEM ON TENTH TISHRI?

BY

D. L. DREW

Readers of the Bulletin interested in Semitic studies may care to have some of the Greek evidence re-presented at this moment when the Jerusalem Habakkuk Scroll comes up for editings. The scroll (column 11.7-8 in W. H. Brownlee's English translation of: December 1948) speaks of an event resembling a divine epiphany as having occurred on a day which was at once a Day of Purim and a Day of Fasting. It is natural to see in this day a Tenth Tishri—the only Levitical Day of Purim *cum* Day of Fasting. In his recent lecture (26th May, 1950), published as "Observations sur le Commentaire d'Habacuc découvert près de la Mer Morte", A. Dupont-Sommer invites us to associate the event with Pompey's capture of Jerusalem in 63 B.C. Whatever the merits of Professor Dupont-Sommer's interpretation of the apparent epiphany as an apotheosis achieved by the Teacher of Righteousness, Pompey's capture must be considered seriously, if in fact it took place on Tenth Tishri. Jewish history records for Tenth Tishri so few outstanding events that we can afford to neglect none recorded. And there is some evidence for placing capture on Tenth Tishri (in Josephus and Strabo) rather stronger apparently than the cruder counter-evidence yet available (in Dio Cassius).

* * *

Josephus gives two accounts of the capture, in *B.J.* 1,7.2-4 and in *A.J.*, 4,14.2-4. These accounts agree closely in incident, phrasing, sequence, sentiment, and general theory—so closely

Catholic Christian literature, though it may have existed in real life as we may judge by the lives of famous magi. The God of the Christians is generally more chary with revelation and does not communicate the gnosis to man beyond certain limits, even in the gnosis-loving Protestant interpretation of Christianity. This is why the vital vocation of the alchemist is always looked upon as a trespassing on forbidden regions, and the profound suspicion of the place of science in our essentially scientific modern civilization is but one aspect of this distrust of knowledge inherent in the Christian dogma, increasing and decreasing with the flow and ebb of religious sentiment. The most that the Protestant outlook could do was to plead for a certain order of temporal knowledge, on the assumption that it is not unholy, but it never relaxed its denigration of unholy knowledge, which it styled Faustian or Mephistophelian.

For in the Protestant outlook, the theft of the "gnosis", exculpated by Predestination, compels sufficient sympathy for the fallen sinner, and the Christian sense of guilt is not only preserved but also enhanced by the very idea that original sin is never completely washable and that, unless Grace intervenes, damnation is in store for the entire race. This belief in the ineradicable evil nature of man raises Necessity to the dignity of a second Deity and through this dualistic conception supplies the basis of the dramatic conflict. It places every human being in the position of Faustus, of Hermes, of Prometheus and of Lucifer, and therefore makes their fall universally felt and, consequently, suitable subject for tragedy.

This explains why from the Reformation onwards the comic or humorous treatment of the story of the alchemist as in Chaucer, Greene and Ben Jonson gave way to tragic treatment as in Shakespeare's Friar Lawrence, in Marlowe's Dr. Faustus and eventually in Frankenstein, called by Mary Shelley the "Modern Prometheus", and all derivative literature.

The Modern Prometheus is the Creative Scientist, principally the Alchemist. An alchemist with no sense of sin is a Hermetist; an alchemist with a moral problem is a Promethean. The Hermetic alchemist is fully reconciled with God and views knowledge, even of the elixir of life, as a divine gift. The daemon that obsesses him is a blessed daemon, an Agathodaemon, the very tutor of Hermes. The Promethean alchemist is obsessed by an evil power, an Alastor, or simply he is a prey to his own sense of guilt: he is a Hermetist in his claim to the gnosis, but he is Christian in his expiation for it. Hence the Frankensteinian experience in a Protestant world is, like the Faustian, a sordid experience. Faustus stands for the alchemist of the Middle Ages; Frankenstein stands for the chemist of the Modern World. The new symbol renovates the old. The pure Hermetic type to whom knowledge had no boundaries and creativeness was the holy gift of God probably never existed except in propagandist

for Lear as victims to wanton gods who kill them for their sport. In such a world even Faustus is not entirely responsible for his fall. In such a world, were it permissible to write a tragedy on the fall of Satan Milton would have done it. But to write a tragedy on the fall of Satan is more than Christianity would allow, as that implies undisguised compassion for the arch-enemy of God, and, perhaps, a degree of suspicion in the ways of God to his creatures. Besides, Milton was a believer in Free Will. Hence Milton chose the epic-form, where admiration for the hero needs not imply admiration for his cause. The tragic-form is too compromising in the case of Lucifer. In the case of Faustus it is possible, because Faustus is not commensurate with the Principle of Evil on a cosmic scale.

The Hermetic attitude is like its extreme opposite, the Catholic attitude, essentially undramatic, because it only recognizes a blithe Hermes. Though it makes a distinction between holy and unholy knowledge, yet in its practice it accepts all knowledge as holy provided it is lawfully acquired, i.e. provided it is acquired by the class specially equipped for the reception of the gnosis, the Hermetics, and provided it is acquired by white magic (science). Knowledge is unholy only when it is Promethean, i.e. acquired by the potters with the help of black magic. Then it is a sin, and the sinner must suffer for it. His fall does not move us to pity, for he is either a villain pure and simple or a blundering fool, and not a hero. Hence, from a strictly Hermetic point of view, the fall of Prometheus is untragic. The absence of agony and contest in both attitudes excludes the possibilities of drama in the treatment of the story of the First Thief. In Hermetism the career of the alchemist ends by his apotheosis, his ascension in a "column of light" to the abode of the immortals; in Christianity it ends by his utter destruction without pity or hope of future pardon.

Drama only thrives when Hermetic Christianity flourishes; when the Protestant outlook or any similar theodicy prevails.

his expulsion from Oxford, Shelley wrote to Hogg from Field Place about June 27, 1811 saying: "I am a perfect hermit". In *Alastor* (1815) he portrays himself as a hermit. We know that he used to swear by Franklin, which places Franklin and the creative scientist in general in the position of the Allfather a truly Hermetic attitude. That Mary Shelly shared many of her husband's views is proved by her contributions on men of science to the "Cabinet Encyclopaedia".

From a strictly Catholic Christian point of view, all knowledge (particularly its higher form) is Mephistophelian, for Prometheus, Mephistophiles and even Hermes himself are one and the same person: Lucifer. By the application of Divine Justice following the exercise of Free Will the theft of fire, the gnosis, vying with God in creativeness and all other forms of sin original or worldly, are essentially untragic, essentially undramatic, for the simple reason that where Free Will is assumed the sinner bears full responsibility for his sin and we can have no compassion for his suffering. His story affords good material either for comic treatment, as in the case of Faust whose story was treated in puppet-shows during the first half of the sixteenth century before the full efflorescence of the Protestant outlook, or good material for epic treatment, if the "agon" or contest is intense. In the first instance, the sinner becomes a straightforward villain to be ridiculed, his suffering merited and therefore enjoyed by the beholder. In an epopee we sympathize with all the persons in the contest being all heroes with varying degrees.

What the Reformation revived in Europe was Predestination, and with Predestination the Drama. For in a world ruled by the iron grip of Necessity there is room for sympathy even with a downright sinner. The idea that we are puppets, or poor players that fret and strut our hour or that all the world is a stage is the basis of all drama. It exonerates Macbeth, finds excuse for Othello, makes us pity Hamlet and inspires us with sorrow

The story of the Dipsian snake, used by Shelley in his Promethean drama (to be found in Aelian's *Natural History*; cf. Sophocles, Ibycus, Epicharmus, Aristeeas, etc., in Aelian) proves that Hermetism from the earliest times was concerned over the elixir of life and similar practices, not as forbidden knowledge but as the gift of Zeus. For, the story begins, when Prometheus stole the fire of the gods, Zeus "gave those who told him of the theft a charm to avert old age" as a reward. Those who denounced Prometheus were none other than the Hermetics, we judge by the profound opposition between Prometheus and Hermes. Propertius (*Elegies* Bk. I, xii, lines 5-10) tells us of "some magic herb gathered on Promethean hills for the sundering of lovers". The love-potion administered by the Hermetic in his cell produced the opposite effect, which only confirms the diametrical opposition between the Luciferan malignity of Prometheus and the blessedness of Hermes.

Shelley followed with interest the Hermetic tradition and was greatly attracted by it. In fact he was a Hermetic himself. His Platonism has been discussed by many critics and his Hermetic leanings were a direct outcome of his Platonism, for the line of Pythagoras ran through Aeschylus, Plato, then the entire Hermetic movement of the Messianic Age whose principal protagonists were the neo-Platonists and the Gnostics. The magi of the preceding century, St. Germain (1710-1784), the Grand Copht (1743-1795), Mesmer (1733-1815) were a living reality in the age of Shelley. He read *The Magus* of Francis Barrett (1801) and he fell under the spell of Freemasonry whose defence came from Rosicrucian and Hermetic centres. He was attracted by Arrianism which is essentially a Hermetic interpretation of Christianity. His favourite picture of himself is that of a hermit, and for some time in his middle literary life he signed himself "The Hermit of Marlow" as in the case of his "Proposal for Putting Reform to the Vote" and his "Address to the People". As early as the *Rosicrucian*, after

For in Hermetism the hero is generally followed not by an Alastor or an Evil Spirit but by an Agathodaimon or a Good Spirit; and it makes a great difference whether the hero is possessed by Prometheus or by Hermes.

In Hermetism, far from being sinful and forbidden, knowledge is a gift of God, provided, of course, it does not aspire too high, or, more precisely, provided it is acquired by divine sanction and put to holy use. The line of demarcation between holy and unholy knowledge is very shifty, though in theory, Hermetism never went as far as to include the philosopher's stone and the elixir vitæ in the bounds of permitted knowledge. The great contradiction arises from the fact that Hermetism in theory professes the thorough asceticism of the hermit yet in practice finds use for research whose unique purpose is to turn lead into gold and to renovate youth or even to abolish death altogether. In the Preface to Roger Bacon's *Cure of Old Age* (translated by R. Browne, London, 1683), it is said that "Some report he made a Brazen Head that spake, and think he did it by the help of the Devil. But, Albertus Magnus did the same, and Boëthius the like without any other Magick than Nature". Roger Bacon himself adopted the same position centuries before, and his main argument in his own defence was that alchemy is a science and not the work of magic. Francis Bacon in his *Advancement of Learning* makes the same distinction between science and magic and even goes as far as to reduce the search for the elixir vitæ and the philosopher's stone to orthodox science. In the past they expressed the difference between holy and unholy knowledge by the terms of white and black magic.

Thus, from a Hermetic point of view, the entire question of knowledge is not so much one of range as of technique; which, alone, decides whether knowledge is holy or unholy, the gift of God or the snare of the Devil; Promethean or Mephistophelian; as Mr. Basil Willey erroneously describes it in his earlier *Background*; for both are in reality the same thing.

the attitude of the Rosicrucian is largely the same as the attitude of Frankenstein. Frankenstein's repentance for the sin of creation is manifested in his refusal to allow his creature to propagate and afterwards in his determination to destroy him. It is a form of refusal to deny the existence of God like Wolfstein's own. The automatic death of Wolfstein following the death of his master, Ginotti, is a striking parallel to the death of the Being following the death of his creator, Frankenstein. In *Frankenstein* the death of the Being is clearly explained by the theory that, by the law of nature, no creature is allowed to survive his creator. In the *Rosicrucian* the death of Wolfstein is not explained at all but, we may suppose, was a moral necessity, if not as an expiation for his crimes, at least because he was possessed of the secret of deathlessness. In both cases the result is the same: the restitution of the existing order.

One of the marked differences between the *Rosicrucian* and *Frankenstein* is that in the former there is a sense of fatality about the quest of forbidden wisdom, whereas in the latter it is the fruit of the exercise of free will. Ginotti follows Wolfstein as his own shadow and from his hidden lurks plans out the hero's life for him against his own will. This motif is permanent in Shelley's philosophy and gives significance to much of his poetry. "And what so horrible crimes have I committed", exclaimed Wolfstein, driven to impiety by desperation; "what crimes which merit punishment like this?" "The fiends of fate are heard to rave And the death-angel flaps his wings o'er the wave". "Yes! 'tis the influence of that sightless fiend, Who guides my every footstep, that I feel: An iron-grasp arrests each fluttering sense, And a fell voice howls in mine anguish'd ear: 'Wretch, thou mayest rest no more,' etc. The entire conception of *Alastor* is based on this idea of the hero being followed doggedly by the Evil Spirit which impels him to feel and act creatively. But this is opposed to the cardinal principle of Rosicrucianism and all other forms of Hermetism.

If we forget that the immature Shelley identified himself with all his characters that he was at once the diabolical Ginotti, the suffering Wolfstein, the gallant Mountfort and the sentimental Irish lover Fitzcuestace, and if possible also the colourless Steindolf, etc., he was essentially Wolfstein, the hero of his story. The underlying idea of the *Rosicrucian*, as far as one can make it out, is that a certain individual is sometimes prepared by fate, usually expressing itself as an ancient curse or unwashable sin in the family, for the unholy life of the rebel against the laws of God or what Shelley calls in his novel the sense of right and wrong. In such circumstances the hero falls painfully between two crushing forces, on the one hand faith or conscience or the scale of right or wrong, and on the other hand, the Satanic evil spirit pursuing him with unrelenting vigilance and tempting him with the pleasures of life, the pomp of power and, above all, the elation of immortality gained through forbidden knowledge. Such was the condition of Wolfstein, and, of course, of Shelley himself. It is also the problem of Manfred and of Frankenstein, of Faustus and of Prometheus. Some of these types succumb to the evil spirit, sign compacts with the devil and pay for it in the end. Others do not, like St. Cyprian for instance and the St. Irvyne of Shelley, i.e. Wolfstein. Though they may die like martyrs because they cannot survive the evil spirit that dominates them, yet they are spared the eternal woes of hell-fire. Shelley as Wolfstein, though three months later (march 25, 1811) he was expelled from Oxford on account of the *Necessity of Atheism*, refused "to deny his Creator". The *Rosicrucian* being a composition of his Eton days, we may infer that the difference of attitude could have been due to the growth of Shelley's atheistic tendencies.

The problem of the existence of God, we may assert, was present in Shelley's mind even before he was fifteen, for there can be no doubt that, when he called young Andrew Amos "apurist", he modelled that word on the term atheist. However, whatever may have been the development of Shelley himself,

inconsistent and puerile purple patches, and not relieved by the high-spirited orotundity and swift, balanced and graceful sweep of this master of poetic prose whose *Defence of Poetry* so bewitched an experienced critic like Matthew Arnold as to make him declare that Shelley's true medium was prose rather than poetry, but rendered unreadable by stereotyped storminess and jerky turns of phrase.

The scene of action in the *Rosicrucian* is, for the most part, the Alps, "whose gigantic and misshapen summits, reddened by the transitory moonbeam, were crossed by blank fleeting fragments of the tempest-cloud". Its hero is Wolfstein, the young heir of St. Irvyne who falls, with his innocent sister Eloisa, under the domination of the Satanic Ginotti, master of the occult science and discoverer of the secret of immortality. Both are shifted about and made to act by the will of Ginotti without knowing it. But, apart from the discovery of the Elixir of Life, the thesis of the *Rosicrucian* is more like that of Lord Lytton's *The Hunters and the Haunted* than like that of *Frankenstein*. Eloise is finally saved from the evil influence of Ginotti by an English chevalier named Mountfort and is taken to England by her Irish lover Fitzestace with her illegitimate child by Ginotti who had posed to her as de Nempere, seduced her, then sold her to the chevalier Mountfort to cancel a gambling debt. Wolfstein, however, succumbed to the spell of Ginotti, and by repeated crimes brought upon himself misery, but was saved from eternal damnation in the end by refusing to deny his Creator as Ginotti wished him to do. The temptation was great. For there lay his beloved wife Megalena, mysteriously dead, and Ginotti, possessing the power to bring her back to life, would not resuscitate her unless Wolfstein renounced his faith in God. "Wilt thou not?" thundered Ginotti. "No, no,—any thing but that", replied Wolfstein. In a moment Ginotti "mouldered to a gigantic skeleton, yet two pale and ghastly flames glared in his eyeless sockets". Wolfstein too fell dead in expiation for his sins, yet "over him had the power of hell no influence".

exceeded my most sanguine expectations. *Love* I cared not for ; and wondered why men perversely sought to ally themselves with weakness. Natural philosophy at last became the peculiar science to which I directed my eager inquiries ; thence was I led into a train of labyrinthic meditations. I thought of *death*—I shuddered when I reflected, and shrank in horror from the idea, *selfish and self-interested* as I was, of entering a new existence to which I was a stranger. I must either dive into the recesses of futurity, or I must not, I cannot die.—‘ Will not this nature—will not the *matter* of which it is composed, exist to all eternity ? Ah ! I know it will ; and, by the exertions of the energies with which nature has gifted me, well I know it shall. This was my opinion at that time : I then believed that there existed no God. Ah ! at what an exorbitant price have I bought the conviction that there is one ! ! ! Believing that priestcraft and superstition were all the religion which *man* ever practised, it could not be supposed that I thought there existed supernatural beings of any kind. I believed *nature* to be self-sufficient and excelling ; I supposed not, therefore, that there could be anything beyond nature.

“ I was about seventeen : I had dived into the depths of metaphysical calculations. With sophistical arguments had I convinced myself of the non-existence of a First Cause, and, by every combined modification of the essences of matter, had I apparently proved that no existences could possibly be, unseen by human vision ”

The autobiographical element in the *Rosicrucian* is very strong, and it is certain that Mary Shelley was acquainted with the novel and was consciously constructing her *Frankenstein* on it, that is to say in parts, and on what she knew of her husband's early life. The general clumsiness and lack of suppleness in the style of *Frankenstein* are of the same quality as in the early writings of Shelley, where the storm and stress are not ennobled by genuinely rich imagery but debased by a plethora of

found an echo in the discussions between Frankenstein and Clerval. In a sense Hogg was Shelley's first victim for Hogg's expulsion from Oxford was due to his coming to Shelley's defence after the publication of the "Necessity of Atheism".

Shelley's interest in chemistry was essentially alchemical. He never studied chemistry or physics or any other branch of science systematically but only, in the words of his Eton-mate, Andrew Amos, as a "means of producing interesting and dazzling results", though he believed that science held the secret of life and regeneration. When Shelley went up to Oxford at the age of eighteen he was already the author of two published books, the Gothic thriller called *Zastrozzi* and *Original Poetry of Victor and Cazire* written conjointly with his sister Elizabeth, but he also brought to Oxford the manuscripts of two other works *The Wandering Jew* and the novel called *St. Irvyne, or the Rosicrucian*, which latter his publisher Stockdale, first puzzled by the fact that one of its characters appeared to die twice, got Shelley to put into shape and by December 10, 1810 the book was printed and bound. It was advertised in *The Times* of January 26 and February 2, 1811 as the "University Romance", a very suggestive designation considering that Frankenstein himself was a Rosicrucian and that his romance was also a University Romance.

Like Frankenstein, the villain of *St. Irvyne or the Rosicrucian* called Ginotti possessed the secret of the Elixir Vitae which he was to impart to Wolfstein. Ginotti sketches out for Wolfstein the evolution of his own life, which is precisely the early life of Shelley himself:

"From my earliest youth, before it was quenched by complete satiation, curiosity, and a desire of unveiling the latent mysteries of nature, was the passion by which all the other emotions of my mind were intellectually organized. This desire first led me to cultivate, and with success, the various branches of learning which led to the gates of wisdom. I then applied myself to the cultivation of philosophy, and the éclat with which I pursued it

crucibles, bags and boxes, were scattered on the floor and in every place; as if the young chemist, in order to analyse the mystery of creations, had endeavoured first to reconstruct the primeval chaos. The tables, and especially the carpet, were already stained with large spots of various hues, which frequently proclaimed the agency of fire. An electrical machine, an air-pump, the galvanic trough, a solar microscope, and large glass jars and receivers, were conspicuous amid the mass of matter, etc." Shelley demonstrated his galvanic battery and his other electrical and chemical instruments before Hogg to prove to him the splendid future of science. He gave him by mistake aqua regia in a cup of tea. All this happened on the next day Shelley and Hogg met at Oxford.

Hogg, we know, neither savoured, nor took seriously, the scientific tastes of Shelley, and gradually Shelley himself abandoned his experiments. But the very first day Shelley and Hogg met, Shelley left Hogg in the evening to attend a lecture on mineralogy but was soon to return to his new friend disappointed, for the lectures had nothing to talk about except "stones! stones, stones, stones! nothing but stones!" a very poor contrast to Walker who fired the imagination of Shelley at Eton with his public hymns in praise of science and his inordinate faith in its future. Frankenstein, like Shelley, attended the lectures of two professors, one sympathetic and full of vision, the other dull and pompous. Of the two Waldmann is Adam Walker.

To proceed with this parallel between the life of Frankenstein and the life of Shelley, we may identify Clerval with Hogg. It seems as if Mary Shelly drew the names of her heroes from her immediate surroundings. "Clair + val" is obviously a variation on "Clair + mont", and since Hogg himself studied at Inglostadt and not at Oxford, he had to have a continental name. Inglostadt itself is a town which nearly signifies the town of the English or the English town, which could be Eton or Oxford or both. Hogg's failure to appreciate Shelley's scientific pursuits has

Of thy deep mysteries. I have made my bed
In charnels and on coffins, where black death
Keeps record of the trophies won from thee,
Hoping to still these obstinate questionings,
Of thee and thine, by forcing some lone ghost
Thy messenger, to render up the tale
Of what we are. In lone and silent hours,
When night makes a weird sound of its own stillness,
Like an inspired and desperate alchymist
Staking his very life on some dark hope,
Have I mixed awful talk and asking looks
With my most innocent love, until strange tears
Uniting with those breathless kisses, made
Such magic as compels the charmed night
To render up thy charge: etc...

Hogg tells us in his *Life of Shelley*, that when Shelley was at Eton he stole away one evening at midnight, resolved to raise a ghost. Crossing the fields with a skull in his hand, he dared not look back lest he should be followed by the devil, until finally he reached a small stream in a secluded spot. Shelley bestrode the stream, drank thrice from the skull, repeated aloud his incantations and waited for the ghost to appear. When no ghost appeared he went back to his college blaming his own lack of skill in magic. In his boyhood days Shelley's mind, Medwin tells us in his *Revised Life of Shelley*, "ran on bandits, castles, ruined towers, with mountains, storms and apparitions—the terrific".

Shelley's interest in chemistry and physics lasted with him throughout his Oxford days, and Hogg's famous description of his rooms attests to those interests: "Books, boots, papers, shoes, philosophical instruments, clothes, pistols, linen, crockery, ammunition, and phials innumerable, with money, stockings, prints,

from Shelley's letters to Godwin of January 10, 1812 and June 3, 1812, that Shelley read at Eton "with an enthusiasm of wonder, almost amounting to belief" the "ancient books of Chemistry and Magic", namely, Albertus Magnus whom he read in Latin and Paracelsus whom he read in translation. Of contemporary scientists Medwin (*op. cit.*) tells us that Shelley read Franklin and Condorcet at Eton, quoting them to support his theory of the triumph of mind over matter. Shelley, Medwin adds, "swore by Franklin".

From Hogg (*Life of Shelley*) we learn something which probably has great bearing on the composition of *Frankenstein*. We learn that, while still at Eton, Shelley, in one of his vacations spent at Field Place, planned to gain access to the charnel-house at Warnham Church and to watch over the bones of the dead. This scene, with similar experiences, is preserved in the "Hymn to Intellectual Beauty" (stanza V):

While yet a boy I sought for ghosts, and sped
Through many a listening chamber, cave, and ruin,
And starlight wood, with fearful steps pursuing
Hopes of high talk with the departed dead.
I called on poisonous names with which our youth is fed:
I was not heard: I saw them not.

In *Alastor* too, written in 1815, there are reminiscences of Shelley's visits to charnel-houses during his early life (lines 18 et seq.):

Mother of this unfathomable world !
Favour my solemn song, for I have loved
Thee ever, and thee only ; I have watched
Thy shadow, and the darkness of thy steps,
And my heart ever gazes on the depth

"I think I hear, as if it were yesterday, Shelley singing, with the buoyant cheerfulness in which he had often indulged, as he might be running nimbly up and down stairs, the Witches' songs in 'Macbeth'. I fancy I still hearken to his

Double, double, toil and trouble,
Fire burn, and cauldron bubble.

"From this period my intimacy with him slackened. Not following his new passion with the same zeal as himself, we now seldom walked or boated together in the hours between school-times. He used to call me—in a tone not altogether unfriendly, but still, evincing, displeasure approaching to bitterness—by the appellation of *Apurist*; indicating classically, thereby one who did not appreciate properly the element of *fire*".

When Shelley called Andrew Amos "apurist" he must have been about fourteen, for when he was living with Amos he was still a junior boy at Eton, (he went up at the age of twelve); Amos' harsh judgment of his earliest companion at Eton, even a quarter of a century after the poet had fulfilled his mission in life, shows that, though he may have been a good barrister, he was one of the genuine apurists of the world. His note to the *Athenaeum* shows that Shelley could coin new words from his limited Greek vocabulary.

Walker was the Waldmann of *Frankenstein*, a professor who possessed not only knowledge but vision. His forecast of the steam-engine, hooted down by the Eton boys, is very reminiscent of Waldmann's prophetic words concerning the future of chemistry.

Shelley, as a boy was not satisfied with the factual courses of Adam Walker on electricity and was soon to go beyond the limited range of science into the mysterious world of alchemy. Thomas Medwin in his *Revised Life of Shelley* does not specify, any particular books on chemistry read by Shelley at Eton, because chemistry was a "forbidden thing" there. But we know

electrical machines. These found a ready sale amongst the boys ; much to the encouragement of infant science—and proving that the philosopher's man had found out the philosopher's stone. He made a small fortune for the time. Shelley was amongst the purchasers,—and, so daring and bold in his experiments; that he nearly blew up himself and Mr. Hexter's house into the bargain. Astronomy, like electricity, seized upon his imagination. His jubilee was night. His spirit bounded on the shadow of darkness, and flew to the countless worlds beyond it”.

Andrew Amos, another Eton fag who lived with Shelley as a lower boy, also wrote to the *Athenaeum* (issue of April 13, 1848) of his recollections of Shelley stressing the same chemical interests pointed out by Merle :

“Walker's lectures, mentioned by your correspondent, (meaning Merle), were perhaps an unfortunate occurrence for Shelley ; as they supplied him with the means of producing interesting and dazzling results, requiring very little application of mind, and as they increased his aversion to the studies of the school. By the way your correspondent will perhaps recollect that ‘Old Walker’ on the occasion of one of his lectures, at which both Shelley and myself were present, said, ‘Perhaps in the time of my son, if not in my own, it may come to pass that he or I shall get down from London to lecture here without being drawn by horses, but impelled by steam’,—and that thereupon there was a deafening shout of derision from nearly three hundred boys at this Walker and his Eureka.

“After attending Walker's lectures, Shelley became transported with a love of chemical experiments. He did not, however, I believe, study any scientific works upon the subject:—and I think it would have been happy for him if the multitude of boys at a public school had not rendered it almost impracticable for the tutors to watch, and endeavour at least to exercise some control in directing, the pursuits and dispositions of their pupils.”

In more than one way *Frankenstein* is a biography of Percy Shelley himself written by his wife, for the career of *Frankenstein* closely corresponds to Shelley's own. We know that Shelley, as a boy, and indeed at all the stages of his life, was keenly interested in alchemy and in chemistry. Whether at Eton or at Field Place or at Syon House Academy he had his little Laboratory of chemical and electrical equipments. Shelley's interest in fireworks when still at Eton has been noted by all his biographers. He conducted experiments with chemical brews, once almost blew himself up and at another time almost poisoned himself. Once he electrified with his galvanic battery the Eton tutor "Butch" Bethell. His interest in chemistry found satisfaction in the lectures and demonstrations of Adam Walker at Eton who gave his course in alternate years. From Adam Walker's assistant Shelley bought small electrical machines which he installed at Field Place.

W. H. Merle wrote to the *Athenaeum* (issue of March 4, 1848) of his Eton reminiscences in connexion with Shelley's boyhood:

"Another circumstance I perfectly remember;—and name it because I feel certain that it called into active play a host of thought and feeling. In Shelley's days there used to be one, 'Walker' who lectured on astronomy, chemistry, mechanics, etc. I allude to the 'Old Walker' as he was called; a man self-taught for the most part, but possessing much of talent, and being in his nature a thousand times more clever than much learning could ever make his son. Shelley, and myself and many others attended 'Old Walker's' lectures; and it may easily be imagined how the wonders of heaven, earth and electricity would seize on a mind like Shelley's. Boys have fashions in their playthings—and experimental electricity became the rage. 'Like master like man', says the adage—and 'Old Walker's' servant and assistant had picked up a smattering of his master's knowledge sufficient to enable him to make small

identity of the author, as Shelley who handled all correspondence kept them ignorant of it (Vide *Julian Works*, IX, 234, 242, 252, 256, 272, 278). Afterwards, Charles and James Ollier, when they found out that Mary Shelley's novel outsold anything Shelley had ever written, sought to be Mary's publishers.

The Shelleys went back to Italy and were subsequently informed by Godwin and Peacock (to Shelley June 14, 1818; Leigh Hunt to Shelley August 4, 1818) of the favourable notice *Frankenstein* was receiving in England. The critic of the *Quarterly Review* XVIII, 324, May 1818) believed that Shelley was the author of the book and though admitting that the work had considerable merit, seized on the occasion to flog Shelley for the ways in which he employed his talents. In a note on the *Foliage* of Leigh Hunt, the critic of the *Quarterly Review* John Taylor Coleridge, who was Shelley's school-mate at Eton, attacks the person of Shelley as one who entered his name in hotel registers qualified with the epithet "atheos" but refrains from mentioning his name or reviewing his latest production (meaning *Frankenstein*) in order that he may not "lend notoriety" to it by reviewing it. Similarly, the *British Critic* (X, 94, July 1818), *à propos* of *Frankenstein*, says that "Mr. Shelley (')—an unmentionable subject", could not be discussed on account of his vile immorality and dangerousness to public life. By way of commentary on this attitude of the reviewers towards him, Shelley in his letter to Peacock dated July 25, 1818 says: "Their notice of me, and their exposure of the true motives for not noticing my book, shews how well understood an hostility must subsist between me and them" (cf. Shelley to Hunt December 22, 1818).

(') Referring to the Greek *Demokratos*, *Philanthropos* and *Atheos* Shelley once scribbled against his name in the register of an inn at Montanvert in 1816; the similar epithets he also inscribed against his name in the register of the *Hôtel de Londres* at Chamounix.

started on something we hear nothing of later. Similarly Byron set to work on a story called *The Vampire* which he left unfinished and which was completed by Polidori then published in 1819 and enjoyed a great vogue on the understanding that it was Byron's own. As for Polidori, Mary Shelley tells us that he began the story of a woman with a 'fleshless skull which he eventually abandoned, but Polidori himself states that he worked on a different story which he did complete and publish under the name of *Ernestine Berthold*.

At first Mary Shelley found some difficulty in hitting on a suitable subject. "Have you thought of a story?" Shelley asked her every morning. Then listening to a conversation between Shelley and Byron on the vital principle; the idea of *Frankenstein* struck her: "perhaps a corpse would be reanimated; galvanism had given token of such things". For some time after Mary Shelley spent sleepless nights haunted by the vision of "a pale student of the unhallowed arts engaged in creating a monster, at last endowed with life, and the shame and terror of the artist who had brought him into being". Thus *Frankenstein* was born and though no definite date is known of its beginning, it was finished on May 14, 1817.

Frankenstein was declined by Murray on June 18, 1817 and by Ollier, to whom it was submitted on August 3 of the same year, before August 15. Soon after, it was submitted, before August 22, to Lackington, Allen and Co. who accepted it. Shelley, who was then in England with Mary expected to correct its proofs a month later and, on October 28, submitted some alterations; on December 3, a dedication. The printing of the book, though not the binding, was finished on December 23, *Frankenstein* was ready for distribution on January 2, 1818. A letter still in Ms. from Shelley to Walter Scott dated Jan. 2, 1818, states that on that very day he sent him a copy of the novel. The publishers of the book were Lackington, Hughes, Harding, Mavor and Jones, and even they did not know the

nightly boatings across Lake Leman and had to spend entire evenings indoors.

One evening, on the sixteenth of June 1816, they were kept in at the Villa Diodati by the rain. The book they read was a collection of German ghost-stories translated into French and entitled "Fantasmagoriana, ou Recueil d'histoires d'apparitions, de spectres, revenans etc.". For several evenings the conversation centred upon the subject of ghosts. On the evening of the 18th they were still confined by the storm and the rain, round the fireside of Byron who suggested the possibilities of apparitions and weird beings as materials for poetry, quoting passages from Coleridge's "Christabel", which he had seen in manuscript, to support his contentions. Shelley was very upset by the conversation, and as Byron recited the lines of Coleridge describing the secret of the witch's deformity there was silence for a moment, and Shelley, staring at Mary, uttered a terribly shriek, gesticulated nervously, seized a candle and fled from the room. Gazing at Mary he evoked a long-forgotten vision of a witch he had once heard of who had eyes in the place of her nipples. Dr. Polidori's ether and cold compresses brought him back to normalcy. (Vide Polidori's *Diary* pp. 125-128⁽¹⁾; the story is corroborated by Byron's letter to Murray dated, May 15, 1819).

In the introduction written by Mary Shelley for the 1831 edition of *Frankenstein* we are told that Byron was the first to suggest the writing of the novel: "We will each write a ghost story, said Lord Byron; and his proposition was acceded to", says Mary Shelley. "You and I," he added, "will publish ours together". (Vide Thomas Moore: *Letters and Journals of Lord Byron* II, 21). Claire Clairmont was also there but she is ignored in all the accounts left to us by Mary Shelley. It is known that the next evening Shelley began an autobiographical thriller which he was soon to abandon. The next evening too Claire Clairmont

(1) "When silence ensued, Shelley, suddenly shrieking and putting his hands to his head, ran out of the room with a candle." Polidori.

place". (vide 19.58.) Of Hermes Lactantius says the same thing: "Unum proferam quod est simile divino, et ob nimiam vetustatem et quod is (Hermes) quem nominabo ex hominibus in deos relatus est". (vide Div. Inst. I. 6. i). Of Aesculapius Arab mythographers like Ibn Abi Osaybiyah relate the same tradition and repeat almost verbatim: "Le Dieu suprême a révélé à Esculape ce qui suit: Tu es plus digne que je t'appelle un ange qu'un homme... Hippocrate dit que Dieu a élevé à lui Esculape dans les airs, au milieu d'une colonne de lumière" (vide Sanguinetti in *Journal Asiatique*, 1853, IV, p. 184). To close the circle, the "Secretum Secretorum" tells us that Hermes and Enoch are the same person: "Quidam si quidem volunt et affirmant quod Enoch novit hoc secretum per visionem. Volunt enim dicere quod iste Enoch fuit magnus Hermogenes. Greci multum commendant et laudant, et ei attribuunt omnem scienciam secretarum et celestium" (Vide Roger Bacon, op. cit. capitulum 27, pp. 98-99).

B.—FRANKENSTEIN

I

The circumstances attending the composition of "Frankenstein" are known fairly accurately. It was in Geneva where Shelley had been spending the summer of 1816 in the villa on Lake Lemán called Mont Alègre at the foot of the Jura and Byron moved from the Hôtel de l'Angleterre into the villa Diodati at eight minutes walk from Mont Alègre. The Shelleys, Byron and Dr. Polidori met regularly every evening. The weather was stormy and rainy and often kept the party at home, chiefly at the Villa Diodati, where they read and chatted until the early hours of the morning. "One night we enjoyed a finer storm than I had ever before beheld", wrote Mary Shelley to Peacock on June 1, 1816; but though they were thrilled by the wrath of the elements they could not always go on with their usual

Renaissance alchemist who brought the Hermetic origins of alchemy to the surface and even tried to interpret mythology by alchemical symbols was Michael Maier (1568-1622) author of the "Atalanta Fugiens" or "Atalanta Fleeing". He operated in the Prague of Emperor Rudolph II to whom he was physician and private secretary, the Prague of the Golem and of gold-makers. The thirteen laws of alchemy were reputed to have been engraved on the Emerald Tablet found in the tomb of Hermes.

The alchemists of the Renaissance hermetized everything and everyone, including Aristotle. In Roger Bacon's Latin version of the famous "Secretum Secretorum", (circa 1250), supposedly a book of Aristotle, preserved by the Arabs, in which the philosopher puts forward the duties and rights of a ruler for the benefit of his pupil, the great conqueror, Aristotle is spoken of as if he were Hermes. For in the "Secret of Secrets" it is said: "I have seen it written in several books of Grecian history that God made a revelation to him, saying: Verily I prefer to call thee an angel rather than a man. Strange and marvellous things are related about him which are too numerous to mention. There are different traditions about his death. It is contended by some that he died a natural death and is buried in his tomb which is well known, while the others affirm that he was lifted up to Heaven in a column of light".

In Bacon's Latin version we have: "Quedam enim secta que dicitur peripathetica asserit ipsum ascendisse ad empireum celum in columpna ignis⁽¹⁾". So Aristotle was lifted up in a "column of fire". Whether it was a "columpna ignis" or a "columpna luminis", is indeed immaterial for our present purpose. The ascension of Hermes, Aesculapius, Enoch or Idris, many names for the same hero, is an essentially Gnostic conception. Of Idris the Qoran says: "And mention in the Book Idris; verily he was a confessor, a prophet; and we raised him to a lofty

(1) Opera Inedita Rogeri Baconi, Fasc. V, "Secretum Secretorum", edidit Robert Steele, Oxford, Clarendon Press, 1920, vide Sections 32b and 33a, p. 36. The English translation is based on the Arabic Gothic Ms. (vide *Op. Cit.* fasc. V, p. 176).

one of the agents of Elijah. The pupils of Elijah never die unless they go over to black magic; but, when their mortal course is run, they are lifted up into heaven like their sublime master". The pattern is always the same and even the slight variations confirm their common descentance from Hermes Trismegistus. The essential Gnostic detests the essential Christian and despises him because Hermes is a saviour without a sense of guilt while Christ expiated on behalf of all the sinner. The strength of the one and the weakness of the other is the gnosis. The slighting terms St. Germain and Cagliostro used when Christ was discussed are but distant echoes of the greater quarrels of the Messianic Age.

Alchemists often called themselves the "Sons of Hermes" and called alchemy the "Hermetic Art", which establishes their direct descentance from Hermes Trismegistus. The very word "alchemy" comes from "khemi" the denomination of Egypt, mother of Hermetism, the Hellenized form of the cult of Thoth. The sealed egg-shaped pot in which alchemists performed their dangerous experiments of the Elixir Vitae was called the Vase of Hermes, or the Hermetic Vessel. The Four Elements of Aristotle were eventually cut down by the alchemists to the "tria prima" or the "three hypostatical principles" or the alchemical triangle which was at the basis of all alchemical research from the Middle Ages onwards. Of Fire, Water, Earth and Air, fire and water were the elements that counted and their physical counterparts were sulphur and mercury respectively, commonly thought to be masculine (sulphur), feminine (mercury), and their conjunction produced the philosopher's stone which was sometimes represented as a child. Salt was the third element. The three elements were worked out as symbols of soul, which was sulphur, spirit which was mercury and salt which was body. "Know, then", wrote Paracelsus, (1493-1541), "that all the seven metals are born from a threefold matter... Mercury is the spirit. Sulphur is the soul and Salt is the body... the soul, which indeed is Sulphur... unites those two Contraries, the body and the spirit, and changes them into one essence". The

We have also seen how the theory of the Divine Right of Kings is more latent in Hermetic philosophy than in the original Christian dogma, and was therefore more suited to the needs of the feudal system and its Catholic Church than it was to the needs of the middle class and its Protestant Church. To sum up, between the Crusades and the great efflorescence of the Renaissance both the aristocracy and the bourgeoisie were equally interested in Hermetism, the ancient regime in its static, and the new order in its dynamic principles. The gnosis solved the problems of both classes, with one difference that the Catholic Church, unlike the Protestant Church, hampered by the spiritual communism of original Christianity never went as far as to accept the gnosis in theory though it accepted it in practice. Gerbert or Pope Sylvester II (999-1003) attests to the truth of this statement. Like Faust he had intercourse with Lucifer personified in a black dog, and like Friar Bacon who created a brazen head that told the future and answered any questions put forward to it he was accredited with the introduction of clocks and Arabic numerals from Islamdom into Europe, feats of magic also attributed to Roger Bacon. The agent between him and the devil was an Arab or a Jewish sage possessing a book of magic, following the traditional pattern of the magus. His charmed magical palace is only reminiscent of Solomon's own, and, like practically all the magi of history, a legend gathered around his death.

The Rosicrucians and Freemasons threw up similar creative types who triumphed over old age and even renovated their own bodies and tasted of deathlessness like Signor Gualdi, the Count of St. Germain and Cagliostro. They had laboratories in which they searched for the Elixir of Life and similar forbidden things. "I hold nature in my hands", said St. Germain, "and in the same way in which God created the world, so too I can conjure forth everything I wish from the void". The Grand Copht, Cagliostro, (1743-1795), was a living reality when Percy and Mary Shelley lived and wrote. Of him it was written in 1779: "Cagliostro is

among the magi of the Renaissance, in which case the true beginnings of the Renaissance will have to be shifted back to such great historical landmarks as the Crusades and the disintegration of the Arab Empire. The toleration of magic, and even the participation in it, by the black popes indicates that the Hermetic tradition had by the Crusades penetrated into the inner circles of the Catholic Church. The theory of a Catholic Church admitting a form of gnosis or communion with the power of the beyond in its inner circles is not altogether a fantastic theory, considering that in the degraded Christianity of the close of the Middle Ages, chiefly concerned with the preservation of feudal interest, the spiritual brotherhood of man becomes itself a cumbrous dogma entailing formal and material concessions which the feudal aristocracy was not prepared to make. What was needed was a form of Christianity in which the privileged in worldly possessions were also privileged in spiritual dominion. The complete bankruptcy of human intelligence, postulated by Christianity in its militant phase, equalized all men in the virtue of ignorance and flattered the revolutionary aspirations of the slaves by removing at least one strong barrier between the rulers and the ruled, namely, the gnosis. In a fully consolidated feudal system admission of equality, even on a purely formal plane, was inconsistent with the social and economic structure based on irretrievable class distinction, if not a real menace to it. The pretence of spiritual equality was thus dropped, and a race of black popes possessed of the gnosis and having intercourse with Lucifer sprang into existence. In fact a Catholic Church supporting a vested hereditary aristocracy needed for its survival the rigid hierarchical system of Hermetism more than the dynamic and self-made bourgeoisie. If predestination or spiritual determinism suited the revolutionary purposes of the nascent bourgeoisie as much as historical determinism suits the revolutionary purposes of the proletariat today, it also explained away an aristocratic society only hanging together by the ties of primordial privilege and divine discrimination between the different categories of mankind.

Simon Magus, Cyprian and Faust to Gerbert, Roger Bacon, the Rosicrucians, the Freemasons, Saint Germain, Cagliostro, Madame Blavatsky and Rasputin, not counting her minor magi. We have seen how Plato and Pythagoras and their progeny represented during the Messianic Age the Hermetic tradition based on the gnosis while Christ stood for the repentance of the gnosis as the original sin of humanity. The same applies to St. Cyprian whose repentance makes him no more a magus than Christ. It is only the accredited Gnostics who form the true line of the magi.

Similarly, as regards the Rosicrucians and the Freemasons of the Renaissance onwards, Professor E. M. Butler fails to connect them with the Hermetic tradition and she shows preference for the theory of spontaneous generation. The fact that Hermetism had to go underground after its defeat by Catholic Christianity does not mean that it expired completely or that its revival in the Renaissance was not a revival but the spontaneous creation of a few gifted men thrown up by the new social currents of Renaissance Europe. The alchemists of the Renaissance represent a flourish of an already existing tradition and Hermetism had survived after its defeat in secret brotherhoods and underground societies whose spread during the Renaissance implied the coming into light of a sect that had once been forced into the darkness. At any rate the community of empirical thinkers from Roger Bacon to Goethe are known to have been initiated Rosicrucians, and in the list appear not only the names of Agrippa, Paracelsus and Jakob Boehme but also those of Francis Bacon and Descartes.

The difficulty is to define when the Renaissance really began and how far Hermetism was tolerated by Catholic Christianity in the days of the eighteen black popes between John XII (965-972) and Gregory VII (1073-1085). The list is generally extended by the Lutherans so as to include Alexander VI (1492-1503) and after. There is no reason whatever not to count the black popes

Carl Spitteler, author of "Prometheus and Epimetheus", also deals with the theme of robots in his "Olympian Spring" ("Olympischer Frühling"), but his robot is Ananke or Fate which is called the Automaton and which grinds both men and gods.

4

To return from literature to reality and from fiction to fact, we find that this creative urge in man and the desire to vie with the gods do not only find expression in the art of writing but also in the life of man, or rather in the lives of certain individuals, real individuals, who stand in symbolic relation to the ages they live in. We can also identify whole epochs of history as manifesting the same creative urge, the same desire to vie with the gods. Such individuals we have already denominated the Prometheans and such epochs Promethean epochs.

Between the Messianic Age and the Renaissance all varieties of Prometheanism disappeared. The ebbing away of Prometheanism in literature characterizes the whole cycle of history called the Middle Ages. In her admirable book "The Myth of the Magus" dealing with the Promethean personalities across the ages Professor E. M. Butler has given no names between the Messianic Age and the Renaissance. This can hardly be a coincidence. The "Downfall of the Magus", as she calls it, during the Middle Ages corresponds to a decline of the creative urge and a lack of desire to vie with the gods, i.e. an unconditional acceptance of the will of the Allfather caused by the triumph of Christianity. This is why we believe that Professor E. M. Butler has made an error by including Jesus Christ among her magi, though she explicitly states that "The downfall of the magus when antiquity waned was directly due to the appearance of Jesus Christ".

Simon Magus, yes, but not Jesus Christ. The line of magi as she traced them extends from Zoroaster, Moses and Solomon to Pythagoras, Apollonius of Tyana and Christ, and, from

years at the maximum after which period they become rusty and inefficient, are scrapped, smelted and refashioned. "The human machine", says one of the engineers, "is too imperfect and it was necessary to replace it... But it is a great progress to produce by the machine which is considerably more convenient and faster. Nature knows nothing about the rhythm of modern production, for, technically speaking, all childhood is altogether without sense. It is an intolerable waste of time". The same could be said of old age. Everything goes smoothly in this world of mechanical slaves. Humanity is spared all the drudgery of physical work to cultivate its higher parts. But instead of doing so, men indulge in indolence and sensuality, and in their egoism they even stop to procreate, and there comes a time when the race of robots outnumbers by far the race of men. To satisfy a caprice a certain Dr. Gall, one of the directors of the factory, is tempted by a woman called Helen to create robots endowed with consciousness, which he achieves after some labour, and that marks the beginning of the tragedy. For the new robots become conscious not only of their surroundings but also of themselves. Better organized and more numerous than men, the robots are led by their sentient fellows to revolt against the tyranny and egoism of man. The upsurge is dreadful, for the robots exterminate the human race and destroy the robot factory. It is like the first deluge, for only one man survives the universal destruction, namely Alquist, a savant and a sage through whom the race of robots is saved from utter extinction, for he alone knows the formulæ by which robots are manufactured. He chooses the best couple among the robots and endows them with Love and its natural corollary, Suffering. Intelligence alone is not enough, and if science is to bring new life into the world it can only be redeemed by Love.

Another drama by Karel Tschapek dealing with the same subject of creation is his "Adam Creator". It tells the story of an able inventor who fashions the superman and the superwoman. Being superhuman, the new creatures despise their own creator.

"Les Rubis du Tibet" by André Zwingelstein (1940), the "Ballet des Automates" by Daniel-Rops (1934), "Feu M. le Duc" by Paul Morand (1941) and a great many others, have all been discussed by Alfred Chapis in his "Les Automates dans les Oeuvres de l'Imagination" (Neuchâtel 1947). Though the theme of all such pseudo-scientific romances is the creation of robots, we refrain from giving detailed accounts of them as they have no special political significance.

Now we come to one of the greatest works dealing with robots in the twentieth century, namely Karel Capek's "R.U.R.". We are in the year 2000 when a certain Rezon, a great physiologist-engineer, succeeds in producing living substance, the protoplasm, and is thus able to manufacture all varieties of organisms, soulless men included. Rezon himself, being a militant atheist, wishes to abolish God who becomes really superfluous after man's discovery of his only inscrutable secret: creation. However, Young Rezon, his nephew, uses his uncle's discoveries for more useful purposes, the creation of a class of living and intelligent robots to work in factories and relieve mankind of all mechanical labour. Nor is he satisfied with the creation of specimen beings; for him robots are of no value unless they are produced on a large scale: "Tis folly to spend ten years on the construction of a single man", he said to his uncle. "If you can't produce men at a rate that beats the rhythm of nature, then go to hell with your invention". Young Rezon simplifies the process of production, then establishes a great robot factory in which he manufactures, then assembles, thousands of robots which are taught how to read and write, how to run the machines and, eventually, dressed up like men and women, according to the taste of the customers, when they are exposed for sale. The usefulness of robots is at once recognized by every one, and soon "Rezon's Universal Robots" is to manufacture automations by the millions, not only to supply individuals with servants but also to supply governments with soldiers to fight their wars. The great thing about the robots is that, unlike human beings, their term of service is: twenty

As the conception of machineless utopias by Butler and Morris expresses a profound political attitude, so does the conception of entire societies or entire classes of automatons contain a political significance.

"La Cité des Automates ou la solution inimitable" of Léon Massieu (1923) is to be found in an oasis in the desert of Westralia. The automatons of Massieu are a class of Androids performing the functions of the slave-caste. For the city of Vaucanson (this is the name of the utopia) is modelled after Plato's Republic, where men and women participate in the noble life of art while all the dirty work of the city (sweeping, cooking, building, etc.) is performed by automatons. There is a long tradition of creating Androids in the city, since its foundation by a descendant of Vaucanson, and the experiments of preceding generations are to be seen in the museum of the city. The greatest achievement of Vaucanson is a perfect Pandora who is a masterpiece of creation and the pride of the city, known as Astarte. A young French traveller who gains access to the city, beholding Astarte, is at once ravished by her beauty and decides to kidnap her. He carries her off on his horse and gallops away with her but, when he starts to make love to her, he realizes that she is only a pile of cogs and wheels. His bitterness is so great that he smashes Astarte and hurls her dismembered body into a deep precipice, then he returns to France to tell his story.

In "L'Ether-Alpha" of Albert Bailly (1929), a Jules-Verne prize winner, the servant class is also formed of mechanical Androids. Cecil Montcalm invents invisible flying machines that carry him and his fiancée to the moon which he finds inhabited by the sons of radium, a race more advanced than ourselves leading an electromagnetic existence. Montcalm is served by Diego a perfect automaton who sees and hears things only through the eyes of his master and has no brain of his own. Diego is nourished with electricity, and when he is drunk too much (with electricity) he appears phosphorescent.

Eugène Mouton (1881), "Jim Click ou la merveilleuse invention" by Fernand Fleuret (ed. Gallimard), etc.

Samuel Butler's (1835-1902) "Erewhon" (1875) and William Morris's "News from Nowhere" will always remain the greatest protests against mechanical civilization. From both utopias the machine is utterly banished and Samuel Butler even had to give up his watch before he entered his great city.

The creation of masses of automatons, instead of individual Androids, characterized the establishment of mass-production in the fields of industry and regimented mass-movements in the field of politics. Hence it was not possible in the earlier stages of bourgeois society. Procreation, we must remember, was forbidden to the Being of Frankenstein by Mary Shelley for fear that he might people the earth with a monstrous and unwieldy progeny. The problem of the Homonculus thus remained an individual problem so long as the system of production as a whole was predominantly individual in execution or, at any rate, individual in enterprise. It must be noted, however, that as mass-production is latent in the nature of mechanical production, so is the mass-creation of automatons latent in the conception of the mechanical Android. The Homonculus, on the other hand, lends itself less to propagation, though it is itself endowed with greater generative powers than the Android whose creation and multiplication depends entirely and at all times on the ulterior plans of its creator, man; and, although we can imagine with equal facility myriads of biochemical creatures incubating in myriads of test-tubes, yet, traditionally, the laboratory experiment has always had from the days of the Mediaeval alchemists a very individual, even intimate, nature. For the alchemist's private knowledge of cabalistic formulae, which constituted an important element in the creation of the Homonculus, is not required in the engineer. Physics was never an occult science except in so far as it shaded off into chemistry. There is no cabalistic tradition hanging about the creation of the Being by Frankenstein, and Mary Shelley has the merit of putting the creation of the Homonculus on a purely scientific basis for the first time in history.

is Hadaly and her description is given with more relish than the description of Pandora in Hesiod. It was the plan that Edison should change the countenance of Hadaly to make her look like Miss Alicia Clary, the superficial mistress of the young lord, but the young lord is so taken with Hadaly as she is that he no longer desires any change, but rather prefers the artificial to the natural creature. Hadaly could do what Alicia could not do, whisper enchanting words of love and adoration in the ears of her lover, words that had the magic of poetry and the poetry of magic. Hadaly first manages to say those things without feeling them as she is mentally controlled by another woman who inspires her not only with the words but also with the thoughts through some mysterious electro-magnetic contact. But in the end the miracle happens and Hadaly is able to think for herself and to speak for herself and feels every word she utters with passion far greater than the passion in the world of man. She is the Future Eve. Even Edison himself does not know how the transformation took place. Villiers de l'Isle-Adam, accepts the traditional attitude of mistrust in the works of man, for the Future Eve, on her way to England, sinks to the bottom of the Atlantic Ocean together with the ship carrying her. The ship founders in an accident and the secret is lost for ever, bewitching the imagination of modern man as that fabled island that gave the ocean its name charmed the mind of man in ancient days. The final destruction of the man-created creature indicates that Villiers de l'Isle-Adam followed the main tradition which attaches a profound sense of sin to the role of the Demiurge.

"L'Eve Future" has given rise to a great number of imitations, sometimes serious and sometimes facetious, such as "Monsieur Mézigue" of Clément Vautel and G. de la Fouchardière, "Aventures de Rouletabille" of Gaston Leroux as well as his "La Poupée Sanglante" and the "Machine à assassiner" (1924). Kindred types of modern fiction on the theme of robots and mechanical creation in general is "L'Homme truqué" by Maurice Renard (1921), "Le Voyage au pays de la quatrième dimension" by G. de Pawlowski (revised edition in 1923), "Contes" by

Thirty years later, Jules Verne, in 1880, returned to the creation of robots, on a strictly animal level. This time, in "La Maison à vapeur", the hero of the story is a mechanical steel elephant. In 1892 he wrote "Le Château des Carpathes", which deals with a similar theme.

The subject of Jules Verne's "La journée d'un journaliste américain en 2889" written in 1889 is an inventor of the future who arrives at resolving all the elements of nature to one simple element at the basis of all matter and is thus able to create a human being, human in every sense, except one, that he has no soul.

"The Future Eve" ("L'Eve future") of Villiers de l'Isle-Adam (1840-1889) is a magnificently written novel on the theme of Androids, but it does not follow the tradition which brings out the tragic element in mechanical civilization. On the contrary, it is full of hope for the new humanity. It ends with a miracle like most of the other treatments of the theme but it contains no crisis. For the "Future Eve" is the story of a certain engineer of singular genius called Edison, who, in the precincts of New York, successfully conducts his creative experiments. A young Englishman, Lord Edwald, who is a particular friend of the inventor Edison, passes through the most unpleasant experience of being in love with a woman who possesses all the physical charms but whose soul is insufferably shallow. There is no way out for the young lover, so after realizing the hopelessness of his situation he decides to commit suicide. He calls on his scientific friend Edison to bid him the last farewell, but Edison persuades him not to carry out his decision for there might be another chance yet, considering that Edison is already working on the creation of the New Eve who will at once combine physical excellence and the height of wisdom. The young lord gives his word. When the experiment is completed they both wait for her appearance with solemn anxiety. Edison bids his creature come out of a secret door, and instantly she appears before them and says "Eh bien ! mon cher Edison, me voici !". Her name

chronometric skill, and now the clocks of the town themselves stopped ; so did the clock of the cathedral. Presently, a curious man, no taller than three feet, with a metallic head and a plated chest, a monstrosity of no definable age, but believed by many to have been centuries and centuries old, with a nose sticking out like the pointer of a sun-dial and a pendulum swinging inside his broad chest in place of the heart, paid Maître Zacharius a friendly visit and ended up by asking the hand of young Gérande in marriage. Young Gérande, said Maître Zacharius had already been promised to young Master Thiin his own apprentice, and nothing could be done to change that. The rebuff was too hard for the Pendulum Man, who threatened to frustrate all that Maître Zacharius had already achieved and all that Maître Zacharius aspired for, and he was capable of fulfilling his threat, for he was no other than the Regulator of the Sun. As the visitor went out, Maître Zacharius heard his pendulum-heart tick six. His name was Signor Pittonacio and he lived in a secluded chateau on the topmost pinnacle of the Alps, where the only clock that still functioned was the last remaining glory and by far the most finished handiwork of Maître Zacharius. Anxious over the immortality of his name, Maître Zacharius went up to the castle of that robot and promised to give him his daughter in marriage. He wound up the great clock and lo ! as the clock announced every hour, there glittered on its dial profane mottos : "L'homme peut devenir l'égal de Dieu", "l'homme doit être esclave de la science, et pour elle sacrifier parents et famille", and so forth. But when the clock struck midnight there flashed the terrible warning and prophecy : "Qui tentera de se faire l'égal de Dieu sera condamné pour l'Eternité" ! Then the clock burst and fell into a hundred pieces while its spring jumped across the hall, and the aged or ageless Pittonacio writhed with pain and cried "Mon âme, mon âme". Maître Zacharius was struck dead by the miracle while Pittonacio picked up his spring and vanished into nothingness.

l'Absolu, and in 1846-8 Alexandre Dumas dealt with the career of Alessandro Cagliostro in his *Mémoires d'un Médecin*.

The statue of Moloch and the animated mechanical figures with which the priests of Carthage inspired terror in the hearts of the people have no direct relation with the automatism of the century. It is only with Jules Verne that the treatment of automatic figures reaches its most memorable phase.

"Maître Zacharius" (1854): one of Jules Verne's best known stories develops the theme of the Android to its inevitable conclusions and puts forward the case of the robot with perfect clearness. Maître Zacharius, the hero of the work, is a sixteenth-century Geneva clock-maker who lives in the company of his unsophisticated and rather attractive daughter Gérande and his apprentice Albert Thün. Maître Zacharius is more than a common clock-maker, for in addition to his incomparable skill in his art, he has the gift of inventiveness which enables him to introduce new systems and overcome all the deficiencies in the world of clocks. Hence his pride and keen sense of creative originality. He goes as far as to see in his clocks a concrete realization of the perfect union of body and soul, which constitutes the very essence of life. "Un rapport intime" says Maître Zacharius, "existe entre l'oeuvre de Dieu et la mienne; c'est sur sa créature que j'ai copié la succession des rouages de mes horloges". "Maître", answered his apprentice, "vous comparez une machine de cuivre et d'acier à ce souffle de Dieu qu'on appelle l'âme et qui anime le corps comme la brise communique le mouvement aux fleurs". Mais quelles pièces seraient si bien ajustées qu'elles engendrassent les pensées en nous". Gérande, too was terrified by the unholy thoughts of her father and argued as best she could to restore him to normalcy, but her efforts were all vain. One day, however, all the clocks of Maître Zacharius stopped at once for no knowable reason. Great was his rage and distress for he had earned for himself the reputation even of a magician by the wonders of his

Heinrich Heine (1799-1856) gives the story of an English mechanic whose great skill enables him to manufacture a robot that has and does everything a human being has or does, and his robot is even trained to be a perfect gentleman. The only thing, however, that robot lacks is a soul, and this supplies the crisis of the story, for Heine's robot is ever beseeching his creator to endow him with a soul, but in vain. K.L. Immermann (1796-1840) also treats the theme of living robots in his "Tulifantchen".

Automatism finds its way into the work of Edgar Poe (1809-1849), particularly in his "Chess-Player of Maelzel". Dickens (1812-1879) was also attracted by the theme of living automatons, and, in his unfinished "Master Humphrey's Clock" he imagines the statues of Gog and Magog coming to life in the Guild Hall of London whenever the clock struck midnight, and exchanging memories of the long-forgotten history of London. But Dickens's interest in animated automatons is purely the interest of the narrator who animates the inanimate to provide himself with an untiring story-teller of the type known in the "Thousand and One Nights".

In French literature the tragic issue of mechanical civilization is discussed by Théophile Gautier (1811-1872) in his collected papers written between 1830 and 1837 and published under the title of "Fusains et eaux fortes". In the chapter entitled "De l'originalité en France" Gautier declares: "Voilà pourtant où la civilisation nous a menés. Je ne doute pas que d'ici à quelque cent ans, on n'en vienne à arranger la vie de façon telle qu'un automate puisse en remplir les fonctions. Nous aurons des hommes d'Etat à ressort, des armées sur roulettes, des commis à rouages et contrepoids, établis dans les systèmes des tourne-broches, etc. Les enfants et les livres se feront à la vapeur. Peut-être notre vieux monde n'en irait-il pas plus mal ! Oh ! malheureux peintres, malheureux poètes que nous sommes d'être nés dans ce temps où il n'y a plus ni poésie, ni peinture ! ..."

Not long after, in 1834, Balzac drew the portrait of the temperamentally alchemical Balthazar Claes in *La Recherche de*

creating the image of a beautiful damsel so perfectly wrought that men took it for a real creature, and her name was Olympia. Nathanael, a young student living next-doors, fell in love with her. When she appeared in society men were dazzled by her radiance and though she was a trifle stiff in her movements, her unusual gestures were attributed to her embarrassment in the presence of so many people. She played the piano with the perfection of a machine and she sang like a nightingale that rehearsed its songs. Yet when young Nathanael danced with her a cold shiver ran through his body at the mere touch of her icy hands, and he could never recover from his amazement at the impossible precision of her steps as she circled round and round with the regular cadence of the music. Whenever he whispered words of love in her ears, she only sighed back saying "Ha! Ha!" She was like a fairy that had come out of fairyland. But alas! the fairy was soon to depart. For one day Nathanael calling on his lovely Olympia, overheard angry voices and many buffets that tore the air: it was Spallanzani and Coppelius fighting over that remarkable creature, each claiming the authorship of certain parts of her body, and Nathanael only realized that she was a wax statue when he saw her two eyes rolling on the floor. The shock was too great for him and his mind gave way.

Lovely female automatons were common before Hoffman. Rousseau dealt with the theme I Pygmalion and Galatea. Jean Paul has a chapter in his "Teufels Papiers" (1789) on a new and charming wooden bride. There was also "Madame Du Bois" whose story was collected by Hoffmann himself in a volume of humorous anecdotes published at Erfurt in (1792). Hoffmann also has the story a future-telling Turk made of cogs and wheels. His Professor Abraham is the inventor of many mechanical creatures. But the underlying idea of the majority of these tales is the sordid position of man between illusion and reality. This tragic conflict between the world of dream and the world of fact constitutes a central theme of Romantic literature and finds adequate expression in the work of Gerard de Nerval.

indeed, will yield no individuals, no egos worse than the egos fabricated by the materialists. Creative nature will vanish into thin air: nothing will remain save artificial nature, when the mechanists themselves become machines". This is one of the earliest satires on the mechanical craze that has been moulding the destiny of men ever since the Industrial Revolution began. Goethe treated the same theme in his "Zauberlehrling" or "Apprentice Sorcerer", who, having provoked by his imperfect magic the elements of nature, was unable to control them, with the result that he was their first victim. This theme, which Goethe took over from Lucian, was eventually handled by the musical composer Paul Dukas and became one of the important episodes in Walt Disney's "Fantasia". Another instance of Goethe's handling of the theme of automations is the story of Prince Oronaro who, in "Der Triumph der Empfindsamkeit" or "The Triumph of Sensibility", creates a statue of the queen he loves but finally prefers illusion to reality and falls in love with the statue itself. Wieland too (1733-1813) has a poem called "Idris" more or less on the same subject. As for Goethe's Promethean Trilogy it deals with the tragedy of the Demiurge in its bearings on the destiny of the Creative Artist.

The inherently tragic situation implied in Jean-Paul's "Personalien vom Bedienten und Maschinenmann" and in Goethe's "Zauberlehrling" demonstrates the deep suspicion with which many of the Romantics envisaged not only the civilization of the machine but also the cheerful dreams of creation that go along with it. The terrifying imminence of the on-coming catastrophe comes to the surface for the first time in Mary Shelley's *Frankenstein* where the symbol ceases to be a symbol and the inner crisis of our science-governed world is unfolded with brutal frankness.

In the famous "Tales" of Ernest-Théodore-Amédée Hoffmann (1776-1826) we have different specimens of Androids. We have the story of the Man of Sand in which Coppelius, an old lawyer, succeeds, with the help of the savant Spallanzani, in

this case, only that law of motion the sense-perceptible result of which is the formation of cells; for in this field, plant and animal, meet. This law is an eternal one, coming everywhere to expression, when conditions occur under which it manifests itself". Virchow is equally categorical in his mechanical materialism: "It is apparent from this that I took up the mechanistic conception at an early period, that I even thrust aside all dynamic views and admitted in the whole realm of natural science only static and moving bodies. Consequently living bodies could also appear to one only as bodies in motion, and their difference from the lifeless seemed to me to consist only in the peculiarity of their mechanical motion in so far as this contributes to cell-formation. My 'Vitalism' had to develop consequently to a mechanical cell theory from which there resulted further a similar mechanical cell-pathology". Dr. Frankenstein no doubt worked on similar assumptions. Erasmus Darwin who was reported by the scientific superstition of his days to have turned a piece of vermicelli into a worm showed marked mechanistic leanings that brought upon him the ill-humoured ridicule of Goethe."

One of the earliest writers to deal with the subject of Androids is Jean-Paul Richter (1763-1825), who wrote in 1798 a section of his "Palingenesien" or "New Birth" called "Personalien vom Bedienten und Machinenmann", dealing with the story of a certain person he himself visited, called Magnus, who availed himself of the most up-to-date inventions by which he regulated and rendered comfortable his own life, down to his very servants who were so styled that they resembled perfect automata. A certain apparatus woke him up, lit his fire, pulled his curtains aside; another looked after his daily toilet without any intervention on his part; he had an orchestra of automatic musicians, etc. Scores of mechanical devices he possessed and Magnus explains half-ironically that in the machine lies the future of the world: "Everything will turn into statues or mannequins, even those who will have created the statues and the mannequins. That,

a new slave for the greater comfort of mankind than to match man's aptitudes against those of the gods.

The history of Androids in the modern sense takes us back to great empirical philosophers like Francis Bacon (1561-1626) and to the founders of mechanical theory like René Descartes (1596-1650) rather than to legendary characters like Faust or men of dubious reputation like Paracelsus.

The starting-point of mechanical science is that the entire universe is a machine in perfect order, man included, though he may be for irrelevant reasons the pet creation of God. Descartes goes as far as to declare that "s'il y avait de telles machines qui eussent les organes et la figure extérieure d'un singe ou de quelque animal dépourvu de raison, nous n'aurions aucun moyen pour reconnaître qu'elle ne seroit pas en tout de même nature que les animaux". Again: "Tout est mécanisme dans les corps, tout est pensée dans les esprits" affirmed Descartes⁽¹⁾. To Pascal man is half an automaton, half a spirit, but he was of opinion that the spirit should dominate the automaton. The eighteenth century materialists notably Gassendi, La Mettrie and Diderot brought the mechanical conceptions of Cartesianism to perfection, so much so that La Mettrie, for one, stated that "Le corps humain est une horloge, mais immense et construite avec tant d'artifice et habileté que si la roue qui sert à marquer les secondes vient à s'arrêter, celle des minutes tourne et va toujours son train...". Laplace gave full expression to this attitude; so did Lavoisier in his own field when he announced to his generation that "La vie est une fonction chimique". Lotze's words are typical: "The natural scientist knows only bodies and their qualities; everything over and above this he calls transcendent, and he views transcendence as an aberration of the human spirit. If the natural scientist speaks of a life-force he understands, in

(1) Cf. La Bruyère in "Les Caractères" (1688): "Le sot est automate, il est machine, il est ressort, le poids l'emporte, le fait mouvoir et toujours, et dans le même sens, et avec la même égalité: il est fixé et déterminé par sa nature et j'ose dire par son espace."

he reached America where he took away his own life. Simultaneously, the laboratory of Professor Pancrace at Paris is seen ablaze, the "egg of life" being destroyed. What happened was that Lazare, by committing suicide, gave up a soul which was not his but that of Professor Pancrace. Professor Pancrace did not die, however, but lived on in an animal existence devoid of the divine spark. It was he who destroyed the "egg of life" that succeeding generations may not pry into his secret.

Le Singe is another French novel written jointly by Maurice Henard and Albert Jean dealing with the creation of Homonculi. The hero is Richard Cirigue who professedly follows in the wake of Faust, appeals to Prometheus the first creator and uses the authority of the early alchemists, Albertus Magnus, Raymond Lully, Flamel, Paracelsus, Quinton and Berthelot. His medium is physical chemistry through which he is able to create lower organic species, fruits, fish, quadrupeds and even those are created lifeless. Richard Cirugue dies before he reaches any definite results and his great task is completed by his brother, Claude Cirugue, who succeeds in creating a living double of his own person. The new being, though he has the physical semblance of Claude, possesses the soul of Richard. As soon as the being issues forth he springs on his own creator intending to destroy him, for in reality Claude is the deadly rival of Richard, whom Richard plans to remove at all costs. The double, Richard Cirugue tries to occupy his former place in life but he is soon found out and destroyed, dying for the second time.

3

To pass from the creation of organic Homonculi to the creation of mechanical Androids is to pass from the sphere of magic and quasi-scientific phantasy to that of more positive and disciplined experiment. The urge for creation and the desire to vie with the gods in their special art are present in the two types of thinking but with varying degrees. The conception of automatic robots is in the first place less ambitious and less heaven-defying than the creation of organic men, as it very often happens that the principle underlying the conception of robots is more to create

Burton's future wife, Margaret Dauncey, and surrendering to Haddo's spells she goes so far as to marry him, but he spares her his contact in compliance with the rules of magic and only uses her to perform hazardous things. Haddo proceeds to recemnet an old experiment made in 1775 by Johann-Ferdinand, Count of Kúffstein, who succeeded in creating embryos that happened to be destroyed by accident. His explicit desire is to vie with God in creativeness. Even in the work of Somerset Maugham the alchemists of the sixteenth century are evoked, and, in an inaccessible villa, Haddo is able to produce embryos which he has to nourish with human blood. His victim is Margaret Dauncey herself. Arthur Burton is too slow to save her but he finally destroys the magician Haddo, invades his mysterious laboratory and sets fire to the entire villa. A similar theme is the subject of a novel by the Spanish writer Jaciutho Gran, and of a kindred nature are the stories of marionettes coming to life, of which the best known is C. Collodi's *The Adventures of Pinocchio*, the Italian fairy tale translated into all the living languages.

L'aujour d'ie of the French novelist Jean de Quirielle is the story of a certain professor named Panrace who claims being able to kill a man by the mere exercise of his will and thus operating upon a criminal called Ronget achieves success. Eventually, Panrace also succeeds in bringing Ronget back to life by the communication of his will, life and soul, and he rechristens him Lazare. "Avonez", says Dr. Panrace to Dr. Silbourg, "que j'ai trouvé une partie du secret de Prométhée. Mais tout cela ne constitue qu'un commencement; les organismes que je créerais en réalisant ma grande oeuvre, seront à la fois infiniment plus simples et plus intelligents que ceux de l'homme: cette misérable machine!" And it was no empty vaunt, for Panrace did produce the "egg of life" from which the new humanity was to come out. Meanwhile Lazare, who had developed into a man of spotless moral conscience, cursed his own resuscitator for having endowed on him a pure soul without paying attention to his sinful body. Obsessed with this idea Lazare roamed about until

Of the same category are the Homunculi we read about in modern occult fiction and in the reports of modern occult science. The work of Pierre Devaux entitled "L'Avenir fantastique" is based on the experiments of Colonel de Roches, Paul Janet and others to endow with sense and sensitivity wax statuettes. G. de Pawlowski in his "Voyage au pays de la quatrième dimension" draws a picture of a new class of Homunculi who would replace the forced labour of feudal society and the paid labour of bourgeois society. In Pierre Devaux we have "le robot à moitié vivant, composé d'organes naturels accouplés avec des machines". His initial point is the revivification of the internal organs of a dead animal to which is attached the brain of a guillotined person: "Raccorde par des électrodes impolarisables à des conducteurs électriques, les tronçons du nerfs, tranchés par la guillotine, commanderaient des électro-aimants, des yeux électriques, des contacteurs, des moteurs, des porte-voix... Un robot effroyable s'avance, hybride de la machine et de l'humanité !"

Men of greater calibre in the world of science and thought such as Bergson have discussed the possibility of creating organic syntheses out of which could be obtained "le dessin extérieur de certains phénomènes d'organisation comme la circulation protoplasmique". Bergson, however, believes that the revivication of entire kidneys, livers etc. as well as the culture of tissues and their nourishment with synthetic blood which are accomplished results in the science of today, only yield "des déchets de l'activité vitale, les substances proprement actives demeurant réfractaires à cette synthèse".

A type of modern fiction dealing with the creation of organic Homunculi is Somerset Maugham's *The Magician* in which a young scientist of unusual abilities, Olivier Haddo, becomes versed in the occult lore and actually learns Arabic and Hebrew to study cabalistic formulas in their original texts. Wishing to avenge himself on a certain physician named Arthur Burdon, Haddo employs his forbidden knowledge to influence the mind of

Rabbi accepted to demonstrate his creature if he is promised utter silence during the performance. The promise granted, both creator and creature made their appearance in the Court but, unfortunately, the Court Jester whispered a joke in the ear of the Emperor's favourite mistress who in turn burst into profane laughter, and lo! a curse fell on the city. The insulted Golem turned into a devastating monster, and it was only by despoiling him of his amulet that he fell again into a lump of clay and peace reigned once more over the city. This legend attracted much attention lately, was the subject of a German silent film in which Paul Wagoner played and a French talking film in which Harry Bauer performed the part of the Emperor. The theme was also handled by the German writer Meyrink in his novel "Der Golem" (Munich 1915).

Paracelsus has left us in several of his works, chiefly in his "De Natura Rerum", the formula for creating Homonculi. He is particularly important to us as he is the leading source from which Shelley drew the inspiration of his early life, and which underlies the entire scheme of Mary Shelley's *Frankenstein*.

The fabrication of Homonculi in the laboratory of Dr. Faustus and his disciple Wagner belongs to the same period, if not earlier, and, though there is no trace of it in the work of Marlowe, yet it is preserved in the second part of Goethe's *Faust*. An offshoot or an adaptation of the story of Faust and Wagner is the story of Friar Bacon and Friar Bungay.

Not before the *Frankenstein* of Mary Shelley is the theme of the Homonculus himself or itself treated. All preceding literature dealing with biological creation by man discusses the creator rather than the creature. The Being created by Dr. Frankenstein is the first complete picture of a Homonculus in action. The Golem of course operated long before in the city of Prague, but the Golem is not, strictly speaking, a biological creation, as his life is not inherent in his clay but depends on a cabalistic formula hidden in the star suspended on his chest.

strange realms of the impossible and the miraculous that makes the very wealth of Mediaeval literature. However, the close of the Middle Ages and the dawning of the Renaissance were marked by the revival of interest in Hermetism and the attempt to realize Hermetic dreams of creation. The full expression of this revival of interest in creativeness is of course the coming to surface of Faustianism in the European society of the sixteenth century and the restoration both in folk-lore and in great literature of the central creative theme of the Messianic Age, in its Gnostic version of Faustus and Helen as well as in its Christian obverse version of Cypriano and Justina as treated in Calderon's "El Magico Prodigioso". This formally announced the return of the crisis to the soul of Europe, but in reality the Hermetic visions began as early as Gerbert.



The creative anxieties of modern Europe developed in two different directions: the realisation of the Homonculus or the Chemical Man and the realisation of the Android or the Mechanical Man.

The Homonculus was born from the alchemical visions of the masters of modern science, men of mysterious and exceptional talents versed in science, in magic and in legend when all three were aspects of the same tradition. The quest for the Elixir of Life was their concern, and they thought they had discovered it in the roots of mandragora distilled in dangerous phials, vitalized by wondrous abracadabra and administered with esoteric and cabalistic rites in which Mephistophiles himself was high-priest.

The oldest known specimen of the Homonculus was the Golem of Prague, a lump of clay brought to life by Rabbi Loew who endowed his creature with a soul by placing the written formula inside a star which he stuck on the Golem's chest, a perfect amulet. On hearing of this great event the Emperor sent for Rabbi Loew to present his Golem to the Court. The

containing wine distilled from and soaked with the herb of love, becomes indissolubly tied to Isolt. Separated from his fair Isolt, he marries another Isolt known as the white-handed, but his soul ever yearns for his first love:

"After this marriage, Tristan, conqueror of the Moldagoge giants, acquires from those much wealth and many workmen whom he bids construct in a hollow rock, shaped like a vault, a hall which he embellishes with lovely 'images' with the help of goldsmiths and other artisans.

"In the middle of the vault they erected an image whose proportions and countenance were wrought with such perfect art that no beholder ever doubted that life animated all its members, and endowed with such accomplished beauty that there was not her peer in the whole universe. Her lips exhaled such a sweet breath that its scent filled the hall with the aroma of all the rarest herbs blended together. It was by Tristan's cunning that under her breast, in the place of the heart, a cavity was made to hold a box full of musky herbs, the most precious in the world.

"From this box two little pipes parted, both of the purest gold, one conveying perfume to where the hair met the back of the neck, the other to the mouth. And the image resembled the Queen Isolt so much in attitude, in loveliness and in stature that they looked one and the same person. So blooming was she that she appeared alive".

The theme, which is reminiscent of the creation of Pandora in Hesiod and in Hermetic literature (*Vul. Mead's Thrice Greatest Hermes*), was taken up by the Minnesingers and it also recurs in the legend of the Holy Grail. There are also in the Middle Ages and in the Renaissance episodes of wax images with a fetishistic value, to destroy which is to destroy their originals: statues coming to life to take revenge on Don Juan, theme eventually exploited by Molière and after him by Mozart, etc.

Such visions of a luxuriant imagination very often served no purpose other than that of idle phantasy or romancing in the

Later on, with the final establishment of monotheism all creativeness became the monopoly of the Allfather and the Symbol of Pandora, where it was no entirely assimilated in the conception of Eve. Borrowed on, not as a feat of genuine creativeness, but as the work of magic. To allow for an enchantress not created by the Allfather was to allow for rival creators coexisting in the universe. Hence, from the Messianic Age onwards, through the Middle Ages, the creation of Pandora was replaced by the creation of the more humanized enchantress Helen, or Luna as she was sometimes called, the mistress of Simon Magus and the divine prostitute of the Gnostics.

Helen reappears in Mediaeval lore in association with practically all the converted Christian saints at the critical period of their lives, the temptation period. The classic pattern is the biography of saint Cyprian from which we know that before the issue was quite decided in his soul he evoked the phantasm of the beautiful Helen with the aid of the Devil. The anticlimax came when God made him realize that the Helen evoked by the Devil was not a real person but an empty phantom conjured up by black magic. Similarly, Helen appears in connection with Faustus who missed his sainthood by a hair's breadth, and would have been duly canonised like Cyprian if he had not signed the charter with his own blood. The beginnings of Faustus are in St. Augustine. In the Messianic Age, however, men were too near the source of wisdom not to understand that Helen symbolized the "gnosis", the enchantress who stood between two civilizations, enthralled with her bewitching smile half the world and would have enthralled the other half had she not been surrendered by Prometheus to the Allfather.

The theme of the beautiful enchantress created by the power of magic reappears in the chivalric literature of the Middle Ages but gradually loses its original significance and acquires a more human value. In the story of Tristan and Iseult this tradition is preserved. Tristan, who partakes with Iseult of the magic philtre

two armed automatons who weave circles in the air with the iron instruments they carry. (See Léon Gautier, *Les Epopées françaises*, vol. III).

Similarly, in the French Mediaeval legend on the "Voyage de Charlemagne à Jerusalem et à Constantinople" we are told that "On his arrival at Constantinople the great emperor and his peers are received by King Hugues who introduces them into an immense hall constructed with magnificent craftsmanship and round which stood a hundred marble columns all encrusted with fine gold, each supporting a child in bronze blowing an ivory trumpet. When the storm rages all the palace is shaken and the bugles sound and turn like drums or peals of thunder or huge waving bells, and the children look at each other and laugh so naturally that you would think them all alive. The uncouth barons of the emperor go through the unpleasant experience and soon find themselves upturned on the floor, full amazed, while the statues bugle to one another and smile". Of the same pattern is the episode in the story of Parcifal of the two images, one of gold and the other of silver, placed outside the tent, the first to strike any "villain" who trespasses on those grounds the other to play false notes should a common maiden approach to the tent:

La harpe sonne la discorde,

De la harpe rompt une corde.

The creation of Pandora passed through devious transformations with the gradual change of the world from free polytheism to strict monotheism without losing any of its symbolic value. In the days of Hesiod it was possible that Pandora should be fashioned by the entire Greek pantheon. During the Messianic Age, when humanity narrowed down its polytheism to an Allfather, a Demiurge of Parts and a Winged Word flying upwards and downwards communicating Divine Will to the world of man, Pandora became the creation sometimes of Prometheus the Demiurge; at other times of Hermes the Logos.

day. This, however, was not the only creation of Hephaestus for the *Iliad* (Canto XVIII) tells us that he fashioned twenty three-legged stools, moving by themselves on wheels of gold to the meeting-place of all the gods, that the immortals might be royally seated. The palace of Hephaestus, the *Iliad* also tells us, was guarded by statues made of gold, "resembling animated youths to whom power, thought and speech have been given, the immortal gods having taught them their duty, ever to remain by the side of their King".

The best known legend of animated statues in the ancient world is the legend of Pygmalion, King of Cyprus, who, having carved the statue of a lovely maiden and prayed to Aphrodite to breathe life into it, which prayer was granted, he fell in love with his own creation, Galatea. The identification made elsewhere of Aphrodite, Ishtar, Isis, Venus, with Pandora, Pallas and Minerva, or at any rate their fusion as symbols, shows that the legend of Pygmalion could have been an offshoot of the Promethean cycle and that Galatea is one of the many aspects of Pandora.

The Mediaeval world both in Christendom and in Islamdom, had its autokinetic figures some of which were survivals of the past while others were its own. In the "Thousand and One Nights" (Night 49) Prince Sharkan saw in one of his expeditions in Asia Minor, statues that spoke, sang and moved at the court of Queen Abrizah. The Europe of the same period, chivalric Europe, and hermetic Europe, was peopled with such autokinetic creatures. In the cycle of King Arthur and the Knights of the Round Table, there is the statue of a brazen knight, armed cap-à-pied, and stationed at the threshold of a castle, ready to strike with his uplifted axe at a glance from his master. Elsewhere in the Arthurian Romances Sir Launcelot of the Lake, the companion of King Arthur, saw at the entrance of a castle two mechanical guards each carrying a heavy sword with which he wove circles in the air to block the passage of any stranger. The French Mediaeval epopee of "Huon de Bordeaux" also has

THE ALCHEMIST IN ENGLISH LITERATURE

I.—FRANKENSTEIN

BY

LOUIS AWAD

A.—BACKGROUND.

1

The dream of creating autokinetic beings, whether organic or mechanical, is one of the oldest phantasies of humanity. The dream of creation betrays an inherent desire in man to vie with the gods. The fact of biological reproduction, itself a high form of creativeness, never fully satisfied the sense of divinity which humanity has always possessed, for biological reproduction, in addition to its animal basis, intensifies rather than does away with man's feeling of the First Cause or the primum mobile that moulded or animated the first prototype of the species. The desire to play the part of the First Cause is at the root of all human vision of a man-created creature. It is the very essence of Prometheanism.

Prometheus was not the only creator the ancient world knew. Ptah, the Egyptian Hephaestus, created men long before Prometheus did, not to mention the clay creatures of Khnum. Hermetic literature is full of the glorification of Ptah the creator. In the Greek world Hephaestus, we know, created out of a certain alloy an enormous giant named Talos and gave him as a gift to Minos, King of Crete to watch over the shores of that island, and the vigil made the round of the island three times a

CONCLUSION

Nous évoquons le cas de Joseph non sans arrière-pensée. Pour tout dire, il nous semble qu'il mérite d'être mis en regard de celui d'Emheb, *lui aussi Intendant en-chef d'origine palestinienne*, et d'être étudié d'une manière approfondie, ce qui ne pourra être fait que lorsqu'on disposera de *toute l'inscription biographique* de la stèle d'Edfou.

Nous ne croyons pas que même quand cela sera chose faite on ira jusqu'à *identifier* Emheb-Mahabeh avec le patriarche biblique. N'empêche point qu'on *relève chez les deux plusieurs points communs* et que l'on considère la stèle d'Emheb comme un document précieux pour les études bibliques et, en particulier, pour l'établissement des bases historiques de la légende patriarcale, *laquelle pourrait à la rigueur s'inspirer d'elle*.

DESIDERATA



Nous souhaitons donc deux choses et nous sommes sûr d'exprimer en même temps les vœux de nos collègues s'intéressant à l'inscription biographique du "*Nourricier universel—renouvelant la vie*" Emheb, à savoir :

1. Qu'on fasse un sérieux effort pour retrouver la stèle portée manquante tant dans les magasins de l'Institut Français d'Archéologie Orientale que dans ceux du Musée Égyptien (¹) ;

2. Que soit publiée l'inscription intégrale, sans attendre la redécouverte de la Stèle, en se servant de la photographie, laquelle, abstraction faite de quelques collations, serait suffisante.

Le Caire, octobre 1950.

(¹) Nous l'avons recherchée deux fois au Musée Égyptien avec l'aimable autorisation de sa Direction et avec l'assistance de ses fonctionnaires et de quelques collègues. Nous avons exploré les salles fermées, mais pas les sous-sols. Les réserves de l'Institut Français sont restées, elles aussi, hors de notre atteinte.

Nous nous bornerons donc à suggérer qu'au début du "nom" conféré par le Pharaon à Joseph il y avait, apparemment, le mot  qui pourrait être une transcription de *d i' y*, et qu'à la fin, il y avait le mot  dans lequel on pourrait reconnaître à la

rigueur   'n*h*.

Ces deux mots figurent dans les titres d'Emheb.

Cependant ce n'est pas seulement sur cette évidence qui attend encore d'être fermement établie et complétée qu'on puisse faire un rapprochement entre le patriarche biblique et le prince égyptien. Il y a des faits beaucoup plus probants, à savoir que les deux étaient de provenance palestinienne, qu'ils occupaient le même poste d'intendant général et qu'ils avaient acquis une ascendance absolue sur ses subordonnés.

Tout cela, espérons-le, sera tiré au clair par la publication intégrale du texte biographique d'Emheb qui a eu le temps de bien mûrir depuis la date déjà ancienne de sa découverte.

Si les petits traits disent quelque chose—et en effet cela arrive souvent—nous n'aurions pas manqué, en guise de *post-scriptum*, de mettre en regard ce que dit le Pharaon à Joseph en conférant à celui-ci le poste exalté d'Intendant Général :


אני פרעה וכל עמך לא ירים איש את ידו ואת רגלו
בכל ארץ מצרים

"Je suis Pharaon ! Mais sans toi *personne ne bougera sa main ni son pied dans tout le pays d'Égypte*" (1).

Cette phrase nous rappelle de près ce qu'Emheb dit sur son compte dans la ligne 5 de son inscription. Nous l'aurions cité volontiers, mais encore ceci se trouve "au-delà de la limite" (nous faillîmes dire—de la "parallèle") !

(1) *Genèse*, XII, 14.

surtout sous l'empire d'une vive émotion, aussi bien que par désir de mettre en relief telle ou telle chose, ou par snobisme. Le "camouflage" de notre prince cananéen naturalisé en Egypte pourrait bien faire droit à l'une de ces tendances.

La présence de mots sémitiques dans les textes du Nouvel Empire n'est pas d'ailleurs chose inconnue. A comparer, par exemple, les chefs des "Neuf Arcs" vaincus par le pharaon Mineptah qui crient . C'est bien le mot hébraïque שלום *shalom* ⁽¹⁾. On trouve aussi des stèles où sous une figuration égyptienne, accompagnée d'hieroglyphes, figure une prière en syriac. Ce sont des monuments commémoratifs de Cananéens, lesquels pareillement à Emheb résidaient en Egypte et s'étaient ensevelis. Toujours est-il que comme notre prince-intendant ils s'étaient donnés des noms locaux. Citons comme exemple la stèle de la dame syrienne portant le nom parfaitement égyptien d'*Akhet-abou* ⁽²⁾.

Par contre, dans un texte hébraïque il n'y a pas lieu de s'étonner de trouver des mots égyptiens. Il suffit de se souvenir du cas célèbre de Joseph à qui le pharaon confère un "nom" lequel à l'examen s'avère être, tout comme dans notre cas, *une phrase*. La "Genèse" en parle en termes suivants :





וַיִּקְרָא פַרְעֹה שְׁמֵי-יוֹסֵף צִפְתָּן פַּעֲנֵחַ ⁽³⁾

Il serait hasardeux de tenter à la légère la traduction de ce passage qui a résisté jusqu'à présent à de nombreuses tentatives de gens beaucoup plus compétents que nous en cette matière.







(1) *Stèle d'Israël*, 1. 26.

(2) A. ERMAN, *Religion*, 2^{ème} édition, p. 293 et fig. 121.

(3) *Genèse*, XLII, 45.

chose" (1) et  = "נִינְאָתָא" avec  ,
  "entrer en compétition"; "se mesurer avec
quelqu'un (sur le champ de bataille ou ailleurs)" (2).

En définitive, les cinq mots faisant partie du prétendu nom propre dont le troisième et le quatrième sont de souche cananéenne (et le cinquième pourrait être autant cananéen qu'égyptien) se présentent de la manière suivante :

    (נִינְאָתָא)   (i)
nty m yārah tnuāt i (i)

"Celui qui était dans la crainte de mon opposition (ou : de ma compétition)" (3).

(1) "Das Schrecken vor einer Person ... mit Genitiv oder Suff." *Wörterb.*, III, p. 148.

(2) *Ibid.*, V, p. 311, 4. Se dit aussi du roi qui est "grand" et "fort" (pendant la bataille), *l.l.*, et de la "muraille qui est solide", *l.l.*, 2.





(3) Il est à remarquer que la phrase 'k'n d'd nty n y'rah tnuāti ne soulève aucun doute du point de vue de grammaire, les pronoms relatifs positif (nty) et négatif (nty), en tant que sujets des formes verbales *sg.m.f* et *sg.m.f* étant bien connus. Citons comme exemples :

Forme positive. On ne trouve aucune difficulté de concevoir le passage du "Naufragé" (l. 37), où il est question de la disparition du

bateau, sous la forme suivante :     

"Ceux qui étaient là-dedans (i.e. dans le bateau) moururent" (cf. GARDINER, *Grammar*, p. 155, b, 2 : "those who were in the ship died").

En éliminant dans un autre passage du même conte (l. 171-172) le page.




on obtient cette phrase parfaitement correcte    


     "ceux qui étaient


aussi bien que le nom du propriétaire de la stèle lui-même, lequel bien que portant un nom d'apparence incontestablement égyptienne pouvait cacher derrière lui un nom de la même provenance que celui de sa mère.

En présence de ces antécédents il se posa devant nous la question suivante : *nos deux mots insolites, ne pouvaient-ils pas être, à leur tour, de la même nature ?*

Ils s'avérèrent, en effet comme tels.

Le mot  *yrh* n'est autre que יְרָה (1) signifiant "crainte" ou "terreur" (2), et  *int*, c'est le תְּנוּצָה status pronom. du mot תְּנוּצָה signifiant "opposition" (3). Un exemple biblique nous présente notre mot suivi du suffixe sing. masc. de la 1ère personne, exactement comme dans notre cas : יְרָהּ תְּנוּצָה (4) (= ), dans la phrase יְרָהּ תְּנוּצָה (5) "vous saurez ce que vaut mon opposition".

Les deux mots hébraïques en question ont des équivalents égyptiens assez proches. A comparer  avec

 "par crainte de quelqu'un ou de quelque

(1) Cf. la forme néo-hébraïque יְרָה dans LAZER-TORZYNSKI, *Deutsch-Hebräisches Wörterbuch*, Berlin und Wien. 1927, p. 235.

(2) W. GRESSNIUS, *Handwörterbuch*, édit. angl., p. 432.

(3) *Ibid.*, p. 626 : "my opposition".

(4) *Ibid.*, l.l.



(5) *Nombres*, XIV, 34.

nom gordien dont le mystère ne pouvait être résolu qu'en le tranchant. ou il serait plus juste de dire—en le sectionnant.

Faisant confiance à cette supposition. nous décomposâmes le prétendu nom en cinq mots que voici :







De ces cinq mots, les deux premiers et le dernier étaient parfaitement clairs. Ce sont respectivement le pronom relatif *nty* (graphie archaïsante), la préposition *m* et le suffixe de la première personne du singulier *i*. Cela réduisait à moitié le mystérieux "nom". Mais il restait encore à identifier les deux mots médians, *yrlh* et *t(i)nt*. Ceux-là semblaient plus résistants et mener vers une impasse la juste au début si promettante. Toutefois, à la longue il se présenta à nous une issue, et c'est le premier des deux mots insolites qui nous indiqua le chemin à suivre.

Le signe  au début du mot  nous parut étrange, ou en tout cas très rare, tant que nous tenions ce dernier pour un mot égyptien. C'était là une indication que nous avions devant nous très probablement *un mot étranger* ⁽¹⁾. Sous ce rapport, il nous souvint la mère du prince Emheb, laquelle portait, comme nous l'avons relevé plus haut un nom de souche sémitique,

(1) Cf.  *y'srael*,

   *yébul* "courant, rivière" 

(cf. la graphie égypt. , dans   *מגדל-נת* de la Stèle d'Aménophis II de Mit-rabineh l. 22,  *yod* "sage", etc.

Il en est question dans le passage suivant faisant partie de la troisième ligne de l'inscription biographique (*v. supra*).

On croit devoir le transcrire de la manière suivante :

'*h* n *did* n. (*i*) *T* (*i*) *m* (*y*) *r* (*h*) *t* (*i*) n (*i*)

et de traduire comme suit : " *Alors Tmrtn me dit ...* "

Le nom de l'adversaire d'apparence insolite est la pierre de touche de toute l'inscription. La manière apparemment syllabique dont il est écrit a fait penser à ceux qui se sont intéressés à l'inscription et nous en avaient fait part qu'on avait affaire à un *nom étranger*. Il restait à connaître le lieu de provenance de son mystérieux porteur.

Certains optèrent pour le Sud et crurent reconnaître dans *T* (*i*) *m* (*y*) *r* (*h*) *t* (*y*) n (*i*), ou *Tmrtn* tout court, un *Nubien*. D'autres préférèrent l'Ouest et tinrent l'inconnu pour un chef *libyen* (de là il n'y avait qu'un pas à faire pour postuler la thèse d'une guerre nubienne ou libyenne). Mais pourquoi le chef barbare s'était-il pris à Emheb qui affichait ses occupations pacifiques, et non pas au batailleur sanguinaire, son maître ? Cela devait paraître étrange, mais n'était pas un obstacle insurmontable dans le cas où la provenance du personnage en question était sûre. Mais tel n'était aucunement le cas. Il en resulta qu'il y avait de ceux qui tournèrent leurs regards vers l'Est et le Nord pour faire passer l'inconnu pour un *Palestinien* ou un *Syrien*.

Nous n'avons pas fait exception à la règle et comme les autres nous avons accompli le long et pénible travail d'identification en nous orientant, à tour de rôle, vers les quatre points cardinaux. A la longue, nous nous sommes rendu à l'évidence qu'aucun lieu de provenance de notre mystérieux personnage ne tenait ferme, et l'un après l'autre nous avons abandonné les thèses, nubienne, libyenne et syro-palestinienne.

Que nous restait-il à faire sinon de supposer que le point de départ était faux et que la suite d'hiéroglyphes en question représentait aussi peu un *nom* que le *Kann-nicht-verstehen* du conte allemand, bien que quelqu'un, en toute simplicité, le tenait pour un tel. Nous nous dîmes que nous étions en présence d'un

avec le mot de genre masculin  (¹). Le nom cent pour cent

égyptien    ne serait dans ce cas qu'un *'emoudaye*,


pareil à celui dont il sera question plus loin. Notons que la signification du mot hébraïque *mâ-hibûh* "refuge" irait fort bien à notre prince, *Nourricier-de-tout-le-monde*, qui s'est donné en guise de nom égyptien un mot qui pourrait signifier "Celui qui vient en triomphateur". N'a-t-il pas résolu avec succès la tâche ardue de l'approvisionnement et, *last but not the least*, n'est-il pas sorti vainqueur lors des compétitions avec le mystérieux personnage dont il est question dans la phrase



Voyons ce que cette dernière nous apprend sur le compte de l'adversaire de notre intendant en-chef.

LE NOM PRÉSUMÉ D'UN QUATRIÈME PERSONNAGE


Après nous avoir fait connaître dans des termes pittoresques qui lui étaient propres comment il arriva à bout de tous les fonctionnaires de l'approvisionnement (*rudw nb*) et s'imposa comme dictateur en vivres, le prince Emheb nous parle du défi que lui avait lancé un certain personnage.


(¹) Dérivé du mot  "cacher" (arab. حَبَا, assyr. *habû*). A com-

parer      signifiant également "cacher" et

dont l'équivalent hébreu pourrait être  (arab. حَفَى).

ainsi . En voici un autre exemple du même genre :

 (1). Somme toute, la graphie des deux radicaux formant notre nom, de provenance cananéenne

 est as-sz rare, mais aucunement impossible.






La mère du propriétaire de la stèle d'Edfon pouvait être Syrienne ou Palestinienne. Nous optons plutôt pour la dernière alternative étant donné que dans le texte biographique de son fils nous retrouvons des mots à racines hébraïques (v. *infra*). En ce qui concerne la signification du nom rappelons que dans la poésie le mot *bâmâ* veut dire "hauteur" et que dans la prose il a toujours une signification spéciale, celle d' "éminence" ou de lieu où l'on fait le sacrifice (haut-lien) (2). Il veut dire également "champ de bataille", "montagne", etc.



Dans le cas où le nom de la mère d'Emheb signifiait "éminence" en tant que lieu de culte, on pourrait, peut-être, voir dans Hathor, figurant dans la stèle, une divinité à elle. La déesse se tient à côté d'Horus d'Edfon qui, lui, pouvait être la divinité titulaire de son fils. De l'autre côté, l'on se demande si ce n'était pas là une indication que la mère, une dame de souche cananéenne, ne provenait pas de Dendérah dont les rapports religieux avec Byblos sont connus et si derrière la déesse locale il ne se cachait pas, à son idée, la "Dame de la Montagne" (Hathor gibilite) ou une Ashtarot palestinienne. Le chose nous paraît fort probable.









Le fils de la dame  *Bâmâ* porte un nom apparemment tout égyptien. Le choix de deux éléments le constituant, *Em-heb*, pouvait toutefois être dicté par leur similitude
















(1) *Urk IV*, p. 790, No. 212.

(2) *Ibid.* (1899), p. 313.

En gardant  tel quel, nous obtenons le mot *Bûmû*, le même que dans notre stèle d'Edfou et dans l'exemple biblique cité plus haut (Ézéchiel), avec cette seule différence que le trait unique | et les deux traits || (remplacés par ) changent de radicaux :  , dans un cas, et  || (écrit ) , dans l'autre.

En ce qui concerne la graphie du nom de la mère d'Emheb, nous devons relever ce qui suit. Il se compose de deux radicaux, *b* et *m*. D'ordinaire ils sont suivis de compléments phonétiques qui en font des syllabes. Pour le *b* les compléments en question sont  ou  ,

 ,  etc., et  ou  (faisant partie des mots courants, tels que    

BOΛ "dehors" et    "char"). Il arrive parfois que *b* soit écrit sans complément phonétique (par exemple     ⁽¹⁾ ;     ⁽²⁾ , etc.) ou qu'il soit suivi du complément  . C'est précisément ce que nous avons dans notre cas. Les exemples connus sont de la même époque que notre stèle, c'est-à-dire, de la XVIII^e dynastie. Les voici :    (var.

(¹) *Crk.* IV, p. 788, No. 130.

(²) *Ibid.*, p. 790, etc.

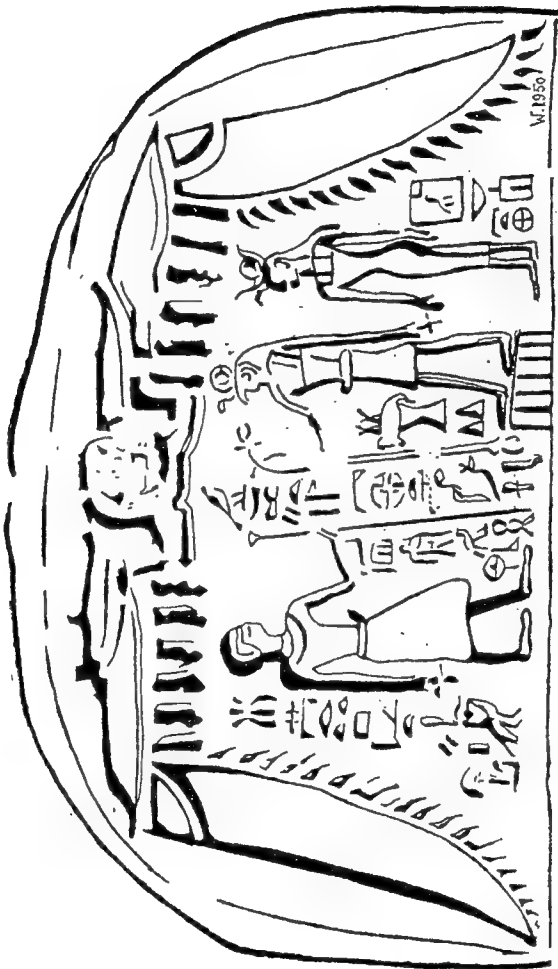


























Fig. 2.

A comparer le mot assyrien *bāmāt* dans les Psaumes babyloniens ⁽¹⁾ et la forme hébraïque *bāmō-thē*, dans les textes poétiques ⁽²⁾. En tant que désignation de *n-m* nous le trouvons dans *Ézéchiel*, XX, 29 :  "et le nom de *Bāmā* (haut-lieu) lui fut donné".

Notre mot se rencontre dans les *Annales* de Thoutmès III. Il s'y présente sous la forme de    ⁽³⁾. Burchardt qui l'a signalé croit être en présence d'une erreur et devoir corriger  en  ⁽⁴⁾. Il en résulterait le mot  *bāmot*. On se demande s'il est vraiment nécessaire de changer quoi que ce soit dans la graphie du mot en question. Le groupe   était employé plus d'une fois et faisait partie des mots où le changement proposé par Burchardt n'avait aucune raison d'être. Tels sont les mots de localités      ⁽⁵⁾ et     ⁽⁶⁾, etc. C'est une graphie syllabique du son *m*. Nous trouvons les deux manières d'écrire le *y* combinées ensemble dans le mot     ⁽⁷⁾ (à lire  ) ⁽⁸⁾.

⁽¹⁾ H. ZIMMER, *Babylonische Baupsalmen*.

⁽²⁾ W. GESenius, *Handwörterbuch*, 13 édit., p. 111-112 = *Hebrew Lexicon*, Oxford, 1929, p. 119.



⁽³⁾ *Urk.* IV, p. 781, No. 7.




⁽⁴⁾ M. BURCHARDT, *Altkananäische Fremdwörter*, etc., p. II, 19, No. 340.















⁽⁵⁾ *Urk.* IV, p. 799, No. 160.

⁽⁶⁾ *Ibid.*, p. 793, No. 308.

⁽⁷⁾ *Ibid.*, p. 793, No. 310.

⁽⁸⁾ Burchardt ne rapproche pas  de  et suppose que le premier groupe est dû à une erreur de lecture du signe (*op. cit.*, p. I, 19-20).




A comparer le même signe aux lignes 2 et 3 (1). La présence du participle passif *mry* après les noms des deux divinités titulaires est attestée, de l'autre côté, par les titres  *df, y* (2) et  *uḥm 'nh* lui faisant suite et se rapportant *incontestablement* à Emheb. Les mêmes titres se retrouvent à la ligne 3 du texte principal, et là leur appartenance à Emheb est également de toute évidence. Dans ce dernier cas, le titre *df, y* est suivi du complément  *hr-nb* (3) “(de) tout le monde”. Celui-ci manque dans le cintre, tout simplement, faute de place.

Le nom de la mère d'Emheb    n'est pas ordinaire(4). Les listes onomastiques de l'Égypte ancienne l'ignorent. A part cela il est écrit *d'une manière syllabique*. Ceci et cela nous fait penser à un nom étranger. Les radicaux *b* et *m* évoquent dans notre mémoire        *ba-am-ma-a-tu-u* “haut lieu”, “éminence”, “montagne” (en tant que lieu de culte) (5). Le mot de la même racine se rencontre souvent dans la Bible et ailleurs. Il s'écrit . Au pluriel et au *stat. constr.* nous trouvons à la place de  un  (6). La signification du mot est la même qu'en assyrien. “L'inscription de Mesha” en fait également état (1. 3 et 27) sous la forme .

(1) Ceci ne peut être fait, pour le moment, que par ceux qui ont une photographie de la stèle.

(2) Un titre très ancien, figurant déjà dans la tablette en ivoire de Nakada, dite de Ménéès (voir nos “Monuments archaïques”, dans *Ann. Serr. Ant. et Bull. Inst. d'Égypte*).

(3) Voir notre “À propos d'un extrait, etc.”, dans ce *Bulletin*, vol. IX, mai 1947.

(4) Le  qui précède le nom de la mère appartient à son titre. Cf. la graphie   dans *Wörterb.*, II, #16.

(5) W. MUSS-ARNOLD, *Assyrian Dictionary*, p. 172.

(6) Cf. p. ex., le roi Josias qui nettoie le pays “des hauts-lieux” (I *Rois*, XIII, 2, 32, 38, II *Rois*, XXIII, 5-20. II *Chr.* XXXIV, 3).



FIG. 1.








principal, c'est-à-dire, de droite à gauche. L'inscription se rapporte *en entier* au propriétaire de la stèle. La voici :




(I-II) *D'Horus d'Edfou, dieu de la Ville*
et d'Hathor, maîtresse de Denderah } *l'Aimé, le Nour-*
ricier, Celui qui renouvelle la vie;

(III) *l'Intendant en-chef de l'Administration des greniers,*
Emheb,

(IV) *né de la Princesse Bâ m â.*

Le dieu se tient sur un support ayant l'apparence d'un 
 Il se peut qu'il s'agisse d'Horus     "qui
 est sur son tertre". Une autre particularité serait le  et le
 tournés les deux non pas vers Emheb, mais vers le dieu.

A moins que ce ne soit là une simple inadvertance de la part du graveur ou que celui-ci fût gêné par la colonne hiéroglyphique toute proche, nous pourrions l'interpréter comme signifiant que "toute vie et toute joie" appartiennent au dieu Horus.




Le participe passif  *mry* est masqué par une éraflure dans la pierre, mais on voit tout de même le trait horizontal de la manche et quelques traces de la ligne inférieure sinueuse.

Or il nous semble qu'encore sous ce rapport on fait fausse route, le présumé quatrième nom étant en réalité *une phrase*. Et, bien qu'elle se rapporte à un homme, elle ne demande pas nécessairement l'introduction d'un nouveau personnage. Elle pourrait très bien viser le troisième, autrement dit, le "maître".

Nous ne le connaîtront définitivement qu'après la publication de toute l'inscription biographique. Tout ce que nous pouvons faire pour le moment, c'est de reparler du nom du prince Emheb, en y ajoutant celui de sa mère, et de tâcher d'en tirer quelques renseignements complémentaires.

LES NOMS ET LES TITRES D'EMHEB ET DE SA MÈRE

Les figures et les légendes se trouvant dans le cintre de la stèle sont encadrées de trois côtés des ailes rabattues du disque solaire (fig. 1-2). Celles-ci ont l'air de rideaux tirés faisant voir les "acteurs" comme sur une sorte d'avant-scène.

LES FIGURES. Ce sont, à droite, le dieu Horus d'Edfon et la déesse Hathor de Dendérah et, à gauche, le propriétaire de la stèle, Emheb. Horus debout sur un tétragone rayé tient à la main droite le sceptre  surmonté de , le tout tourné vers lui-même, et à la main gauche, pendant le long du corps, un autre . Le dieu porte une chemise à bretelles et un pagne collant retenu par une ceinture. La déesse, les mains pendantes, est vêtue d'une longue chemise collante à bretelles. Sa tête est ornée du disque solaire avec uræus entre deux cornes. Emheb se tient devant les deux divinités, le bâton de commandement à pommette papyriforme à la main droite et un *ankh* à la main gauche.

LES LÉGENDES. Le cintre contient quatre colonnes d'écriture hiéroglyphiques orientées dans le même sens que le texte

considération ou non par l'éditeur, elles sont utiles ne fût-ce que pour cette raison qu'elles rompent le silence planant sur un nouveau texte intéressant. Et c'est déjà quelque chose.

Dans cet esprit de loyale collaboration fut faite la traduction par M. Drioton de quelques lignes du texte biographique en question. Elle parut dans un ouvrage sur le théâtre égyptien étant donné que l'éminent auteur a cru reconnaître dans Emheb et dans son "maître" *deux mimes ambulants* ⁽¹⁾. Si la chose était prouvée, ce serait là une indication directe que le théâtre populaire—et non pas seulement *les mystères*—existait déjà en Égypte ancienne.

La publication des quelques lignes en question et le fait que M. Drioton a mentionné le nom et les titres du propriétaire de la stèle donnèrent au monde savant la possibilité de se prononcer sur le contenu de la stèle, contenu partiel il est vrai, mais non dénué d'intérêt. Et cela sans enfreindre la coutume qui veut que ce soit le fouilleur lui-même qui publie le document qu'il a découvert, surtout s'il y tient.

Nous avons donné la réplique à M. Drioton dans deux numéros de notre "Bulletin" ⁽²⁾ tout en suggérant qu'il s'agissait non pas de mimes ambulants, mais *d'un chef militaire et de son intendant en-chef*.

Cette fois-ci nous allons porter notre attention non seulement sur le nom et les titres d'Emheb, mais aussi sur le nom de sa mère, lequel, comme on le verra, ne manque pas d'intérêt. En parlant d'eux, nous nous verrons obligé de jeter un coup d'œil au-delà de la limite établie par la publication de M. Drioton et de citer une partie de la ligne 6 du texte d'Emheb. D'après l'avis général exprimé de vive voix il y aurait là *le nom d'un quatrième personnage*, les trois premiers étant Emheb, sa mère et son "maître".

(1) Er. Drioton, *Le Théâtre Égyptien*. Éditions de la "Revue du Caire", 1942, p. 15-16, 18 et 66.

(2) Vol. IX et X.


LE NOM ET LES TITRES D'EMHEB ET DE SA MÈRE

(Suite et fin) (1)

PAR

VLADIMIR VIKENTIEV

Les fouilleurs de l'Institut Français d'Archéologie Orientale ont découvert en 1922 à Tell Edfou plusieurs stèles publiées sans délai par feu Engelbach (2). A part ces documents d'une facture assez grossière et d'un intérêt plutôt restreint, il y avait une stèle

au nom d'un certain  Emheb, aussi gauchement sculptée que les autres, mais qui se recommandait vivement à l'intérêt des savants par son contenu peu banal et par la mention de la ville d'Avaris. C'était de toute évidence une biographie où, à part le propriétaire de la stèle et sa mère, il était question de son "maître" (*nb.f*).

Qui était l'un et qui était l'autre ?

La stèle entretemps devenue introuvable et pour cette raison ou pour une autre tardant à être publiée par le directeur des fouilles qui se la réserva, on se livra à des essais d'interprétation en se basant sur la photographie très obligeamment mise à la disposition des personnes intéressées. Les échanges de vues sont désirables, surtout quand il s'agit d'un texte difficile, et celui d'Emheb l'était. Que les suggestions soient ensuite prises en

(1) Voir "Les titres d'Emheb", dans *Bull. Fac. Arts, Fuad I. Univ.* vol. X, Part I.

(2) R. ENGELBACH, *Stèles d'Edfou*, dans *Ann. Serr. Ant.*, vol. XXI, p. 64-67 ; XXII, p. 113-133, et XXIII, p. 183-186.

TABLE DES MATIERES

Wladimir Sémionovitch Golénischeff	PAGES 1
Curriculum vita	2
Liste des publications	5

TABLE DES PLANCHES

Frontispice. Photographie de W. Golénischeff, que lui-même considérait comme la meilleure, avec sa signature en hiéroglyphes, en russe et en français.

Planche I. Une page de l'adresse présentée à W. Golénischeff à l'occasion de son 70^{ème} anniversaire (*D'après une g-nache de l'Auteur*)

N.B.—Les deux têtes d'Hathor font allusion, l'une à Madame Cécile Golénischeff, la dévouée compagne du savant, et l'autre à sa science aussi inséparable.

Planches II. W. Golénischeff en tenue de professeur à Zaafarane.

Planche III. W. Golénischeff en tenue de chasseur à Louxor.

Planche IV. W. Golénischeff en tenue de momie dans son musée privé à St. Petersbourg.


N.B.—On aurait tort de voir dans cette photographie rien qu'une amusante plaisanterie de jeune savant. Si nous étions de cet avis, nous ne l'aurions pas reproduite dans notre article commémoratif. Nous y relevons quelque chose de beaucoup plus intéressant, à savoir le désir, cela va de soi inconscient, d'entrer *in medias res* de sa science en s'identifiant avec l'un de ses monuments les plus représentatifs. Il est parvenu à notre connaissance que d'autres égyptologues se voyaient en rêve *mangeant des hiéroglyphes*. C'est là une autre manière, elle aussi symbolique, de faire siens les secrets de notre science. D'ailleurs, ni la "tenue de momie" ni la "consommation d'hiéroglyphes" ne datent de nos jours. Il n'y a qu'à se souvenir, d'un côté, du héros du conte démotique de "Setné Khamouas" absorbant un texte ésotérique après l'avoir dilué dans une coupe de bière, et, de l'autre, de la pratique si répandue, tant dans les cérémonies sacrées que dans les représentations profanes, de s'identifier avec une divinité ou avec un héros en arborant son masque et son vêtement. La "plaisanterie" du jeune Golénischeff est ce qu'on appelle un "rêve éveillé" témoignant d'une manière éloquentes de sa ferveur de néophyte.

Planche V. Stèle de Ronsa II, roi d'Ounratou (partie supérieure) transcrite et interprétée par W. Golénischeff.


28. Papyrus hiératique de la Collection W. Golénischeff sur le voyage de l'Égyptien Ounou-Amon en Phénicie, *Rec. Trav.*, 1899 (t. XXI).

29. Nadpiss Vanskago Tzaria Roussi II, in 4°, St. Petersb., 1901.

30. Offener Brief an Herrn Professor G. Steindorff (die Libyerfrage betreffend), *Zeitscher. f. äg. Spr.*, 1902-3 (t. XL).

31. Die Landschaft , *ibid.*, 1904 (t. XLI).

32. Le Papyrus N° 1115 de l'Ermitage Impérial de St. Petersbourg, *Rec. Trav.*, 1908 (t. XXXIII).

33. Das Wort  "der Feuerbohrer", *Zeitschr. f. äg. Spr.*, 1908-1909 (t. XLV).

34. Le Conte du Naufragé, *Bibliothèque d'Etudes*, t. II, in 4°. Le Caire 1912.

35. Eguipetskaïa mogilnaïa plita N° 4071 (*Pamiatniki Mousieia Iziachtechnikh Iskoustv*, Moscou, 1912).

36. Les Papyrus hiératiques N° 1115, 1116 A et 1116 B de l'Ermitage Impérial, Fol., St. Petersb., 1913.

37. Quelques remarques sur la syntaxe égyptienne, *Recueil Champollion*, 1922.

38. Leçon inaugurale de Philologie Égyptienne à l'Université Égyptienne, Le Caire 1923 (traduction arabe).

39. Parallélisme symétrique en ancien égyptien. *Studies presented to F. Ll. Griffith*.

40. Le rôle de l'intonation dans quelques textes égyptiens, *Mélanges Maspero*, vol. I.

41. Deux dessins humoristiques anciens-égyptiens. *Zapiski Arkhéologitcheskago Obchtchestva*, St. Petersb. (sans date).

42. A propos de l'exemplaire du "Livre des Morts" au nom d'Horus, fils de Nespaḥerân et Taḥapy, *ibid.* (sans date).

Frontispice



Photo de F. Autrat

1895

H. Fauchon

M. G. G. G.

13. Notice sur un ostracon hiératique du Musée de Florence, *ibid.*, 1882 (t. III).

14. Sur l'origine alphabétique de certains hiéroglyphes. Congrès des Orientalistes de Leide, 1884, in 4°.

15. Le cachet bilingue du roi Tarkutimne (dans *Proc. Soc. Bibl. Arch.*, mai 1888).

16. Opyt grafitcheski raspologennago assyriiskago slovaria, St. Petersbourg, 1888, in 4°.

17. Epigraphitcheskié resoultaty poezdki w Ouâdi Hamamât, St. Petersbourg, 1888, in 4° (dans *Zapiski Arkhéologitcheskago Obchtchestva*).

18. Lettre à M. G. Maspéro sur trois petites trouvailles égyptologiques, *Rec. Trav.*, 1889 (t. XI).

19. Arkhéologitcheskiyé resoultaty pouteschestviya po Egiptou zimoï 1888-1889, St. Petersbourg, 1890.

20. Une excursion à Bérénice, *Rec. Trav.*, 1890 (t. XIII).

21. Stèle de Darius aux environs de Tell El-Maskhoutah, *ibid.*, 1890 (t. XIII).

22. Vingt-quatre tablettes cappadociennes de la Collection W. Golénischeff, in 8°, St. Petersbourg, 1891.

23. Inventaire de la Collection Egyptienne à l'Ermitage Impérial, in 8°, 1891.

24. Opissanié assyriiskikh drevnostei w. Imp. Ermitagé (1892 ?).










25. Amenemhat et les Sphinx de San, *Rec. Trav.*, 1893 (t. XV).

26. Egipto-saveiskii sarkofag w Guizelskom Muscié, in 8°, 1893.

27. Eine neue Darstellung des Gottes Antwus, *Zeitschr. f. äg. Spr.*, 1894 (t. XXXII).

de notes lexicographiques et grammaticales, qui exigent non seulement beaucoup de soins, mais aussi beaucoup de temps, et de plus en plus il s'adonne à l'étude minutieuse de la structure de l'ancienne langue égyptienne.

LISTE DES PUBLICATIONS (1)

1. Ueber die Aussprache des Wortes  und über das Wort      , *Zeitschr. f. äg. Spr.*, 1874 (Tome XII).
2. Eine ältere Redaktion des 108 Kapitels des Todtenbuches, *ibid.*, t. XII.
3. Miscelenea, I, *ibid.*, 1875 (t. XIII).
4. Miscelenea, II, *ibid.*, 1876 (t. XIV).
5. Le Papyrus N° I de St. Petersburg. Notice lue le 29 août/10 sept. 1876 au Congrès des Orientalistes à St. Petersburg, *ibid.*, 1876 (t. XIV).
6. Ueber das Wort  ,  , oder  .
ibid., 1877 (t. XV).
7. Die Metternichstele, Leipzig, 1877, Fol.
8. Sur un ancien chapitre du Livre des Morts, 1878.
9. Sur un ancien conte égyptien. Congrès de Berlin, 1881, in 4°.
10. Ueber zwei Darstellungen des Gottes Anteus, *Zeitschr. f. äg. Spr.*, 1882 (t. XX).
11. Offener Brief an Herrn Professor H. Brugsch (Mariette, Karnak betreffend), *ibid.*, 1882 (t. XX).
12. Notice sur un texte hiéroglyphique de Stabel Antur (Speos Artemidos), *Rec. Trav.*, 1882 (t. III).

(1) Nous ne pouvons pas garantir qu'elle soit complète.

De 1869 à 1875 il fait ses études au Ier Gymnase (= Lycée) Classique et de 1875 à 1879 à l'Université, Section des Langues Orientales, où il termine avec le grade de "candidat" (ce qui à cette époque correspondait au Magister des Universités Allemandes.

De ce titre il doit se contenter n'ayant pas la possibilité de présenter et de défendre aucune thèse égyptologique, puisque, à ce moment, il n'y a nulle part en Russie ni professeurs ni chaire d'Égyptologie.

Il n'abandonne pas pour cela ses études favorites sur la langue et les antiquités égyptiennes, et, pendant de multiples voyages en Égypte, forme pour lui une assez grande collection d'objets anciens et surtout de manuscrits.

Après le premier voyage en Égypte il est nommé Conservateur de la Collection Égyptienne et Assyrienne du Musée de l'Ermitage Impérial et y reste, comme tel, jusqu'en 1915. Pour comprendre les inscriptions, qui se trouvent sur les objets assyriens de la collection, il se voit obligé à s'adonner à l'assyriologie.

En Égypte il parcourt à maintes reprises la Vallée du Nil, du Caire jusqu'à Ouadi Halfa et même jusqu'à Khartoum, et fait des excursions dans le désert : à Ouâdi Hammamat, à mi-chemin de Kéneh à Kosseir, à Bérénice, au bord de la Mer Rouge, et à l'Oasis d'El Kharyeh.

Depuis 1919, il collabore au Grand Catalogue du Musée du Caire, en faisant une transcription aussi exacte que possible des manuscrits hiéroglyphiques.

En même temps, de 1923 à 1924-1925, il fait des cours d'Égyptologie à l'ancienne Université Égyptienne, et un cours pendant la saison 1924-1925, à l'École d'Archéologie.

Pendant sa longue carrière égyptologique, qui commença en 1870 avec l'étude du Prof. Reinisch sur les antiquités égyptiennes au Musée de Miramar, il amassa peu à peu une réelle collection

d'Archéologie à Mounira et chef de la Section Egyptologique de l'actuelle Université Fouad I^{er}, à Zaafaran (Abbassieh).

Après avoir démissionné en 1929 pour se consacrer entièrement à son œuvre magistrale sur la Syntaxe, il n'a cessé un seul instant de s'intéresser aux progrès de la jeune science philologique en Egypte et de prodiguer conseils et encouragements à ses anciens élèves qui semblaient être aussi attachés à leur vénérable Maître que lui était à eux.

A part le côté purement égyptologique, les entretiens avec Golénischeff étaient édifiants sous maints autres rapports. C'était un homme d'une vaste culture donnant réplique à toute question d'ordre général ou spécial.

Golénischeff connaissait la langue accadienne aussi bien que celle de l'Egypte ancienne, sans parler du latin, du grec, de l'arabe, et de l'hébreu biblique. Tant qu'il s'agit de ses connaissances en cunéiforme, preuve en est la Stèle de Roussa II, roi du royaume d'Ourartou, publiée et interprétée par lui en 1901 (pl. V). La langue chalde de cette inscription étant alors fort peu connue, c'était une entreprise vraiment héroïque qu'il mena à bout avec le maximum de succès auquel on pouvait s'attendre,

Une autre preuve, s'il en faut, serait son "Dictionnaire assyrien" arrangé d'après le principe graphique. Il a fait aussi l'inventaire des antiquités assyriennes de l'Ermitage, publié des tablettes cappadociennes, etc.

17 décembre 1950

CURRICULUM VITÆ

Voici les données que W. Golénischeff lui-même communiqua à la Faculté des Lettres de l'Université Fouad I^{er} (alors Université Egyptienne) lors de sa nomination en 1925 au poste de professeur titulaire de philologie égyptienne.

Wladimir Golénischeff est né à Petersbourg le 17 janvier vieux style (= 30 janvier nouveau style) 1856.

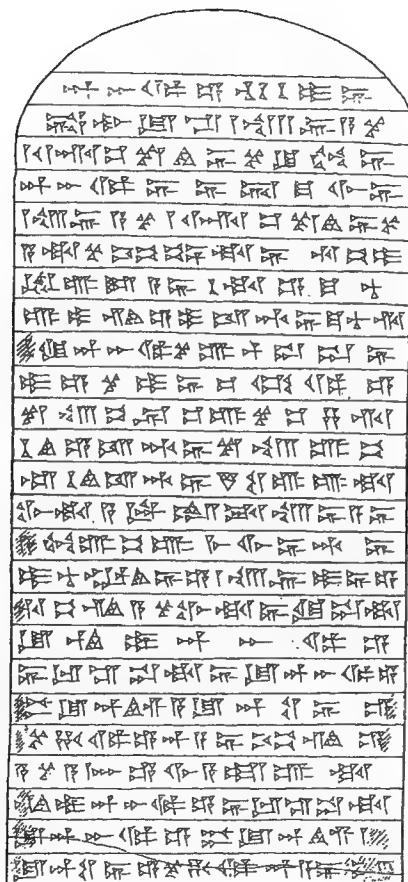


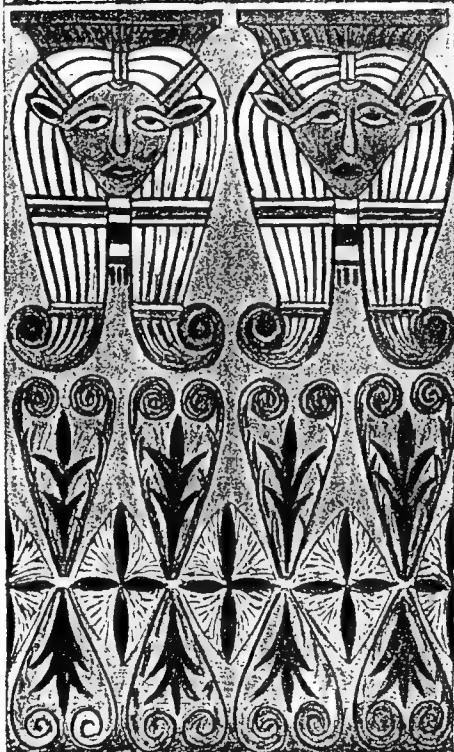




Planche II



INSO LEND SCH EFT



LXX ANNI VERS AICE

Saint Petersbourg en 1915. Il vint vers nous d'un pas alerte du fond d'une longue galerie. Cette première impression d'un homme en pleine vigueur ne se fit que s'accroître quand nous entrâmes en conversation. Sa manière de parler pleine de verve nous a fait oublier d'emblée que nous étions en présence d'un sexagénaire. Et alerte il resta jusqu'à la fin de ses jours. Si ses pas se ralentirent, s'il a dû plus tard s'appuyer sur une canne, son esprit n'a jamais fléchi. En 1947 il était aussi éveillé—nous aimerions dire, aussi dynamique—qu'en 1915. Il l'était même à la date fatidique du 9 août où sans préavis la mort l'a surpris à sa table de travail penché sur une feuille de papier couverte de signes hiéroglyphiques de son écriture minuscule et nette.

Ainsi se termina la longue série de ses méditations jamais interrompues. Commencées en 1870, quand Wladimir Sémionovitch n'avait que quinze ans, *elles durèrent soixante dix-sept ans*. Et la dernière année était comme la première. Pensée vive attachée amoureusement—c'est bien le mot—à tout ce qui avait trait à l'Égypte ancienne.

Nous en avons une preuve dans la lettre par lui écrite quelques jours—même pas une semaine—avant sa fin. Elle pourrait faire honneur à un jeune savant par son enthousiasme.

Cet enthousiasme d'un homme à cœur d'or et de grand savant, il le mettait pendant trois quarts de siècle au service de tous ceux qui voulaient s'initier à la science dans laquelle il était passé maître.

En cette année et en ce mois de décembre 1950, quand nous fêtons le jubilé d'argent de notre Faculté des Lettres, il y a lieu de rendre hommage à Golénischeff en tant que l'un de ses fondateurs les plus éminents. Il a posé en 1923, à l'ancienne Université Égyptienne, la première pierre des études académiques en matière d'égyptologie, et il posa bien d'autres pendant les cinq ans qu'il fut consécutivement professeur à l'Ecole

**WLADIMIR SEMIONOVITCH
GOLENISCHEFF
(1856—1947)**

PAR
VLADIMIR VIKENTIEV

Pour commémorer un grand disparu on garde une minute de silence. Pour nous qui l'avons connu de si près, la minute symbolique a duré trois ans. Ce n'est seulement maintenant que nous sommes à même d'admettre le fait et d'en parler. Et encore, en peu de mots.

Nous venons de dire que nous l'avons connu de près. A part l'affection mutuelle, le rapprochement était facilité par le fait que nous étions, tous les deux, dans des conditions assez semblables. Même patrie inaccessible. Même attitude envers notre peuple subissant une transfiguration extraordinaire. Malgré son apparence "européenne", Golénischeff était avant et après tout un Russe séparé de son pays d'origine non pas par des considérations idéologiques—les liens qui l'y unissaient étant combien plus profonds—mais, tout simplement, par des raisons d'ordre technique. Sans parler de l'Egypte où il est venu régulièrement chaque année, en tout soixante fois, pour y faire des séjours prolongés, nous l'avons vu souvent à Nice et nous aurions pu le voir autant de fois sur les bords de la Néva, si les voyages de ce côté ne présentaient tant de difficultés dont certaines insurmontables.

En effet, la première fois que nous l'avons rencontré, ce n'était pas au Musée du Caire, son centre de recherches égyptologiques préféré, ni dans sa bibliothèque nicoise. C'était à l'Ermitage de

CONTENTS

OF THE EUROPEAN SECTION

	PAGE
VLADIMIR VIKENTIEV	
Wladimir Semionovitch Goleni-cheff	1
VLADIMIR VIKENTIEV	
Le Nom et les Titres D'Emheb et de sa Mère	11
LOUIS AWAD	
The Alchemist in English Literature	33
D. L. DREW	
Pompey's Capture of Jerusalem on Tenth Tishri	83
Dr. WANEES KAMEL	
The Fabula Atellana and its Stock Characters	89
GIRGIS MATTHEA	
The Prosiliagraphomena ; Its Form and History in Demotic and Greek Texts	99
HELMUT VON DEN STEINEN	
Plato in Egypt	107
Dr. HASSAN IBRAHIM HASSAN BEY	
Contributions to the Study of Fâtîmid History in Egypt During the Last 12 Years	129
Dr. MOHAMAD MITWALLY BEY	
The Origin of the Ino	141

BULLETIN

OF

THE FACULTY OF ARTS



VOL. XIII—PART I

MAY 1951

The Bulletin of the Faculty of Arts is issued twice a year, in May and December. All requests for copies should be made to the Foad I University Librarian, Giza. Communications regarding contributions should be addressed to Dr. Zaky M. Hassan Bey Editor of the Bulletin, and Dean of the Faculty of Arts, Giza, Egypt.

CAIRO
FOUAD I UNIV. PRESS,
1951

مجلة كلية الآداب



المجلد الثالث عشر — الجزء الثاني

ديسمبر ١٩٥١

تصدر هذه المجلة مرتين في السنة . في مايو وديسمبر . وتطلب من مكتبة
جامعة فؤاد الأول بالجزيرة . وتوجه المكاتبات الخاصة بالناحية العلمية
إلى المشرف على تحريرها الدكتور زكي محمد حسن بك عميد كلية الآداب
بجامعة فؤاد الأول بالجزيرة

مطبعة جامعة فؤاد الأول

١٩٥١

فهرس القسم العربي

- منحة
- الدكتور فريد شافى . . . زخارف وطرز سامرا . . . ١
- الدكتور شوقى ضيف . . . تنط العروس فى توازيح الخلفاء لائى حزم
رواية الجيدى . . . ٤١
- الدكتور زكى محمد حسن بك . . . مخف جديدة من الخوف القناطى
ذى البريق المذنى . . . ٩١
- الدكتور ابراهيم احمد زقانة . . . علم ما قبل التاريخ ، نشأته ومنهجه . . . ١١١
- الدكتور محمد محمود الصياد . . . سكان مديرية البعيرة فى خسين حاما
(١٨٩٧ — ١٩٤٧) . . . ١٤٧
- الدكتور سامى جبره بك . . . وحدة وادى النيل . . . ١٨٥

زخارف وطرز سامرا

للكونر فريد شافعى

تميز سامرا بين سائر المدن التي نشأت في العصر الاسلامي بعدة ظواهر هامة قل أن وجدت في أى مدينة إسلامية أخرى . فقد سار العمران فيها بخطوات سريعة متلاحقة . وصار تخطيط المدينة أبعد ما يكون عن الاقتصاد في التوسع . فقد ترامت رقعتها في مساحة هائلة . إلا أنها لم تعمر طويلا إذ كانت السرعة في خرابها وهجرانها تتناسب مع السرعة الجبارة في نموها . فالفترة بين البداية والنهاية تكاد لا تتجاوز نصف القرن . وهي فترة ان كانت قصيرة الزمن فهي طويلة الأثر . إذ تم فيها على قصرها تطور ليس بالمألوف في تاريخ الفنون والزخارف .

وأكثر معالم ذلك التطور وضوحا كان في الزخارف النباتية بوجه خاص سواء في المحفورة منها أو المرسومة .

وانفق علماء الآثار على تقسيم الزخارف النباتية المحفورة في الجص الى ثلاثة طرز ولكنهم اختلفوا في نظام الترتيب الزمني لتلك الطرز ، إلا أن الأدلة والتحليل الفني والمنطقي ترجح كلها النظام الذي اتفق عليه الأستاذ كربول والدكتور زكى محمد حسن بك والدكتور كونل وهو عكس نظام الأستاذ هرزفيلد^(١) .

وقد عرضت لنا في دراستنا بعض ملاحظات وتحليلات رأينا أن نضيفها الى تلك الأبحاث القيمة مساهمة منا في دراسة الزخارف النباتية التي كانت ولا تزال تسترعى اهتمامنا .

فطرز سامرا — وخاصة الثانى والثالث منها — يمثل فيهما بحق مظهر جديد لزخارف الفن الاسلامي ، بل ويوضح فيهما طابع مميز للفن كله بوجه عام

والزخارف النباتية بوجه خاص . إذ تجررت شخصيته من قيود الفنون السابقة
التي كان يعتمد عليها كل الاعتماد منذ نشأته .

ويمكن تحليل هذه الطرز وتبويب تطورها كالآتي :

الطرز الأول (لوحات ١-٤) :

يتميز بقرب عناصره من الطبيعة ، أو بمعنى أصح بقربها من أصولها
الهلينستية إذ لم يطرُق إليها إلا التطور المنتظم المعتاد في الفنون . وكانت
عناصره لا تزال تخرج من عروق طويلة تمتد في انحناءات وحلزونات كانت
معروفة في الزخارف الهلينستية وما تأثر بها من الفنون الأخرى :

وأهم العناصر النباتية في هذا الطراز هي : ورقة العنب الخماسية (شكل ١)
وقطاعها يميل إلى التقعر والثلاثية (شكل ٢) وعناقيد العنب ذات المحيط المكون
من ثلاث فصيص (شكل ٣) والعناصر الكأسية ذات الفجوات المعينة الشكل
(شكل ٤) . ويلاحظ في الأشكال الأخيرة ميل قطاعها إلى التجذب .



(شكل ٢)

ورقة عنب ثلاثية ، ساسرا طراز ١

Creswell: II, Pl. 77 c.



(شكل ١)

ورقة عنب خماسية ، ساسرا طراز ١

Creswell, II, Pl. 78 d.

ويتضح في عناصر أوراق العنب ظواهر هلينستية صريحة هي للتعرق
التخيلي والعيون بين الفصوص (شكل ١) .

كما يتضح الطابع الهلينستي في أسلوب الجذر من حيث تجسيم العناصر
في تقعر أو تحذب مما يضفي على التجهة ظلالاً متفاوتة العمق .

الطراز الثاني (لوحات ٥ - ٧):

تضامات الأرضيات الى أن صارت قنوات ضيقة تفضل ما بين العناصر التي كادت أن تفقد ما ألتناه من اتصال بعضها ببعض بواسطة عروق، كما كان الحال في الطراز الأول؛ فتطورت العناصر الى وحدات كبيرة متباعدة لا تجسم فيها وتتمم بعضها البعض بحيث لا تترك أرضية أو فراغا بينها وتنتج عن ذلك تصرف كبير في أشكال كثير منها، كي يساعد



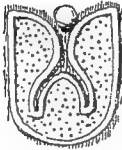
(شكل ٣)

هندود عنب، سامرا طراز ١
مقربات - سامرا لوحة رقم ٣٢

على تنفيذ الفكرة والدوق الجديدين الذين وضحا في هذا الطراز بعد التمهيد لها في الطراز الأول، كما نراه في العناصر التي تملأ الأرض كان المحصورة بين المناطق أو الجامات الهندسية التي يقسم اليها السطح المزخرف (لوحات ١ و ٢).

وفي رأينا أن هناك جاملا هاما في هذا المظهر الجديد يرجع الى أساليب

الصناعة تقسمها الى مطالب واتجاهات في تلك الأساليب لم تكن هناك حاجة اليها قبل إنشاء سامرا، وكان لزاما على الأساليب الصناعية أن تلبها.



(شكل ٥)

ورقة كاسية ثنائية، سامرا طراز ٢
مقربات سامرا لوحة رقم ٣٥



(شكل ٤)

ورقة كاسية ثلاثية، سامرا طراز ١
Creswell, II, Pl. 52 e & Fig. 186.

فلو قارنا زخارف الطراز الثاني بزخارف الطراز الأول لوصلنا الى نتيجة هامة، هي أن الفنان اذا كان عليه أن يملأ مساحة ما بالخوارف فيلزمه وقت معين للملأها بزخارف من الطراز الأول . ولكن يلزمه وقت أقل من ذلك بكثير إذا غطاها بزخارف من الطراز الثاني ، وهذا الاقتصاد في الوقت — ويتبعه زيادة اقتصاد في التكاليف (٢) — كانت الحاجة اليه سببا في الميل الى قلة التألق في التصميم والتوزيع والصناعة ومحاولات التبسيط فيها وفي المحيط الخارجي للعناصر والاختصار في الحشو الداخلي في بعضها ، إذ نرى مثلا



(شكـل ٧)

ورقة كاسية ثلاثية ، سامرا طراز ٢
حفرات سامرا ، لوحة رقم ٦٠



(شكـل ٦)

ورقة كاسية ثنائية ، سامرا طراز ٢
Creswell : II, Pl. 78 b.

أن خلية النحل المكونة من معينات غائرة منتظمة ، كما كانت في الطراز الأول (شكل ٤) ضاع منها التألق في الطراز الثاني وأصبحت عبارة عن حفر صغيرة متلاصقة على السطح في غير نظام بل وفي إهمال ، كما نراها في بعض عناصر الطراز الثاني الموضحة بالرسم (أشكال ٥ الى ٧) .

الطرز الثالث (لوحات ٨ — ٩) :

هو المرحلة الأخيرة لتطور الطراز الثاني بفكرته وعناصره مع تعديل فيها بحيث تصبح أكثر صلاحية لفكرة جديدة أخرى هي « البصب » في قوالب واستخراج نسخ متعددة من الوحدة الزخرفية الواحدة . وأغلب ظننا أن ازدياد الميل إلى الاقتصاد في الوقت والنفقة الذي يتطلبه التوسع الكبير في العائر في وقت قصير هو الذي أدى إلى التفكير في استعمال

أساليب صناعية لها طابع آلى بسيط كان لها الفضل الأكبر في تطور العناصر في الطراز الثالث إلى أشكالها المعروفة في ذلك الطراز (أشكال ٨ إلى ١٣)

ولكن برغم ذلك كله فإننا نلاحظ شيئا هاما في عناصر الطرازين الثاني والثالث هو أنها كلها لا زالت تحتفظ بملايح كثيرة من الأصول الهلينستية والساسانية وأتينا لا نعثر على أى عنصر أجنبي خارج عن مجموعة العناصر المعروفة في الشرق الأوسط حتى العناصر التي يُنيل إليها الأول وهلة أنها غربية كـ بعض أشكال المراوح النخيلية الكاملة (شكل ٨) والمقسومة (شكل ٩)



(شكل ٩)

أوراق نخيلية مقسومة ، سامرا طراز ٣

Creswell, II, Pl. 74



(شكل ١)

ورقة نخيلية ، سامرا طراز ٣

Creswell, II, Pl. 72

وكالورقة الجناحية (شكل ١٠) وكذلك العناصر الكنسية الكاملة (شكل ٤ - ٧) والمقسومة (شكل ١١ - ١٣) ، فكلها أو أوصولها كانت موجودة إما في الفنون الهلينستية والبيزنطية وإما في الفنون الساسانية . والتغير الذي طرأ عليها كان ناتجا من التصرف في بعض الجزئيات الخارجية والداخلية فجعل لها ذلك الطابع الغريب الذي تم نسيجه وتطوره في الطراز الثالث . وهو طابع إسلامي صميم لا يوجد في أى فن من الفنون الأخرى ، اللهم إلا ما تأثر منها بالفن الإسلامي (٣) .



(شكل ١١)

ورقة كأسية مقسومة ثنائية
سامرا طراز ٣

Creswell, II. Pl. 74 c.



(شكل ١٠)

ورقة جناحية ؟ سامرا طراز ٣

Creswell, II. Pl. 67 b.

والحق اننا نشاهد في الطراز الثالث ميزتين رئيسيتين تساعدان كثيرا على الحصول على ما يلائم الحاجة إلى أساليب صناعية لها طابع آلي مبسط هو الصب في القوالب ، والميزتان هما : (أولا) الحفر بطريقة الشطف (ثانيا) التخلص من الأرضيات العيقة ، فكلاهما يسهلان كثيرا عملية الصب في القوالب. والصب في القوالب طريقة سريعة لاستخراج نسخ متكررة من وحدة زخرفية تعطى في مجموعها مساحات كبيرة في وقت قصير وثققة قليلة وبضائقتها وجود أرضيات غائرة ضيقة بين العناصر ، كما يضايقها وجود زخارف محفورة أو محشوة بحفر دقيق إذ ينتج عنها صعوبات جمة في تخليص الألواح المصبوبة



(شكل ١٣)

ورقة كأسية مقسومة ثلاثية
سامرا طراز ٣

Hertzfeld: Wandschmuck, Abb. 213e.
Orn. 199e.



(شكل ١٢)

ورقة كأسية مقسومة ثنائية
سامرا طراز ٣

Hertzfeld: Wandschmuck, Taf. XIV.

من قوالها ، بل يتعذر أحيانا بدون إتلاف جانب كبير من الزخارف الدقيقة
وحواف جانب آخر وخاصة ما كان منها حادا . ومن هنا جاءت فكرة الاستعانة
بشطف الحواف وإلغاء الأرضيات .

ويمح أن نشرح شيئا من المتبع في الوقت الحاضر في عمل الزخارف وصيها
واستخراجها من قوالب ، دلا نطن أن هناك اختلافا جوهريا بين المتبع الآن
والمتبع في البلاد الأخرى وفي أزمان قديمة ، وإذا وجد اختلاف فأغلب ظننا
أنه يوجد في التفاصيل الصغيرة . ونلخص طرق الصناعة في الخطوات الآتية :
أولا — تعمل ألواح من الجص ويرسم عليها النموذج الزخرفي
(PATTERN) المراد تكراره بسن مدبب أو قلم .

ثانيا — تحفر الأرضيات حول محيط العناصر الزخرفية فتظهر الأخيرة
بارزة فوق الأرضية الناعمة . وتستعمل في الحفر آلات حادة كالناقب والأزاميل
المتفاوتة الغلظ وذات القطع المستقيم أو المستدير حسب حجم ومحيط الزخارف
المراد حفرها .

ثالثا — تملأ العناصر بالزخارف الداخلية من تفرق أو عناصر دقيقة
نباتية أو هندسية أو عيون أو أقراص . . . الخ ثم تجسم في مستويات
متفاوتة .

وأغلب الظن أن الخطوات السابقة كانت متبعة في عمل الزخارف في سامرا
من الطرازين الأول والثاني .

أما الطراز الثالث فله خطوات أخرى تضم الخطوات السابقة وهي :
رابعا — كانت الزخارف الأصلية أحيانا تحفر على الخشب ^(١) بدلا
من الجص ويستخرج من هذا النموذج الايجابي إن كان من الخشب أو الجص
قالب سلبي من إحدى مادتين :

(١) الجص ، ويوجد منه أمثلة بدار الآثار العربية ^(٢) ومثل آخر
بمعهد الآثار الإسلامية بجامعة فؤاد الأول ^(٣) . ونظرة
إلى هذين المثالين تبرز رأينا في أن طريقة الحفر بالشطف في الطراز

الثالث وانعدام الأرضية واتساع الزخارف فيه كل ذلك يسهل كثيراً انتزاع القالب الإيجائي بعد صبه .

(ب) الطين ، وكانت تصنع منه قوالب سليمة تؤخذ من نماذج من الخشب ، كما سبق القول ، ثم تحرق القوالب الطينية لأكسابها الصلابة اللازمة لاستعمالها .

خامساً — يطلى القالب السليبي بمادة دحية تمنع التصاق الجص اللبن الذي يصب فيه لاستخراج العدد المطلوب من الذبسخ الإيجائية . وقد يتطلب الأمر أحياناً عمل أكثر من قالب سليبي إذا كان العدد المطلوب من القوالب الإيجائية كبيراً . إذ أن القالب السليبي يلف من تكرار الصب فيه وخاصة إذا كان مصنوعاً من الجص .

أما من أين جاءت فكرة الصب في القوالب فصدرها ليس بعيداً عن سامرا . إذ تدلنا الآثار الساسانية على أن الفنانين الفرس كانت لهم دراية واسعة بأساليب صناعة الجص ، فقد كان من المواد الرئيسية المستعملة عندهم في طلاء الواجهات الداخلية والخارجية للخواطر المشيدة بالآجر أو اللبن . وكانت هذه الطريقة أكثر انتشاراً في فارس منها في البلاد الإسلامية الأخرى وأغلب الظن أن تلك الأساليب كان لها فضل كبير في تزويد الفنانين في سامرا بما ساعدتهم على إحداث تلك الثورة فيها .



(شكل ١٥)
أوراق جناحية ساسانية

Orbell & Trever: Orfèvrerie
Sasanide, Pl. 73



(شكل ١٤)
أجنحة ساسانية

Erdmann, Ars Islamica, IV. Fasc.
13-14

وإذا عدنا إلى المميزات والعناصر والظواهر المختلفة في الطرازين الثاني والثالث والأخير منهما يوجه خاص وحللناها وجدنا أنها تتمثل في النقط الرئيسية الآتية :

١ — عناصر الأوراق الجناحية (شكل ١٠) وهي في الحقيقة أنصاف أجنحة ساسانية إذ أن مصدرها الرئيسي عناصر الأجنحة المنتشرة في الرسوم الساسانية وزخارفها والتي كثيرًا ما كانت تستعمل في تيجان القياصرة الساسانيين كتاج خسرو الثاني مثلاً (شكل ١٤) ثم تطورت الأجنحة باختزال الضلوع والاقتصار على المحيط الخارجي (شكل ١٥) ويسمى أمثاله الأستاذ هرتفيلد باليات الجناحية (Flügel-palmette)^(٧١).

٢ — عناصر أنصاف الكؤوس ، (أشكال ١١ — ١٣) وأصلها في رأينا عناصر الكؤوس الكاملة المعروفة في الفنون الهلينستية والساسانية ثم انحرف وضع العرق إلى جانب منها فتتج الأشكال نصف الكأسية .

ولنا أن نعتبرها — حسب آخر المعلومات عن حفائر الآثار الإسلامية — عناصر إسلامية صميعة ولدت بالعراق في الربع الثاني من القرن الثالث الهجري (٩ م) .

ولا يفوتنا احتمال وجود خطوات تمهيدية سابقة ، ولكن ليس لدينا في أي فن من الفنون السابقة ما يصح أن يعتبر حلقة تمهيدية اللهم إلا عنصر في صينية من الفضة تنسب إلى الفن الساساني (شكل ١٦) . وهو في الحقيقة ليس بنصف كأس على الهيئة الصريحة التي انتشرت في الفن الإسلامي منذ سمرام . إذ تقع نقطة اتصال الساق بالعروق في محور الكأس تمامًا كالعتاد ، والذي حدث هو أن الساق اتفتى أو ارتفع حتى امتد مع مستوى القاع ، فأخفت بذلك إحدى الزاويتين اللتين كان الساق يصنعهما عادة على الجانبين عند التقائه بالقاع واقترب العرق وجانب من الكأس من أن يشتركا في خط منحني واحد . غير أننا لانستبعد أن يكون من هذا الوضع وأمثاله ما ساعد على الإيحاء للفنانين المسلمين بتلك الظاهرة لاجتماع تلك العناصر الجديدة التي هي — إن شئنا

الدقة — هيئات جديدة لعناصر قديمة كانت موجودة في زخارف الشرق الأوسط والأدنى .



(شكل ١٧)
قاع مجوف ، سامرا



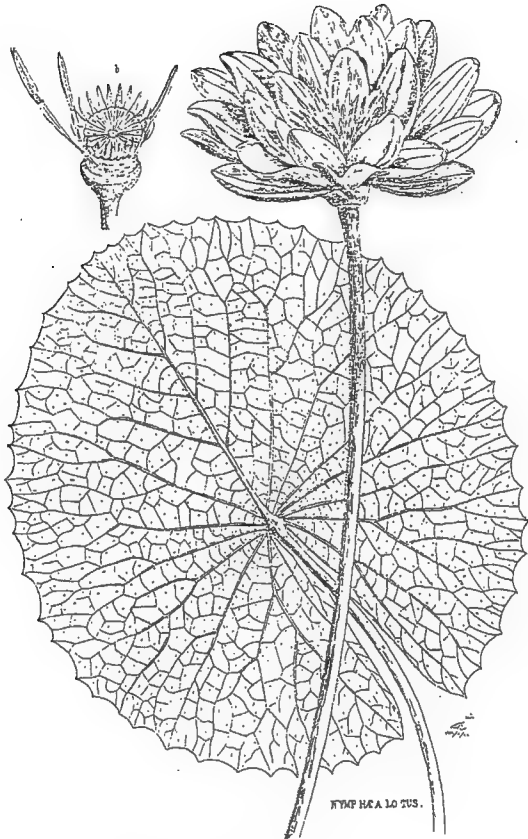
(شكل ١٦)
ورقة كاسية سامانية
Surrey, 11. Pl. 227 .

٣ - ظاهرة التجويف في قاع العناصر الجناحية والعناصر الكاسية (شكل ١٧) .

وعى في رأينا مشتقة من التجويف في العناصر الجناحية التي انحدرت من الفن الساماني كما سبق القول (شكل ١٥) ثم انتقلت من العناصر الجناحية إلى الزخارف الكاسية في سامرا وذلك للاحتكاك المباشر بين هذه العناصر وبعضها ، أما احتمال اشتقاقه من مصادر أخرى ، فلا نميل إلى الأخذ به . فمثلا قد يكون المصدر من الطبيعة مباشرة ، إذ يوجد في بعض الأوراق الطبيعية تجويف ضيق عند نقطة التقاء الساق بالورقة ومن أمثلتها أوراق نبات العليق (Convulvulus) (شكل ١٨) وأوراق اللوتس المصري (Nymphaea) (شكل ١٩) إلا أنها أنواع بعيدة عن الزخارف الإسلامية ، ولكن النوع الأكثر اتصالا



(شكل ١٨)
ورقة العليق ، طبيعية



(شكل ١٩)

(زهرة وورقة اللوتس المصرية — Description de L'Egypte)
(Histoire Naturelle-t. 2 bis. Pl. 60/1)

بالفن الإسلامي ، هو ورق العنب (شكل ٢٠) فقيه عيون وفخوات بين فصوص الورق وبعضها، وكذلك بين الفصوص السفلى منها وبين الساق ، وأوراق العنب من العناصر الزخرفية المألوفة في سامرا (شكل ١) ولكننا برغم هذا نعتبر هذا الاحتمال بعيداً لسببين : أولهما ، أن استلهام الطبيعة أو الاقتباس المباشر منها لم يكن من مبادئ الزخرفين والقنازين وخاصة في المصور الأول من الفن الإسلامي ، والسبب الثاني أنه بفرض حدوث تطور من ظاهرة طبيعية إلى أخرى زخرفية فإن ذلك يتطلب وقتاً طويلاً



(شكل ٢١)

ورقة كاسية ثلاثية ، سامرا رقم ١

Crewell : II, pl. 78 d



(شكل ٢٠)

ورقة عنب خاسية طبيعية

Baily : Cyclopedia of Horticulture,
Fig. 3953.

وخطوات تدريجية لا تتفق مع القفزة التي رأيناها في تطور زخارف سامرا . إذ لم يظهر التجويف صراحة في العناصر الكاسية إلا في بشائر الطراز الثاني (شكل ٢١) ، ولم يظهر في العناصر الزخرفية التي تمت لورقة العنب بصلة النسب أو الشبه على كثرة أمثلتها في الطرز الثلاثة في سامرا وخاصة في الطراز الأول منها .

٤ — فكرة تلاصق العناصر بحيث تتم بعضها البعض ولا تترك فراغا بينها . وفي رأينا كما سبق القول أن النسب المباشر لهذا الأسلوب هو الحاجة

إلى الاقتصاد في الوقت والنفقة ولانتاج كميات كبيرة من الزخارف في أسرع وقت (Mass Production). وكان الفنانون القرس أكثر الناس في ذلك الوقت دراية بأساليب الصناعة في الجص .

٥ — ظاهرة التقطاع المشطوف أو المحذب للعناصر (شكل ٢٢) وقد بدأ ظهوره في بعض عناصر الطراز الأول^(٨) ثم عاد ليصبح من أهم مميزات الطراز الثالث . وهي ظاهرة ليست بالجديدة في العصر الإسلامي إذ نراها قبل ذلك في عناصر زخرفية قديمة من زخارف الطراز الأول ،



(شكل ٢٣)

قائمة بني حماد



(شكل ٢٢)

التقطاع المحذب ، سامرا رقم ٣

Mercat : Manuel, I, Fig. 94 e

كشفت عنها في حفائر مدينة الحيرة . وتدلنا الأبحاث الأولية عن هذه العناصر أنها تسبق إنشاء سامرا^(٩)، وهما يكن من الأمر في رأينا كما سبق القول أن أساليب الصناعة وعمل القوالب لزخارف الطراز الثالث مسؤولة إلى حد كبير عن انتشار ظاهرة التقطاع المشطوف في عناصر الطراز الثالث .

٦ — ظاهرة خروج العناصر النباتية من بعضها ، بمعنى أن يمتد طرفه العنصر حتى يصبح عرقاً ينبت منه آخر قد يحول طرفه إلى عرق وهكذا . وقد وجدت هذه الظاهرة قبل الإسلام في فنون الشرق الأوسط وخاصة في زخارف الشام من العصر المسيحي^(١٠)، ولكنها وضحت نهائياً وتم نفضجها وانتشرت إلى حد كبير في الفن الإسلامي وصارت من أهم مميزات الصريحة

غير أنها على أى حال لم تقو على محور الفكرة القديمة وهي خروج العناصر مباشرة من العروق ، ومن الملاحظ أن الظاهرتين كانتا متلازمتين في مدارس الفن الاسلامي في الشرق الأوسط والأدنى بوجه عام . أما في المغرب فكانت الفكرة القديمة أوسع انتشاراً من فكرة سامرا التي كانت نادرة هناك .

وإذن فكل هذه العناصر والظواهر المختلفة الخاصة بالزخارف تشعرتنا بأن العوامل المحلية كانت تعمل في قوة ليس من المنطق ولا من الانصاف أن ننبأها^(١١) . وأن نرجح عليها عوامل أجنبية يحتمل مجيئها مع أقوام من الترك من أواسط آسيا ، كما يقول الأستاذان شترويكوفسكي^(١٢) وكونل^(١٣) .

وتحليل العناصر والظواهر التي شرحتها فيها سبق تعزز الى حد كبير رأى الدكتور زكي محمد حسن بك^(١٤) في نشأة وتطور زخارف سامرا وتشجيعنا على التمسك بالقول بأن زخارف سامرا قد تكون طابعها وتمت تطوراتها تحت تأثير عوامل فنية وصناعية معظمها إن لم يكن كلها محلي .

ولكننا نخالف الأستاذ الدكتور زكي بك في أنه لا يرى في ذلك ثورة زخرفية ونحن نعتبرها كذلك للسبب الآتي :

سبق القول بأن الأباتذة كريسول والدكتور زكي بك والدكتور كونل قد اتفقوا على نظام ترتيب الطرز الثلاثة بعكس نظام الأستاذ هرتزفيلد^(١٥) فإذا لاحظنا أن الطراز الأول يبدأ مع أقدم جزء من عمائر سامرا الأولى في الجوسق الخاقاني أى في باب العامة (٢٢١ هـ / ٨٣٦ م)^(١٦) وأن الطراز الثالث هو السائد في زخرفة قصر بلكوارا الذي يؤرخه الأستاذ كريسول بين (٢٤٠ و ٢٤٥ هـ / ٨٥٤ و ٨٥٩ م)^(١٧) فالفرق بين التاريخين لا يزيد عن ٢٤ عاماً وهو بلا شك يعتبر فترة قصيرة جداً في تاريخ تطور الزخارف الذي نراه يأخذ أجيالا وقروناً في بعض الأحيان لكي تتم فيه خطوات انتقال صريحة من حال الى حال . ومن الواجب اعتبار ماحدث في سامرا من تطور في تلك الفترة القصيرة ثورة فنية حقاً .

زخارف الخشب

ولنتحاول بعد استعراض تطور الزخارف في الطراز الثالث في الجص أن نقارنه بتطورها في الخشب .

وعبثاً نحاول أن نجد ما يهدينا إلى أن التطور في الخشب كان يمشى مع التطور في الجص ، فبرغم وجود عدد كبير جداً من منتجات الخشب من الطراز الثالث فإنه لا يوجد مثل واحد يصح اعتباره من الطراز الثاني أو اعتباره قريباً منه .

ولا نعتقد أن ذلك راجع لفقد المستندات الأثرية . فهي متوفرة في معظم المواد . وحتى إذا فرضنا أن منها ما فقد في سامرا فإن لدينا مصر وفارس وفيهما أمثلة عديدة من الطراز الثاني في الجص ، ولا أقل من وجود قطع ولو نادرة من ذلك الطراز الثاني في الخشب ، إن كان قد وجد فيه .

ولا مفر إذن من الظن بأن أسلوب الحفر في الخشب في مدرسة سامرا لم يتبع تماماً خطوات التطور التي رأيناها في الحفر في الجص . وليس هذا بغريب ، إذ يمكن تفسيره بسهولة : فلم تكن للفتاتين حاجة إلى التحايل في أساليب صناعة الخشب كحاجتهم إليها في الجص . والطراز الثاني الذي يعتبر مرحلة تبسيط للزخارف والذي يصل الطراز الأول بالثالث في الجص لم تكن هناك ضرورة لوجوده في الخشب ، فالخشب لم يكن من المواد المحلية في العراق حتى يمكن استعماله في الزخرفة بأسراف كالجص .

والطراز الأول في الخشب يمكن اعتباره ممثلاً في بضع تحف خشبية منها منبر جامع القيروان الذي جلب له من بغداد في (٨٦٢هـ - ٨٦٣م) وهو تاريخ يعاصر سامرا وازدهار البناء فيها ، ثم القطع الخشبية المشابهة لحشواته وعثر عليها في تكريت^(١٦) ، ثم الباب الخشبي الذي عثر عليه في تكريت والم محفوظ الآن بمتحف بناكي في أئينا وينسب إلى القرن ٣ هـ (٩ م)^(١٧) ، أي يصح اعتباره أيضاً معاصراً لـ زخارف سامرا . فأسلوبها كلها يتوازي

مع أسلوب الطراز الأول في الحفر على الجص من حيث اتفاقها في احترام التقاليد الهلنستية مع بعض التطور الرزين

وأغلب ظننا أن التطور في الخشب قد تحول من ذلك الطراز الأول إلى الطراز الثالث مباشرة عند ما بدأ الفنانون في استعمال الخشب كأصل لزخارف الطراز الثالث ليستخرج منه القوالب السلبية^(٤) كما سبق شرحه (صفحة ٥٥) ولا شك أن الفنانين لمسوا السهولة والسرعة الكبيرتين اللتين تتوفران في طريقة حفر زخارف ذلك الطراز، فضلاً عن مظهرها وشخصيتها الجديدين — ولكل جديد جلاوة — فأقبلوا على ذلك الأسلوب وتوسعوا في استعماله في زخرفة الأخشاب .

زخارف الخزف ذي البريق المعدني

أما الزخارف النباتية في الخزف ذي البريق المعدني فمن البديهي أن يختلف مظهرها لاختلاف المادة . والمشهد أن الطرازين الثاني والثالث لا يختلفان العناصر فيهما كثيراً في الشكل والتخطيط الخارجى والفرق بينهما هو في طريقة الحفر، فهى في الطراز الثالث مجسمة وفي الثاني متبسطة (Flat) وهى توافق الرسم على الخزف، والحق أن كثيراً من زخارف الخزف نراه وثيق الصلة بعناصر محفورة في الجص من الطرازين الثاني والثالث . وقد تأرن الأستاذ مارسيه بعضاً منها ووضح صلات الشبه الكبيرة بينها^(٥) . وإذن فزخارف الخزف ذي البريق المعدني من مجموعتين : أحدهما تشبه الطراز الأول ، والأخرى تشبه الطراز الثاني والثالث معا .

تطور زخارف سامرا

أما أهمية زخارف سامرا فلا تأتى من تطوراتها في سامرا نفسها فحسب بل من تطوراتها خارج سامرا أيضاً .

فقد انتشرت تلك الزخارف في بقاع الشرق الاسلامى واحتفظت بمميزات الأصلية فترات طويلة في بعض تلك البقاع وقصيرة في البعض الآخر .

ولكن كان لها في كل الأحوال أثر كبير في توجيه تطور الفن الاسلامي في تلك البقاع ، وفي تطور زخارفها بوجه خاص .

ولكى يمكن تتبع نفوذها وآثارها جمعنا ما أمكننا من النجف والآلات التي بقيت محتفظة بسماتها الأصلية وخاصة بأسلوب أحد الطرازين الثاني والثالث في مختلف الأفطار الإسلامية وربطناها حسب تسلسلها التاريخي كالآتي :

٢٢١ - ٢٦٩ هـ (٨٢٦ - ٨٨٣ م) العراق : سامرا : زخارف القصور والمنازل في الرخام والجص والحشب والخزف^(١٩) .

٢٢٤٨ هـ (٨٦٢ - ٨٦٣ م) المغرب : القيروان ، بلاطات من الخزف ذي البريق المعدني بالمسجد الجامع^(٢٠) .

٢٦٣ - ٢٦٥ هـ (٨٧٦ - ٨٧٩ م) مصر : جامع ابن طولون^(٢١) . زخارف محفورة في الجص والحشب .

نهاية القرن ٣ هـ (٩ م) مصر : محراب طولوني من الجص^(٢٢) .

نهاية القرن ٣ هـ - مصر : النزل الطولوني^(٢٣) ، زخارف محفورة في الجص .

نهاية القرن ٣ هـ - فارس : قرب سمرقند في الشمال الشرقي في نيسابور وافرازياب : زخارف محفورة في الجص^(٢٤) .

نهاية القرن ٣ هـ - الرقة : تيجان أعمدة من الحجر عليها زخارف من طراز سامرا الثالث ومن الطبيعي أن ينسبها هرتزفند إلى عصر هارون الرشيد أي في بداية القرن ٣ هـ (٩ م)^(٢٥) لأنه كما علمنا كان يعتبر الطراز الثالث هو الأول^(٢٦) .

نهاية القرن ٣ هـ - الشام : تيجان أعمدة من الرخام عليها زخارف من طراز سامرا الثالث نسبها ديماند إلى القرن ٢ هـ (٨ م)^(٢٦) وهو خطأ واضح نشأ عن اعتماده على تقسيم الأستاذ هرتزفند لطرز سامرا (أعلاه صفحة ٩) وعلى تأريخه لتيجان الرقة السابقة .

القرن ٣ — ٤ هـ (٩ — ١٠ م) العراق : افريز من الجص في الكتبة الكبرى في الرصافة (٢٧).

القرن ٣ — ٤ هـ (٩ — ١٠ م) مصر : قطع زجاجية عليها زخارف بحسة تنسب إلى العصر الطولي (٢٨).

القرن ٣ — ٤ هـ (٩ — ١٠ م) مصر : قطع خشبية تنسب إلى فترة الدولة الطولية وأوائل الدولة الفاطمية (٢٩).

٣٠١ — ٣٠٢ هـ (٩١٤ م) مصر : واهى النطرون ، زخارف جصية في كتبه العذراء بدير السريان (٣٠).

القرن ٤ هـ (١٠ م) مصر : محارب بجامع ابن طولون (٣١).

القرن ٤ هـ — العراق : الموصل ، مار يعقوب ، حشوات في محراب على جانبي محراب كبير ينسبهم الأستاذ هرتزفيلد إلى القرن (٩ م) (٣٢) ولكننا نلس فيهم بعضاً من التطور يشجعنا على وضعهم في القرن (١٠ م) .
القرن ٤ هـ — العراق : الغراء ، محراب مقام عبد العزيز (٣٣).

القرن ٤ هـ — فارس : مانشا ، تاج عمود وحشوة والائنسان من نيشب (٣٤).

حوالى ٣٥٠ هـ (٩٦٠ م) فارس : زخارف جصية بجامع ناين (٣٥).

٣٢٥ — ٤٠١ هـ (٩٣٦ — ١٠١٠ م) الأندلس : مدينة الزهراء ، حزن ذو بريق معدنى وزجاج ذو زخارف بحسة فيها عناصر من الطرازين لثاني والثالث (٣٦).

٣٥٩ — ٣٨٦ هـ (٩٧٠ — ٩٩٦ م) مصر : الجامع الأزهر ، زخارف جصية من عصر الممزر والممزر (٣٧).

الربع الأخير من القرن ٤ هـ (١٠ م) مصر : المحراب المعروف بمحراب جى الشبيه وينسبه الأستاذ فلورى إلى منتصف القرن (١٠ م) (٣٨).

ولكننا تفضل وضعه في الربع الأخير من ذلك القرن للأسباب التي سنذكرها فيما بعد (صفحة ٧٨).

٣٨٦ — ٤١١ هـ (٩٩٦ — ١٠٢٠ م) مصر : الجامع الأزهر ، باب خشب باسم الحاكم بأمر الله ^(١٣٩).

٣٩٣ — ٤٠٣ هـ (١٠٠٣ م) مصر : جامع الحاكم بأمر الله ، الأربطة الخشبية للعقود الحاملة للقبّة ^(٤٠).

٤٢١ هـ (١٠٣٠ م) فارس : غزنة ، باب خشب لمدفن محمود الغزنوي في حصن أجرا ^(٤١).

٤٢٩ هـ (١٠٢٧ م) فارس : يزد ، دوازده أمام ، جص ^(٤٢).

حوالي ٤٣٠ هـ (١٠٤٠ م) المغرب : القيروان ، مقصورة المسجد الجامع من الخشب ^(٤٣).

٤٤٧ — ٤٥٠ هـ (١٠٥٥ — ١٠٥٨ م) فارس : أردستان ، محراب ذو زخارف من الجص في المسجد الجامع ^(٤٤).

نهاية ٥٠ هـ (١١ م) العراق : تكريت ، زخارف من الجص في مشهد الأربعين ^(٤٥).

٥ — ٦ هـ (١١ — ١٢ م) فارس : خيوه ، أعمدة من الخشب مزخرفة بالحفر في المسجد الجامع ^(٤٦).

٥ — ٦ هـ (١١ — ١٢ م) فارس : يزد ، محراب من الجص في مسجد شاه أبي القاسم ^(٤٧).

النصف الأول ق ٦ هـ (١٢ م) فارس : قزوين ، زخارف جصية في مسجد حيدرية ^(٤٨).

٥٢٨ هـ (١١٣٤ م) فارس : بزان ، امام زاده شاهزاده كرار ، جص ^(٤٩).

٤٥٧ هـ (١١٥٢ م) فارس : ايزجند ، جص في مدفن جلال الدين ^(٥٠).

النصف الثاني ق ٦ هـ (١٢ م) فارس : همدان ، زخارف ومحراب
من الجص في علويان^(٤١١)

٥ هـ (١١ م) فارس : أبرقوه ، جص مدفن بير حمزة سزپوش^(٤١٢) .

حوالي ٥٥٩ هـ (١١٦٣-١١٦٤ م) الشام : حما ، المنبر الخشب في جامع
نور الدين الأوجه الداخلية لكوшат العقود المتصصة (نوحات ١١ : ١٢) .

٥٦١ هـ (١١٦٥-١١٦٦ م) العراق : الرقة : تيجان أعمدة من الجص
في الجامع داخل السور من عصر نور الدين^(٤١٣) .

٥٦٦-٥٦٨ هـ (١١٧٠-١١٧٢ م) العراق : الموصل : تيجان
من الحجر لآكاف بالمسجد الجامع^(٤١٤) .

حوالي التاريخ السابق ، العراق : الموصل ، تاج عمود من الجص من عصر
نور الدين في مارأخودمه^(٤١٥) .

حوالي التاريخ السابق ، العراق : الموصل : تاج عمود من الجص في مشهد
الشيخ فتحي^(٤١٦) :

٥٧٣-٥٩٠ هـ (١١٧٧-١١٩٦ م) — فارس : لوح من الجص
عليه اسم أرطغرل^(٤١٧) .

٥٨٩ هـ (١١٩٣ م) العراق : مشهد على ، زخارف من الجص^(٤١٨) .

نهاية القرن ٦ هـ (١٢ م) فارس : ترمذ ، بقايا مبنى^(٤١٩) .

٦١٦-٦٣٤ هـ (١٢١٩-١٢٣٦ م) آسيا الصغرى : قونية ، حفر
في حجر من الأسوار^(٤٢٠) .

٧٠٣-٧١٢ هـ (١٣٠٣-١٣١٢ م) — فارس ، جص في بير بكران^(٤٢١) .

٧٠٧ هـ (١٣٠٧ م) — فارس : ورامين ، جص في امام زاده^(٤٢٢) .

ق ٨ هـ (١٤ م) فارس : قم ، جص في مدفن ولي بقرب بوابة قاشان^(٤٢٣) .

٧١٠ هـ (١٣١٠ م) فارس : أصفهان ، جص في المسجد الجامع^(٤٢٤) .

٧١٣ هـ (١٣١٣ م) فارس : بسطام ، مشهد بايزيد المحراب الجص^(٤٢٥) .

٧٣١ هـ (١٣٣٠ م) مرند : جص في مدفن^(٤٢٦) .

ويمكننا أن نستخلص من مجموعة الأمثلة السابقة ما يأتي :

أنه قد خرجت موجات محملة بمميزات طرز تلك القفورة الفنية من متبعها في سامرا فوصلت في قوة وغشوان إلى فارس ومصر ، ومن الديرهي أن تكون قد مرّت بديار الشام بحكم موقعها الجغرافي فهي بمثابة الممر الذي تنحدر فيه الموجات الآتية من الشرق إلى مصر . إلا أنه يتقصنا للأسف كثير من المستندات الأثرية التي ترجع إلى ما قبل القرن ٦ (١٢ م) في تلك الديار لكي يمكن تتبع آثار تلك الموجات فيها .

* * *

وأول ما استلقت نظرنا في سير تلك الموجات في الشرق الاسلامي أنه بمجرد خروجها من سامرا ووصولها إلى البلاد التي سبق ذكرها زارها قد بطأ سيرها وأخذ تطورها يتدرج بالسرعة المنتظمة المدأوفة في تطور الفنون وهي قد تبدو لنا كثيرة البطء إذا قسناها بالقفزة التي حدثت في فترة ربع القرن التي رأيناها في سامرا .

الظهور في مصر .

ونرى في مصر بوجه خاص أن الموجة التي وصلتها بدأت تظهر في زخارف جامع ابن طولون ثم زخارف البيت الطولوني في المسكر ثم في زخارف دير السريان بوادي النطرون ثم نجد فراغا في صناعة الجص يستغرق نصف القرن تقريبا تقابله حلقات من زخارف محفورة في الخشب وكلها من الطراز الثالث السامري الى أن تأتي أول حلقة ناجية التاريخ في الحفر على الجص هي الزخارف الجصية في الأزهر . وإذا بنا نشاهد فيها بدء تحول في الذوق والمزاج الفني يتضح في ميل العروق — بعد قصرها في طراز سامرا الثالث — الى الإمتداد في حركات تقرب من التثنيات والحلزونات التي كنا نشاهدها في الأساليب الهلنستية البيزنطية قبل القفورة السامرية . كما تغير الذوق في رسم بعض العناصر مع احتفاظها بآثار من سامرا وعادت الأرضيات إلى الظهور والانتعاش تدريجياً . إلا أن أهم هذه الظواهر كلها هو

امتداد العروق وهي تامة الوضوح في المحراب المحفوظ نسخة منه بدار الآثار العربية والمروق باسم محراب يحيى الشيه . وبفسه الأستاذ فلورى إلى منتصف القرن ١٠ م . ولكنتنا فضل نسبته إلى الربع الأخير من ذلك القرن لأسباب سنشرحها فيما بعد (ص ٧٨) ومن بين تلك الأسباب وضوح ظاهرة امتداد العروق التي أشرنا إليها .

أى أننا نرى خطوات التطور قد سارت في تمهل وانتظام في مادي الجص والخشب في مصر وعت وتزعزعت فيهما أساليب وزخارف سامرا الإسلامية الصميمة . والدليل على ذلك تلك القطع الخشبية الكثيرة المتوفرة حتى نهاية عصر الحاكم بأمر الله . ولكن لا توجد للأسف زخارف جصية أخرى تأتي مباشرة بعد زخارف الأزهر حتى جامع الجيوشى لى تتضح جليا خطوات تطور الزخارف في الجص . أما الأشرطة الجصية في جامع الحاكم فهي كتابات كوفية تتناثر في أرضياتها بعض العناصر البنائية ، وبالنظر إلى أننا لا نعرف من العصر العباسى ولا من غيره أشرطة كتابية من الجص فيها زخارف من الطراز الثانى أو الثالث أو ما يقرب منها فلا يمكننا الاعتماد على أشرطة جامع الحاكم الكوفية في تتبع تطور الزخارف النائية على الجص .

أما المادة الجديدة وهي الحجر التي استعملت بتوسع واشتركت جنباً إلى جنب مع الآجر في بناء جامع الحاكم فإنه لا يوجد فيها مثل واحد به زخارف أو ميزات من أحد الطرازين الثانى والثالث السامريين، وكل الزخارف المحفورة على الحجر في ذلك الجامع فيها ارتداد صريح للأساليب الهلنستية^(٦٧) فالأرضيات راسعة والعروق طويلة تمتد في أمواج وتثنيات وحزونات كما كانت قبل قعود سامرا . كما نرى بينها ظاهرة بزنطية كثيرة الانتشار في زخارف المغرب والأندلس هي العروق المشقوقة إلى اثنين أو ثلاثة، ويخرج بذلك كله عناصر إسلامية صميمة هي الورقة الجناحية والعناصر الكأسية الكاملة وأنصافها ثم القاع المجوف .

وتعين لنا زخارف الحجر في جامع الحاكم نقطة البداية في خروج فرع من الجرى الذى كانت تسير فيه زخارف سامرا وسلالاتها واتجه ذلك الفرع نحو الجرى القديم الذى كان يجرى فيه ذلك المزيج السابق من الأساليب البيزنطية والساسانية والهلينستية، واجتذب معه الزخارف السامرية في الجص والخشب. فأخذت الأساليب القديمة تطفو مرة أخرى شيئاً فشيئاً الى أن امتزجت الأساليب القديمة بالعناصر الاسلامية الجديدة المظهر والذوق وأخذت إحدى سميات سامرا الهامة في التكوين وهى تلاصق العناصر بحيث تهم بعضها البعض في الثلاثى، ومشى المزيج من القديم والجديد في خطوات تطور وئيدة منتظمة متصلة الحلقات تتوالى عليها تأثيرات تشدد وتضعيف حسب الظروف بعضها واضح وبعضها محسوس وبعضها مستر لا يكشف إلا بعد البحث الدقيق، أو بمعنى آخر صرار الجرى الجديد يقترب تدريجياً من الجرى القديم ويتجاذب معه التأثيرات وانتهى الأمر بأن تلاقى الاثنان وكونا مجرى واحداً جديداً جمع بين الاثنين وذلك في جوالى منتصف القرن ١١ هـ / ١١ م.

التطور فى الشام

أما فى الشام فيتضح من مجموعة الأمثلة التى سردناها أنها قليلة جداً فى الشام ولا تساعدنا على تتبع سير التطور هناك. ولكننا بالرغم من ذلك نميل إلى الظن بأنها لم تكن تلك القوة التى سارت بها فى مصر، وأنه قد حدث مزيج بينها وبين الأساليب الهلينستية ولكن بعد فترة أقل من الفترة التى تم فيها الامتزاج فى مصر.

التطور فى العراق وفارس

ويختلف الأمر فى العراق وفارس عنه فى مصر والشام، إذا انتشرت غيماً الوجات منذ سامرا وانحرف التيار الاسلامى فى الجرى الجديد الخاص به هناك ثم أخذ فرع منه — لا الجرى الجديد نفسه كما حدث فى مصر — يقترب تدريجياً من الجرى القديم الهلينستى ويقابل معه التيارات والتأثيرات

كما كان الحال في مصر حتى تلاقى الاثنان مرة ثانية في وقت بعاصر الوقت
الذى تم فيه ذلك في مصر أى حوالى منتصف القرن ١١ هـ / ١١ م هذا مع الفارق
لطبعي في المزاج والذوق وحسب الجو الفنى المحلى في كل قطر من الأقطار .

واذن فهناك فرق واضح بين سير التطور في فارس والعراق وسيره
في مصر .

فأسلوب سامرا في فارس والعراق لم يخلف بعد امتزاجه بالقديم كما حدث
في مصر بل بقي منه مجرى ضيق احتفظ فيه أسلوب سامرا بجزء كبير
من ميزاته القديمة من عناصر وتكوين مع تطورات خفيفة لم تؤثر على الهيكل
ولأعلى الروح الأصلين بقي سليما حتى القرن ١٨ هـ / ١٤ م ، هذا وقد خرجت
منه بعض التأثيرات فوصلت الى آسيا الصغرى في القرن ١٣ هـ / ١٣ م (ص ٦٨) .

سامرا والفن القريب الانسجامى

أما علاقة سامرا بفنون الغرب الاسلامى فيمكن شرحها كما يأتى :
وقعت موجة سامرا القوية التى وصلت الى مصر عند تخومها الغربية ولم
تعمدها إلا في حالات قليلة : منها مثلا تلك البلاطات الخزفية ذات البريق المادى
في جامع القيروان التى تنسب الى النصف الثانى من القرن ٩ هـ / ٩ م ومنها
خزف ذو بريق معدنى وزجاج ذو زخارف بارزة عثر عليهم في خرائب مدينة
الزهراء في القرن ١٠ هـ / ١٠ م . وهى أمثلة ومستندات تؤيد المصادر التاريخية أصليا
لشرقى ، إذ نعتنا عن المرة الاولى فنقول : إن بلاطات القيروان قد استوردت
من بغداد مع منبر الجامع الذى لا يزال به حتى الآن . وعن المرة الثانية أنه
كان من بين صناعات مدينة الزهراء صانعا أصله من الأسكندرية (٦٩) ، ولا يستبعد
بئس ومن المرجح أن يكون معه صناعات غيره . وفي هذه الأدلة التاريخية ما يؤيد
وجود صلة فنية بالشرق الاسلامى وبمصر خاصة كان من نتائجها وجود
مثل تلك القطع الخزفية والزجاجية في المغرب .

وهما يمكن من الأمر فقد كانت تلك النصف وأماها أشبه برذاذ فنى
- يترك أثرا محسوسا في الفنون المحلية .

وتلحق المتناثرة في الغرب الاسلامي والتي يتضح فيها أساليب وجزئيات من سلالات أساليب سامرا ، بعد الثلثين السابقين يمكن جمعها فيما يأتي :

القرن ١٠ (١١ م) الجزائر : قلعة بني حماد ، عناصر زخرفية ذات قاع مجوف (شكل ٢٣) .

حوالي ١٠٣٠ هـ (١٠٤٠ م) تونس : القيروان ، عناصر محفورة في خشب المقصورة في المسجد الجامع ^(٧٠) .

١٠٤٣ هـ (١٠٤٥ م) تونس : باب تونس بالقيروان (لوحة ١٣) ، زخارف كأسية وأنصافها ذات تجويف وغيرها (أشكال ٢٤ — ٢٧) .



(شكل ٢٥)

القيروان ، باب تونس



(شكل ٢٤)

القيروان ، باب تونس

منتصف ١٠ هـ (١١ م) تونس : جامع القيروان ، عناصر كأسية كاملة وأنصافها (أشكال ٢٨ — ٣٠) بها تجويف وحلزون في قاعها وعناصر جناحية أخرى (أشكال ٢٨ — ٣١) .



(شكل ٢٧)

القيروان ، باب تونس



(شكل ٢٦)

القيروان ، باب تونس



(شكل ٢٩)

القيروان

Marçais : Conques, pl. XXXI/994.



(شكل ٢٨)

القيروان

Marçais : Manuel, I, 94/81.



(شكل ٣١)

القيروان

Marçais : Manuel, I, Fig. 94 k.



(شكل ٣٠)

القيروان

Marçais : Manuel, I, Fig. 94 k.



(شكل ٣٣)

الهدية

Marçais : Manuel, I, Fig. 94/l.



(شكل ٣٢)

الهدية

Marçais : Manuel, I, Fig. 94/l.

منتصف ٥٥ (١١ م) المهدية : زاوية العيسوية ، زخارف أنصاف كاسية
مجوقة وكأسيه من دوجة القاع (أشكال ٣٢ — ٣٣) .

منتصف ٥٥ (١١ م) تونس ، جامع القيروان : تاج عمود بصلي
يصغه مارسيه بأنه طولوني (٧٦) وهو شكل نعتقد أنه متسلبل من أصول
من سامرا .



(شكل ٣٤)

تونس : شاهد قبر

• Marcia: Manuel, I, Fig. 93/8.

منتصف ٥٥ (١١ م) تونس ،
القصبة : تاج عمود بصلي في أحد
الشوازع (٧٧) .

٥٣٤ (١١٣٩ م) تونس : شاهد
قبر ، عنصر كاسي (شكل ٣٤) (٧٨) .

وقد نسب مارسيه تلك الظواهر
في جامع القيروان إلى تأثيرات فاطمية
وفدت في ذلك الوقت (٧٤) . ويعزز
هذا الرأي عدم وجود حلقات صريحة

تسبقها أو تلحقها . فهناك مثلاً قوة زمنية كبيرة تبلغ القرنين بين تاريخ
البلاطات الخزفية حول محراب الجامع وبين هذه الأمثلة . وعلى كل حال فإننا
لا نجد فيها كلها استمراراً أو اتراً في زخارف الغرب الإسلامي . وأغلب الظن
أنها لم تبتدأ ترحيباً من الفنانين المحليين في تلك الأقطار فلم يحاولوا استعمالها
أو التطوير بها في زخارفهم .

* * *

الطراز المندلسي في المغرب والأندلس

ويتصل بهذا الموضوع موضوع آخر نرى من الواجب الإشارة إليه
وهو ظهور مميزات في المغرب والأندلس تشبه مميزات من مميزات سامرا
(ص ٦١٦ — ٦١٧) وهما تلاصق العناصر وإتمام بعضها لبعض، ثم تحديق قطاعها . وزاد
عابها في المغرب والأندلس ذوق جديد من التجسيم (Modelling) يتجلى في تفاوت
مستويات الزخارف وركوب بعض العناصر فوق البعض الآخر وتفضايفها

أحيانا مما يعطى القطعة ظللا متفاوتة العمق . ويسمى الأستاذ مارسيه هذا الأسلوب « بالطراز المتلاصق » (le décor floral compact)^(٧٥) وهي ميزة مغربية أندلسية لم نرها في سامرا . وقد بقيت تلك الميزات أو ما بدكرنا بها حتى القرن ١٠ هـ / ١٦ م^(٧٦) في أقطار الغرب الاسلامي .

وفيا يلي الأمثلة التي نرى فيها تلك الميزات أو بعضها منها :

القرن ٦ هـ / ١٢ م ، رباط : باب قصبة عودايا^(٧٧) .

٥٤٨ / ١١٥٣ م ، تنمل : تيجان أعمدة المسجد^(٧٨) .

٥٩٠ / ١١٩٤ — توزر : محراب المسجد وأقروزيه^(٧٩) .

حوالي ٥٩٢ / ١١٩٦ ، مراکش : تيجان أعمدة في مسجد الكتبية^(٨٠) .

حوالي ٥٩٥ / ١٢٠٠ ، طليطلة : تيجان أكتاف كنيسة القديسة ماريا البيضاء^(٨١) .

القرن ٧ — ٨ هـ / ١٣ — ١٤ م ، تلمسان : تيجان أعمدة في مدفن سيدي أبي مدين أصلها من المنصورة^(٨٢) .

٦٩٦ / ١٢٩٦ ، تلمسان : تاج عمود في مسجد أبي الحسن^(٨٣) .

٧٠٢ — ٧٣٦ / ١٣٠٣ ، تلمسان : تاج عمود في مسجد المنصورة^(٨٤) .

٧٢١ — ٧٢٣ / ١٧٢١ — ١٣٢٣ : فاس : مدرسة الصهرج^(٨٥) .

٧٢٣ — ٧٢٥ / ١٣٢٧ — ١٣٢٥ — فاس : تاج عمود في مدرسة المطارين^(٨٦) .

٧٢٩ / ١٣٢٩ ، رباط : باب شيلا^(٨٧) .

٧٥١ — ٧٥٦ / ١٣٥٠ — ١٣٥٥ ، فاس : تاج عمود في مدرسة بن عثانية^(٨٨) .

منتصف ٨ هـ / ١٤ م ، غرناطة : تيجان أعمدة بقصر الحمراء^(٨٩) .

٧٥٣ — ٧٦٤ / ١٣٥٣ — ١٣٦٤ : اشبيلية : القصر^(٩٠) .

ولكن برغم التشابه بين مميزات هذه الأمثلة ومميزات زخارف سامرا فإننا لا نجعل إلى الظن بأن الأخيرة كان لها أثر ما على الزخارف النصرية الاندلسية المتلاصقة ، وذلك لأن أساليب سامرا (كما رأينا في صفحة ٦٥ وما بعدها) بقيت إلى القرن ٨ هـ / ١٤ م في فارس والعراق فقط . أما في مصر — وهي الأقرب إلى الغرب الإسلامي ، بل هي القنطرة الموصلة إليه — فكانت قد اختفت منها في أول القرن ٥ هـ / ١١ م . وليس من السهل الظن بأن تأتي موجة من فارس والعراق إلى المغرب من غير أن تترك أثرا ولو عابرا في مصر ، أضف إلى ذلك أن الزخارف المتلاصقة في المغرب والاندلس كان لها طابع خاص من حيث تفاوت المستويات ومن حيث عناصرها المحلية الأصلية ولا يوجد بينها أى عنصر من أصل سامرى .

ويمكننا إذن أن نقول بأن تلك الظاهرة في المغرب والاندلس تعتبر إحدى الظواهر المحلية في تلك البلاد .

أما كيف نشأت تلك الظاهرة في المغرب والاندلس فانه يقتضينا الخلقات التمهيدية التى أنتجت فى تسلسلها تلك الظاهرة . ولا يمكننا لذلك أن ندلى برأى فى نشأتها فى الوقت الحاضر .

(ملاحق)

محراب يحيى الشيبه

يوجد نموذج من الجص لهذا المحراب محفوظ بدار الآثار العربية (لوحه ١٠) وعرف في الدار بأنه « محراب يحيى الشيبه » ولكنه في الأصل لم يكن بمدفن يحيى الشيبه بل كان في مدفن بجواره .

أما المحراب الأصلي نفسه فغير موجود الآن ولكن له صورة ودون على حاله الأصلية منشورة في كتاب Strzykowski : Asiens Bildende Kunst, Abb. 496.

واهتم به الأستاذ فلوري وأفرد له بحثا نشره في مقالة ونسبه فيها الى منتصف القرن العاشر الميلادي أى في العصر الأخشيدي . ويعتبره في مرحلة بين الطرازين الطولوني والفاطمي . ولكنه لا يستبعد نسبه الى العصر الفاطمي (١٣٨).

ووضع الأستاذ كريسول المحراب في العصر الأخشيدي اعتمادا على رأى الأستاذ فلوري (١٤١).

والأصح في رأينا أن يستبعد وضعه في العصر الاخشيدي إذ أن تماثيل زخارفه وعناصره يرجع نسبه الى العصر الفاطمي الى حد كبير وقد تناول الأستاذ فلوري كثيرا من تلك العناصر والزخارف بالبحث إلا أن هناك ظاهرة هامة تنبه اليها الأستاذ فلوري واسكنه لم يستغلها الاستغلال الكافي وفي رأينا أن لها أهمية كبرى في ترجيح التاريخ في العصر الفاطمي .

والظاهرة الهامة هي العروق المزدوجة أو المقسومة (شكل ٣٥) . وهي منتشرة بشكل واسع جداً في الزخارف النباتية في الغرب الاسلامي ومن أمثلتها العديدة ما يوجد في القيروان في زخارف القبة فوق المحراب



(شكل ٣٥)

مردق مزدوجة ، محراب يحيى الشيبه

(٨٢٤/٨٦٢-٨٦٣ م) ^(٩٢) وفي جامع الثلاث ببيان (٢٥٢/٨٦٦ م) ^(٩٣) تم في مدينة الزهراء في الزخارف الجصية (٣٢٥-٨٣٥٢/٩٣٦ م-٩٦٣ م) ^(٩٤) وفي جامع قرطبة حول المحراب وفي أماكن أخرى متعددة في نفس الجامع (٣٥٠-٨٣٥٥/٩٦١ م-٩٦٦ م) ^(٩٥) وفي زخرفة حول شباك في كنيسة تراجون (٨٣٤٩/٩٦٠ م) ^(٩٦) وعلبة من العاج أسطوانية الشكل في كنيسة زامورا (٨٣٥٣/٩٦٤ م) ^(٩٧) وفي حوض من الرخام في مدرسة براكش (٨٣٩٨-١٠٠٠ م) ^(٩٨) وعلبة من العاج في مدينة بلنسية (٨٤٤٩/١٠٤٩-١٠٥٠ م) ^(٩٩) وغير ذلك من الأمثلة العديدة.

وم ظاهرة العروق المزدوجة نادرة نادرة واضحة في زخارف المستجبات الفنية من مصر في العصر الأموي رغم كثرتها في الفنون البيزنطية ولم يصادفنا منها شيء في زخارف المستجبات الفنية في العصر العباسي وما بعده إلى أن نجدها في الزخارف الجصية في الجامع الأزهر في حائط القبلة . وتنسب الزخارف إلى العصر الأول من بناء الجامع (٣٥٩-٨٣٦١/٩٧٠ م-٩٧٢ م) ^(١٠٠) والمثل التالي له ذو تاريخ موثوق به في جامع الحاكم بأمر الله ويوجد في معظم الزخارف النباتية في مثذنته وباب المدخل الرئيسي (٨٣٩٣/١٠٠٣ م) ^(١٠١) وكلا الجامعين فهما كثير من الظواهر المفردة .

وبمعنى آخر فإن هذه الظاهرة لم تظهر في مصر في تاريخ مؤكد إلا بعد فتح الناطقين لها وتزوج كثير من أهالي الغرب الإسلامي إليها . وفي الواقع أنه أخذت من ذلك الوقت تأثيرات مغربية كثيرة تظهر في مصر وخاصة في ناحية الزخارف المعمارية ^(١٠٢) .

وبالإضافة إلى ظاهرة العروق المزدوجة نجد ظاهرة أخرى هي العروق الممتدة وقد أشار إليها الأستاذ فلوري أيضا ولكنه لم يستغلها الاستغلال الكافي في مناقشة التاريخ .

وفي رأينا أنها تعزز نسبة المحراب إلى العصر الفاطمي . فطراز سامرا الثالث كان من أهم مميزات قصر العروق إلى درجة التلاشي فقد أصبح العنصر

في ذلك الطراز يخرج من طرف عنصر آخر مباشرة . واستمرت هذه الظاهرة واضحة في مصر حتى سنة ٩١٤ م^(١٠٢) في زخارف دير السريان ولم تعد الى الامتداد والوضوح إلا في زخارف الجامع الأزهر . وفي رأينا أنها في زخارف محراب يحيى الشبيه أوضح منها في الأزهر وأكثر تطورا .

ولم يكن الأستاذ فلورى متشدداً في التمسك بنسبة محراب يحيى الشبيه الى منتصف القرن العاشر الميلادى فلم يستبعد إمكان نسبته الى أوائل العصر الفاطمى إذ لا تعارض حينية بحته مع التاريخ الأخير . وإذا أضفنا الى ذلك ملاحظتنا على الطواهر التى ناقشناها فيما سبق لرجحت كفة نسبته نهائيا إلى أوائل العصر الفاطمى . ولذا فأننا نضعه في القرن الأخير من القرن العاشر الميلادى أى بين تاريخ البدء في بناء الجامع الأزهر وتاريخ البدء في بناء جامع الحاكم بأمر الله .

الحواشي

- (١) تنسب الدكتور كونل ومساعديه — أنظر زكي محمد حسن : الفن الاسلامي في مصر ٧٠ — ٧١ و Herzfeld : Wandschmuck ; Creswell, vol. II, pp. 286-8.
- (٢) لا شك أن عامل الوقت والنفقة كان لهما قيمة لا يستهان بها في انشاء مدينة كما سراما : فانتساعها المائل وتراعى أطرافها — كما يتضح فيها كشف منها الى الآن — والذي تم كانه في فترة لا تزيد على نصف القرن. كل ذلك لا يدع مجالا للشك في أن الصناعات مهما بلغ عددهم من الضخامة قانهم كانوا في أشد الحاجة الى ابتكار كل ما يوفر لهم الوقت . ولا ظن أن العملاء كان لديهم اعتراض على ذلك لما فيه من اقتصاد محسوس في النفقة .
- (٣) عثر على قطع مهارة بيزنطية في الأكرودبول بمدينة أينا بها زخارف تتجلى فيها نفس فكرة توزيع العناصر متلاصقة ومحدب قطعها كما في الطراز الثالث السامري وتوزع في وقت مبصر لخوارف سامرا رابن طولون . وأعجب الظن أن تكون هذه القطع البيزنطية قد تأثرت إلى حد كبير بأسلوب سامرا . أنظر : Strzygowsky, Altai Iran, Abh. 68, p. 47 ff.
- (٤) Creswell, vol. II, p. 287, quoting Herzfeld. ويستعمل أحيانا في الوقت الحاضر مادة الطين لعمل الخزاف كشقوق أولي يؤخذ منه قالب سابي ولكن ليس لدينا ما يدل على استعمال هذه الطريقة في سامرا .
- (٥) سجل دار الآثار العربية : ١ — ٥ / ١٤١٤٢ و ١٠٠٦ / ١٤١٤٧ و ٢٢٤١
- (٦) سجل رقم ١٠٤٦
- (٧) Wandschmuck, Abh. 318, Orn. 284.
- (٨) Creswell : E.M.A. vol. II, Pl. 52.
- (٩) Rice, Ars Islamica, vol. I, Pt. I, pp. 51-3.
- (١٠) Creswell : E.M.A. vol. I, Figs. 49-50.
- (١١) هناك عناصر ونواصر مهارة وغيرها سردها الأستاذ هرزفيلد وزاد عليها الأستاذ كريستل وزيد وأينا هذا : أنظر : Creswell, II, pp. 186-3.
- (١٢) المرجع السابق صفحة ١٨٧ حاشية (٤) إلى (٦)
- (١٣) زكي محمد حسن : الفن الاسلامي في مصر ص ٣١ وحاشية (١)
- (١٤) Creswell, II, p. 186, Figs. 184-5.
- (١٥) المرجع السابق صفحات ٢٦٨ — ٢٧٠ و ٢٨٧
- (١٦) ينسب الأستاذ ديماند هذا النبر والقطع الحشوية الأخرى الشابة له إلى عصر هارون الرشيد (٨٧٦ — ٨٠٨ م) أنظر : Ars Islamica, vol. IV p. 32 ولكنه لم يبين أدلة واضحة على صحة هذا التاريخ ولذا قاننا نحيل الظن بأن النبر عمل في وقت قريب جدا من الوقت الذي جلب فيه من بغداد إلى القبروان كما نحيل إلى تأريخ القطع الحشوية

الأخرى الشاهية وعثر عليها في تكريت في تمس تاريخ النبر لاعتقادنا أن الصنع الذي قام
بملمه واحد أو على الأقل قد عملا في مصنفين يتبعان أساليب صناعية واحدة وفي عصر
واحد، وأغلب ظنا أن خطأ الأستاذ دعبند نشأ عن اعتياده على تقسيم الأستاذ هرتزفيلد
لطر از سامرا الذي يضع طرازنا الثالث في عصر هارون الرشيد. ومن يجب أن الأستاذ
دعبند لا يزال متمسكا بهذا الرمنع حتى في آخر طبعة كتابه *Muhammadian*
Decorative Art, 1947

Pauty, B.I.F.A.O., t. XXX, pp. 77-81, 6 Pls. (١٧)
Creswell, II, p. 313, Fig. 234; Marcais: Les Faïences... Pls. (١٨)
22-30.

Wandschmuck; Creswell, II, Pls. 53-58 a-c, 67 b, 74 d-e, 73 a-b. (١٩)
Creswell, II, Pls. 86, 86 A; Marcais: Les Faïences. (٢٠)
(٢١) محمود عكروش: الجامع الطولوني، أشكال ٤ - ٩. ولوحات ٦ - ٩

زكي محمد حسن: الفن الإسلامي في مصر لوحات ١٧ - ١٨،
Les Mosquées du Caire, vol. II, Pls. 4, 6, 8; Creswell, II, Pls.
101 a-b, 102-114.

(٢٢) زكي محمد حسن: المرجع السابق لوحة ١٣، Creswell, II, Pl. 123 d
(٢٣) على بهجت وجبريل: سفريات القنسطاط شكل ٥٥. ولوحات ٢١ و ٢٥،

زكي محمد حسن: المرجع السابق لوحات ١٤ - ١٦، Creswell, II, Pl. 117 c-d;
Al Hawary, B.I.E. vol XV (1932/3) pp. 79-87, 10 Pls.

Creswell, II, p. 356, ft. n. 5. (٢٤)
Archeologische Reise... Bd. II, Abb. 322-3, p. 353, and (٢٥)
Bd. IV, Taf. OXL 2-4.

Ars Islamica, vol. IV, p. 323-4. (٢٦)
Creswell, II, p. 356, ft. n. 3; Arch. Reise, II, p. 13, Taf. (٢٧)
LVIII, LIX.

(٢٨) زكي محمد حسن: المرجع السابق لوحة ٣٧

(٢٩) المرجع السابق لوحات ٣١ - ٣٧، Panty: Bois Sculptés... Pls. B, C, E, F, XII-XXII.

Creswell, II, p. 356; Flury, Der Islam. VI (1916), pp. 71-78; (٣٠)
White: Monasteries of Wadi En-Natrun, Pls. LXVI A-C, LXVIII
A-B, LXX A-B, LXXI B; Nonneret de Villard: Wadi-n-Natrun,
Pls. 20-21, 23-27; Strzygowsky: Asiens Bildende Kunst. Abb. 463.

Flury: Al-Hakim... Taf. XI/2; Creswell, II, Pl. 123 a-d. (٣١)
Arch. Reise, II, p. 295, III. Taf. CV. (٣٢)

Creswell, II, pp. 345, 396, Pl. 121 c; Wandschmuck, Pl. (٣٣)
LXXVIII, p. 8; Herzfeld, Der Islam, I, pp. 53-56, Taf. IV-V.

Denike, Ars Islāmīca, II, Pt. I, Figs. 1-3, p. 171. (٣٤)
Survey, IV, Pls. 265-269 V, Pl. 311. (٣٥)

Bosco: Medinet az-Zahra, Pls. 51, 55, Fig. 46. (٣٦)
Mosquées, II, Pls. 12, 15; Flury: Al-Hakim, Taf. VIII-XIII, (٣٧)
Abb. 7-8.

- Flury: Ein Stück Mihrab des IV H./X Jh., in Beiträge zur Kunst des Islam, pp. 106-110. Professor Creswell translated this article in his new forthcoming book: *Muslim Architecture in Egypt*, Vol. I.
- Party: Bois sculptés, Pls. XXIII-XXV. (٣٩)
- Flury: Al-Hakim, Taf. I; Mosquées, II, Pls. 19, 23. (٤٠)
- Survey, vol. VI, Pl. 1462, (٤١)
- Ibid; vol. V, Pls. 273 b, 274 c. (٤٢)
- Flury: Amida, Abb. 10, Taf. XVI; Kühnel: Maurische Kunst (٤٣)
Pl. 19.
- Survey, vol. IV, Pl. 324 B. (٤٤)
- Bell: تزوخ جرتوديل مسجد الاربعين بأنه يناصر امام نور نظر (٤٥)
Amurath to Amurath, Fig. 130, p. 217; Arch. Reise, III, Pl. XXX
وله صورة أخرى في Arch. Reise, III, Pl. XXX
في ١٧٨٠ م (١٠٨٥) م أنظر Der Islam, vol. V, p. 360. بينا يؤرخه سميت في
حوالي ١٢٠٠ م — أنظر Smith, Ars Islamica vol. VI, Pt. I, p. 7, ft. n. 45.
- Denike, Ars Isl. vol. II, Pt. I, Figs. 5-8, p. 73. (٤٦)
- Survey, IV, Pl. 312 B. (٤٧)
- Ibid. IV, Pls. 313-316, vol. V, Pls. 512 D, 524. (٤٨)
- Ibid. IV, Pls. 311 C, 312 A. (٤٩)
- Cohn-Wiener: Turan, Taf. XIII-XIV. (٥٠)
- Survey, IV, Pls. 330-332, vol. V, Pl. 513. (٥١)
- Ibid., IV, Pl. 391. (٥٢)
- Arch. Reise, II, p. 361, Abb. 334, 335, III, Pl. (٥٣)
- Ibid. II, Abb. 230-233, III, Taf. CVI 5-7, XC. (٥٤)
- Ibid. I, pp. 294-295, Abb. 282 (٥٥)
- Ibid. II, Abb. 271, Taf. CVI 8-9. (٥٦)
- Survey, IV, Pl. 517. (٥٧)
- Herzfeld, Der Islam, V, pp. 358-369. (٥٨)
- تأني من الرجح (٥٩)
- Sarre: Seld. Kunst, p. 3, Pls. A-B. (٦٠)
- Survey, IV, Pls. 387-390. (٦١)
- Ibid. V, Pls. 531 B, 532 B. (٦٢)
- Ibid. IV, Pl. 353. (٦٣)
- Ibid. IV, Pls. 396-397. (٦٤)
- Ibid. IV, Pls. 392-395. (٦٥)
- Ibid. IV, Pl. 398. (٦٦)
- Flury: Al-Hakim. Taf. XIX-XX, XXI 1/2, XXIV-XXXIV; (٦٧)
Mosquées, II, Pls. 21-23.
- أورد مارسية لنا من ابن تاجي: مسالم الايمان به، هذا الذي أنظر: (٦٨)
Marçais: Faïences, p. 10, ft. n. 3; Creswell, II, p. 314.

Marcnais: Manuel, I, p. 246, fl. n. I.	(٧٨)
Flury: Amidu, Pl. XVI, Abb. 10; Kühnel: Maur. Kunst, Pl. 19	(٧٩)
Marcnais: Manuel, I, Fig. 8.	(٧٨)
Ibid. Fig. 85 B.	(٧٧)
Ibid. Fig. 93.	(٧٣)
Marcnais: Coupole, p. 35.	(٧٤)
Marcnais: Manuel, I, p. 408.	(٧٥)
Ibid. vol. II, Fig. 308.	(٧٦)
Ibid. vol. I, Figs. 201, 237: Terrasse: L'Art Hisp., Maur. .	(٧٧)
p. 244, Fig. 45.	
Marcnais: Manuel, I, Fig. 206; Terrasse. Pl. 63 A-B.	(٧٨)
Marcnais: I, Figs. 236, 243, pp. 387-388, 404.	(٧٩)
Ibid. Fig. 200.	(٨٠)
عذب بارز وبه التقرب المينة الشكل التي تذكرنا بأشياء لها في الحجرة (أعلام صفحة ١١	
لحنية' ١) ولي سامرا .	
Ibid. II, Figs. 326-328.	(٨٢)
Ibid. Fig. 322.	(٨٣)
Ibid. Fig. 325.	(٨٤)
Ibid. Fig. 334.	(٨٥)
Ibid. Fig. 323.	(٨٦)
Ibid. Fig. 335.	(٨٧)
Ibid. Fig. 324.	(٨٨)
Ibid. Fig. 321.	(٨٩)
Ibid. p. 663, Fig. 380.	(٩٠)
Creswell: Muslim Architecture in Egypt, vol. I.	(٩١)
Marcnais: Manuel, I, Figs. 32, 38; Creswell, II, Pls. 84-85, .	(٩٢)
Figs. 233-237,	
Marcnais, I, Figs. 42 'd, 34.	(٩٣)
Bosco: Medinet az-Zuhra, Pls. XXVII-XXXIII, Figs. 18 etc. ;	(٩٤)
Marcnais, I, Figs. 52-58; Terrasse: L'Art H.M., Pls. X-XIII.	
Marcnais, I, Figs. 164-5; Terrasse, Pls. XV, XXII, XXVII, .	(٩٥)
Figs. 24-25; Kühnel: Maur. Kunst, Pl. 15.	
Marcnais, I, Fig. 141; Kühnel: Pl. 18.	(٩٦)
Terrasse, Pl. XXVI.	(٩٧)
Marcnais I, Figs. 155 c, 156; Terrasse, Pl. XXX('II.	(٩٨)
Terrasse, Pl. XL.	(٩٩)
Flury: Al-Hakim. Pls. XII-XIII; Creswell: Brief Chrono-	(١٠٠)
logy. pp. 50-51; Mosquées, II. Pl. 15.	
Flury: Al-Hakim. Pls. XIX-XX, XXII/2. XXIV) XXXI, .	(١٠١)
XXXIII-XXXIV; Mosquées, II, Pls. 21-22	
سنجمنها وناقشنا في مثالة آتية إن شاء الله .	(١٠٢)
Creswell, II, p. 356.	(١٠٣)

المراجع

الفنون الإسلامية عامة

ذكي محمد حسن . . : الفن الإسلامي في مصر القاهرة : ١٩٣٥

DIMAND (M.S.): A Handbook of Muhammadan Decorative Arts, 2nd. ed. N.Y., 1944.

HERZFELD (E.): Die Genesis der Islami-schen Kunst und das Nachatiz Problem. (Der Islam. Bd. I, pp. 27-64, 105. 1910).

KÜHNEL (E.): Maurische Kunst. Berlin, 1924.

MARCAIS (G.): Manuel d'art Musulman. 2 vols. Paris. 1926/7.

POPE (A.U.) & ACKERMAN (Ph.): Survey of Persian Art. 6 vols. Oxford, 1938

SARRE (F.): Seldschukische KleinKunst. Leipzig. 1909.

Idem.: Beiträge Zur Kunst des Islam. Leipzig. 1925. (Jahrbuch der Asiatischen Kunst. 1925).

STRZYGOWSKI (J.): Asiens Bildende Kunst, 1930.

Idem.: Altai Iran und Völkerwanderung. Leipzig, 1917..

TERRASSE (E.): L'art Hispano-Mauresque. Paris, 1932.

عمارة وآثار

علي بهجت والبير جبريل : حفريات النسطاط (ترجمة) القاهرة ١٩٢٨

محمود عكروش . . : الجامع الطولوي ، القاهرة ١٩٣٧

مديرية الآثار القديمة ببغداد : حفريات سامرا ، القاهرة ١٩٤٠

BELL (G.): Amurath to Amurath. London. 1911.

BOSCO (D.R.V.): Medios az-Zahra y Almeriya. Madrid.

COHN-WIENER (E.): Turan. Islamische Baukunst in Mittelasien. Berlin, 1930.

CRESWELL (K.A.C.): A Brief Chronology of Muhammadan Monuments of Egypt. (B.I F.A.O. t. XVI-1919-p. 93 ff.). Le Caire, 1919.

Idem.: Early Muslim Architecture. 2 Vols. Oxford, 1932 & 1940.

FLURY (S.): Ein Stuckmibrab des IV H/X JH. (In Beiträge . . . pp. 106-110) Leipzig, 1925.

HASAN MUHAMMAD al-HAWARY : Mission d'époque Tulunide. (B.I E. t. XV/fasc. 1 pp. 79 87, & pls). 1932/3.

HAUTECEUR (L.) & WIET (C.): Les Mosquées du Caire. 2 vols. Paris, 1932.
HERZFELD (E.): Der Wandarmuck der Bauten von Samarra und seine Ornamentik. Berlin, 1923.

Idem.: Mashhad 'Ali' ein Bau Zingis II. A.H. 569. (Der Islam, V, pp. 358-369). Berlin, 1914.

MARCAIS (G.): Coupole et Plafonds de la Grande Mosquée de Kairawan. Tunis, 1903.

MARCAIS (W. & G.): Les monuments Arabes de Tlemcen. Paris, 1903.

RICE (T.): The Oxford Excavations at Hira, (Ars Islam., I/I, pp. 51-53), 1934.

SARRE (F.) & HERZFELD (E.): Archeologische Reise im Euphrat- und Tigris Gebiet, 4 vols. Berlin, 1911-20.

SMITH (M. B.): Material for a corpus of early Islamic Iranian Architecture. (Ars Islamica, IV/ Art. II, Manar and Masjid Bargian, Isfahan, pp. 6-41. 1937.
IV/I, Art. III, 2 dated Seljuk Monuments at Sin, Isfahan pp. 1-10. 1939.

VILLARD (M. de): Les églises du Monastere de Syriens au Wadi en-Natrun. Milan, 1928.

WHITE (E.): The Monasteries of Wadi-n-Natrun. N.Y. 1932.

الخزف

MARCAIS (G.): Les faïences a reflet metallique de la grande Mosquée de Kairawan. Paris, 1928.

SARRE (F.): Die Karamik von Samarra. Berlin, 1925.

قوش و كتابات

FLURY (S.): Islamische Schriftbänder, Amida, Diarbake. Anhang: Kairawan. Mayyafariqin, Tirmith. Basil, Paris, 1920.

زخارف

DIMAND (M.): Some Aspects of Omayyad and Early Abbasid Ornament. (Ars Islamica, IV, pp. 293-337. 62 Figs). 1937.

FLURY (S.): Die Ornamente der Hakim- und Ashar Mosehce. Heidelberg, 1912.

Idem.: Die Gipsornamente der Deras-Suriani. (Der Islam, VI, pp. 71-87). 1916.

أخشاب

DENIKE (B.): Quelques monuments de bois sculpté au Turckian Occidental. (Ars Islamica, II/I pp. 69-83, 18 Figs.). 1935.

PAUTY (E.): Sur une partie en bois sculpté, provenant de Baghdad. (B.I.F.A.O. XXX pp. 77-81. 6 Pls.). 1930.

Idem. : Les Bois sculptées jusqu'à l'époque Ayyoubide. Le Caire, 1931.

RUTHEVER (F.) : Some Egyptian Woodcarvings in the Collection of the University of Michigan. (Ars Islamica. IV, pp. 448-455). 1937.

فنون غير إسلامية

ERDMANN : Des Datum des Taqi Bustan. (Ars Islamica. IV,

GOODYEAR : Grammar of the Lotus.

ORBELI (J.) & TREVER (C) : Orfèvrerie Sasanide. Objets en or, argent et bronze. (Musée de l'Hermitage). Moskou, Leningrad, 1935.

SMIRNOW : Argenterie Orientale. St. Petersburg, 1909.

نبات وعلوم

BAILEY : Cyclopedia of Horticulture. 3 vols.

نقط العروس في تواريح الخلفاء لابن حزم

رواية الحميدى

محقق الدكتور سوقي ضيف

مقدمة

هذا نصٌ نفيس سبق أن نشره الأستاذ زَيْنُ الدِّين سنة ١٩١١ م في مجلة الدراسات التاريخية بترجمة من نسخة هنر عليها في مكتبة ميونخ. غير أن هذه النسخة لم تكن كاملة إذ تنقص من الأصل نحو ثلثه ، وأيضاً بها تحريفات غير قليلة . ويتصادف أن معهد المخطوطات بالجامعة العربية صوّر بين ماصور من مكتبة بازيد عمومية بإستانبول نسخة كاملة من هذا الكتيب برواية أبي عبد الله محمد بن قُتُوح الحِمْدِي السُّبُورِي الحُدُثِي المشهور صاحب كتاب جذوة المُقْتَبَس ، وهو أحد تلامذة ابن حزم ، ومن أجل ذلك تكون روايته ذات قيمة حثيثة . ولعل ذلك ما جعلني أعيد نشر هذا النص ، لأنه من جهة تكامل ، ومن جهة ثانية جاء عن طريق عال من الصحة والثبوت في الرواية ، إذ أجاز ابن حزم الحميدى رواية جميع كتبه . وأيضاً فإن ابن حزم يُعَدُّ في طليعة المفكرين الذين ظهروا في الأندلس ، وكل عمل له جديرٌ بالناية والاهتمام .

وهو على بن أحمد بن سعيد بن حزم ، وفي الجذوة أن جده كان مولى ليزيد بن أبي سفيان . ومزعمٌ قال المؤرخون إنه يرجع إلى أصل فارسي ، غير أن ابن إسلم في الذخيرة وابن سُمَيْد في المغرب يردّانه إلى أصل أسباني ،

ويظهر أنه حاول أن يُخفي هذا الأصل ، أو لعل أباه هو الذي حاول ذلك بعد أن وصل إلى الوزارة في عهد المنصور بن أبي عامر حتى لا يُحدثش كبر يارؤه .

وإذن فإن حزم من أصل مسيحي أسباني ، وقد رحل جده سعيد من قرية منّت ليستم من قرى ولبة في كورة لبلة إلى قرطبة ، وكان ذلك أيام عبد الرحمن الناصر . وفي قرطبة عنى بتربية ابنه أحمد الذي أظهر تفوقاً وامتيازاً على أقرانه ، ولم يلبث أن أصبح شخصية خطيرة في بلاط المنصور بن أبي عامر رئيس وزراء الخليفة الأموي هشام الملقب بالمؤيد . ولما بنى المنصور مدينة الزاهرة نزل أحمد بالقرب منه في حي مجاور له ، واستمر يخدمه ويحظى برضاه ، حتى توفى ، فخدم من بعده ابنه المظفر . وما زال في خدمة هذه الأسرة ، وفي نفس الوقت كان يزيد بقلبه الأمويين ولأجلهم ، إذ قدمه ، واستوزروه ، وجعلوه شخصية بارزة . ولا نكاد نتقدم في القرن الخامس للهجرة حتى يهاجم البربر قرطبة ويُتوفى أحمد بعد ذلك بقليل سنة ٤٠٢ هـ .

ورزق أحمد بابنه علي سنة ٣٨٤ هـ ، فاهتم بتربيته أشد اهتمام ورصد له مجموعة من العلماء يقومون على تنقيفه وتهذيبه ، ونجد علياً يذكر طائفة منهم في كتابه (طوق الحمامة) من مثل عبد الرحمن بن أبي يزيد الأزدي وأبي الخياط مسعود بن سليمان بن بُمَات وأحمد بن الجصور ، وهو أول من سمع عليه الحديث ، وكان ذلك قبل الأربعائة .

وكان ابن حزم حتى وفاة أبيه — كما يبدو في كتاب طوق الحمامة — يعيش في الحرب وبين الجوارى والنساء ، وكن مثقات يتقن الشعر والأدب ، فكان لذلك تأثير على مزاجه . وكان من سوء حظه أن شبَّ في هذه الفترة التي كانت فيها الخلافة الأموية تنهياً للسقوط ، والتي أصبحت فيها قرطبة

مسرحاً لتورات البربر وفتنهم (ويمكن الرجوع في الحوادث السياسية حينئذ إلى تاريخ مسلمي أسبانيا لدورى والمراجع الموجودة به). وكان ابن حزم مثل أبيه يُظهِرُ ولاءه للبيت الأموي، ولعل ذلك هو الذى اضطره إلى الرحيل عن قرطبة إلى المريّة حيث ظلّ يعمل لإعادة الدرش الأموي وجمع الأمر له وائت الصفوف حوله، وتلقّيه له خَيْرَانُ حاكم المريّة، فسجنه ثم فناه، فولى وجهه شطر بَلَنْسِيّة. وهناك التقى بالمرتضى الأموي، وخرج معه لطلب الخلافة، واتفق أن خيران رغب في مساعدة المرتضى، وكذلك مجاهد العامري حاكم دَانِيّة. فأعد المرتضى جيشاً يغزو به قرطبة، غير أنه رأى البدء بزاوي بن زيري حاكم غرناطة، وكان في ذلك حنّفه، وتفرّق أنصاره. واستمر ابن حزم قدخل قرطبة سنة ٤٠٩ هـ ورجع يذرُسُ الحديث وغير الحديث، حتى إذا وليّ صديقه المستظهر الخلافة في رمضان سنة ٤١٤ هـ استوزره وحلّق نجم سَعْدٍ في السماء، إلا أن ذلك لم يستمر أكثر من شهر ونصف، إذ قُتِلَ المستظهر في ذى القعدة سنة ٤١٤ هـ وسُجِنَ ابنُ حزم، ثم خُفِيَ عنه، فخرج من قرطبة إلى شاطبة.

وهنا نراه يبدأ حياة علمية وأدبية نشيطة، ويترك السياسة وما كان له ولا يه من الرياسة، وكأنه رأى من المستحيل إعادة الأمر إلى نصابه. ويقول يا قوت إنه وزر هشام المتد آخر خلفاء الأمويين في الأندلس، وإن كان ذلك يَبْتَدُ في رأينا. على كل حال رافق ابن حزم سقوط الخلافة الأموية، ولا شك في أن هذا السقوط يرجع إلى عدم الاستعداد الحربى وضعف الجيش، كما لاحظ ذلك ابن حوقل. ومهما يكن، فقد انصرف ابن حزم إلى حياة أدبية وعلمية خالصة، ولا نبالغ إذا قلنا إنه القمة التي وصلت إليها الآداب والثقافة في عصر الخلفاء والشرط الأول من عصر الملوك الطوائف إذ توفي سنة ٤٥٦ هـ. ويذهب

دوزى إلى تأثيرات ورائية مسيحية فيه جاءت من أصله الأسباني ، وينقل آسين بلاسيوس من أهمية ذلك وبخاصة أنه يهاجم المسيحية مزاجاً شديدة (راجع كتاب الشعر الأندلسي لنيكل ص ٧٥) كما فى كتاب إظهار تبديل اليهود والنصارى للتوراة والإنجيل ويبان تناقض ما بأيديهم من ذلك مما لا يحتمل التأويل . وفى كتاب الفصل آثار واضحة من ذلك .

والحق أن ابن حزم سواء فى شخصيته أو فى ثقافته وأدبه ثمرة قرطبة العربية ، وهى خير ثمرة قدمتها حتى عصره للناس . ولا تتسع هذه المقدمة لتفسير خصائص هذه الثمرة سواء من الوجهة العقلية أو الأدبية فقد كان ابن حزم نشيطاً إلى أبعد حدود النشاط ، فآلف فى مختلف فروع الثقافة وأظهر عبقرية فذة فى كل ما آلف ودون فى الفن (وقد اعتنق مذهب الظاهرية بعد أن كان شافعيًا) وفى الأصول وفى المنطق والكلام وفى التفرق وفى التاريخ . وله فيه كتاب جبهة أنساب العرب الذى نشره الأستاذ بروفنسال حديثاً فى دار المعارف بمصر . وله هذا الكتيب أو هذه الرسالة : قطب العروس فى تواريح الخلفاء ، وقد ألفتها فى حدود العشرين وأربعمائة ، كما يقول الحميدى فى مطلع هذه الرواية التى نشرها .

والرسالة لا تحوى تاريخاً مفصلاً للخلفاء ، وإنما تحوى بعض حقائقهم وأخبارهم الشخصية والسياسية ، وهى لذلك تمد نصاً نفيساً ، إذ ضمت الخطوط العامة للخلافة الإسلامية والخلفاء حتى عصر ابن حزم سواء ما أتصل بإقامة هذا النظام وانتقاله من عصر إلى عصر ، ومن خليفة إلى خليفة بتميد أو مغالبة ، أو ما أصاب هذا النظام من تدهور وفساد ، شهد ابن حزم بيمينه جواب منه فى بلد .

وتفيض الرسالة في تفاصيل شخصية كثيرة عن الخلفاء وأبنائهم ونسائهم ،
وحتى مَنْ تسمّى بالخلافة من غير قريش ومنْ أراد أن يقسّى بها ثم امتنع من مثل
المنصور بن أبي عامر . كل ذلك يعرض له ابن حزم في تفصيل . وقد عني عناية
خاصة بالألقاب سواء ألقاب الخلفاء أو الوزراء والأمراء ، وأرانا كيف نشأت
كل مجموعة منها . وأضاف إلى ذلك إحصاءات بديعة عن أعمار الخلفاء وأخلاقهم
ومن جاهروا منهم بالانحياز في الملمات وشأئهم وعورهم وذوى السوء منهم
وعنائهم وجهالهم .

وأهمية هذه الرسالة ترجع في الحقيقة إلى أنها خير معين لمن يريد
أن يدرس نظام الخلافة الإسلامية ويطلع على حسناته وعيوبه ، فإن ابن حزم
لم يترك من ذلك شيئاً إلا أحصاه عدداً . وله في ذلك عقلية ممتازة إذ يستطيع
الجمع والإحصاء إلى أقصى طاقة ممكنة .

من أجل ذلك كله رأيت أن أعيد نشر هذه الرسالة كاملة من نسخة
مكتبة بايزيد التي أشرت إليها وهي محفوظة بها تحت رقم ٥٢١٤ في مجلد ، يضم
رسائل أخرى ، وقد كُتِبَ على الورقة الأولى منه أنه لمحمد بن أحمد بن أحمد
ابن عبد الرحيم البيهقي . وواضح أنه من سلالة القاضي الفاضل عبد الرحيم البيهقي .
والنسخة قديمة ، إذ ترجع إلى القرن السابع الهجري ، وهي بخط نسخ وكتبت
الشذرات بخط كبير ، واستغرقت النسخة في المجلد المذكور من الورقة ٤
إلى الورقة ٣١ وطول الصفحة ١٦ سم وعرضها ١٠ سم والمكتوب
منها ١٣ سم طولاً في ٧ سم عرضاً . وخطها واضح إلا في بعض مواضع قليلة .

وتابلت في هذه النشرة بين الأصل الذي أنشره وبين نسخة زيولده
التي سبق أن نشرها ، ودرّجت إليها بالحرف م إشارة إلى أنها نسخة ميونيخ .

وانخذت رمزاً آخر هو الحرف ز للدلالة على أن العبارة التالية زائدة ، وتوجد في نسخة ميونيخ ، ولا توجد في رواية الحميدى . وقد وضعت على الهامش صفحات الأصل في المخطوطة ورمزت بالحرف (و) لوجه الصفحة وبالحرف (ظ) لظرفها .

ويظهر أن نسخة ميونيخ عُيِّلَت في عصر متأخر ، أو بعبارة أصح ترجع من حيث تأليفها إلى عصر متأخر عن رواية الحميدى ، فقد عاش ابن حزم حتى سنة ٤٥٦ هـ ولقى الحميدى بين سنتي ٤٣٠ هـ و ٤٤٠ هـ حين اضطره اضطهاد الفقهاء به أن يذهب إلى ميورقة . ومن أجل ذلك كنا نظن أن ابن حزم أعاد تأليف هذه الرسالة وزاد فيها هذه الزيادات التي نراها في نسخة ميونيخ ، وخاصة أن بها فقرات لم ترد بتاتا في نسخة الحميدى . ولأن نسخة ميونيخ كاملة لأعدنا نشرها واتخذناها أصلاً وقارنا بينها وبين رواية الحميدى في الهامش ، ولكن كما قدمت هي ناقصة ، تنقص أكثر من ثلث الأصل ، وأيضاً فقها اضطراب واختلاط كثير .

والله ولي التوفيق

سُرقي ضيف

/ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال أبو عبد الله الحميدى : قال الإمام أبو محمد علي بن أحمد
ابن سعيد الحافظ ، وكان تأليفه لهذا الكتاب في حدود العشرين
وأربعمائة ، ولقيناه فيما بعد الثلاثين رحمه الله :

أما بعد حمد الله تعالى والصلاة على نبيه محمد والطيبين من أصحابه
والفاضلين من ذريته وأفضل التسليم ^١ .

أول الأسماء التي وقعت على الخلفاء رضى الله عنهم : الصدّيق
سمى به أبو بكر ^٢ . الفاروق عمر بن الخطاب . ذو النورين عثمان بن عفان ^٣ .
ثم لم يسم ^٤ أحد من الخلفاء باسم لازم * حتى ولي بنو العباس ^٥ . السفاح
أبو العباس عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب
أول خلفاء بني العباس ، المنصور أبو جعفر عبد الله بن محمد أخو السفاح ،
وهو أول من تسمى بهذا الاسم ، وتسمى به بعده ^٦ إسماعيل بن أبي القاسم
ابن عبيد الله الشيعي ^٨ ، ثم محمد بن أبي عامر ^٩ ، ثم زاوى ^{١٠} وسابور ^{١١}
والى بطليوس وابن الأفتس / وعبد العزيز بن أبي عامر صاحب بلنسية

[٤١ ظ]

(١) هذه البداية في النسخة م مختلفة (٢) في م ز : رضى الله عنه (٣) في م ز :
رضى الله عنهما (٤) في م ز : ولا يسمى (هـ) في م ز : له (٦) في م ز : ونحن الآن
ذاكرون أمهاتهم على فسق ونذركم الأسماء التي اشترك فيها اثنان وإن كان لأمر قد رضى
الآن غاية الرذالة في المشرق والمغرب والله المستعان ، فيسمى بأسماء الخلفاء من أميرهم
(٧) في م ز : أبو طاهر (٨) في م ز : صاحب إفريقية (٩) في م ز : الممارى بالأندلس
(١٠) في م ز : ابن زوى بن مناد الصنهاجى صاحب شرناطه بالأندلس (١١) في م ز :
وسابور وعبد الله بن سلامة الأفتس حاجبا بطليوس .

ومندرين يحيى بن مندرين يحيى^١ صاحب سرقسطة . المهدى أبو عبد الله محمد بن أبي جعفر المنصور ، وكان تسمى به قبله محمد بن عبد الله بن الحسن ابن الحسن بن علي بن أبي طالب القائم^٢ علي أبي جعفر بالمدينة ، فلم يتم له أمر ، وكان^٣ تسمى به قبل ذلك كله محمد بن الحنفية ، ثم رجل من بني علي قام باليمن ، ثم عبيد الله الشيعي بالتبروان^٤ ، أول قائم بالتبروان منهم ، ثم محمد بن هشام بن عبد الجبار^٥ ، ثم عبد العزيز بن الاصمعي^٦ المعروف بابن المنصور . أخو الفقيه ، وكان قام بمليلة من بلاد البربر ، ثم محمد ابن إدريس الحنسي بمالقة . الحادي أبو محمد موسى بن المهدي بن المنصور ، ثم رجل من بني علي^٧ قام بصعدة في اليمن . الرشيدي أبو جعفر هرون بن المهدي ابن المنصور^٨ . الأمين أبو عبد الله محمد بن الرشيد ثم سمي به صالح ابن حاجب^٩ المتصد ومولى والده . المأمون أبو العباس عبد الله بن الرشيد ، ثم تسمى به عبد الرحمن بن محمد بن أبي عامر ، ثم القاسم بن حمود^{١٠} ثم يحيى ابن إسماعيل بن ذى النون . المعتصم أبو إسحق محمد بن الرشيد ، ثم محمد^{١١} ابن المظفر بن أبي عامر ، ثم محمد بن عبد العزيز بن عبد الرحمن بن أبي عامر . الواثق أبو جعفر هرون^{١٢} بن المعتصم . المتوكل أبو الفضل جعفر بن المعتصم . المنتصر أبو جعفر محمد بن المتوكل . المستعين أبو العباس أحمد بن محمد ابن المعتصم ، ثم سليمان بن الحكم ، ثم سليمان بن هود الجذامي بسرقسطة .

[٥٥]

(١) في م ز التنجي (٢) في م : إذ قام (١٣) في م : وكانت الشبهة تسمى بهذا الاسم قبل هذا كله محمد بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه المعروف بابن الحنفية (٤) في م : بأفريقية (٥) في م ز : ابن الناصر بالأندلس (٦) في م ز : ابن الحكم الرضي (٧) في م : وجن حني (٨) في م ز : ثم تسمى به هشام بن سليمان بن الناصر حين قيامه (٩) في م : صاحب (١٠) في م ز : الحنسي (١١) في م : ثم تسمى به محمد بن عبد الملك بن محمد بن أبي عامر (١٢) زيادة من : م .

المعتز أبو عبد الله محمد بن المتوكل ، ومن غير الخلفاء عبد الرحمن بن عبد العزيز
ابن عبد الرحمن بن محمد بن أبي عامر^١ . المهتدي أبو عبد الله محمد بن الواثق .
المعتضد أبو العباس أحمد بن المتوكل ، المعتضد أبو العباس بن أبي أحمد
الموفق بن المتوكل ، ومن غير الخلفاء عباد بن محمد بن عباد الأحمي صاحب
إشبيلية^٢ . المستكني أبو محمد علي بن المعتضد . المقنن أبو الفضل جعفر
ابن المعتضد . القاهر أبو منصور محمد بن المعتضد . الراضي أبو العباس محمد
ابن المقنن . المتقي أبو إسحق إبراهيم بن المقنن . المستكني أبو القاسم
عبد الله بن المكتفي ثم أبو عبد الرحمن محمد بن عبد الرحمن^٣ ، وكانا رذلي
قومها^٤ . المطيع أبو القاسم الفضل بن المقنن . الطائع أبو بكر عبد الكريم
ابن المطيع . القادر أبو العباس أحمد بن إسحق بن المقنن . القائم بأمر الله
أبو جعفر عبد الله بن القادر وهو الخليفة اليوم^٥ . ومنهم وإن كان لم يُذكر
في الخلفاء وقد ولي الأمر ينفاد عاما كاملا : المبارك أبو إسحق إبراهيم
ابن المهدي .

وأما الخلفاء بعد الحسن^٦ بن علي إلى أبي العباس السفاح أول خلفاء
بني العباس فالصحيح الذي لا شك فيه أنه لم يقع على واحد منهم لقب معروف
إلا أن بعض الرواة قد ذكر أنهم كانت لهم ألقاب واقعة عليهم . ونحن نذكر^٧ :

(١) في م : صاحب شاطبة (٢) في م ز : وغرب الأندلس (٣) في م ز : ابن عبيد الله
ابن التامر الرواسي (٤) في م ز : ومن العجب اتفاقهما في الأخلاق الرذيلة وفي غاية
من لاخير فيه من النساء عليهما وفي كية العمر ، كلاهما عاشا اثنتين وخمسين سنة ، وفي مدة
ولايتهما ، فإن كل واحد منهما مك سنة واحدة وخمسة أشهر ، وفي أن كل واحد منهما
مختلف عليهما ، وفي أن كل واحد منهما خلق ، وفي أن كل واحد منهما تركه أبوهم متبرأ
منهما . في م ز : وقد تسمى بهذا الاسم قبله جعفر بن أبي جعفر المودودي فلم يبق له أمر
ثم أبو القاسم صاحب إفريقية (٦) في م : بعد هيثم رضى الله عنه (٧) في م : نذكرها .

ذلك وإن لم يصحَّ عندنا لنطلع على الانقلاب لا غير ، والله نستعين .
الناصر لحقَّ الله معاوية بن أبي سفيان . المتصبر ١ على أهل الزينج
 يزيد بن معاوية . الراجع إلى الله معاوية بن يزيد . / المؤتمر بالله مروان
ابن الحكم . المؤثق لأمر الله عبد الملك بن مروان . المنتقم لله الوليد .
ابن عبد الملك . بالمهدى بالله والداعى إلى الله سليمان بن عبد الملك .
المعصوم بالله عمر بن عبد العزيز بن مروان . القادر بصنع الله يزيد
ابن عبد الملك . المنصور . هشام بن عبد الملك . المكتفى بالله الوليد
ابن يزيد . الشاكر لأنعم الله يزيد بن الوليد . المتعزز ٢ بالله إبراهيم
ابن الوليد ٣ . القائم بحق الله مروان بن محمد بن مروان بن الحكم آخر خلفاء
 بني أمية بالشرق .

وأما بنو أمية بالاندلس فإنهم لم يتلقبوا ٤ إلا هشام بن عبد الرحمن
 الداخل ، فإنه كان يقال له هشام الرضا ، ولم يتسوا ٥ بإمرة المؤمنين .
 إلى ٦ أن كان عبد الرحمن بن محمد ٧ . فأولهم ٨ عبد الرحمن بن معاوية
 ابن هشام بن عبد الملك بن مروان بن الحكم ، ثم ابنه ٩ هشام الرضا ،
 ثم الحكم الرضا ١٠ بن هشام ١١ ، ثم ١٢ عبد الرحمن بن الحكم ١٣ ،
 ثم ١٤ محمد بن عبد الرحمن ، ثم ١٥ المنذر بن محمد ، ثم عبد الله أخوه ابن محمد ،
 ثم ابن ابنه ١٦ عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله الناصر ، وهو أول

(١) ق م : المتصبر (٢) ق م : المعتز (٣) ق م ز : ابن عبد الملك (٤) ق م : يتلقبوا
 (٥) ق م : يتسم (٦) ق م : إلا وهو تحريف (٧) ق م ز : إلا أنى وأيت شرأ إلى حاصم
 المحنى بن زيد التيمي يخاطب فيه عبد الرحمن بن معاوية بإمرة أمير المؤمنين (٨) ق م ز :
 أبو اللطيف (٩) ق م ز : أبو الوليد (١٠) هكذا ق م ، وفي الأصل : للرتقى . هو تحريف
 (١١) ق م ز : عرف بالربى لقتله أهل الربى (١٢) ق م ز : ابنه (١٣) ق م ز : أبو اللطيف
 (١٤) ق م ز : ابنه أبو عبد الله (١٥) ق م ز : أبو محمد (١٦) ق م ز : أبو اللطيف .

من تسمى منهم بالخلافة وإمرة أمير المؤمنين الناصر وهو القائم أيضا^١ .
قبله أبو أحمد بن المتوكل ، ولم يل الخلافة / ثم رجل من بني علي بطبرستان ،
ثم علي بن حمود^٢ . المستنصر^٣ أبو العاصي الحكم بن الناصر ، ثم تسمى
بهذا الاسم بعده ممتد^٤ بن علي بن منصور الشيعي بمصر ، وخسن بن يحيى
ابن علي بن حمود الحسن . المؤيد^٥ أبو الوليد هشام بن المستنصر^٦ ،
وقبله أبو إسحق إبراهيم بن المتوكل^٧ ، ولم يل الخلافة . المهدي قد ذكرنا
المهدي^٨ . الظافر وهو المستعين بالله أيضا أبو أيوب سليمان بن الحكم
ابن سليمان بن الناصر . المستظهر^٩ أبو المطرف عبد الرحمن بن هشام
بن عبد الجبار بن الناصر أخو المهدي . المستكفي وقد ذكرنا المستكفي .
المعتد^{١٠} أبو بكر هشام بن محمد بن عبد الملك بن الناصر^{١١} .

ومن بنى على رضى الله عنه المعتلى يحيى بن علي بن حمود . أخوه إدريس
ابن علي المؤيد بالله . الحسن بن يحيى بن علي المستنصر بالله وقد تقدم اسمه .
أخوه إدريس بن يحيى^{١٢} العالى بالله وكان قد تسمى بهذا الاسم قبل إدريس
ابن ليحيى آخر كان اسمه عليا / وكان يحيى قد ولاه عهده ، ثم مات في حياته .

(١) ق م ز : إلا أنه لم ينسب على هذه التسمية الثانية . وهكذا أخذ كتابه
إلى قسطنطين ملك الروم بالقبول جدياً وكان تسمى بالناصر (٢) ق م ز : الحسن
بالأندلس ثم عبد الله بن عبد العزيز بن عبد الرحمن بن محمد بن أبي طاهر (٣)
ق م ز : وفى الأصل : للتصير وهو تحريف (٤) ق م ز : سدد وهو تحريف واضح
(٥) ق م ز : باقة (٦) ، (٧) ق م ز : ثم وهو تحريف (٨) يريد ابن حمز أنه ذكره
في ألقاب الساسيين وذكرته نسخة م هكذا : أبو الوليد محمد بن هشام بن عبد الجبار
الناصر (٩) ق م ز : باقة (١٠) ق م ز : باقة (١١) ق م ز : وهو آخر منكرهم بقرطبة
وكان قد قام قبل ذلك أخوه عبد الرحمن بن محمد وتسمى بالمرتضى فلم يتم اسمه (١٢) ق م ز :
ويسمى الشامي ولم يل . ويلاحظ أن الألقاب في هذه الفقرة تأتي تالية على خلاف
ما في نسخة م .

محمد بن إدريس بن علي المهدي وقد تقدم ذكره . ومن ^١ الادعاء إليهم القائم أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله قتله ابن المنصور ولم يل الخلافة ، وتسمى بهذا الاسم عبد الرحمن الناصر بالاندلس — قال أبو محمد : وأتت أبايت بعيني نيئا وخسین كتابا كتبها بالزهاء ، وكلها ممتونة من عبد الله عبد الرحمن الناصر لدين الله القائم لله أمير المؤمنين إلى فلان بن فلان — ثم أبو جعفر عبد الله ابن القادر وقد ذكرناه . المعز ^٢ أبو تميم معد بن إسماعيل . العزيز نزار أبو المنصور بن أبي تميم . الحاكم أبو علي منصور بن نزار . الظاهر أبو الحسن أو أبو الأشبال علي بن الحاكم . ثم أبو تميم معد بن علي الملقب بالمستنصر وهو إليهم الآن .

ومن ^٣ ولي العهد وتسمى أو لم يتسم ولم يتم له أمر ومن ، قام يطلب الخلافة وتسمى بها ولم يتم له أمر وقد تسمى * أو لم يتسم : عبد العزيز بن مروان / كان ولي عهد عبد الملك أخيه ولم يتم له أمر ، مات في حياة ^٤ عبد الملك . أيوب بن سليمان بن عبد الملك مات في حياة أبيه ^٥ وكان ولي عهده ، وقيل ^٦ : قتله سرا لأنه ارتد إلى النصرانية . الحكم وعثمان ابنا الوليد بن يزيد بن عبد الملك قُتِلَا في السجن وكانا وليَّيْنِ ^٧ عهد أبيهما . عبد العزيز بن الحجاج بن عبد الملك بن مروان كان ولي عهد ابن عمه إبراهيم بن الوليد بن عبد الملك ، قُتِلَ يوم خلع إبراهيم ^٨ .

[٧ ظ]

(١) سقطت من م هذه العبارة وما تبعها من الكلام عن عبد الرحمن الناصر (٢) العبارة في م : وكان بعصر أبو تميم معد الخ والى القاب هنا في م تأتي تالية للاسم . (٣) في م : من . (٤) هكذا في م : ولي الأمل : وأقام (هـ) في م : ويمن (٥) في م ز : أخيه (٦) في م ز : سليمان بن عبد الملك (٨) في م ز : إن أياه (٩) في م : وإياه (١٠) في م ز : وقيل إن عبد العزيز هذا هو أخو أبي العباس السفاح لأمة ، أمهما جينا . ربيعة الحارثية تزوجها محمد بن علي بعد الحجاج بن عبد الملك .

عبد الله وعبيد الله ابنا مروان بن محمد^١ كانا وليي^٢ عهد أبيهما
قتل عبيد الله بأرض النوبة^٣ وعاش عبد الله زمانا^٤ ومات بمكة^٥ .
ومن بني العباس : عيسى بن موسى^٦ كان ولي عهد المنصور ثم جبره
على العهد بعد ابنه المهدي ، ثم خله المهدي^٧ . جعفر بن الحادي^٨
ولاه أبوه العهد ، لم يتم له أمر^٩ ، القاسم بن^{١٠} الرشيد المؤمن
ولاه أبوه العهد بعد المأمون ، ثم خله المأمون . وثمجي بهذا^{١١} / الاسم بعد
ذلك محمد بن ياقوت^{١٢} وسلامة أخو نجيح الطولوني^{١٣} وعبد العزيز بن
عبد الرحمن^{١٤} بن أبي عامر في بعض^{١٥} الأوقات . منصور بن المهدي
ولاه^{١٦} إبراهيم عهده ، وتسمى^{١٧} بالمرتضى بالله ، اضحل أمره ، وتسمى بهذا
الاسم علوي^{١٨} باليمن . علي بن موسى^{١٩} الرضا ولي عهد المأمون ،
مات في حياته ، وتسمى بهذا الاسم هشام بن عبد الرحمن بالاندلس والحسن
بن زيد بطبرستان موسى الناطق بالحق ابن الإمين ولي^{٢٠} عهد أبيه ،
ولم يتم له أمر^{٢١} . إبراهيم المؤيد ولي^{٢٢} عهد المتوكل بعد المعتز ، خله المعتز
وقتل . الموفق أبو أحمد^{٢٣} بن المتوكل وهو الناصر ولي عهد أخيه

(١) في م : ابن مروان (٢) في م : وليا (٣) في م : الروم ولله تحريف وبهذه :
ولا عقب له (٤) في م : دهر (٥) في م ز : وله عقب ومن ولده كان أبو الفرج الأصبهاني
صاحب كتاب الأغاني (٦) في م ز : ابن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس (٧) في م ز : جلة
(٨) في م ز : موسى (٩) في م : أمره (١٠) في م ز : هرون (١١) في م : المؤمن بعده
(١٢) في م ز : ثم سمي بعده (١٣) في م ز : ثم تسمى به (١٤) في م ز : أخو محمد
(١٥) في م : برهة من دهره (١٦) في م ز : أخوه (١٧) في م : سمي (١٨) في م : علي بن
جعفر بن محمد بن علي بن أبي طالب ولاه المأمون عهده ومات إلى مدينة في حياة المأمون
وقيل انه سمى وكان سماه الرضا وتسمى به أيضاً الحسن بن زيد (١٩) في م : ولاه أبوه
عهده (٢٠) في م ز : ومات وله أربع عشرة سنة ولا عقب له (٢١) في م : ولاه أبوه العهد
بعد المعتز أخيه ولم يتم له أمر ، خله الخ (٢٢) في م ز : محمد .

المتعمد ، مات في حياته ^١ . المفوض إلى الله بن ٢ المتعمد ولي عهد أبيه المتعمد قبل ^٣ المرقق ، خلعه أبوه ، ثم قتله المتعمد بعد موت أبيه .
الغالب عبد الكريم بن القادر ، ولي عهد أبيه ، مات في حياته ^٤ .

[٨ ط]

ومن بني أمية بالأندلس : المغيرة بن الحكم / الرضى
 ولي عهد أبيه بعد عبد الرحمن أخيه ، خلعه عبد الرحمن أخوه .
محمد بن سليمان بن الحكم ولي عهد أبيه ، قُتل بعد قتل أبيه بدمر ،
 وذلك أنه فرّغ إلى منذر بن يحيى مستنصرأ به ، فأحياء مدة ، ثم أمر بقتله
 رجلا يعرف بالطرسوسى ، فقتله سرا . ومن تسمى منهم بالعهد دون
أن يسميه به خليفة ولم يتم له شيء : سليمان بن هشام بن سليمان
ابن الناصر تسمى بالعهد في أيام محمد بن هشام المهدي ، ثم قُتل حين قيام
 أبيه ^٥ على المهدي وقتل معه أبوه ، ومن ^٦ بني عمه سليمان
ابن هشام بن عبيد الله بن الناصر تسمى بالعهد في أيام ^٧ المستكفي
ابن عمه . محمد بن الحكم بن محمد بن عبد الملك بن الناصر
 تسمى بالعهد دون أن يسميه عمه هشام المتعمد ^٨ . وكان هشام بن الحكم
 قد ولى بعده عبد الرحمن بن أبي عامر الملقب بالناصر وهو من معافره ، وكانت
 فلاة خارجية ، قُتل ^٩ في حياته ولم يتم له أمر .

(١) في م : حياة أخيه (٢) في م : جعفر بن المتعمد (٣) في م : مقدما هـ (٤) في م :
 حياة أبيه (٥) في م : ابنه وهو مخربف (٦) في م : وقتل مبهما عدد (٧) في م : ولاية
 (٨) في الأصل وفي م : المتعمد ، (٩) في م : قتل إلى شهر ولم يتم أمره .

[٩ و] ومن بني علي : علي العالي بن يحيى المعتلى / مات في حياته ^١ ،
 فلما ولي الأمر أخوه إدريس بن يحيى بن القاسم بن حمود اضطل أمره بخلع أبيه .
الحسن بن إدريس بن علي بن حمود الملقب بالشامي ولاء أخوه
 عبيد ، ثم فناه إلى المدوة . ويمن ^٢ تسمى منهم بالمهددون أن يسمى به : إدريس
 ابن علي ادعى المهد يستتة . ومن الأدعياء إليهم : قاسم بن أبي
 القاسم بن عبيد الله الشيعي مات في حياة أبيه ، وكان ولي عهده .
 تميم ^٣ بن أبي تميم كان ولي عهد أبيه فخلعه في حياته . عبد الرحيم
 ابن إلياس بن أحمد بن عبيد الله الشيعي كان ^٤ ولي عهد الحاكم ،
 فلما قُتل الحاكم قُبِضَ عليه وقُتِل .

ومن ولي الخلافة بعهد : اختلف الناس في أبي بكر ،
 رضي الله عنه . والذي أعهد ^٥ أنه إنما ولي ^٦ بمهد من رسول الله صلى الله
 عليه وسلم ^٧ ونَصَّ منه عليه ، لإجماع المسلمين ^٨ على تسميته خليفة
 رسول الله صلى الله عليه وسلم ^٩ ، وللحديث ^{١٠} الوارد في ذلك ، رواه البخاري
 وغيره ، وهو قصة المرأة التي قالت يا رسول الله : فإن رجعت ولم أجدك كأنها

(١) ل م : حياة أبيه . وبعد ذلك : وقد رأيت بسنن من يداني علم التواريخ يشكر
 هذا وهو خطأ من لم أكتبه إلا موقفاً بالفتنة ، وليس من لم يعلم حجة على من يعلم .
 محمد بن القاسم بن حمود اضطل أمره بخلع أبيه ثم تسمى بالخلافة ثم مات .
 (٢) البسارة للفتاة في م : مضطربة (٣) في م ز : ومن ولاء مصر تميم (٤) في م :
 ولاء المهد ابن عمه منصور بن نزار بن معد بن اسماعيل بن أبي القاسم بن عبيد الله
 خامساً قُتل الحاكم منصور بن نزار قتل هو (٤) في م ز : الصديق (هـ) في م : أدب
 الله به (٦) في م ز : الخلافة (٧) في م ز : إني (٨) في م : أهل الإسلام (٩) في م ز :
 ثم يسمى بهذا الاسم أحد غيره ولا يمن استخلفه عليه السلام على المدينة في أسفاره
 ولا يمن استخلفه على الصلوات في غزواته وحجته عليه السلام (١٠) في م : ولقد خبرنا
 انتهى عرويتنا من طرق ثابتة .

يزيد الموت / هكذا في نص الحديث ، فقال : عليه السلام قَاتِي أَبَا بَكْرٍ ،
وكذلك الحديث من قوله عليه السلام في مرضه الذي مات فيه : لقد همت
أن أكتب كتاباً أو أعهد عهداً للثلاثين متين ويقول قاتل : أنا أولى
وبأي الله والمسلمون إلا أبا بكر ، أو كلاماً هذا معناه . وهو لا يهم عليه السلام
إلا بالحق^١ . عمر ، يزيد بن معاوية ، معاوية بن يزيد ،
عبد الملك ، ابنه الوليد ، سليمان ، عمر ، يزيد ، هشام ، الوليد ،
إبراهيم ، المنصور ، المهدي ، الحادي ، الرشيد ، الأمين ، المأمون
بعهد أبيه ، الواثق ، المتتصر ، المعتضد ، المستنق ، المقتدر ، الطائع ،
القائم بأمر الله أمير المؤمنين ، الآن ببغداد ، ولي عهد أبيه . ومن بني
أمية بالأندلس : هشام الرضا ، الحكم الرضي ، عبد الرحمن ،
ابنه محمد ، المنذر ، عبد الله ، المستنصر ، المؤيد .

من ولها يتشاور : عثمان ، الحسن ، مروان بن الحكم ، المنوكل :
المستعين ، المعتز ، المهدي ، المعتمد / القاهر ، الراضي ، المتقي ،
المطيع ، القادر . ومن بني أمية بالأندلس : الناصر ، المعتمد .

ومن^٢ ولها مغالبة : علي ، معاوية ، ابن الزبير ، يزيد بن الوليد ،
مروان بن محمد ، السفاح ، إبراهيم بن المهدي ، المعتصم^٣ ،
عبد الرحمن ، الداخل ، المهدي ، سليمان ، المستظهر ، المستنق .

من طلبها . ولم يتم أمره وتسمى بالخلافة من قريش ،
وأما الخوارج فشأنهم^٤ غير هذا : عمرو بن سعيد بن العاص

(١) في م ز : ولغير هذا إنما ذكرته في كتاب التتبع وفيه الحمد (٢) يزيد ابن حزم :
من ولي الخلافة (٣) في م : ومن بني أمية بالأندلس (٤) في م ز : ابن معاوية (هـ) في م :
طلب الخلافة وتسمى بها ولم يتم أمره من قريش (٦) في م : فأمرهم

خرج على عبد الملك بن مروان بدمشق وتسمى بالخلافة ، ثم انخلع ، وسلم الأمر لعبد الملك ، وقتله عبد الملك . وقيل إن سليمان بن هشام بن عبد الملك تسمى بالخلافة في بعض قيامه ^١ على مروان بن محمد ، وأخوه مسلمة حينئذ حتى وهو أسن منه ، ثم انخلع ^٢ ودخل في طاعة الضحاك ^٣ الخارجي ، ثم في طاعة السفاح ، ثم قتله السفاح . دحية بن المصعب بن سهيل بن عبد العزيز ابن مروان قام بمصر على المهدي وقتل . / علي بن عبد الله النخيلي من ولد خالد ابن يزيد بن معاوية قام على المأمون بدمشق ثم انخلع أمره .

[١٠ ط]

وقام غير من ذكرنا منهم ولم يتسم بالخلافة : عبد الله بن معاوية ابن عبد الله بن جعفر ^٤ . قام على مروان بن محمد بفارس وتسمى بالخلافة ، ثم ظفر ^٥ به أبو مسلم ، وقتله ^٨ . ومن بنى العباس : عبد الله بن علي ^٩ . قام على أبي جعفر المنصور بالثام وسليمان أخوه حتى ، وهو أسن منه ، وتسمى بالخلافة ^{١٠} ، وظفر به وقتله . عبد الله بن المعتز قام على المعتذر وتسمى بالنتصف ، ظفر به وقتله ، قُتل في صهرج ماء ^{١١} .

ومن بنى علي : محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن ^{١٢} قام على أبي جعفر المنصور بالمدينة وأبوه عبد الله حتى ^{١٣} ، وقتله . محمد بن جعفر بن محمد قام على المأمون بمكة فظفر به ، فلم يكلف

(١) ق م : خروجه (٢) ق م : ترك ذلك (٣) ق م : ابن قيس الشيباني الخارجي الصرمي . (٤) ق م ز : وسلم عليه بالخلافة (٥) ق م ز : دخل (٦) ق م : ابن أبي طالب (٧) ق م : أسره (٨) ق م ز : وكان عبد الله بن معاوية هذا قائد الذين المذكورا بالاحاد والتعطيل . وقد ذكر بعض الناس أن صاحب الرنج تسمى بالخلافة ولم يصح هذا إنمّا كان يتسبى بالامام وكان أيضاً من عبد القيس لم يكن من قريش أصلاً (٩) ق م ز : ابن عبد الله بن النّاس (١٠) ق م ز : وبني خصة أشهر قط (١١) ق م ز : بأود وقتل أبوه في عام (١٢) ق م : الحسين بن علي بن أبي طالب (١٣) ق م ز : في جيس أبي جعفر المنصور ، قتل رحمه الله بمكة شرفها الله .

أكثر من أن يصعد المنبر ويشهد على نفسه بالكذب في حديثه ،
 وكان قبل ذلك محدثاً ١ . أبو الفتح ٢ الحسيني قام بمكة وتسمى ٣ بالراشد ،
 ثم رجع إلى طاعة الحاكم . ولم يتسم أحد من نوادر / بنى على ٤ بالخلافة
 على كثرة التامنين منهم حاشا * محمد بن جعفر ٥ هذا ومحمد بن عبد الله الذي ٦
 ذكرنا قبل ، وحسبك بعلي بن حمود لم يتسم في قيامه على سليمان بالخلافة .
 إلا بعد استيلائه على دار الملكة بقرطبة ، وقتل سليمان ، إلا ما ذكر لي
 بعض أهل الأخبار من أن رجلاً منهم بويج بالخلافة بنيابور من ولد محمد
 بن زبد الداعي ٨ واضحل أمره ٩ ، وقيل لي إنه مات بوادي الحجارة ١٠
 في جملة خيلاس الجند عند ابن باق وألله أعلم . وكذلك المنتقمون إليهم كصاحب
 الزنج الذي قام بالبصرة وغيره . ولم يتسم عبيد الله بالخلافة إلا بعد استيلاء
 جنده على إفريقية . وذهاب بني الأغلب .

ومن بني أمينة بالأندلس : هشام بن سليمان بن الناصر

قام على المهدي وأخوه الحكم حي ، وهو أسن منه وتسمى بالمصوم ،
 ظفر به وقتل ثاني ١١ قيامه . عبد الرحمن بن محمد بن عبد الملك
 ابن الناصر قام على علي والقاسم ابني حمود ١٢ وتسمى بالمرتضى ١٣ ،
 قتل غدرًا سرًا ، وخفي أمره وكان قيامه وأخواه الحكم ١٤ وهشام المعتد
 حيان . وما أسن منه بسنتين . عبيد الله بن المهدي قام على المستكني

- (١) في م ز : وكان ابنه علي من أنفق الناس وأندم إعلًا بالبناج (٢) في م :
 أبو الفتح الحسن بن جعفر الحسيني (٣) في م : وتسمى بالخلافة وتلقب بالراشد
 (٤) في م ز : رضي الله عنه (٥) في م : إلا (٦) في م ز : والحسن بن جعفر
 (٧) في م : المذكورون آنفًا (٨) في م ز : القاسم بطبرستان (٩) في م ز : ودخل
 في غمار الناس (١٠) في م ز : من الأنديلس (١١) في م ز : يوم (١٢) في م ز : الحسينيين
 (١٣) في م ز : وكان رجلاً قاضياً (١٤) في م ز : المكثوف .

بحريط وثوب به وقتل . قال أبو محمد : صحَّ عندنا أنه لم يكن
عبيد الله بن المهدي وإنما كان غلام^١ المطار المعروف بالنصيح
وادعى أنه عبيد الله بن المهدي . عبد^٢ العزيز بن الاصبغ قام بجملة^٣
وتسعى بالخلافة ثم اضطل أمره^٤ ، وقام وأخواه عبد الملك^٥ وهشام حيان
أسن^٦ منه بسنين كثيرة . وتسعى محمد بن زيد^٧ بطبرستان بالداعي
دون أن يتسنى بالخلافة .

تسمية من ولي الخلافة في حياة أبيه :

أبو بكر الصديق رضي الله عنه ورثه أبوه أبو قحافة^٨ . سليمان بن الحكم
ابن سليمان بن الناصر ورثه أبوه الحكم وقتل بعده بساعة ، قتله
علي بن حوذر . عبد الرحمن بن الحكم الأوسط يورث له بالخلافة وأبوه
مريض^٩ ، وعلم بذلك ولم يشار فيه إلا أنه قد كان ولاه عهده قبل ذلك
وعاش ثلاثة أيام ثم مات متبرما بالحياة . عبد الكريم الطائغ انحل له أبوه
المطيع^{١٠} وعاش بعد انخلاءه أربعين يوماً ومات . / وأخبرني خبر ، وليس
عندي بالصحيح^{١١} ، أن أحمد القادر ولي الخلافة وأبوه إسحق^{١٢} حي .

من ولي وأخوه أسن منه حي :

علي بن أبي طالب كان أخوه عقيل أسن منه ومات^{١٣} بعده بزمان
يزيد بن معاوية كان أخوه عبد الله أسن منه ، وكان يصفى وكان يوم

(١) في م : حاكم المطار (٢) في م : عبد العزيز بن أحمد بن محمد بن محمد بن إصبغ
ابن الحكم الرضي (٣) في الأصل بهليل والتصحیح من م (٤) في م : وطاش في غمار
الناسنتين (هـ) في م ز : التقي (٦) في م : بسنتين وطاش بعده دهر (٧) في م ز : القائم
(٨) في م ر : عثمان بن طاس وجه إبة (٩) في م : حي قد يش منه (١٠) في م ز : باختباره
(١١) في م : ولم يصح عندي (١٢) في م ز : ابن المتندر (١٣) في م : وعاش بعد أخيه
على دهر .

مرج راعط مع الضحاك بن قيس ، فلما هزم أهل دمشق أدركه عبيد الله
 ابن زياد فأردفه ، وتخلّصه ، وأراد عمرو بن سعيد بن الناص قتله ، فسبّه عبيد الله
 ومنعه من ذلك ^١ . هشام بن عبد الملك ولى الخلافة وسلمة أخوه
 وهو أسنّ منه ، حى . الوليد بن يزيد ولى الخلافة وله أخ أسنّ منه .
يزيد بن الوليد وإبراهيم أخوه وليا ^٢ الخلافة ، والعباس أخوها وغيره
 من إخوانها ^٣ أسنّ منها . وبالأندلس : عبد الرحمن بن معاوية الداخل
 ولى وله إخوة ^٤ أسنّ منه ، منهم الوليد بن معاوية ، وأتهم * عبد الرحمن
 ابن أخيه هذا المنيرة بن الوليد بن معاوية ، قتلته ، ونفى أخاه الوليد ، وجمع
 ولده وأخرجهم عن الأندلس ، / ومن ولده أبو المطرف المنيرة إمام مسجد
 طائوت بمدينة قرطبة . هشام الرضا ولى الخلافة وأخوه سليمان
 أسنّ ^٦ منه وتازعه ^٧ . طول حياته وقد أخبرت أن غيره من إخوانه كان
 أسنّ منه أيضاً . الحكم بن هشام ولى الخلافة وأخوه عبد الملك أسنّ منه
حى فى المطبق وبقى فيه سبعة عشر عاماً إلى أن مات فيه فى حياة أخيه .
عبد الرحمن بن الحكم بن هشام ولى الأمر وأخوه هشام بن الحكم ^٨
 أسنّ منه ، سخط ^٩ عليه أبوه إذ بلغه أنه يتعنّى موته .

[١٢ ظ]

ومن بنى العباس : أبو العباس السفاح ولى وأخوه أبو جعفر المنصور
حى أسنّ منه بسنين ^{١٠} وأعتل ^{١١} ، وولى بعده الرشد ولى وأخوه على
 ابن المهدي حى وهو أسنّ منه ، وأمه ^{١٢} راططة ^{١٣} بنت أبي العباس السفاح .

(١) ق م ز : ولا عقب لعبد الله (٢) ق م : كلاما ولى (٣) ق م ز : أحياء
 (٤) ق م ز : أحياء (٥) المباشرة مضطربة هنا ق م (٦) ق م ز : بأربعة عشر عاماً
 (٧) ق م : ولم يزل يحارب له (٨) ق م ز : حى (٩) ق م : وكان أبرما قد سخط
 على هشام المذكور (١٠) ق م : بستين (١١) ق م ز : منه (١٢) ق م : وأم على هذا
 (١٣) ق م : ربيعة .

الأمير ولى وأخوه المأمون حى، أسن منه بسة أشهر وأعتل ولى بعده ،
ورأيت فى بعض الأخبار أن الوائق ولى، وأخوه محمد والد المستعين، وهو أسن منه ،
حى / وأن المتوكل ولى وأخوه أحمد ^١ أسن منه وأعتل ^٢ حى ^٣ ، ولم يتحقق
عندى كلا الخبرين ، وما أبديهما ، وهما عندى إلى الحق أقرب والله أعلم .
المعتز ولى الخلافة وأكثر ^٤ إخوته أسن منه ، وهم أحياء ، منهم المزيد المعتود
له بالامر ^٥ بعده كان أسن منه بلا ^٦ شك فى ذلك لأن ^٧ المزيد شتيق الموفق
لامه وأسن منه ، ومولد الموفق يقيناً سنة تسع وعشرين ومائتين ، ومولد المعتز
سنة إحدى وثلاثين ومائتين . وذكر ^٨ فى بعض الأخبار أن الموفق كان أسن
من المعتد ، ولم يصح ذلك ، بل الأصح أن المعتد كان أسن منه بسة أشهر ،
وأظن أبا عيسى أو غيره من ولد المتوكل كان أسن من المعتد ^٩ . وأظن
القاهر ولى الخلافة وأخوه هرون أسن منه وهو حى ، وكذلك الفضل المطيع
مع إخوته الباس وعبد الواحد وعلى والملتقى ^{١٠} كلهم أسن منه بسنين ^{١١} .
وأما الطائع فولى الخلافة وأخوه عبد العزيز حى وهو أسن منه إلا أنه ^{١٢}
كان دهره هاربا عن أبيه المطيع مع أمه ^{١٣} . ومن بنى على : على بن حمود

(١) ق م : محمد (٢) ق م ز : منه (٣) ق م ز : يومئذ (٤) ق م : وجماعة من إخوته
أسن منه منهم الأندلس موسى شقيق المنتصر ومنهم إبراهيم المزيد الخ (٥) ق م : بالمرء
(٦) ق م : بنحو أربع سنين (٧) البارة ق م : ومنهم الموفق شقيق المزيد (٨) البارة
ق م : ومنهم المعتد كان مولده سنة تسع وعشرين قبل الموفق بسة أشهر .
ومنهم أبو عيسى وكان مولده المعتز سنة إحدى وثلاثين فى أولها وإنما مال إليه بسبب
أمه قبيصة وكان التوكل فى آخر أمره قد بنى على خلع المنتصر وإقرار المعتز بالأسر فعاجله
المنتصر فدمر عليه من قتله (٩) ق م ز : وقول المعتد وأبي عيسى حى ولم يكن فى ولد
المتوكل أعف ولا أحسن غيتا من أبى عيسى هذا (١٠) ق م : والملتقى (١١) ق م ز :
وم كلهم أحياء (١٢) ق م : وكان عهد العزيز هذا (١٣) ق م ز : غير أبيه .

[١٣ ظ]

ولى الخلافة ^١ وأخوه القاسم أسن منه / يفتين ^٢ أو نحوهما وولى بعده ^٣ .
ومن المستعين إليهم : زرار ^٤ ولى الخلافة وأخوه تميم أسن منه وهو حى .

أربعة أخوة ولوا الخلافة : لا يعرفون إلا الوليد وسليمان وبزيد
وهشام بنى عبد الملك ^٦ . وأما ثلاثة إخوة فالأمين والمأمون والمعتصم
بنو الرشيد ، والمعتصم والمعتز والمعتد بنو المتوكل ، والمعتقى والمقتدر
والقاهر بنو المعتضد ^٧ ، والراضى والمتقى والمطيع بنو المعتذر . وأما أخوان
قزيب وإبراهيم ابنا الوليد ، والمعتز وعبد الله ابنا محمد ، ومحمد المهدي
وعبد الرحمن المستظهر ابنا هشام بن عبد الجبار بن الناصر . ومن بنى العباس :
السفاح والمنصور ابنا محمد ، الهادى والرشيد ابنا المهدي ، الواثق والمتوكل
ابنا المعتصم ، ومن بنى على : على والقاسم ابنا حمود .

من كان له اسمان ^٨ من الخلفاء : عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله
الناصر ^٩ القائم بدين الله ، وسليمان بن الحكم المستعين بالله الظاهر بحول الله .
ومن ولاية العهد : الموفق بالله / الناصر لدين الله أبو أحمد [بن] المتوكل .

[١٤ و]

أكثر ما اجتمع فى عصر واحد من سبق لهم فى علم الله عز وجل
أن يلوا الخلافة :

كان ذلك فى ثلاثة أوقات : أحدها آخر حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم ^{١٠} ،

(١) ق م : الأسر (٢) ق م : بشر سين (٣) ق م ز : وحسن بن يحيى بن على
ابن حمود ولى وأخوه إدريس حى وهو أسن منه وولى بعده . مروان بن محمد
ابن مروان ولى بعده ابنه عبد الله ثم عبيد الله وابنه عبد الملك أسن منها . ولم يوله
(٤) ق م ز : ابن أبي تميم (٥) ق م ز : كلهم (٦) ق م ز : ابن مروان (٧) ق م ز :
ودعى أخوهم عمرو بن المعتضد إلى الخلافة فامتنع ولم يكن للمعتضد ابن ذكر غيرهم
أو يستم (٨) ق م : لقبان (٩) ق م : الناصر لدين الله القائم بأمر الله ثم انقصر
على الناصر فقط (١٠) ق م ز : اجتمع فى ذلك أحياء .

أبو بكر وعمر وعثمان وعلي والحسن ومعاوية وعبد الله بن الزبير ومروان
ابن الحكم^١. والوقت الثاني آخر أيام الوليد بن عبد الملك ، فإنه اجتمع
فيها^٢ أحياء موجودين الوليد وسليمان ويزيد وهشام وعمر بن عبد العزيز
والوليد بن يزيد وإبراهيم بن الوليد ومروان بن محمد وأبو جعفر المنصور
وكل هؤلاء ولوا^٣ الخلافة . والوقت الثالث آخر أيام هشام المؤيد بن الحكم
فإنه^٤ اجتمع فيها أحياء موجودين هشام والمهدي والمستظهر وسليمان والمستكفي
والمتد وعلي والقاسم وبجي وإدريس ومحمد بن القاسم والمرضى ، وكل هؤلاء
ولوا الخلافة .

ومن^٦ ولي منهم صيبا :

جعفر المقتدر ولي ولم يستكمل أربع^٧ عشرة سنة . هشام المؤيد
ولي لم يستكمل إحدى عشرة سنة . وولي^٨ معاوية بن يزيد وله تسع
عشرة سنة ، ولم يَلْ / أحد الخلافة دون العشرين إلا^٩ هؤلاء^{١٠} .
قال ابن حبان : ذكر فقطويه في كتابه أنه لم يَلْ الخلافة قبل المعتز بالله
أحد كان أصغر سناً منه ، مولده في شهر رمضان سنة اثنتين وثلاثين ومائتين
قبل خلافة والده المتوكل بمائة يوم محصاة ، ويزيل بالخلافة بسر من رأي صدر
الحرم سنة إحدى وخمسين ومائتين ، قال : وسنه ثمان عشرة سنة وأربعة أشهر .

(١) في م ز : نعم وكان منهم يومئذ حياً عبد الله بن وهب الرازي ، وكان قد باينه
الخوارج بالخلافة وسلموا بأسرة أمير المؤمنين (٢) في م : فيه (٣) في م : ولي (٤) في م ز : كان
(٥) في م : وكانهم سلم عليه بأسرة أمير المؤمنين (٦) ابتداء من هنا يختلف ترتيب القسطين :
الأصل م (٧) في م : إحدى (٨) عبارة م : وأما معاوية بن يزيد فإنه ولي (٩) في م : غير
(١٠) في م : . ككلمة مضطربة على هذا النحو : وقد غلط قوم فأدخلوا المعتز في هذه الجملة ،
وهذا باطل ، ما ولي (وله) المعتز إلا أول سنة إحدى وثلاثين وبلغ الحكم (الحكم) في رأس
عين في سنة أينية إلى الشام وله له الهتد في أولها ، هذا كله لادك فيه .

وقال ابن كامل : قُتِلَ المعتز وله عشرون سنة كاملة بعد خلعهم بأيام أربعة .
 ويلحق بهؤلاء القائلين في الصغر منصور بن نزار الملقب بالحاكم بأمر الله
 صاحب مصر ، فهو يلي هشاماً صاحب الأندلس في هذه الخلعة ، مولده
 في عقب ربيع الأول سنة خمس وسبعين وثلاثمائة ، وتقليده بعد والده نزار
 في عقب رمضان سنة ست وثمانين وثلاثمائة ، وكانت سنة إحدى عشرة سنة
 وستة أشهر غير عشرة أيام . ومن الغرائب أن يقتاسق بعده ولده على الظاهر
 وولد ولده المستنصر في مثل هذه الولاية في الصغر . على أني / لم أنض أمدّها
 من مواليدها ، واعترفت ، للإجماع على تقليدها في حد الأبناء ، ولا سيما أحدها
 معد بن علي المستنصر الباقي في هذا الوقت ، وكان أقرب للطفولة منه إلى الصبا ،
 وفي هذا الباب بقية .

[١٥ و]

من ولى منهم مستأ قد تجاوز الستين :

أبو بكر الصديق^١ إحدى وستون سنة . عبد الله بن الزبير^٢
 أربع وستون سنة . مروان بن الحكم^٣ إحدى وستون سنة . مروان
 ابن محمد^٤ إحدى وستون سنة . ومن بنى على : القاسم بن حمود^٥ ولى^٥
 وقد دخل في إحدى وستين سنة . واختلف^٦ في عثمان رضي الله عنه ، قتل
 إنه ولى وله ما بين ثمان وستين إلى إحدى وخمسين سنة ، وقيل أقل من ذلك ،
 لا أشك^٧ فيه أنه لم يكن له ، إذ ولى^٨ ، ستون سنة .

(١) في م ز : رضي الله عنه ولى الخلافة وله (٢) في م ز : ولى الخلافة وله (٣) في م ز :
 يبيع له ، وله (٤) في م ز : ولى الخلافة وله (٥) في م ز : ولى الخلافة وله إحدى وستون
 سنة (٦) في م : واختلف في عثمان بن عثمان رضي الله عنه من إحدى وخمسين إلى ثمان
 وسبعين سنة (٧) في م : والذي لا أمتري فيه (٨) في م : إلا أقل من ستين سنة .

ومن ولى وله خمسون سنة إلى أقل من الستين : عمر ، وعثمان ،
وعلى ، ومعاوية ١ ، وهشام ، [و] المعتمد ، وأحمد القادر .

ومن ولى منهم وله ما بين الأربعين سنة إلى الخمسين ٢ :
[١٥ ظ] أبو جعفر المنصور / المعتمد ولى وهو فى الأربعين وعبد الله المستكفى المنذر ،
عبد الله أخوه ، الحكم المستنصر ، سليمان الظافر ، محمد المستكفى ٣ .

ومن ولى منهم وله ما بين الثلاثين إلى أقل ٤ من الأربعين :
الحسن بن على ٥ ، عبد الملك بن مروان ، الوليد ٦ ، سليمان ،
عمر بن عبد العزيز ، يزيد بن عبد الملك ، هشام أخوه ، الوليد
ابن يزيد ، يزيد بن الوليد ، إبراهيم أخوه . هشام الرضا ، عبد الرحمن
ابن الحكم ، محمد ابنه ، محمد بن هشام المهدي . ومن بنى العباس :
السفاح ، المهدي ، الواثق ، المهتدي ، المعتضد ، القاهر ، المتقي ،
المطيع ، الطائع ٧ . ومن بنى على : يحيى بن على ، وسائر ٨ الخلفاء
إنما وليها دون الثلاثين وفوق العشرين سوى من ذكرنا .

أكثر ٨ الخلفاء عمرا :

القادر بلغ ثلاثا وتسعين سنة ولم ٩ يصح عن خليفة غيره أنه بلغ
الثمانين ، ولا يجاوز السبعين ، ولا بلغها منهم أحد إلا عثمان ومعاوية وعبد الله
ابن الزبير / وعبد ١٠ الله بن محمد وعبد الرحمن الناصر والطائع والتاسم .

[١٦ و]

(١) لى م ز : رضى الله عنهم (٢) لى م ز : ولم يتمها (٣) لى م ز : على بن حود
(٤) لى م : ما دون (٥) لى م ز : رضى الله عنهما يزيد بن معاوية (٦) لى م : الوليد
ابن سليمان وهو تحريف (٧) لى م : وأما سائر الخلفاء فاعلموا كلها كل منهم دون الثلاثين
و فوق العشرين (٨) لى م : أطول (٩) عبارة م : وذكر عن عثمان بن عفان رضى الله
عنه أنه تجاوز سبعين وتجاوزها معاوية أخ (١٠) لى م : وبلغها عبد الله بن محمد وتجاوزها
الطائع وعبد الله بن محمد الناصر والتاسم بن حود .

أقصر الخلفاء عمرا :

معاوية بن يزيد لم يبلغ العشرين سنة . والذين^١ تجاوزوا العشرين . ولم يبلغوا خمسة وعشرين عاما موسى الهادي لم يستكمل أربعاً وعشرين سنة . محمد المنتصر نقصه^٢ من خبة وعشرين عاما شهران أو نحوهما . المعتز لم يستكمل خمسة وعشرين عاما^٣ . المستظهر لم يستكمل ثلاثاً وعشرين سنة . ومن^٤ تجاوز الخمسة والعشرين ولم يستكمل الثلاثين : الأمين بن زبيدة . والذين^٥ لم يبلغوا الأربعين منهم وتجاوزوا الثلاثين سليمان بن عبد الملك ، عمر بن عبد العزيز ، يزيد بن عبد الملك ، الوليد ابنه ، يزيد بن الوليد^٦ ، وأظن أخاه إبراهيم كذلك ، أبو العباس السفاح ، الواثق ، المستعين ، المهتدي ، المكتفي ، المقتدر^٧ ، هشام الرضا ، محمد المهدي بن جشام^٨ .

ذكر من خلع من الخلفاء وسلم :

الحسن بن علي^٩ ، معاوية بن يزيد^{١٠} ، إبراهيم بن الوليد ، إبراهيم بن المهدي ، محمد المستكفي^{١١} ، ومات إلى أيام من خله حنف أنه ، المطيع^{١٢} ومات إلى أربعين يوما من خله حنف أنه .

(١) في م : ومن لم يستكمل خساً وعشرين عاماً (٢) ل م : لم يكمل خساً وعشرين سنة . (٣) في م : سنة (٤) عبارة م : الذين تجاوزوا خساً وعشرين ولم يستكملوا ثلاثين (٥) في م : الذين تجاوزوا الثلاثين ولم يبلغوا الأربعين (٦) في م ز : إبراهيم بن الوليد (٧) في م ز : الراضي (٨) في م ز : ابن عبد الجبار (٩) في م ز : وهو أنه عندما انحلع مختاراً (١٠) في م ز : انحلع مختاراً ثم يقطر واحد منها إلى الخلع (١١) في م ز : اضطرراً إلى الخلع كلهم وماتوا حتى (حنف) أنوفهم إلا أن إبراهيم غرق في الهزيمة مع مروان ، وقيل إن المستكفي سمه يرض من كان معه (١٢) في م ز : انحلع لابنه بين الطوع والكراهة .

/ من خُلع وسَلِم^١ وبقى معتقلا :

هشام المؤيد إذ خله المهدي ، القاسم إذ خله ابن أخيه^٢ ، المقتدر ،
إذ خله أخوه^٣ أول مرة ، القاهر إذ خله المقتدر .

من خُلع وسُملت عيَّته :

القاهر إذ خله الراضى ، المتقى ، المستكفى^٤ ، المستعين ببغداد ،
هشام إذ خله سليمان .

من^٥ خُلع وقُتل إثر خلعه :

الأمين ، المعتز . ومن بنى أمة سليمان^٦ إذ خله على بن حمود .

ومن لم يجب إلى الخلع وصبر حتى قتل أو قاتل حتى أُلْحِنَ ،
ثم أُخْذَ وقُتل : عثمان صبر حتى قتل ، عبد الله بن الزبير قاتل حتى قتل^٧
مروان بن محمد . كذلك^٨ ، المهتدى قاتل ثم^٩ جرح وسلم^{١٠} ، فتر وظفر
به فقتل ولم يجب إلى الخلع .

من قِيمَ عليه نُخلع^{١١} دون أن يطالب بخلع ولم يدافع : الوليد
ابن يزيد ، المقتدر ، المهدي ، محمد بن هشام ، المستظهر أخوه .

من ولى أياما من انخلفاء أو شهورا^{١٢} ما دون السنة :

الحسن بن علي^{١٣} ولى ستة أشهر . معاوية بن يزيد ولى أربعة بن يوما .

(١) ق م : واعتزل (٢) ق م ز : يحيى (٣) ق م : المهدي والعبادة مضطربة في م
(٤) ق م ز : الطائع (٥) ق م : من خلع ثم قتل إلى مدة المستعين من بنى عباس
(٦) ق م ز : ابن الحكم (٧) ق م ز : متبلا غير مدبر (٨) ق م : قاتل حتى قتل متبلا
غير مدبر (٩) ق م : حتى (١٠) ق م : ثم ولى فأدرك وقتل ولم يجب إلى الخلع
(١١) ق م : فقتل (١٢) سنة (١٣) ق م ز : رضى الله عنهما .

/ مروان بن الحكم ولى عشرة أشهر . يزيد بن الوليد ولى ستة أشهر .
 أخوه إبراهيم ولى ثلاثة أشهر . محمد^١ بن هشام المهدي ولى أحد عشر
 شهراً فى خلافته ما . المستظهر ولى سبعة وأربعين يوماً . محمد المهدي^٢
 ولى أحد عشر شهراً . المتصور ولى ستة أشهر .

من طال عمره^٣ فولى عشرين سنة فصاعداً :

معاوية بن أبي سفيان^٤ ولى الخلافة عشرين سنة بعد علي^٥ .
 عبد الملك بن مروان^٦ سلم عليه بها عشرين سنة . المعتمد ولها
 عشرين سنة . المنصور أبو جعفر ولها إحدى وعشرين سنة . الرشيد
 ولها ثلاثاً وعشرين سنة . المعتذر ولها خسا وعشرين سنة . الحكم الرضي
 ولها ستاً وعشرين سنة . عبد الرحمن ابنه ولها ثمانياً وعشرين سنة .
 عبد الله^٧ ولها خسا وعشرين سنة . المطيع ولها ثلاثين سنة . عبد الرحمن
 ابن معاوية ولها أربعاً وثلاثين سنة . محمد بن عبد الرحمن بن الحكم
 ولها خسا وثلاثين سنة . هشام المؤيد ولها ستاً وثلاثين سنة . القادر
 ولها ثلاثاً وأربعين سنة . عبد الرحمن الناصر ولها خمسين سنة^٨ .

/ المعرفات فى الخلافة من النساء :

فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم زوجة علي وأُم الحسن .

(١) ق م : وقد عد فيهم محمد بن هشام بن عبد الجبار وليس كذلك لأنه قام إلى أن
 قتل ، خطب له بالخلافة وسلم عليه بها سبعة أشهر منها ستة أشهر بالفرخ خاصة قطعت
 بين دولتيه بقرطبة (٢) ق م ز : رحمه الله (٣) ق م ز : منهم (٤) ق م ز : رضى الله
 عنه (٥) ق م ز : عليه السلام (٦) ق م ز : الأُمون ولها عشرين سنة (٧) ق م ز :
 أبو جعفر القائم ابنه له منه ولى ثلاثون سنة ، وأما ما ولى لأنه لم يكن فأكثرت ملكه أكثر
 من عشرين سنة ومن ثلاثين سنة (٨) ق م ز : وستة أشهر متصلة (٩) ق م : وابنها
 الحسن رضى الله عنهم .

أم كثوم بنت علي^١ زوجة عمر^٢ وأخت الحسن، وبنت لبلى أخرى نمت^٣
عبد الملك. عائشة بنت الوائق^٤ أخت المهدي زوجة^٥ النسيم. عائكة
بنت يزيد بن معاوية جدّها خليفة وأبوها خليفة وزوجها خليفة^٦ وابنها خليفة
وابن ابنها خليفة وهو الوليد بن يزيد بن عبد الملك. فاطمة بنت عبد الملك
ابن مروان جدّها خليفة وأبوها خليفة وإختها الأريج^٧ خلفاء وبنو إختها
ثلاثة خلفاء وابن عمها وزوجها خليفة وهو عمر بن عبد العزيز^٨. ودون هؤلاء
عائشة بنت عثمان^٩ زوجة عبد الله بن الزبير^{١٠}. أم عاصم بنت عاصم
ابن عمر بن الخطاب^{١١} جدّها خليفة وابنها خليفة وهو عمر بن عبد العزيز،
ولذلك قال فيه الشاعر : بين أبي العاص وآل الخطاب . زبيدة بنت
جعفر^{١٢} بن أبي جعفر المنصور جدّها خليفة وزوجها^{١٣} خليفة الرشيد
وابنها خليفة وهو الأمين . رائطة^{١٤} بنت السفاح زوجة^{١٥} المهدي .
فاطمة بنت المنذر زوجة^{١٦} الناصر . أم الحكم بنت سليمان الظافر
زوجة^{١٧} المستظهر / وهي التي يقول فيها :

[١٨ و]

وماذا على أم الحبيبة إذ رأت^{١٨} جلاله قدرى أن أكون لها صبرا
حمالة بينت النبشيين حلقت فطرت إليهم سراتهم^{١٩} صبرا

(١) في م ز : ابن أبي طالب (٢) في م ز : ابن الخطاب وأبوها علي وأخوها الحسن
رضي الله عنهم وجدهما رسول الله صلى الله عليه وسلم (٣) في م : تزوجها (٤) في م ز :
ابن النسيم (٥) في م : وتزوجها (٦) في م ز : وأخوه خليفة (٧) في م : أربعة
(٨) في م ز : ولم يخلف عبد الملك ابنة غيرها وخلف أربعة عشر ذكراً (٩) في م ز :
رضي الله عنه (١٠) في م ز : رضي الله عنهما (١١) في م ز : رضي الله عنه
(١٢) في م ز : الملك جعفر (١٣) في م ز : ابن عمها (١٤) في م : ربيعة (١٥) في م :
زوجها (١٦) في م : زوجها (١٧) في م : زوجها (١٨) في م : إذ رأت وهو محرف
(١٩) في م : سراتها .

فاطمة بنت القاسم ^١ زوجة يحيى ^٢ . وأما من تزوجها خيفة وولدت خيفة فكثير جدا لا معنى لذكر ذلك والمراد بهذا من أعتق خادمة وتزوجها وولدت خليفة كرجان وصبح والخيزران وغيرهن .

امراة ولدت خليفتين : ولادة بنت العباس ^٣ البسية ، ولدت الوليد وسليمان ، والخيزران ولدت موسى ^٤ وهرون ، أم القاسم وعلى ^٥ .
امراة ولدت ولئي عهد ^٦ : أندلسية ولدت ولئي عهد : إبراهيم المؤيد وأبا أحمد الموفق ^٧ . أم خليفة تزوجت بعد خلافة ابنها أم خالد بنت هشام ^٨ بن عتبة ^٩ أم معاوية بن يزيد تزوجت بعد موت ابنها ^{١٠} مروان بن الحكم . امراة ^{١١} أخرى اسمها عبدة بنت عبد الله بن يزيد بن معاوية تزوجها ثلاثة خلفاء ، الوليد وهشام ومروان بن محمد . ويقول قائلون إن أم هشام المؤيد استحلها ابن أبي عامر بنفكاح سر ، والله أعلم . وحكى أن عريب / المأمونية، قيل إنها كانت بنت جعفر بن يحيى ابن برمك ، كانت تقول : دخل ^{١٢} لى سبعة خلفاء ، فإن كان ^{١٣} هذا حقا ، فقد كان منهم الوالد ^{١٤} والولد والله أعلم . أسماء بنت هشام أخت خليفتين :

[١٨ ظ]

(١) ق م ز : ابن حمود (٢) ق م : تزوجها يحيى بن علي . بنت إدريس بن علي تزوجها حسن بن يحيى بن علي بن حمود وأخوها محمد بن إدريس ولما قتل زوجها أساما يحيى بن إدريس المروفي يحيون بنت زوجها فقتلته ، فهذه امرأة سلم على أبيها وجدها وعمها وأخوها وزوجها بالخلافة . بنت علي بن حمود تزوجها محمد بن القاسم وسلم على أبيها وعمها وزوجها وأخوها وبني أخوها بالخلافة (٣) ق م ز : ابن جزء بن الحارث ابن زهير بن حذيفة (٤) ق م : الهادي (٥) ق م ز : ابن حمود سلم عليها بالخلافة ، لبونة بنت محمد الميزل بن حسن بن القاسم فتون ولدت يحيى وإدريس ابني علي سلم عنهما بالخلافة (٦) ق م ز : إسحق (٧) ق م ز : لم يتم لها أمر (٨) ق م ز : هاشم (٩) ق م ز : ابن ديسنة (١٠) ق م ز : معاوية (١١) ق م ز : من غرائب الناس امرأة تزوجها ثلاثة خلفاء عبدة الخ . أخرى تزوج عبد الملك بن مروان بن عثمان (هكذا) بنت عبد الله بن يزيد بن معاوية الخ . والنس هنا ق م : مختلط (١٢) ق م : ركني (١٣) ق م : صدقت (١٤) ق م : فهم الأب والابن .

المهدي والمستظهر تزوجها أحمد بن رشتي الكاتب مولى بني شهيد .
المرزبانة بنت قديد بن منيع السعدي بن سعد بن زيد مائة بن تميم
 تزوجها نصر بن سيار أمير خراسان ، ثم مات ^١ ، ثم تزوجها أبو مسلم ^٢
 والى خراسان ، ثم قتل ، فتزوجها أبو داود خالد بن إبراهيم التهملي ^٣ والى خراسان
 بعده ، فخرجت هذه المرأة بحري ولاية خراسان ، من ^٤ ولى خراسان تزوجها ^٥ .
 منبوعة العربية تزوجها يعقوب بن الليث ثم أخوه عمرو بن الليث .

ثلاثة ٦ رشحوا للخلافة ماتوا في أربعين يوماً :

عبد الرحمن بن هشام المستظهر وسليمان بن المرتضى ومحمد
 ابن عبد الرحمن المروفي بابن العراقي ^٧ . قتل عبد الرحمن ^٨ ثلاث خلون
 من ذي القعدة سنة أربع عشرة وأربعمائة ، ومات سليمان بن المرتضى بعده
 بنحو من عشرة أيام حتف أفنه ، ومات ^٩ محمد بن عبد الرحمن حتف أفنه
 ثلاث عشرة ليلة خلت من ذي الحجة من العلم المؤرخ .

/ نَوَكِّي الخلفاء :

من بني العباس : الأمين بن زبيدة : المعتمد ، القاهرة ،
المستكني . ومن بني أمية : المستكني إلا أن القاهرة من بين هؤلاء
 كان نوكة بمروجا بسلطة . وما كان هشام المؤيد بدونهم إلا أنه كان

(١) في م : فلما خرج عن خراسان ومات (٢) في م ز : السراج (٣) في م : الدهلي
 (٤) في م : كل من (٥) في م ز : هند بنت أسماء بن خارجة بن حصن بن حذيفة بن بدو
 النزادية تزوجها عبيد الله بن زياد أمير المراءين ثم تزوجها الحجاج بن يوسف أمير المراءين
 (٦) في م : ترشحوا (٧) في م ز : ابن هشام بن سليمان بن الناصر (٨) في م ز : المستظهر
 يوم السبت (٩) في م : وقتل المراءي بعده ختناً .

متنسكا لا يورث أحداً ، ولا يمنع أحداً من أن يؤذى . يكن أبنهم
من كل خير وأجمعهم لكل خلة سوء المبكفي والمستكفي .

حرمتهم ١ بعد الصحابة رضى الله عنهم :

مروان بن محمد ، مروان بن الحكم ، عبد الملك بن مروان ،
هشام ابنه ، عبد الرحمن بن معاوية ، أبو جعفر المنصور وما كان
المعتصم والمعتضد بعيدين من ذكرنا .

ذوو الفتح منهم :

أبو بكر وعمر وعثمان ، ثم معاوية ٢ والوليد وسليمان فإن خيلة
كانت ٣ . بأخر الأندلس وبأوائل الهند وفي بلاد الترك وعلى القسطنطينية .
ولقد كانت للمعتصم فتوح كثيرة . فيهمهم : المستكفي ٤ ، بقرطبة .
أقام سبعة عشر شهراً لا تتجاوز طاعته فرسخاً .

عالمهم بعد الصدر الأول : المأمون وكان أخوه المعتصم أماً
لا يقرأ ولا يكتب .

(١) في م : خريم وهو تحريف (٢) في م ز : رضى الله عنهم (٣) في م : كانت
محارب الفرنج في ثور الأندلس وعسكر له آخر محارب النوبة في عقر ديارم وعسكر له
آخر محارب القسطنطينية قد أشرف على فتحها ويسكنها المسلمون لولاموته وحيوته ومحارب
الترك والحزر والهند وهو ساكن في قريته ابن سبع وثلاثين وحمل إليه رأس عبد العزيز
بن موسى بن نصير صاحب الأندلس ورأس تنبية بن مسلم صاحب خراسان إذ هما مخالفاه .
هشام أخوه بلغت خيلة أقصى أرض السودان خلف فرغانة إلى مدائن الذهب وذهبت
مقلية وإقريطس . أسلم ملك قبا إلى المأمون . ثم عبارة مضطربة (٤) في م : محمد عبد الرحمن
المستكفي (٥) في م ز : وكان الحكم المستنصر من أئمة الناس صابة بالبرم لاسياً بالأخبار
والغلات .

[١٩ ظ] / عدو لهم بعد الصحابة رضى الله عنهم : معاوية بن يزيد ،
 عمر بن عبد العزيز ، يزيد بن الوليد ، هشام الرضا ، المهدي ١ .
 مسرفوهم ٢ : يزيد بن معاوية ، الوليد بن عبد الملك ٣ ، أبو جعفر
 المنصور ، موسى الهادي ٤ ، الحكم الربضي ، عبد الرحمن
 الناصر ، سليمان ٥ الظافر إلا أنه كان من بينهم إسراره وجوره ممزوجين
 بضعف وخساسة نفيس وقلة سياسة .
 أدباؤهم وشعراؤهم : الوليد بن يزيد ، إبراهيم بن المهدي ،
 الرازي ٦ سليمان ٦ الظافر .

مجاهروهم بالانهماك في المعاصي ٧ :

يزيد بن عبد الملك ، ابنه الوليد ، الأمين ، المتوكل إلا أن إظهاره
 السنة وسبده ٨ سترأ عليه ، المعتذر ، المستكفي ، القاهر ، الحكم
 الربضي ، وكان يتخفى من اشتهر بالجمال من أبناء أهل بلده ، منهم طرفة
 ابن لقيط أخو عبد الله بن لقيط ، تصرف أبوه وإخوته وآله في الولايات الرفيعة ،
 ومنهم نصر صاحب منية نصر ، كان أبوه من أسائلة أهل الذمة من أهل
 قرمونة ، ومات قبل موت ابنه نصر بأيام ، / ومنهم شريح صاحب مسجد
 شريح ، عبد الرحمن الناصر وله تمليق أولاد السودان في الناعورة وركوب
 رسيس بقلنسة وسيف في موكبه . قال أبو محمد : ورسيس هذه كانت امرأة
 من دار الجراح رفيعة مبيبة اتصلت بالناصر وخفت عليه حتى حمله ذلك
 على أن أركبها مكشوفة في موكبه بقلنسة وسيف تقلده ، على بئس خلقه ،
 (١) في م : محمد بن الهدي (٢) في م : مرديم وهو تحريف (٣) في م ز :
 السفاخ (٤) في م ز : المعتز (٥) في م : سليمان بن الحكم (٦) سليمان بن الحكم
 (٧) في م ز : والذات (٨) في م : وسادته .

بينه وبين الأولاد ، في يوم مرور ، وشق هكذا قوطبة على باب المطارين
الربض العربي كله إلى الزهراء . حدثني بذلك الوزير أبو عبدة
رحم الله وأبو عبد الله بن التليظ كلاهما عن مالك بن الحسن والد أبي عبدة
أنه سلم على الناصر في جملة الموالى في ذلك النهار ورأى هذه الحال .

ذوو السعد منهم :

أريد بذلك من أسعد بلا استحقاق ولا تعب ولا عناء : النفاح ، التوكل .

مشائيمهم على قومهم وعلى الناس : سليمان^٢ الظافر ، محمد المستكني^٣ .

العزز منهم : المهدي بن المنصور ، الواثق ، عبد الرحمن بن معاوية .

خليفة أبجر^٤ : عبد الملك بن مروان . خليفة ألتغ : المستعين^٥

كانت لثغته^٦ في السنين بجمعها ثاء . / خليفة ممرور : عبد الرحمن بن الحكم . [٢ : ظ]

من لم يكن^٧ بيده من الخلافة إلا الرسم :

هشام بن الحكم المؤيد ، ومحمد المستكني . ومن بنى العباس : المطيع

والقادر والمعتد في آخر أيامه والمستكني في أولها .

من غاب عن موضع خلافته : المأسون بويغ له بيقداد ولم يدخلها

إلى^٨ نحو من عشرين شهرا . المعتد بويغ له بقوطبة ولم يدخلها نحو^٩ ثلاثة أعوام .

(١) ق م : من سعد منهم بغير استحقاق الخ (٢) ق م : سليمان بن الحكم (٣) ق م ز :
ومن بنى العباس الرازي فانه أبطل جند الخلافة جلة فضعت الخلافة حينئذ وبطل رسمها
ولم يبق منها إلا اسمها (٤) ق م : أسخر وهو تحريف واضح (٥) ق م ز : ابن محمد
ابن المتعم (٦) ق م : بجمل السين ثاء (٧) ق م : للثغلب عليهم : للمطيع القادر القائم
أبو جعفر الرازي في آخر أيامه للثغلب المعتد في آخر أيامه القاهر في أول أيامه المستكني ،
ومن بنى أمية : المؤيد المستكني المعتد (٨) ق م : إلا عشرين شهرا وهو تحريف
(٩) ق م : إلا وهو تحريف .

من ولى مرتين : المأمون ^١ بويغ^١ ببنداد ثم خلع منها ^٢ ثم بويغ الأمين .
 من بويغ ثم خلع ثم رُدَّ : المتنصر ، القاهر . ومن بنى أمية : هشام المؤيد ،
المهدي ، سليمان . ومن بنى علي : القاسم وبجى^٣ .

ومن ولى منهم بعد عمه : الوليد^٤ بعد هشام ، المتنصر بعد المتنصر ،
بجى بعد القاسم . ومن ولى بعد جده : عبد الرحمن الناصر بعد عبد الله .
 وسائرهم إنما ولى بعد أب أو أخ أو ابن عم قريباً أو من بعده .

أكثر^٥ إخلفاء ولدا : عبد الرحمن بن الحكم كان له^٦ خسون ذكراً
وخسون أنثى . / من لم يكن له منهم ولد : معاوية بن يزيد ، هشام
ابن الحكم . من انقرض عقبه منهم : الحكم المستنصر^٩ ، محمد المهدي^{١٠} ،
عبد الرحمن المستظهر^{١١} ، محمد المستكفي^{١٢} . وقد انقرض عقب المنذر .
 ومن بنى العباس : أبو العباس السفاح .

من خطب لبني العباس أو لبني علي بالأندلس :

عبد الرحمن بن معاوية خطب لأبي جعفر المنصور أعواماً . العلاء بن منيث
البخاري خطب لأبي جعفر المنصور بباجة وأكشونية . عمر بن حفصون
خطب ببكشتر لإبراهيم بن القاسم بن إدريس صاحب البصرة^{١٣} .

(١) في م ز له (٢) في م : بها (٣) في م ز : ابن علي (٤) في م : الوليد بن يزيد
 بعد عمه هشام (٥) في م ز : عمه (٦) في م ز : جده (٧) في م : أكثرهم (٨) في م ز : مائة ولد
 (٩) في م ز : باق (١٠) في م : المهدي (١١) في م ز : ابن هشام بن عبد الجبار
 (١٢) في م ز : المنذر ابن عمه (١٣) إلى هنا تنهى القافية بين الأصل والنسخة م . وقد
 بقيت فقر قليلة في النسخة م لم ترد في رواية الحمدي ، وهي : أقرع الناس في الخلافة م ١١
 ومن تزوج من الكبراء والبلية منكها سائطاً م ١٢ ومن تزوج من محار الناس في الخفاء
 م ١٤ ومن كان يظهر التمدد والخشوع وهو من الطغاة م ١٤ وأول من اتخذ
 من الخفاء قاعدة م ١٤ وأول من ذكر من الخفاء م ١٤ ذكر ألقاباً ينسب الخمر م ١٥ .
 وبقيت رواية الحمدي من هنا حتى نهاية الكتاب ليست في النسخة م إذ هي ناقصة
 كما ذكرنا في المقدمة .

[٢١ و]

من قام بدعوة خلفاء بني أمية بالأندلس في المشرق :

تمام بن تميم التميمي بالتيروان أيام الرشيد . وافع بن التيث بن نصر
ابن ميار بسرقتند من خراسان أيام الرشيد ، وكان عجيف بن عنبسة وطاهر
ابن الحسين من قواده .

من تسمى بالخلافة من غير قریش وهو غير خارجي :

يزيد بن المهلب حين قيامه على يزيد بن عبد الملك . محمد بن الفتح المعروف
بالأمير ابن مدرار صاحب سجاسة وكان في غاية إظهار العدل وتسمى بالشاكر لله ،
وإليه تُنسب المناقب الشاكرية ، وذلك سنة نيف وأربعين وثلاثمائة ،
أسره جوهر / قائد أبي تميم وحمله إلى المهديّة ، ومات بها ، وكان آباؤه كلهم
صُفْرِيَّة حاشاه وحده ، فإنه أظهر السنة وخالف آباءه في المذهب ، ولم يكن خارجيا .
عبد الرحمن بن أبي عامر تسمى بها يوما واحدا في غزاته الشتوية ، وخرق ثيابه
طريا ، إذ سمع النداء بذلك ، ثم بدّله ، فترك ذلك . وما هذا عندي من الفعل الجيد .

[٢١ ظ]

من أراد أن يتسمى بها من هؤلاء ثم منعه مانع :

فناخسرو بن الحسن متولى الأمور ببنداد وأعمالها . أخبرني أبو الفتح
ثابت بن محمد الجرجاني قال : أراد فناخسرو أن يتسمى بالخلافة وأوصى إلى الجبل
الحسن بن علي البصري أن يؤلف له كتابا في تحويلة هذا الأمر في غير قریش
واستكثره ذلك جدا ، فأنت الجبل هذا الكتاب ودفع نسخة منه إلى تليد له
كان يشق به ، فانتشر الأمر من قبيل ذلك التليد . إلى أن بلغ الخبر
إلى خراسان ، فصاحوا صيحة واحدة في مجالس التتواء وإسلاماه واهجداه ،
فبلغ ذلك فناخسرو فقامت عليه التفتن وخشى إجلاب أهل خراسان كلهم عليه ،

فكان هذا سبباً لأن سمّ الجمل ، وقنع الناس بموت الجمل وسكن الأمر .

والمنصور محمد بن أبي عامر أراد ذلك وجمع للشورة فيه قوماً من خواصه

[٢٢ و]

فيهم ابن عياش وابن فطيس وأبي رحمه الله ، / ومن الفقهاء محمد بن يبي

ابن زرب وأبو عمر بن المكوى والأصلي . فأما ابن عياش وابن فطيس

فصوّيا ذلك له ، وأما أبي رحمه الله فقال له : إني أخاف من هذا تحريك ساكن ،

والأمور كلها بيدك ، ومثلك لا ينافس في هذا المعنى . وأما محمد بن يبي بن زرب

فإنه قال له : وصاحب الأمر ما شأنه ؟ فقال له : لا يصلح لهذا ، فقال له :

يُرتى ويجرب ، فقال له : أفي مسائل الفتنة يريد أن يسأله ، قال : لا ،

ولكن في مسائل السياسة وتدبير المملكة ، قال : فإن لم يقم ، قال : يُنظر

في قریش . فأعرض عنه مضطرباً ونظر إلى الأصلي وإلى ابن المكوى ،

فقال له الأصلي : يا مولاي عرفت ضابط خير من قرشي مضطرب ، قال : فنظر

إلى ابن المكوى ، فجعل يضحك له ، ويقول : يا مولاي ومثلك يفكر في هذا

وأنت الكل وكل شيء بيدك ، وإنما يرغب في الأسماء من لا يحقق ، والمدار

على الحقيقة ، وهي بيدك . فسكت ابن أبي عامر ، وقاموا واحداً واحداً .

فلما قام القاضي وسلم عليه قال : أخرجوا بين يدي الفتية ، فدعّم ذلك

على ابن زرب ، وقال : لا بأس هذا ما لا تقدرّون على عزلنا عنه ، ونهض

إلى منزله ، فمات بعد أيام يسيرة جداً . وأبو تميم المعز بن باديس صاحب

القيروان أراد ذلك ففكره إليه الفتية أبو عمران الغامدي ، وبينه أن النص

[٢٢ ظ]

لم يجوز الخلافة إلا في قریش ، فقال : إنك إنما تريد بهذا / الشقاق

والارتفاع عن المسألة ، وهذا لا يتم لك ، لأنك إذا فتحت هذا الباب تسي بها

كل من أردت التفوق عليه من مصابيتك وغيرهم ، فطل ما اختصت به ،

وهان هذا الأمر ولم تعد شيئاً ، فسمع المنزلة ، وترك ما أراد .

من قتل أباه من الخلفاء المتغلبين :

المنتصر قتل المتوكل أباه . زيادة الله بن عبد الله بن الأغلب .
أبو تغلب الغضنفر بن ناصر الدولة الحسن بن أبي الهيثم بن حمدان
 خلع أباه وأدخله الحمام ، ثم أغلق الباب عليه وخلاه حتى مات . ولد محمد
 بن يعفر صاحب الثمين قتل والده وعنه أبا الحسن وابن عمه عبد الواحد
 ابن أبي الحسن وجدته أم أبيه . قال ابن حبان : ولد ابن يعفر هذا صاحب
اليمين اسمه إبراهيم بن محمد لم يسمع في الملوك أجراً منه على القتل ، قتل أباه محمد
 ابن يعفر وعنه المسكني يابى الحسن وابن أبي الحسن الذين كانوا رضوة
 للأمر بمكانه في شبيخة معهم من جماعة قومه في المسجد بصنعاء رافضة .
 وهذا باب في الأمراء من غير قریش يتسع ، لأن قتلهم الأتارب كثير .
منوشهر بن شمس المعالي قابوس بن وشمكير صاحب خراسان
 / صعد أبوه في قلعة له كانت عادته أن يصعد فيها ، وقد كان تقدم ولده
منوشهر في أن ترتق أبوابها ، فلما صار فيها أغلق الباب عليه حتى مات ،
ففتّح الباب بعد أيام ، فوجد قد أكل يده ، وقد مات . اذ كوتكين
ابن أساتكين صاحب الري وقزوين وما هنالك ، خلع أباه واعتقله حتى مات ،
[وقيل إن] اذ كوتكين ولي ابنه مطهرًا موت جده ، وقيل إنه قتل نفسه .
محمد بن عيسى بن محمد بن مزين بثلب الآن اعتقل جده بعد موت
أبيه بجنين ، مات في سقاه .

[٢٣ و]

من قتل ابنه :

سليمان بن عبد الملك قتل ابنه أيوب سرًا . عبد الله بن محمد قتل
 ابنه المطرف ومحمدا . عبد الرحمن الناصر قتل ابنه عبد الله . إبراهيم

ابن الأغلب قتل ابنه رجلا . نصر بن أحمد صاحب خراسان قتل ابنه إسماعيل . خلف صاحب سجستان قتل ابنه ولم يكن له غيره . محمد بن أبي عامر قتل ابنه عبد الله وابن أخيه عبد الله بن يحيى وابني عمه عسقلان وأخاه . عمر بن حفصون قتل ابنه أيوب .

من قام على أبيه وحاربه :

سليمان بن عمر بن حفصون قتل على أبيه بأبذة ، وحاربه ، وصدده ، وضرب أباه عمر بالسيف ، وجرحه ، فأعجب عمر بذلك ، وغربه . إبراهيم بن إسماعيل ابن ذى النون حارب أباه بئرته .

من قتل أخاه :

المأمون قتل الأمين أخاه وخلعه . المعتز قتل أخاه المؤيد وخلعه عن العهد . عبد الله بن محمد قتل أخوه هشام بالسيف والقلم بالسهم . أبو الجحيش [بن] أحمد بن طولون قتل أخاه العباس قيل إنه خفنه بماء مغلي حتى مات . أبو تغلب بن حمدان قتل أخاه حمدان . عبد الله ابن زيادة الله قتل جميع إخوته . نصر بن أحمد صاحب خراسان قتل أخاه صالحا بقصر خصاصه ، وقتل أخاه أبا زكريا بالسهم . أبو عبد الله بن البريدي قتل أخاه أبا يوسف . إبراهيم بن الجحاج قتل أخاه سليمان . يحيى بن بكر قتل أخوه خلف . عباد بن محمد بن إسماعيل بن عباد قتل أخاه عبد الله .

ومن قتل عمه أو خلعه :

أبو جعفر المنصور قتل عمه عبد الله بن علي . المعتضد غرق عمه أبا عيسى وقتل عمه المشد ، قبل ممته ، وقيل إنه كان إذا رقد ففتح فاه ، فأفرغ في حلقه .

رصاصاً مذاباً، وقيل غير ذلك . عبد الواحد بن الموفق قُتِلَ إثر بيعة ابن أخيه .
المبكتي بن المعتضد . الحكم الربضي قتل عمه : سليمان بن عبد الرحمن
وسلمة / وابنة عمه أيضاً . عبد الرحمن الناصر قتل عمه العاصي بن عبد الله . [٢٤ و]
النفيرة بن الناصر قُتِلَ يوم بيعة ابن أخيه هشام المأويدي . يحيى بن علي خلع
عمه القاسم فلما ولي أخوه إدريس قتل . زيادة الله بن عبد الله قتل جميع
أعمامه . جيش بن أبي الجليش قتل عمه مضر . هرون بن أبي الجليش قتل
عمه زبيدة بالسباط . نصر بن أحمد قتل عم أبيه إسحاق بن أحمد ، خاطه
في غرارة ، قيل إنه ناطه بكلب ، ودفنه في الرمل حياً . ناصر الدولة بن حمدان
قتل عمه أبا الملاء . تاج الدولة أبو محمد جعفر بن يوسف قتل عمه
علي بن عبد الله . حماد بن بلقين قتل عمه ما كسر أطعمه الكلاب حياً .
من قتل ابن أخيه :

أبو جعفر المنصور قتل محمد بن السفاح بالسيم المعتصم قتل العباس
ابن المأمون بالزراق . القاهر قتل ابن أخيه أبا أحمد بن المبكتي بعصر خُصِييه
عبد الرحمن بن معاوية قتل ابن أخيه النفيرة بن الوليد بن معاوية .
شيبان بن أحمد بن طولون قتل ابن أخيه هرون .
خليفة تان تصالحا : وهذا أمر لم يُسَمع في الدنيا بأشنع منه ولا بأذل
على إدبار الأمور : يحيى بقرطبة والقاسم بإشبيلية .
/ من قتل عمه :

المتوكل . علي بن حمود قتل ثلاثة صقالية في الحمام دنا عن أنفسهم .
أبو سعيد الجنابي صاحب القرامطة قتل صقاليته في الحمام ، وما أعلم أحداً
أعظم بدا عند المسلمين منهم ، رضى الله عنهم . مرداويج قتل أيضاً عبده

في الحمام . عبد الله بن إبراهيم قتله فنيان كان يثق بهما . احمد بن اسماعيل
 قتله أيضا عبيد خاصة كانوا له . أبو الجليش بن أحمد بن طوار بن ذبيح فني
 حجام في حين تقيصه إليه ، حل موسى على أوداجه . رافع بن هرثمة قتله
 عبیده غدرا . أبو عبد الرحمن العمرى القائم في أعمال النوبة قتله عبدان
 كانا له خاصين به . عبد الملك بن عبد الرحمن بن متيوه صاحب طليطلة
 وبغيرها قتله صليبي له ذبا عن نفسه .

«رجل أنته منيته في الحرب فمات وهو على ظهر دابته دون
 أن يصاب بشئ : غالب يوم حربه مع ابن أبي عامر وقد أشقى على الظفر .
قال أبو محمد : لقد نني وهزني الوزير والدي نصر الله وجهه قال : كان المنصور
 ابن أبي عامر في القلب وجعفر بن علي المروفي بالزباني في المينة
 / قال : وأبيك [و] أبو الأحوص ممن بن عبد العزيز التجيبي والحسن
 ابن عبد الودود السلمي في الميسرة . قال : وكأني أنظر إلى غالب وهو شيخ كبير
 قد قارب الثمانين عاما وهو على فرسه وفي رأسه طرطور عال ، وقد عصب حاجبيه
 بمصابة ، قال : ثم قال لمن حواليه ، وكان قد جمع جموعا عظيمة من المسلمين
 والنصارى : من هؤلاء ؟ وأشار إلى المينة ، فقليل له جعفر بن علي وأخوه
 يحيى والبربر ، قال : فحمل عليهم حملة قصصهم فيها قصفا ، لم يثبت منهم أحد
 على صاحبه واصططكت الحزيمة على المينة ، قال : ثم انصرف ، فقال : من هؤلاء ؟
 وأشار إلى الميسرة ، فقليل له : أحمد بن حزم وحسن بن عبد الودود وممن
 ابن عبد العزيز ، قال : فحمل علينا حملة فافلقنا بين يديه ولم يُلر أحد منا
 على صاحبه ، قال : وابن أبي عامر في القلب يصنق يديه ، وتضطرب رجلاه
 في حركاته ، وقد أيقن بالهلاك ، قال : فانصرف غالب إلى أصحابه ، فقال لهم :

[٢٥ و]

قد هزسا المينة والميسرة ، وإنما بقي لنا القلب وحده ، ونيد هذا الأجرى .
 الملعبون يريد ابن أبي عامر فالآن نحمل عليه ، ونهلكه ، وكان في أول الحرب .
 قد دعا ، وقال : اللهم إن كنت أصلح للمسلمين من ابن أبي عامر فانصرني /
 وإن كان هو أصلح لهم مني فانصره ، قال : ثم هزم فرسه ، وترك جبهة القتال ،
 وأخذ ناحية إلى خندق كان في جانب عسكره ، فظن أصحابه أنه يريد الخلاء ،
 فلم يتبعه أحد ، فلما أبطأ عليهم ركبت طائفة منهم نحوه ، فوجدوه قد سقط
 إلى الأرض ميتا ، وقد فارق الدنيا بلا ضرب ولا طعنة ولا رمية ولا أثر ، وفرسه
 واقف بناحية يملك جلالة ، ولا يعلم أحد بسبب موته ، إلا أن الناس ظنوا ظنا
 وهو أن القربوس ضرب صدر هذا الذي قد دُر [ي] من قدره . فلما رأى ذلك
 أصحابه سقط في أيديهم وطلبوا حظ أنفسهم ، فبادر مبادر منهم بالبشرى .
 إلى ابن أبي عامر ، فلم يصدق حتى وافى مواف بنحايه ، ووافاه أخريبيه ، ووافاه آخر .
 برأسه ، ووقعت المزيمة على النصارى ، وكان غالب قد استمد للمركم فقتلوا
 أشنع قتل ، وقتل في جلتهم رزمير بن شاذجة ملك البشاكس المعروف برأى قرجه .
 وسلخ جلد غالب وحشى قطنا وصلب على باب القصر بقرطبة ، وصلب
 رأسه على باب الزاهرة . قال أبو [محمد] : فأنما أذكر كنهه بها إلى أن هبط / يوم
 هدم الزاهرة ، وكانت هذه الحرب التي هلك فيها غالب سنة إحدى وسبعين .

[٢٥ ظ]

[٢٦ و]

ومن غرائب الدهر :

أن زاوى بن زيرى رئيس البرابر كان في الدنيا أزيد من ألف امرأة
 لا تحل له منهن واحدة ، كلهن من نسل إخوته ، وكذلك مثل هذا العدد من الرجال .

(١) هكذا في أعمال الأعلام لسان الدين بن الخطيب نشرير وفتاح من ٧٢
 وفي الأصل قريب .

من نسل إخوته . اجتمع في عصر واحد : الفضل بن جعفر بن العباس بن موسى
 ابن عيسى بن موسى بن محمد بن علي وعبد الصمد بن علي . اجتمع أيضاً
 في عصر واحد عبد الرحمن بن الزبير بن عبد الله بن عبد الرحمن بن عبد الله
 ابن محمد وسليمان بن محمد . ومن مליح ما ذكره أصحاب الخبر في هذا الباب
 قالوا : سلم على الرشيد بالخلافة يوم بيعة سليمان بن منصور وعمر بن [أبي] العباس
 ابن محمد وعم جده عبد الصمد بن علي . وافق مثل هذا بيعة يوم يضاعف
 ابن معد بمصر ، سلم عليه بالخلافة عمه حيدرة بن المنصور وعم أبيه أبو القترات
 ابن القائم بأمر الله وعم جده أبو علي بن المهدي بالله ، فهذا هذا . ومن توافر
 أهلها يوم بيعة جعفر المتوكل على الله سلم عليه بالخلافة ثمانية من أولاد الخلفاء :
 محمد بن الواثق ، وأحمد بن المعتصم ، وموسى بن المأمون وعبد الله بن الأمين
 وأبو أحمد بن الرشيد والعباس بن المهدي ، ونصور بن المهدي وثلاثتهم
 محمد بن المتوكل ابنه ، وفي الباب زيادة . بايع عمرو بن الأمير عبد الرحمن
 ابن الحكم عبد الرحمن الناصر وهو عم جده . وبايع منصور بن المهدي المعتز
 بالله وقبيل يده .

[٢٦ ظ]

أخوفا لم يقع في الدهر مثلهما :

ظهر رجل حصري بعد اثنتين وعشرين سنة من موت هشام بن الحكم
 المؤيد ، وأصغى أنه هو ، فبولع له ، وخطب له على جميع منابر الأندلس
 في أوقات شتى وسنكت الدماء ، وتصادمت الجيوش في أمره .

فضيحة لم يقع في العالم إلى يومنا مثلهما :

أربعة رجال في مسافة ثلاثة . شلها كلهم يتسمى بإمرة أمير المؤمنين ،
 ويُخطبُ لهم بها في زمن واحد . : خلف الحصري بإشبيلية على أنه

هشام بن الحكم ، ومحمد بن القاسم بن حوّد بالجزيرة ، وشهد بن إدريس
 بن علي بن حوّد بمالقة ، وإدريس بن يحيى بن علي بن حوّد ببجستر .
امرأة قعدت للظالم : عمل القهرمانه أيام المنتدر وحضر مجلسها
 القضاة والفقهاء .

الأسماء التي تصلح للخلفاء ولم تستعمل بعد :

المول على الله ، المؤمل لله ، الراغب إلى الله / الساعي لله ، المحيي لدين الله ،
 الفاضل بالله ، المستجيب بالله ، المؤثر للحق في الله ، المرتقب في الله ، المراقب لله
 المستمد بالله ، المتأيد بالله ، المسترشد بالله ، المسدد بالله ، السديد ، الشديد
 في الله ، المستهدى ، المستصم بالله ، القاصد للحق ، السامي بالله ، المستعلي بالله ،
 الممان بالله ، الكافي في الله ، المظهر لدين الله ، الحامي في الله ، المجتبي في الله ،
 الراحي لله ، المرجحي لله ، المتقي بالله ، المكفي بالله ، الرضى لأمر الله ، المسلم لله ،
 المستسلم لله ، المؤتمر لله ، الحامي في الله ، المرشد إلى الله ، الحافظ لدين الله ،
 الحافظ في الله ، المحفوظ بالله ، الفائز بالله ، المائد بالله ، المستعبد بالله ،
 اللائد بالله ، الصادع بلحق ، المسند إلى الله ، القادي عن دين الله ، المخلص لله ،
 الخالص لله ، المخلص لله ، المصني لله ، الصافي لله ، الصفي لله ، المنقذ بأمر الله ،
 المنتقذ لدين الله ، / المستولى بالله ، التولى لأمر الله ، المفتتح بالله ،
 الفاتح بالله ، المستفتح بالله ، المتفتح لأمر الله ، الأمر بأمر الله ، القاصد إلى الله ،
 الموفى بأمر الله ، المولى لدين الله ، المرتقى بالله ، الراقى بالله ، المجتهد لله ،
 المدرك بالله ، الناجي بالله ، الساعي لله ، المتعلق بالله ، الناصر لدين الله ،
 السائق بأمر الله ، المنقذ لأمر الله ، المتقدي بأمر الله ، الطيب بالله ،
 الطاهر لله ، الزاكي بالله ، المستعدي بالله ، المبتهل بأمر الله ، المستفيد لله ،

[٢٧ و]

[٢٧ ط]

الخيار لدين الله ، المحتسب لله ، القاضي بأمر الله ، المعتضد لله ، المستند بالله ،
المتضلع بأمر الله ، المتقدم بالله .

أول من سمي بالأذواء :

المأمون مسمى الفضل بن سهل ذا الرياستين ثم تسمى بهذا الاسم منذر
ابن يحيى . وسمى المأمون هزيمة ذا الحكيمين ، وسمى علي بن سعيد ذا القلبين
وسمى طاهر بن الحسين ذا اليمينين . وسمى عندنا بالاندلس عبد العزيز
ابن أبي عامر ذا السابقتين وإبراهيم بن الطبيب ذا المجلسين . / وَرَدَّ الْأَمْرُ
بِالْمَشْرِقِ الْآنَ وَكَثُرَ ، حَتَّى كَادَتْ الْأَسْمَاءُ تَقْدَمُ ، وَتَسْمَى بِهَا كُلُّ مَنْ لَا وَجْهَ
لِلْإِسْتِفْهَالِ بِذِكْرِهِ .

وأول من تسمى باسم مضاف إلى الدولة :

الوزير القاسم بن عبيد الله ، ثُمَّ وَلِيَ الدَّوْلَةَ أَيَّامَ الْمَكْتَفَى ، ثم سمي
ابنه المقتول على الزندقة الحسن بن القاسم المعروف بأبي الحمد أيام وزارته للمقتدر
عميد الدولة . فلما ولي المقتي سمي الإخوة الثلاثة الدبيلة وهم علي والحسن وأحمد :
عليًا عماد الدولة والحسن ركن الدولة وأحمد معز الدولة ، ثم سمي الحسن
ابن عبد الله أبا الهيثم بن حمدان ناصر الدولة وأخاه عليًا سيف الدولة .
ثم كان بعد ذلك فناخسرو عضد الدولة ويرويه أخوه مؤيد الدولة وعلى
أخوه ثغر الدولة ، وبختيار عز الدولة بن معز الدولة وإبراهيم أخوه
عدة الدولة والمرزبان إعزاز الدولة بن بختيار ، وشمس الدولة ومجد الدولة
أبناخ الدولة ، والمرزبان صمصام الدولة بن فناخسرو ، وأبى الفوارس
شيزر . شرف الدولة ، وأبى نصر خسرو فيروز أخوه بهاء الدولة وغيث
١) في ابن الأثير وفي الأصل : شير ديلم . (٢) في النجوم الزاهرة
(شمس : ر انكتب الصرية) ١ / ٢٣٢ : وقيل اسمه طناد .

الأمة / وسيف الملة . وثابوس بن وشمكير صاحب طبرستان شمس المعالي
ومولى الموالى وزين الأيام والليالى ، ومحمود بن سبكتكين نصير الدولة
وأبو تغلب عمدة الدولة وعمران معين الدولة صاحب البطائح . قال أبو محمد :
 عمران هذا ، كان نبطيا يدعى أنه عربى سُليّ ، وكان لعنه الله رافضيا
 غاليا ، ولّى البطائح ، وهى قرى فى نجدات بين البصرة وبنداد ،
 اثنتين وأربعين سنة ، وعظمت المساجد فى أيامه لشدة كفره . والناصح
محمد بن بقية وزير مختار بن أحمد بن بويه . وبلقين بن زبرى ظهير الدولة .
وسعد الدولة بن سيف الدولة بن حمدان . والمظفر مؤنس وهو أول
 من تسمى بهذا الاسم ثم توزون التركى أبو الوفاء ، ثم عبد الملك بن أبى عامر .
 ثم انحرّف الأمر واتسع ، ثم رذل الأمر بالشرق والمغرب جدا ، حتى تسمى
 هذه الأسماء السامسة وذاللات الناس يُرى الله عز وجل عباده هَوَان
 ما تنافسوا عليه ، وغالوا به . وضَحَّ قولُ رسول الله صلى الله عليه وسلم ...
 حقيقا على الله أن لا يرفع الناس شيئا إلا وضعه الله أو كلاما هذا مناه .
 / واستبان أن الحقيقة هى العمل لله عز وجل والعدل فى البلاد والعمل بمكارم
 الأخلاق وحلّ الناس على الكتاب والسنة . فذلك الذى لا يقدر عليه سخيّف ،
 ولا يطيعه ضميّف . وبهذا يتبين فضل القوى على السائط الميّن ، لا بأسماء
 يقدر على التسمّى بها كل خبيس واهن ، والله الأمر من قبل ومن بعد ،
 وحسبنا الله ونعم الوكيل . ولقد كانت دولة عبد الملك وسليمان والوليد
 وعمر وهشام لا عيّد لها ولا عماد ولا لقب إلا أسمائهم ، وكانت قد طُبِّقت
 الدنيا طاعة واستقامة ، والدولة الآن أكثر ما كانت أعضاءً وعمدا
 وقد طُبِّقت الدنيا ضمفا ومهانة والله المستعان .

من مات من الخلفاء مقتولا وأنواع قتلهم :

عمر رضى الله عنه طعن بخنجر . عثمان رضى الله عنه قُتل بالسيف .
علي رضى الله عنه قتل بالسيف . عبد الله بن الزبير رضى الله عنه قتل
بالسيف وصلب منكبا . مروان قيل غتته امرأته أم خالد بمخدة . عمر
ابن عبد العزيز رضى الله عنه ، قيل إنه سُم . الوليد بن يزيد قتل بالسيف
/ إبراهيم بن الوليد مات غرقا . مروان بن محمد قتل بالسيف . السفاح
قيل : سُمه المنصور ، وقيل مات بالجدرى . المهدي أرادت إحدى حظيتيه
طلة وحسنة أن تسم الأخرى في حلواء ، فأكلها هوفات ، فكانت تقول
في يكلمها إياه : أردتُ الأفراد بك فأوحشتُ نفسى منك أو كلاما نحو هذا .
الحادي دفع جليسا له من جَرَف على أصول قصب فارسي قد قطع ، فتملق
الجليسين به فوقما جمعا ودخلت في مخرجه ، فأت منها . الرشيد أخطأ عليه
الطبيب جبريل في العلاج من دُبيلة كانت به فكانت سبب منيته . الأمين
قتل بالسيف . المنوكل قتل بالسيف . المستصر قيل سُم في كثرى ، وقيل
في مبضع فصد به ، وقيل رمى الزئبق في أذنه وهو يقتل العلة . المستعين قتل
بالسيف . المعتز أدخل في حمام وأغلق عليه حتى مات . والعجب أن ابنه رُمى
به في صهرج ماء في شدة البرد فمات فيه . المهدي قتل بخنجر . المتعمد
قيل سُم ، وقيل رمى في حلقة رصاص مذاب ، وقيل : ملك له خفيرة
من ريش ومشى عليها فسقط فيها فمات غما . / المعتز قتل بالسيف .
المنذر قيل سمه أخوه في مبضع فصد به . هشام المؤيد قتل خنقا .
المهدي قتل بالسيف . سليمان الظافر قتل بالسيف . المستظهر قتل
بالسيف . علي بن حمود قتل بانخس .

[٢٩ ظ

[٣٠ و

لم يزل الخلافة في الصدر الأول من أمه أم ولد : حاشا يزيد
 وإبراهيم ابني الوليد . ولا وليها من بني العباس من أمه حرة حاشا السفاح
 والمهدي والأمين . ولا وليها بالأندلس من بني أمية من أمه حرة أصلاً .
 وأبو علي والقاسم ويحيى بنو حرة .

خليفة استجدي بعد الخلافة : القاهر في خلافة المطيع ابن أخيه .
 وقد قيل إن المستكني خاطب برقعة مستجدياً ، وقيل ذلك عن المتقي ولم يصح ،
 فعوذ بالله من البلاء .

ومن استجدي قبل الخلافة : علي بن حمود وقد أخبرني الكاتب
 الشيخ الحسن [بن] عبد العزيز [بن] بقي أنه رآه يستجدي عبد العزيز بن المنذر
 ابن الناصر ، ثم ولي الخلافة وأزال دولة بني أمية / وأبو جعفر المنصور
 استجدي الأمراء فقط قبل خلافته ، وكان في شرط خالد بن عبد الله القسري
 ثمان وستين درهماً في الشهر ، وولي بعض المحال بالأهواز لسليمان بن حبيب
 ابن المهلب .

[٣٠ ظ]

من جلد قبل الخلافة :

أبو جعفر المنصور ضربه سليمان بن حبيب بن المهلب بن أبي صفرة ،
 لأنه استعمله على بعض كور فارس ، فاحتجج المال لنفسه ، فضربه سليمان
 بالسياط ضرباً شديداً وأغرمه المال ، فلما ولي الخلافة ضرب عنقه .
 وكان المنصور يقول : ثلاث كن في صدري شقي الله منها : كتاب أبي مسلم
 إلى وأنا خليفة : عاقبا الله وإياك من سوء ، ودخول رسوله علينا وقوله : أيكم
 ابن الحارثية ، وضرب سليمان بن حبيب ظهرى بالسياط . المأمون جلده أيره .

الرشيد الخدي في الزنا بعض حُرْمِهِ ، وفي ذلك يقول الشاعر مادحا لآخيه الامين
ومعترضاً بالناموس :

لَمْ تَلِدْهُ أُمَّةٌ تَعْرِفُ فِي السُّوقِ التَّجَارَا
لَا وَلَا خَانَ وَلَا حُسَدَّ وَلَا فِي الْحُكْمِ جَارَا
وَوَنَ الْغَرَابِ :

[٣١ و] أن موسى بن محمد بن حديد كان من أخص الناس بالمطرف بن الأمير
عبد الله ، والمطرف / هذا هو قاتل أخيه محمد بن الأمير عبد الله ، ثم لما صارت
الخلافة إلى عبد الله بن محمد المتتول المذكور كان موسى بن محمد بن حديد
من أخص الناس به وولاه حجابته وأمره كلها بيده حياة موسى . وقد شاهدنا
مثل ذلك وهو أن محمد بن سعيد التناكروني كان أحد الثائمين مع محمد
ابن هشام بن عبد الجبار على عبد الرحمن بن محمد بن أبي عامر ، ومن المشاهدين
لقتل عبد الرحمن وصلبه والساعين في القيام عليه ، ثم لما ولي عبد العزيز
ابن عبد الرحمن المذكور بلنسية كان محمد بن سعيد المذكور أخص الناس به
ومتولى تدبير أموره إلى أن مات .

آخر كتاب فقط العروس
والحمد لله والصلاة على
سيدنا محمد النبي
وآله وسلم

تحف جديدة

من الخزف الفاطمي ذي البريق المعدني

للكونزكي محمد موسى بك

كانت الأواني الخزفية ذات البريق المعدني أعظم ما تجلت فيه عبقرية الفنانين المسلمين في صناعة الخزف ، فقد استطاع هؤلاء الفنانين — فيما بين القرنين الثالث والحادي عشر بعد الهجرة (٩ — ١٧م) أن يكسبوا الخزف بريقاً معدنياً تنوعت درجات ألوانه من الأصفر الليموني الشاحب والأصفر الضارب للخضرة إلى اللون الأحمر النحاسي .

وانتشر هذا النوع من الخزف في أنحاء العالم الإسلامي من إيران إلى الأندلس . وقد فسر بعض مؤرخي الفنون إقبال المسلمين على هذا الخزف بأنهم اتخذوه عوضاً عن الأواني الذهبية والفضية التي كان الفقهاء في الإسلام يكرهون استعمالها فيه من ترف وإسراف .

ولستأ نريد أن نعرض هنا لما بين مؤرخي الفنون من خلاف في تحديد الموطن الأول لصناعة الخزف ذي البريق المعدني في ديار الإسلام^(١) . وحسبنا أن نذكر أن أقدم ما نعرفه من الخزف ذي البريق المعدني في مصر إنما يرجع إلى بداية العصر العباسي الثاني ، وإن كان من الصعب أن نمسح التاريخ الذي بدأت فيه هذه الصناعة بمصر . وذلك أن أقدم الخزف ذي البريق المعدني في وادي النيل لا يختلف كثيراً عن الخزف ذي البريق المعدني الذي عثر عليه في سامرا وفي الري وفي السوس وفي قلعة بني حماد وفي مدينة الزهراء . بل إننا في كثير من الأحيان لا نستطيع التمييز بين المنتجات العباسية بمراقبة

(١) وانج زكي محمد حسن : فنون الإسلام ص ٢٥٩ — ٢٦٠

والمنتجات العباسية المصرية في هذا الميدان ، إلا بما بينهما من خلاف في « العجينة » . فبينما الطين الخزفي العراقي متخول تخلّجيداً وشديد التلاحك والاندماج وأحر وردي أو مائل إلى الصفرة ، ترى الطين الخزفي المصري رملياً وأقل تلاحكاً ونعومة . ومهما يكن من الأمر فإن الخزف ذا البريق المعدني الذي عثر عليه في مصر من بينه خزف مستورد من العراق كما أن من بينه خزفاً صنع في مصر ولكنه متأثر في أساليبه الصناعية والزخرفية بالخزف العراقي أشد التأثير^(١) .

والمرئوف أن الخزف ذا البريق المعدني الذي وجد في سامراء والمدائن لا يضم في زخارفه رسوماً آدمية وحيوانية ، وإنما نرى هذه الرسوم نفا عثر عليه في مصر وإيران .

وقد تطورت صناعة الخزف ذي البريق المعدني في مصر تطوراً طبعياً حتى بلغت أوج ارتفاعها في العصر الفاطمي . والغريب أن هذه الصناعة أقل نجماً في العراق منذ القرن الرابع الهجري (١٠م) وحدث أن بدأ تطورها في سبيل الازدهار بمصر وإيران منذ ذلك التاريخ ، حتى تسامل بعض مؤرخي الفنون عما إذا كان لهذا الازدهار من ناحية والازدهار من ناحية أخرى صلة بهجرة فنّانين من الخزفيين العراقيين إلى مصر وإيران . ولاحظ بعضهم أن أوجه الشبه كبيرة بين المنتجات الخزفية المصرية في القرنين الرابع والخامس بعد الهجرة (١٠ و ١١م) وبين المنتجات العراقية في الخزف ذي البريق المعدني . وفي اعتقادنا أن تفسير هذه الظاهرة لا يتطلب نسبتها إلى هجرة الفنّانين ، وإنما الصحيح أن أوجه الشبه طبيعية لأن الخزف الفاطمي كان في أساليبه الصناعية والزخرفية تطوراً طبعياً للخزف العباسي الذي كان الشبه كبيراً بين منتجاته في العراق ومصر وإيران .

والذي يعني هنا أن الخزف الفاطمي ذا البريق المعدني قد وجدت منه كميات هائلة في حفائر القسطنطينية ، نقل بعضها إلى دار الآثار العربية وتسرب

(١) راجع زكي محمد حسن : الفن الإسلامي في مصر ج ١ ص ١٠١ — ١٠٨

القليل إلى تجار العاديات ومنهم إلى متاحف أوروبا ، ولكن أكثره لا يزال محفوظاً في المخازن التي أعدتها دار الآثار هذا الفرع في مدينة القسطنطينية . ولا ريب في أن هذه الكميات الهائلة تزيد عن المعروف من الخزف الإيراني ذي البريق المعدني . ومع ذلك فإن الخزف الأخير يمثل أحسن تمثيل في متاحف العالم المختلفة ، بينما التحف الفاطمية من الخزف ذي البريق المعدني في تلك المتاحف كانت لا تزال قليلة إلى السنوات الأخيرة . ويرجع ذلك إلى أمور ، أهمها طبيعة الحفائر في إيران ومصر ، فقد أتيج لابران أن تفيد من عدد من الحفائر المنظمة وساعدت على ذلك طبيعة مواقعها الأثرية ، فكان يعثر في معظم الأحيان على التحف الخزفية سليمة إلى حد كبير أو يعثر عليها مكسورة قطعاً يمكن جمعها وإصلاحها ، وإصلاح التحفة لتبدو كاملة كما كانت .

وفضلاً عن ذلك فقد حدث كثيراً أن كانت التحف الخزفية الثينة في إيران تدفن في أزيار ضخمة كأنها تحفاً عماً ، وظلت محفوظة سليمة كاملة حتى كشفت عنها بعض أعمال الحفر الحديثة ^(١) .

أما في مصر فإن طبيعة تلال القسطنطينية جعل من العسير على دار الآثار العربية أن تقوم فيها بحفائر علمية منظمة ، إذ أن هذه التلال لا تمثل طبقات متتالية خلفها العمران وإنما الحقيقة أنها أكوام من مخلفات مدينة القاهرة في العصور الوسطى ألقيت فيها ، بعد خراب مدينة القسطنطينية ، وتراكمت في غير نظام أو تناح ، وقد نجد في أسفل طبقات بعض التلال تحفاً أحدث عهداً من تحف في أعلى الطبقات في تلال مجاورة ^(٢) . وفضلاً عن ذلك فإن التحف التي يعثر عليها تكاد تكون كلها مكسورة ونكاد لا نوفق إلى العثور على أجزاءها كلها ليتمكن لصنها وإصلاحها .

ومما يؤسف له أن مصر لم تظفر بطائفة من العلماء والهواة وتجار العاديات تنفق الوقت والمال في جمع أجزاء التحف المكسورة وخصها بالتأليف بينها للوصول إلى إصلاح التحف واعطائها المظهر الكامل .

(١) أنظر Mehdi Bahrani : Gorgan Faïences p. 16

(٢) أنظر على بك بهجت والبير جيزيل : كتاب حفريات القسطنطينية ص ١ — هـ

وهكذا ظلت التحف المصرية الكاملة من الخزف المصري نادرة جداً في المتاحف والمجموعات الفنية الخاصة . وكان زوار دار الآثار العربية في القاهرة لا يرون من آثار صناعة الخزف في مصر إلا بضعة مئات من أجزاء صغيرة من الأواني الخزفية رتبها أولو الأمر في الدار بحسب أساليبها الصناعية أو عناصرها الزخرفية . وكانت هذه الأجزاء عظمية الشأن للاختصاصيين الذين يشدون البحث والدراسة ، ولكنها كانت أبعد الأشياء عن الدلالة — لغیر الاختصاصيين — على ما وصلت إليه صناعة الخزف من إتقان وازدهار على يد المسلمين .

ومن حسن الحظ أن عناية التجار والهواة بالتحف الخزفية الفاطمية زادت في السنين الأخيرة زيادة ملحوظة وأن حفائر القسطنطينية كشفت عن عدد كبير من القطع الخزفية ذات البريق المعدني أمكن أن تؤلف منها تحف كاملة واستطاعت دار الآثار العربية أن تمرض منها نحبة طيبة ، كما وفق أصحاب المجموعات الفنية في مصر والخارج إلى اقتناء بعضها .

والمعروف أن أشكال الأواني الخزفية بمصر في العصر الفاطمي كانت أقل تنوعاً من أشكال الأواني المعاصرة لها في إيران . ولكتنا نستطيع أن نقرر في ثقة واطمئنان أن الخزف الفاطمي ذا البريق المعدني امتاز في كثير من النواحي على الخزف الإيراني الذي كان يعاصره . وكان هذا الامتياز واضحاً في رسوم الكائنات الحية وفي إتقان الزخارف النباتية والكتاتبية . وقد وصل الخزفيون الفاطميون في دقة التعبير في الرسوم الآدمية إلى حد قد يبعث على الظن بأنهم تأثروا في بعض الأحيان برسوم هيلينستية أو بيزنطية^(١) ، وهي الرسوم التي تأملت — كما نعرف — على الأسس الاغريقية التي تحترم الطبيعة وتقتن تمثيلها وتصل إلى تصوير المشاعر والأحاسيس المختلفة والتعبير عنها ، فضلاً عن إدراكها لتفاصيل التشريح في أجسام الكائنات الحية .

(١) أنظر Alf Bahgat et F. Massoul : La Céramique Musulmane de l'Égypte pl. 32 et 24 وذكر محمد حسن : في النول الإسلامية ص ٣٠ شكل ٩ وأحمد تيمور باشا وذكر محمد حسن : التصوير عند العرب ص ١٦٣ (شكل ٥) .

وقد وصلت إلينا أمضاءات طائفة من الخزف من الفاطميين على تحف من الخزف ذي البريق المعدني، وعلى رأسهم سعد ومسلم وأبراهيم المصري وطبيب على وأبو العرج وسامى والدهان وابن نظيف ويوسف ولطفي الحسيني، ولكننا لم نعثر في المراجع التاريخية على ما يكشف عن شيء من سيرة أولئك الفنانين^(١). ومهما يكن من شيء فإن مسلماً وسعداً كان لهما نشاط ملحوظ واشتغل بأشغالهما ونسج على منوالهما عدد كبير من الخزف من الخزف من الخزف، فكان لكل منهما مدرسة في صناعة الخزف لها ذاتيتها ومميزاتها. والراجح أن مسلماً عاش في بداية العصر الفاطمي، فإن منتجاته أشد شهاً وتأثراً بمنتجات العصر الطولوني وعليها طابع البساطة والقوة والجرية في الزخرفة. أما سعد في طرازه شيء من الرقة والرشاقة والتناسق، والراجح أنه عاش بعد مسلم بقليل. ومع ذلك فالتنازع لا نستطيع أن نجزم بشيء في هذا الشأن. والواقع أن من الصعب أن نصل إلى ترتيب تاريخي لأنواع التحف الخزفية ذات البريق المعدني في العصر الفاطمي. ولا فائدة في هذا الميدان من تلمس أوجه الشبه بين المنتجات الفاطمية في الخزف ومنتجاتهم في سائر الفنون كالنسيج والحفر في الخشب. فالتنازع لا تكاد تخرج من مثل هذه الموازنة بنتائج علمية دقيقة.

وما يؤسف له أن الذي وصل إلينا من التحف الخزفية الفاطمية ليس من بينه ما يمكن تأريخه على وجه التحقيق، اللهم إلا أجزاء من إناء كبير عليها كتابة بالخط الكوفي باسم الخليفة الحاكم بأمر الله^(٢) (٣٦٦ — ٤١١ هـ ٩٩٦ — ١٠٢٠ م).

والتحف الجديدة التي نشرها في هذا المقال غنية بدلاتها على ما وصل إليه الخزفيون الفاطميون من إتقان في الصناعة وإبداع في الزخرفة وتوفير في الذوق والتعبير الفني. وقد أصبحت دار الآثار البرية في القاهرة بفضل هذه التحف أغنى متاحف العالم بالخزف الفاطمي. وإذا كنا لا نستطيع

(١) أنظر زكي محمد حسن: فنون البلاط من ٦٧٣ — ٦٧٤

(٢) راجع G. Wiet: Deux Pièces de Céramique Egyptienne (Ars Islamica vol. III part 2 page 179, fig. 4).

أن ترتبها ترتيباً تاريخياً فلا بأس من أن تؤلف منها مجموعات بحسب رسومها ليسهل أن نتحدث عنها الواحدة بعد الأخرى .

أما المجموعة الأولى فذات الرسوم الآدمية . وليس غريباً أن تكثر الرسوم الآدمية على الخزف الفاطمي ذي البريق المعدني ، فقد عرف الطراز الفاطمي عامة بشدة إقباله على رسوم الكائنات الحية ، كما يبدو ذلك واضحاً مما جاء في المراجع التاريخية والأدبية^(١) . ومن زخارف التحف الخشبية التي وصلت إلينا من العصر الفاطمي^(٢) .

ففي الشكل رقم ١ صورة سلطانية من الخزف ذي البريق المعدني (رقم السجل بدار الآثار العربية ١٥٥٠١) عليها رسم شخص جالس القرفصاء يمسك بيده اليمنى كأساً وفي يده اليسرى فرع نباتي ، وأراد الفنان أن يملأ الفراغ فزاد رسوم بضعة فروع نباتية أخرى ورسم إبريقاً على يمين الشخص الجالس^(٣) . والملاحظ في رسوم هذه السلطانية أن الرأس يبدو صغيراً بالنسبة لباقي الجسم وأن زخارف الملابس قوامها مناطق بيضاء شبه مستديرة أو بيضوية وتتوسطها قط سوداء . مما ألفتاه في زخارف الخزف العباسي ذي البريق المعدني . ويبدو من الوجه ثلاثة أرباعه ، أما الجسم فرسوم من الأمام . والزخرفة في مجموعها شديدة الشبه بزخرفة جزء من صحن خزفي ذي بريق معدني محفوظ الآن في دار الآثار العربية أيضاً ، وقد سبق أن نشرناه في كتابنا « كنوز الفاطميين » (الملوحة رقم ٣٢) . وفضلاً عن ذلك فإنها تشبه الرسوم التي وجدت منقوشة على الجص في أطلال الخيام الفاطمية الذي كشفته حفائر دار الآثار العربية في منطقة أبي السعود جنوب شرق القاهرة^(٤) . والمعروف أن هذه الرسوم نقلت إلى دار الآثار

(١) واجمع ذكر محمد حسن : كنوز الفاطميين ص ٩٠ — ٩٥

(٢) المراجع نفسه ص ١٩٨ وما بعدها .

(٣) أنظر صورة إناء زبراني فيه رسم إبريق لملء الفراغ في الزخرفة وكان محفوظاً

في مجموعة كسكيان ١٢ ، ١١ - The Kelekian Collection of Persian and Analogous Pottery

(٤) أنظر ذكره سنن : التصوير في الاسلام ص ٢١ واللوحة رقم ١

العربية وقد عرضت حديثاً في قاعة الطراز القاطمي . ومما يستحق الذكر أن زخرفة السلطانية التي نحن بصدد ذكرها تذكر بزخارف سلطانيات أخرى من الخزف القاطمي ذي اليريق المعدني وجدت مثبتة في الجدران الخارجية ببعض كنائس إيطاليا وفي دار المحافظة (hotel de ville) بمدينة سانت أنطونان (Saint Antonin) من أعمال جنوب فرنسا ، وترجع هذه الدار إلى القرن الثاني عشر للميلاد^(١) . والراجع أن هذه السلطانيات قد نقلت إلى أوروبا على يد الصليبيين أو الحجاج المسيحيين الذين حصلوا عليها في الشام أو مصر . ولم يكن الخزف القاطمي ذو اليريق المعدني نادراً بالشام في ذلك الحين ، فقد كان ينقل إليها من مصر ، كما كان الخزفيون ينتجونه فيها متأثرين بالأساليب الصناعية والزخرفية السائدة في مصر^(٢) .

وفي الشكل رقم ٢ صورة صحن من الخزف ذي اليريق المعدني (رقم السجل بدار الآثار العربية ١٣٤٧٧) عليه رسم فارس على جواد وفوق يده اليسرى طائر من الطيور الجارحة التي تستخدم في الصيد^(٣) . وليس هذا الرسم غريباً في الفن القاطمي فأنا نراه مكرراً في حجاب الهيكل الخشبي الذي نقل من كنيسة الست بربرة إلى المتحف القبطي بمصر القديمة^(٤) ، ونراه في التحف الخشبية الفاطمية التي عثر عليها في مارستان قلاوون والمخطوطة الآن بدار الآثار العربية^(٥) . كما أن رسوم الصيد بالباز معروفة في التصوير الإسلامي ، ولا سيما في المدرسة الهندية المغولية^(٦) . وقد انتشرت هذه الرسوم من الفن

(١) A. Lane: Early Islamic Pottery p. 22 and plate 27 A.

(٢) عثر في مدينة المرة بالشام على صحن من الخزف ذي اليريق المعدني عليه رسم أرنب وهو محفوظ الآن في متحف اللوفر بباريس .

أنظر G. Migeon: Manuel d'Art Musulman vol. 2 page 187, fig. 336

(٣) أنظر Zakir M. Hassan: Hunting as practised in Arab Countries of the Middle Ages, pl. 3

(٤) أنظر Zaki محمد حسن : كنوز الخشب من ٢٠٤ و ٢٠٥ و E. Pauly: Bois Sculptés jusqu'à Sculptures d'Eglises Coptes, pls. 23-.

(٥) أنظر E. Pauly: Les Bois Sculptés jusqu'à une Aproubide pl. 56.

(٦) L. Mercier: La Chasse et les Serpentiers les Arabes p. 96 et fig. 4

الفاطمي إلى الفنون التي تأثرت به أو كانت، إذ لا له كما يتبين من الرسوم المائية التي تراها في سقف الكابلا بالانتينا بمدينة يرمو^(١) وهي التي أمر بها الملك النورمندی رجار (دوجر) الثاني في النصف الأول من القرن الثاني عشر الميلادي^(٢) والتي يبدو من طرازها ووجود بعض الكلمات العربية في صورها ومن الكلمات العربية الدعائية التي اتخذت إطاراً لبعض المناطق الزخرفية فيها. أن الذين رسموها ثنائون متأثرون بالأساليب الفنية الفاطمية، على الرغم من أن نفوذ الفاطميين السياسي كان قد زال عن صقلية منذ مدة^(٣).

وقد وصل إلينا رسم الفارس حاملاً الباز في يده على تحف خزفية مملوكية^(٤) وعلى تحف أخرى من الخزف الإيراني^(٥).

وفي الشكين رقمي ٣ و ٤ صورتنا صحنين من الخزف الفاطمي ذي البريق المعدني (رقم السجل بدار الآثار العربية ١٤٩٦٣ و ١٤٩٣٥) على كل منها رسم شخص جالس يعزف على عود وحوله رسوم فروع ووريقات نباتية ودوائر في وسطها تقط داكنته. وهي الزخارف التي ألفتها رئيسية في الخزف العباسي ذي البريق المعدني وألفنا وجودها لماء القراغ حول الرسوم الرئيسية في الخزف الفاطمي ذي البريق المعدني. ورسم العازف على العود أو ما إليه من الآلات الموسيقية انتشر انتشاراً كبيراً في العالم الإسلامي فيما بين القرنين الثالث والسادس بعد الهجرة^(٦) (٩ - ١٢ م)، وقد عرفناه مكرراً في نقوش الألواح الخشبية الفاطمية التي عثر عليها بضرخ السلطان الناصر

(١) أنظر Monneret de Villard : Le Peinture Musulmane al Soffito della Capella di Palermo p. 40 fig 247-248

(٢) راجع زكي محمد حسن : فنون الإسلام ص ٦٨ و ٤٥٠

(٣) راجع بين الشكل رقم ١ في هذا المثل والشكل رقم ٢٢٩ في كتاب الأثرنا مؤثره دي فيلار من قوش الكابلا بالانتينا .

(٤) أنظر Aly Bahgat et Massoul : La Céramique Musulmane de l'Égypte pl. 51

(٥) أنظر M. Riefstahl : The Parish—Watson Collection of Mohammedan Art, fig ٤٢. 58.

(٦) أنظر زكي محمد حسن : الفنون الإيرانية في العصر الإسلامي ، شكل ٧٩ ر A Survey of Persian Art. vol. v pl. 633

محمد بن قلاوون وبمارستان قلاوون والمحفظة الآن بدار الآثار العربية بالقاهرة^(١)، كما نراه أيضاً في نقوش سقف الكابلا بالأتينا^(٢).

وفي الشكل رقم ٥ صورة صحن من الخزف الفاطمي ذي البريق المعدني (رقم السجل بدار الآثار العربية ١٣٤٧٨) عليه رسم سيدة جالسة الترفصاء وعلى رأسها شبه تاج وقد انحدرت صغيرتاها على كشيها وفي يدها كأسان، وحول هذا الرسم الزخرفة العباسية المألوفة على الخزف ذي البريق المعدني وقوامها الدوائر البيضاء التي تتوسطها نقط داكنة. ومما بلغت النظر في رسوم هذا الصحن أن زخارف الرداء الذي ترتديه السيدة تتألف من بضعة فروع نباتية تضم بينها نحو عشر وريقات ومراوح نخيلية كبيرة مما اعتاز به الطراز الفاطمي. ويتندر أن نرى في الزخارف الإسلامية رسم شخص يسلك بكل يد كأساً. ومن الأمثلة القليلة التي نعرفها من هذه الزخرفة رسم آخر في سقف الكابلا بالأتينا^(٣). ومما يمتاز به رسوم الصحن الذي نحن بصدده أن حافته مزينة بسلسلة من قطاعات صغيرة من دوائر، على النحو المألوف في الأواني المصنوعة من الخزف ذي البريق المعدني فيما بين القرنين الثالث والسادس بعد الهجرة^(٤). كما أن على هذا الصحن إقصاء الصانع جعفر ولكننا لا نعرف من سيرته شيئاً.

وفي الشكل رقم ٦ صورة صحن من الخزف الفاطمي ذي البريق المعدني (رقم السجل بدار الآثار العربية ١٤٥١٦) عليه رسم رجلين متواجهين ويرقصان رقصاً لا نبتين نوعه. ولكنه على كل حال ليس الرقص الذي ألقناه على التحف الفاطمية الخشبية والعاجية^(٥) وإنما هو أشبه شيء برقص

(١) راجع ذكر محمد حسن. كنوز الفاطميين ص ٢٠٩ — ٣١٤ والروحت ٤٥

و ٤٦ و ٤٧

(٢) راجع L'go Monneret de Villard : op. cit. fig 200-206, 238, 240

(٣) U. Monneret de Villard: op. cit. fig. 199-

(٤) R. Kœchlin und G. Alfgeon: Islamische Kunstwerke, Tafel 1. 6, 8, 18

(٥) Georges Marçais: Les Figures d'Hommes et de Bêtes dans les Bois Sculptés d'Époque Fatimite Conservés au Musée Arabe du Caire (Mémoire de l'Institut Français. t. 68 Mélanges Maspero. Vol. 3) pp 219-252.

حزبي قوامه المبارزة بالعصى^(١). والملاحظ أن كلا الشخصين يبدو عاري الرأس وإن أحدهما قد رسم رسماً جانبياً بينما يبدو الآخر في وضعة ثلاثية الأرباع أما الفراغ في زخرفة هذا للصحن فمشغول برسوم فروع نباتية وسراوح نخيلية. ومما يستحق الذكر أن في دار الآثار العربية بالقاهرة جزءاً من إقاء من الخزف ذي البريق المعدني صوره على بك بهجت وماسول في كتابهما عن الخزف الاسلامي في مصر (اللوحة ٢٤ رقم ٣) ويحتمل من تصور زخرفته كاملة أنها كانت تتألف من رسوم رجال يرقصون.

وفي الشكل رقم ٧ صورة صحن من الخزف الفاطمي ذي البريق المعدني (رقم السجل بدار الآثار العربية ١٤٩٨٨) قوام زخرفته رسم طائر ذي رأس آدمي على مهاد من الوريقات النباتية والرسوم العباسية المؤلفة من الدوائر البيضاء تتوسطها نقط سوداء، فضلاً عن أن حافة الصحن مزينة بستة قطاعات من دوائر. ورسوم الطيور بالرؤوس الآدمية (harpie) معروفة على تحف أخرى فاطمية الطراز، فراها على آنية خزفية أخرى^(٢)، وراها على قطعة من النسيج الفاطمي محفوظة في متحف بناكي بمدينة أثينا^(٣) وعلى التحف الخشبية التي عثر عليها في مارستان قلاوون والمحفوظة بدار الآثار العربية^(٤)، كما تراها بين الرسوم المنقوشة في سقف الكابلا بالاثينا في بلمو^(٥). وراها على خزف مصري من عصر المماليك ذي زخارف مرسومة تحت الدهان^(٦)، فضلاً عن ذلك فهي معروفة في طرز أخرى من الطرز الفنية الاسلامية^(٧).

(١) L. Merrier: La Chasse et les Sports chez les Arabes pp 163-165

(٢) أنظر ٣: Aly Bahgat و La Céramique Egyptienne de l'Epoque Mululmane, pl

A. J. Butler: Islamic Pottery pl. 36 و F. Massoul: op. cit. pl. XL

(٣) The. Marriidy: Le Musée Benaki d'Athènes (dans *Mou-eina*, XI, 1937) p. 147

(٤) أنظر زكي محمد حسن: كنوز الفاطميين، اللوحة ٥٤

(٥) A. Monneret de Villard: op. cit. p. 44, figs. 241- 244

(٦) Aly Bahgat et و La Céramique Egyptienne de l'Epoque Musulmane pl. 122

Massoul: op. cit. pl. 38.

(٧) F. Sarre: Seldachukische Kleinkunst pp 15, 17 figs. 18, 21; J. Szzygowski & van Berchem: Amida p 99; A. Gabriel: Monuments Turcs d'Anatolie. I, p. 147 fig. 100 et pl. L; Mehdi Bahgat: op. cit. p. 103 fig. 22; Hobson: Islamic Pottery of the Near East plates 5, 14; Armeniag Sakisian: Thèmes et Motifs d'Enluminures (Ars Islamica. vol. VI, part I) p. 82 fig. 27,28.

وفي الشكل رقم ٨ صورة صحن من الخزف الفاطمي ذي البريق المعدني (رقم السجل بدار الآثار العربية ١٤٤٦٧) تتألف زخرفته من رسم طائرين متظاهرين (ولي كل واحد منها ظهره للآخر) ولكل منهما رأس آدمي وبينهما شجرة^(١١) وينتهي ذيل كل منهما بعقد كأنه ذنب الضف ويطلق الذيلان ويتيان في وضع زخرفي جميل .

وفي الشكل رقم ٩ صورة قدر من الخزف الفاطمي ذي البريق المعدني (رقم السجل بدار الآثار ١٥٧١٢) تتألف زخرفته من ثلاث مناطق رئيسية وعريضة وتفصل كل منها عن التالية منطقة ضيقة فيها رسوم أنصاف مراوح نخيلية (بالت). أما المناطق الرئيسية الثلاثة فتتواءم الزخرفة في كل منها رسم حيوان ينقض على أرنب ليفترسه وتحيط بهذا الرسم زخارف نباتية ثانوية من فروع وورقات . ورسم الحيوان أو الطائر الجارح ينقض على فريسته موضوع زخرفي أقبل عليه الفنانون للمسلمون في العصور المختلفة^(١٢) ولاسيا في العصر الفاطمي^(١٣) ، كما نراه أيضاً في الرسوم المنقوشة في سقف الكابلا بالانينا^(١٤) .

وفي الشكل رقم ١٠ صورة سلطانية من الخزف الفاطمي ذي البريق المعدني (رقم السجل بدار الآثار العربية ١٦٤٤٢) وفي وسطها رسم أرنب حوله خمسة رسوم نباتية متحددة من رسوم الطراز الثالث في زخارف سامرا وبدلي أحدها من فمه . وعلى حافة الاناء رسوم خمسة أرانب أخرى تتدلى من فم كل منها فروع نباتية ممائلة . ورسوم الأرنب على هذا الاناء فيها كثير من الجلال والروعة على الرغم من بعدها عن الطبيعة إلى حد قد يجعل

(١١) راجع البحث الذي كتبه عن شجرة الحياة الأستاذ جورج لشلر

George Lechler: The Tree of life in Indo-European and Islamic Cultures (Ars Islamica vol. IV pp. 369-420.

(١٢) أنظر بنى الأمثلة في زكي محمد حسن : فنون الاسلام ص ٥٣ و ٣٥٥ و ٣٥٦

و ٢٧١ و ٣٦١ و ٤٠٤ و ٤١٥ و ٥٩٦

(١٣) أنظر زكي محمد حسن : كتونز الفاطميين ، الاوقات ١٧ و ٣٨ و ٥٧

Monneret Villard : op. cit. fig. 2:6. (١٤)

من الصعب تمييزها؛ لم تكن قد أُنشئت رسم الأرنب على مثل هذا النحو في كثير من الصحف الإسلامية المصرية في عصرى الفاطميين والمماليك^(١). وفي دار الآثار العربية صحن آخر من الخزف ذي البريق المعدني، كان قبل ذلك في مجموعة المرحوم الدكتور على إبراهيم باشا، وقوام زخرفته رسوم أربعة أرنب لا تختلف كثيراً عن الرسوم في السلطانية التي نحن بصددتها^(٢). ولكن هذا الصحن الأخير يمتاز بأنه يجمع بين الزخرفة بالبريق المعدني والزخرفة باللون الأخضر العادي على النحو المعروف في الخزف الإسلامي الذي ينسب إلى إقليم القيوم في العصور الوسطى والذي عرفناه كذلك في إقليم التركستان وما وراء النهر.

ونرى رسم الأرنب في زخرفة أربعة صحون أخرى من المجموعة التي نتحدث عنها في هذا المقال^(٣). ففي الصحن المرسوم في الشكل رقم ١١ (رقم السجل بدار الآثار العربية ١٤٩٣٤) نجد أن قوام الزخرفة رسم أرنب يتدلى من قمة فرع نباتي قصير ويحيط به شريط دائري يتألف من رسوم وريقة نباتية تتكرر وتتصل فتبدو كأنها جديلة. وحول هذا الشريط زخرفة على هيئة أسنان المنشار.

وفي الصحن المرسوم في الشكل رقم ١٢ (رقم السجل بدار الآثار العربية ١٤٩٢٧) نرى رسم الأرنب في منطقة شبه نجمية ويتدلى من قمة فرع نباتي. وفي الشكل رقم ١٣ نرى صحنًا آخر (رقم السجل بدار الآثار العربية ١٤٨٠٦) عليه رسم الأرنب في وسط الاناء وتتدلى من قمة ورقة نباتية وحوله شريط

(١) أنظر زكي محمد حسن: كنوز الفاطميين الفرحة رقم ٢٩ و Cleves Stead : Fantastic

Fauna pla. 117, 119, 128, 134..

(٢) أنظر زكي محمد حسن: فنون الإسلام ص ٣١٦ شكل ٢٤٧

(٣) وأذن بين رسم الأرنب في الخزف المعدني ذي البريق المعدني ورسمه على نجمة من النحاساني الأبرازي ذي البريق المعدني بمنوطة المتحف المتروبوليتان لنيويورك A Survey of Persian Art II p. 1556, fig. 543. وعلى ساطعية من الخزف الإيراني ذي الدمان الأبيض والخاراف القليلة التي تبدو كأنها رسوم تخطيطية مختصرة، وهذه السلطانية بمنوطة في المتحف البريطاني A Survey of Persian Art II. p. 1618. fig. 563.

دائري من حروف بالخط الكوفي المزهر على مهاد من الوريقات والفروع
النباتية. وفي دار الآثار العربية صحن آخر من الخزف ذي البريق المعدني
عليه مثل هذا الشريط الدائري من الزخرفة الكتابية^(١١).

وفي الشكل رقم ١٤ صورة صحن رابع من الخزف الفاطمي ذي البريق
المعدني (رقم السجل بدار الآثار العربية ١٦٤٤١) قوام زخرفته ثلاث مناطق
مستديرة في كل منها رسم أرنب جدلي من فمه فرع نباتي. وهي تذكر
إلى حد كبير بزخارف صحن آخر في دار الآثار العربية^(١٢). كما نذكر أيضاً
بزخارف صحن من الخزف العباسي ذي البريق المعدني كان محفوظاً
في القسم الاسلامي من متاحف الدولة في برلين^(١٣).

وفي المجموعة التي نحن بصدددها اليوم خمس تحف قوام الزخرفة فيها
حيوان خرافي مجنح وهو موضوع زخرفي عرفته الفنون القديمة ومنها
الثن الساساني^(١٤) ورأيناه في قصر الماشي^(١٥)، كما نعرف أن الفنانين المسلمين
أقبلوا على استعماله في العصور التالية^(١٦).

وفي الشكل ١٥ صورة سلطانية من الخزف الفاطمي ذي البريق المعدني
(رقم السجل بدار الآثار العربية ١٤٩٣٧) قوام الزخرفة فيها رسم رئيسي

(١١) ذكرى محمد حسن: كنوز الفاطميين الواحة رقم ٢٤

(١٢) المرجع نفسه، الواحة رقم ٢٣

(١٣) انظر Ernst Kühnel: Islamische Kleinkunst p. 77.

(١٤) انظر A Survey of Persian Art. I, p. 720.

(١٥) انظر K.A.C. Creswell: Early Muslim Architecture. I pls 57, 66, 68, 71.

(١٦) Cleven Siead: op. cit. plates 172-177; Glück und Dlez: Die kunst des (١٦)

Islam. Tafel 314 fig. 454; Heinrich Kohlhaussen: Islamische Kleinkunst, abb. 6; M. Dimand: Handbook of Muhammadan Art, figs. 64, 113.

E. Kühnel: Maurische Kunst. Tafel 145; W. Pézard: Le Céramique Archaique de l'Islam, pl.99; M. Riefstahl: The Parish Watson Collection of Mohammedan Art, fig. 74, 84.

R. Ettinghausen: Kashan Pottery (Ars Islamica. III, part II fig 35; F. Sarre: Eine Seltene Lusterzchale der Rayy-keramik (Ars Islamica vol IV p. 193 fig 4; C. J. Lamm: Cotton in Medieval Textiles of the Near East p. 125 fig. 61; R. Ettinghausen: The Unicorn pls. 1, 2, 5; Aly Bahgat et Maseoul: op. cit. pl. 9 No. 2; Holson: Islamic Pottery of the Near East p. 34 fig. 41.

بتوسطها ويمثل حيواناً خرافياً له جناح ينتهي بزخرفة نباتية على هيئة نصفي مروحة تحيلية ويتدلى من فم الحيوان فرع نباتي تمتد منه وريقات تنثنى نحو اليمين فيبدو ذيل الحيوان والزخرفة النباتية كأنها تحيط بالرسم الرئيسي فتكسبه رونقاً وتناسقاً ملحوظين . أما العنصر الزخرفي الآخر في هذه السلطانية فيتألف من شريط فيه حروف كوفية متكررة ، ويمتد هذا الشريط وينثنى بحيث يدور حول حافة الاناء ويؤلف أربع جامات صغيرة في كل منها وريقة نباتية وتفصل كل جامعة عن الأخرى منطقة فيها رسم يشبه الزخارف المشتقة من قشر السمك .

وفي الشكل رقم ١٦ صورة سلطانية من الخزف الفاطمي ذي البريق المعدني (رقم السجل بدار الآثار العربية ١٤٩٣٨) عليها رسم حيوان خرافي مجنح تحيط به فروع نباتية ووريقات وفي حافة الاناء زخرفة على هيئة أسنان المنشار .

وفي الشكل رقم ١٧ صورة سلطانية من الخزف الفاطمي ذي البريق المعدني (رقم السجل بدار الآثار العربية ١٤٩٣٨) عليها رسم حيوان خرافي مجنح ففرقه بدت أنياباه . ويقوم هذا الرسم الرئيسي على مفاد من الزخرفة العباسية التي تتألف من الدوائر البيضاء ذات النقط السوداء وبينها وريقات نباتية . وفي حافة الاناء زخرفة على هيئة أسنان المنشار .

وفي الشكل رقم ١٨ صورة سلطانية من الخزف الفاطمي ذي البريق المعدني (رقم السجل بدار الآثار العربية ١٤٩٣٠) قوام زخرفتها رسم في قاعها يمثل حيواناً مجنحاً يتدلى من فمه فرع نباتي . وفي حافة الاناء شريط عريض من رسوم نباتية مشتقة من رسوم الطراز الثالث في زخارف سامرا تؤلف أربع جامات بيضيه الشكل ويفصل كلا منها عن الأخرى رسم مكرر . وبين إحدى الجامات وهذا الرسم كتابة نصها « عمل مسلم بن الدهان »^(١) .

(١) في دار الآثار العربية قلعة خزفية عليها امضاء بهذا التمسك أن فيها سلطانية كانت في مجموعة المرحوم علي ابراهيم بننا وعينها مثل هذا الامضاء . انظر جلال محمد حمزة : الخزف الفاطمي ذي البريق المعدني في مجموعة علي ابراهيم باننا (مجلة كلية الآداب بجامعة فؤاد . المجلد ٧ يوليو سنة ١٩٤٤) ص ١٦ .

وقد مر بنا أن مسلماً كان من أعلام الخزف في العصر الفاطمي . والمعروف أنه وتلاميذه استعملوا في منتجاتهم الخزف الحيوانية وال آدمية والنباتية فضلاً عن الحروف الكوفية ، ولكنهم كانوا يفضلون رسم الحيوان أو الطائر . يتصدر الموضوع الخزفي ونحيط به أو تنفرع منه خطوط متداخلة . ومتشابكة وفروع نباتية تزين الهاد الذي يقوم عليها . وقد وصلت إلينا تحف خزفية كثيرة عليها اسم مسلم ، وأكثر ما نرى هذا الاسم إنما على قاعدة الأواني وبخط كوفي بسيط . ويندر أن نراه مكتوباً على وجه الاناء كما هو الحال في الاناء الذي نحن بصددده الآن . ولا يفوتنا أن نذكر أن قطعاً خزفية تالفة في القرن قد وجدت في حفائر التسطاط ، وبرجح أنها من صناعة هذا الخزفي الممتاز ، مما يثبت أن مصنعه كان في مدينة التسطاط نفسها (١) .

وفي الشكل رقم ١٩ صورة صحن من الخزف الفاطمي ذي البريق المعدني (رقم السجل بدار الآثار العربية ١٤٩٣٣) . وقوام زخرفته حيوان مجنح وله رأس طائر ، ويقوم على هاد من الزخارف العباسية التي تتألف من الدوائر البيضاء ذات النقط السوداء وبينها وريقات نباتية ، وحافة الصحن ليست نامة الدوران وإنما تزينها فصوص تعرج محيطها .

وفي المجموعة التي نحن بصدددها اليوم ثلاث تحف قوام الزخرفة فيها رسم طائر يتدلى من منقاره فرع نباتي على النحو الذي عرفه الفن الساساني (٢) وأقبل عليه الخزفيون المسلمون إنما إقبال .

ففي الشكل رقم ٢٠ صورة سلطانية من الخزف الفاطمي ذي البريق المعدني (٣) (رقم السجل بدار الآثار العربية ١٤٩٣١) وقوام زخرفتها رسم عصافير بين فروع وريقات نباتية في منطقة تحدها نجمة مسدسة

(١) أنظر Aly Bahgat et Massoul: op. cit. p. 59.

(٢) أنظر A. Surret de Méry: Art. IV, pls. 202, 215, 216.

(٣) وازن: M. Pézard: La Céramique Archaique de l'Islam pl. 84; Evans: Lustre: (٢)

Pottery pl. 1. كنوز الفاطميين ، الوحة ٢٤

الأركان وحولها زخارف عباسية الطراز ثم شريط عريض في حافة الأناة. تتألف زخرفته من كتابة بالخط الكوفي على مهاد من القروع والورقات النباتية. وفي الكتابة بعض أخطاء ولكن يمكن أن تقرأ من عبارتها الكلمات الآتية: « نعمة شاملة له وغبطة لصاحبه كاملة » .

وفي الشكل رقم ٢١ صورة سلطانية من الخزف الفاطمي ذي البريق المعدني (رقم السجل بدار الآثار العربية ١٤٩٢٩) تتألف زخرفتها من رسم طاووس رائع ذيله إلى أعلى ويصل إلى منقاره فرع نباتي ويحيط بهذا الرسم شريط عريض في حافة الأناة يضم حروفاً بالخط الكوفي في منطقتين تفصلهما ورتان نباتيتان من النوع المألوف في الطراز الفاطمي. وتقوم هذه الحروف على مهاد من القروع والورقات النباتية. ورسم الطاووس ليس نادراً في الخزاف الإسلامية، فأننا نراه على قطع خزفية أخرى من البريق المعدني^(١)، كما نراه في زخرفة مشهورة على شبك قلبه في دار الآثار العربية^(٢)، وعلى تحف من الخزف الإيراني في العصور الوسطى^(٣). والواقع أنه معروف في إيران منذ العصر الساساني^(٤) وأنه ظل مستعملاً في الزخرفة حتى رأيناه على صحن من خزف كوبچه في القرن السابع عشر الميلادي محفوظ بمتحف الارميتاج في لينينغراد^(٥).

وفي الشكل رقم ٢٢ صورة سلطانية من الخزف الفاطمي ذي البريق المعدني (رقم السجل بدار الآثار العربية ١٤٤٠١) قوام زخرفتها رسم طائر يتدلى من منقاره فرع نباتي ويحيط بهذا الرسم شريط عريض على حافة الأناة يجري فيه فرع نباتي يدور وينثنى ويخرج منه وريقات نباتية. وحول رقبة الطاووس عبارة فيها اسم الصانع « عمل الحسين بن نظيف الامري »

(١) Aly Bahgat et Masson: op. cit. pl. 10, 18. Butler: op. cit. pl. 10

(٢) زكي محمد حسن: كنوز الفاطميين ص ١٧٢ والوحة ٣٦

(٣) زكي محمد حسن: الفنون الإيرانية في العصر الإسلامي ص ١٩٦ والوحة ٧٢

A Survey of Persian Art. V. pl. 635 A.

(٤) أنظر A Survey of Persian Art. I. p. 741

(٥) المرجع نفسه ج ٢ ص ١٦٥٤ شكل ٥٧٤

(أو الأمين ؟) « والمعروف أن ابن فظيف كان من تلاميذ الخزفي المشهور مسلم أو الناسجين على متواله^(١) .

وفي الشكل رقم ٢٣ صورة صحن من الخزف الفاطمي ذي البريق المعدني (رقم السجل بدار الآثار العربية ١٣٢٠٥) قوام زخرفته رسم ثور كبير يدور إلى اليسار وحول هذا الرسم فروع نباتية وورقات تملأ الفراغ . ويمتاز الرسم بمظهر العنف والقوة ودقة تصوير الطبيعة في معظم أجزاء الحيوان . على الرغم مما في بعض الأجزاء الأخرى من عيوب في الرسم^(٢) . وهو في ذلك كله يكاد يمتاز عن رسم ثور على سلطانية من الخزف الإيراني في القرن العاشر أو الحادي عشر محفوظة في متحف اللوفر^(٣) .

وفي الشكل رقم ٢٤ صورة صحن من الخزف الفاطمي ذي البريق المعدني (رقم السجل بدار الآثار العربية ١٤٩٢٦) وهو آية من آيات الاتقان في الصناعة والزخرفة ويشهد بما استطاع الخزفيون الفاطميون تحقيقه في هذا الميدان . وقوام الزخرفة في هذا الاناء رسم غزال على مهاد من القزوع والورقات النباتية^(٤) ، وفي حافة الاناء ثلاث مناطق صغيرة تضم زخرفة من فروع نباتية وبين هذه المناطق محور فيها زخرفة من خطوط متوازية وتنتهي بنقط تشبه رأس الدبوس . وأين ما في زخرفة هذا الاناء أن رسم الغزال قد وصل إلى درجة من الاتقان والتحديد جعلته يبدو أقرب إلى الناظر وكأنه فوق مستوى الرسوم النباتية التي اتخذت مهاداً له ، كما أن ذلك كله أكسبه من قوة التعبير ما جعله يبدو كأنه يولي حارباً مدعوراً من شيء يطارده .

(١) أنظر : Aly Bahgat et Masrouf : op. cit. p. 60

(٢) في متحف الآثار الإسلامية بجامعة فؤاد الأول صحن من الخزف الفاطمي ذي البريق المعدني عليه مثل هذه الزخرفة . أنظر : Zaky M. Hassan : Moslem Art. in : The Found I University Museum I pl 42

(٣) أنظر : A Survey of Persian Art. II, p. 1534 fig. 539

(٤) Cleven Stead : op. cit. pls. 144-154, A Survey of Persian Art. V p. ٦٠٧, (٤) Mehdi Bahrani : Gurgan Faience p. 110-111. pls. 50, 55, 56, Zaky Hassan : Some Persian Lustre Ceramics in Dr. Ali Pasha Ibrahim's Collection, pl. 3.

وفي الشكل رقم ٢٥ صورة سلطانية من الخزف الفاطمي ذي البريق المعدني (رقم السجل بدار الآثار العربية ١٤٤٠٢) تتألف زخرفتها من أربع مناطق ، في اثنتين منهما رسم طائر من ورقتين نباتيتين ويتدلى من منقاره فرع نباتي وفي اثنتين أخريين رسم ورقة نباتية ، وبين هذه المناطق رسم طائرين متقابلين وفوقهما إناء على هيئة مشكاة ^(١١) . ويذكر ما في زخرفة هذا الاناء من تماثيل وتراصف وتوازن بما نراه في رسوم إناء آخر من الخزف الفاطمي ذي البريق المعدني كان في إحدى المجموعات الخاصة ^(١٢) .

وفي الشكل رقم ٢٦ صورة صحن من الخزف الفاطمي ذي البريق المعدني (رقم السجل بدار الآثار العربية ١٤٩٣٦) قوام زخرفته رسم نر ناسر جناخيه وحول رأسه هالة ^(١٣) . ويقوم هذا الرسم على مهاد من التروع النباتية والزخرفة العباسية المؤلفة من خطوط حلزونية رفيعة ودوائر بيضاء ذات تقط سوداء . وفي حافة الاناء زخرفة على شكل أستان المنشار .

أما باقي الصحن في المجموعة التي نتحدث عنها في هذا المقال فليس فيها رسوم آدمية أو حيوانية ، وإنما قوام الزخرفة فيها عناصر نباتية وكتابات زخرفية .

وفي الشكل رقم ٢٧ صورة سلطانية من الخزف الفاطمي ذي البريق المعدني (رقم السجل بدار الآثار العربية ١٦٤٣٨) وتتألف زخرفتها من منطقتين يفصلهما خطان على شكل أستان المنشار ، وفي كل منطقة رسم ورقة نباتية كبيرة من المؤلف في العناصر الزخرفية الفاطمية ^(١٤) ، وتحف بها رسوم فروع ووربقات نباتية دقيقة وعلى حافة الاناء زخرفة أخرى على هيئة أستان المنشار .

(١١) أنظر رسم مثل هذه المشكاة على جزء من نمحة من الخزف الفاطمي ذي البريق المعدني مخروطة في دار الآثار العربية أيضا ومعمورة في Aly Bahgat et Massoul: op. cit. pl. 26 no 6.

(١٢) أنظر زكي محمد حسن : كنوز الفاطميين اللوحة رقم ٣٣ و 28 Lane: op. cit pl.

(١٣) أنظر A Survey of Persian Art, V, pls 611-612: Evans: Lustre Pottery pl. 17: M. Pezard; op. cit. pl. 54: A. Butler: op. cit. pl. 75: U. Monneret de Villard: op. cit. fig 245. Cleves Stead: op. cit. pls. 110, 111, 114.: La Céramique Egyptienne de l'Epoque Musulmane pls. 38, 106.

(١٤) أنظر زكي محمد حسن : فنون الاسلام ص ١٧ و La Céramique Egyptienne de l'Epoque Musulmane, pls. 5-7.

وفي الشكل رقم ٢٨ صورة صحن من الخزف الفاطمي ذي البريق المعدني (رقم السجل بدار الآثار العربية ١٦٤٣٧) . ولهذا الصحن حافة متموجة وتتألف زخرفته من ساحة يقسمها شريطان إلى أربع مناطق ربع دائرية تضم كل منها وريقة فاطمية الطراز تخرج من فرع نباتي يلتف حولها في أسلوب زخرفي جميل . وعلى حافة الاثاء شريط من حروف كوفية زخرفية مكررة .

وفي الشكل رقم ٢٩ صورة سلطانية من الخزف الفاطمي ذي البريق المعدني (رقم السجل بدار الآثار العربية ١٦٤٤٠) قوام زخرفتها ساحة تشبه في رسومها التحفة التي رأيناها في شكل ٢٨ ، ولكن تمتاز هذه السلطانية بأن على جدارها شريطاً عريضاً من كتابة كوفية زخرفية على مهام من الفروع والورقات النباتية .

وفي الشكل رقم ٣٠ صورة صحن من الخزف الفاطمي ذي البريق المعدني (رقم السجل بدار الآثار العربية ١٤٤٦٦) وقوام زخرفته عناصر نباتية محوورة عن الطبيعة ومشتقة من زخارف الطراز الثالث في سامرا ومربعة في أوضاع هندسية جميلة ^(١) ، وحولها شريط في حافة الاثاء يجرى فيه فرع نباتي من طراز الزخرفة في ساحة الاثاء ^(٢) .

وفي الشكل رقم ٣١ صورة صحن من الخزف الفاطمي ذي البريق المعدني (رقم السجل بدار الآثار العربية ١٦٤٣٩) تتألف زخرفته من ثلاث مناطق لوزية الشكل تفصلها ثلاث مناطق أخرى على هيئة شرفات . وتضم كل من هذه المناطق الستة شريطاً من كتابة كوفية على مهام من الفروع والورقات النباتية ^(٣) .

(١) نرى إحدى وحدات هذه الزخرفة على جزء من تحفة من الخزف ذي البريق المعدني

بدار الآثار العربية في القاهرة ومصورة في 7. No. VI. pl. rit. op. cit. Alif Baligot et Massoul :
ونرى وحدة أخرى في المرجع نفسه ، الاوحة رقم ١٧ والقطعة رقم ٣ ، كما نرى وحدة

ثالثة على قطعة مصورة في 31. pl. La Céramique Egyptienne de l'Epoque Musulmane
(٢) أنظر أيضا 559, 697. A. Survey of Persian Art pl. 75 A. و Lane : op cit.

و 95. pl. Pezard :

(٣) أنظر 5. A Survey of Persian Art. و La Céramique Egyptienne de l'Epo. pl. 566 que Musulmane. 27.

وفي الشكل رقم ٣٢ صورة سلطانية من الخزف الفاطمي ذى البريق المعدنى (رقم السجل بدار الآثار العربية ١٤٥٢٣) معارة الآن من دار الآثار إلى متحف الحضارة بالقاهرة . وتتألف زخرفتها من شريط من شبه كتابة كوفية يدور وينثنى فى جديلة طويلة تكون شبه نجمة سداسية الأركان وخطوطها غير مستقيمة وبين أركانها زخارف نباتية فاطمية الطراز وفى مناطق الفراغ الداخلية بين خطوطها زخرفة من تظليلات وتشيريات تشبه قشر السمك .

وإلى هنا تنتهى من عرض هذه المجموعة الطيبة من الخزف ذى البريق المعدنى ، بعد أن رأينا أنها تضيف جديداً إلى ما كنا نعرفه عن صناعة هذا الخزف الفاطمى فى العصر الفاطمى ، وتشهد بأن الخزفيين الفاطميين بلغوا شأواً بعيداً وتجعل دار الآثار العربية فى القاهرة أعظم مركز لدراسة هذا الميدان فى الفنون الإسلامية .

علم ما قبل التاريخ

نشأته ومنهجه

للكونور ابراهيم احمد زرفانين

تفسير تعبير ما قبل التاريخ

دلت هياكل الانسان القديم ومخلفاته الأثرية على أنه وجد منذ أوائل عصر البليستوسين الجيولوجي أى منذ حوالى مليون سنة . ولم يكن وجوده فى هذا العصر قاصراً على قارة معينة وإنما كان ينتشر فى كل قارات العالم القديم . والأمثلة على ذلك كثيرة نذكر منها إنسانى جارة والصين بالقارة الآسيوية ، وإنسانى بلتدون ونياندرتال بالقارة الأوروبية ، وإنسانى روديسيا وطنجة بالقارة الأفريقية .

وقد كانت أدوات الانسان خلال هذه الفترة الطويلة من العظم والخشب والحجارة ، فأما أدوات العظم والخشب فقد بلى معظمها بمرور الزمن ولم تبق إلا الأدوات الحجرية . ولذلك أطلق على هذه للميون سنة من حياة الانسان إسم العصور الحجرية .

ثم عرف الانسان النحاس حوالى سنة ٥٠٠٠ ق . م . وعرف البرنز حوالى سنة ٢٠٠٠ ق . م . وعرف الحديد حوالى سنة ١٠٠٠ ق . م .

ثم وصل الانسان إلى كشف هام ألا وهو التعبير عما يدور بذهنه بواسطة رموز يخطها بيده وهو ما نسميه الكتابة . وقد عرفت الكتابة فى بعض بلاد الشرق الأدنى والأوسط مثل مصر والعراق نبيل سنة ٣٠٠٠ ق . م . ولكنه لم يصر فيها فى أوروبا إلا فى وقت متأخر ، فعرفها فى إيطاليا حوالى

سنة ٦٠٠ ق. م ، ولم يعرفها في فرنسا وبريطانيا إلا مع النسخ الروماني لتلك البلاد .

وقد اصطاح الباحثون على وضع حضارات الانسان السابقة لمعرفة الكتابة في مرحلة حضارية خاصة يطلقون عليها « عصر ما قبل التاريخ » سواء استخدم في هذه المرحلة الحجر أو النحاس أو البرنز أو الحديد ، وأما مرحلة ما بعد الكتابة فيطلقون عليها العصر التاريخي . وواضح من هذا أمران : الأمر الأول أن نهاية عصر ما قبل التاريخ وبداية العصر التاريخي لا ترتبطان بتغير معين في معالم حضارة الانسان فيما عدا معرفة الكتابة ، والأمر الثاني أنه بينما يتناول علم التاريخ دراسة حضارات الانسان في مرحلة طولها خمسة آلاف سنة على أكثر تقدير نجد أن علم ما قبل التاريخ يتناول حضارات الانسان في مرحلة طولها مليون سنة على وجه التقريب .

على أن بعض الباحثين لا يعجبه تعبير « ما قبل التاريخ » ويقول إن دراسة حضارات الانسان في العصور الحجرية ما هي إلا تاريخ أيضاً ، وأن تاريخ الانسان وحدة متصلة لا فرق في ذلك بين المرحلة السابقة لمعرفة الكتابة وبين المرحلة اللاحقة لها . وأن الاختلاف بين المرحلتين قاصر على وسيلة جمع المادة التاريخية ، ففي المرحلة الأولى يستمد المؤرخون معلوماتهم عن طريق استقراء آثار الانسان وحدها ، وأما في المرحلة الثانية فيستمدون معلوماتهم عن طريق استقراء آثار الانسان بالإضافة إلى قراءة وثائقه المدونة على الأوراق واللوحات والمعابد والمقابر . وهذا فرق طفيف لا ينبغي أن يربط تاريخ الانسان وحدة لا تتجزأ وأن الكتابة لا تعدو كونها إحدى المظاهر التي جندت في تاريخ الانسان ، فلا ينبغي أن نتخذى نفسها بدءاً لهذا التاريخ .

وفي الحق أن الكتابة لم تكن على الإطلاق فاصلاً بين عهدين لأن الفائدة المستمدة من معرفتها لم تتم دفعة واحدة ، بل اقترنت بها وتبعها عدة اختراعات لولاها لكانت معرفة الكتابة في حد ذاتها أمراً قليل القيمة ، من ذلك معرفة المصريين للثعالب أوراق البردي سنة ٣٠٠٠ ق. م ، ومعرفة الهنود للثعالب

سعف النخل ، ثم تبع ذلك اتخاذ جلود الحيوان كصحائف للكتابة
سنة ١٤٠٠ ق م .

ولقد كانت صحائف الكتابة ثمينة للغاية مما جعل استخدامها قاصراً
على طبقة خاصة وفي نطاق ضيق . وظل الأمر كذلك إلى أن عرفت صناعة
الورق ، فانتج بذلك المجال أمام نشر المادة التاريخية وجعلها في متناول
عدد كبير من الناس . ولم تعرف صناعة الورق إلا في القرن الثاني الميلادي ،
ويرجع الفضل في ذلك إلى الصينيين ، إذ تمكن تساي لون (Tsai Lun)
من صناعة الورق بطبخ عدة مواد كقشر الشجر وخرق الفهاش وعيدان
القمب . ثم انتقلت هذه الصناعة إلى تركستان في القرن الثامن الميلادي على يد
أسرى الحرب من الصينيين . ثم عنت الحكومة في بغداد بهذه الصناعة
في سنة ٧٩٤ ميلادية وزرعت نباتات خاصة لهذا الغرض . ثم انتقلت
هذه الخبرة بصناعة الورق إلى القارة الأوروبية بواسطة العرب ، وأسس أول
مصنع للورق في أوروبا في بلدة فايزانو بإيطاليا سنة ١٣٤٠ ميلادية .
ثم عرفت الطباعة بعد هذا التاريخ بحوالى قرن من الزمان فوجدت وسيلة
أخرى من أعظم الوسائل للتعريف بالتاريخ ، إذ وجد الكتاب وأصبح يحتل
مزية كبيرة في تاريخ الإنسان . ولم يقف الأمر عند هذا الحد بل وجدت الصحف
وكان ظهورها لأول مرة سنة ١٦٠٩ ميلادية في أوجسبرج (Augsburg)
وستراسبورج (Strassbourg) . وبذلك تمت الفائدة من الكتابة كوسيلة
من وسائل التعريف بتاريخ الإنسان .

ومعنى هذا أن تدرج قيمة الكتابة منذ معرفتها قبيل سنة ٣٠٠٠ ق م
حتى تمام الفائدة منها في القرن السابع عشر الميلادي استغرق العصر التاريخي كله
كيف نتخذ الكتابة إذا بدءاً للعصر التاريخي ؟

أراد الباحثون الألمان تلافى هذا العيب فأطلقوا على مرحلة ما قبل التاريخ
وهي الـ (Prehistoire) عند الفرنسيين والـ (Prehistory) عند الانجليز تعبير
تجر التاريخ (Urgeschichte) د

ولكن رغم هذا العيب الخطير في تقسيم الحضارة البشرية إلى تاريخ وما قبل التاريخ، فإن لكل من هذين التعبيرين في أذهان الباحثين معنى محدداً من حيث الزمن ومظهر الحضارة .

نشأة علم ما قبل التاريخ

لقد النظر الى آثار ما قبل التاريخ وجود قطع من الصوان مشكلة بطرق خاصة يستحيل أن تكون من عمل الطبيعة لأن أثر العقل والارادة واضحان في أشكالها . فأخذ هواة الآثار في جمع هذه القطع وأخذ الباحثون في التفكير في العصر الذي صنعت فيه . وفي القرن السادس عشر كلف ميشيل ميراكوتوس (Michel Meractus) طبيب البابا كلمنت السابع (Clement VII) بترتيب المجموعة الأثرية في الفاتيكان فوصف القووس والأسهم الحجرية في هذه المجموعة . ثم في سنة ١٧٢٣ قدم برنارد دي جوسيو (Bernard de Jussieu) بحثاً الى الجمع العلمي بفرنسا على أثر عودته من رحلات طويلة بين بعض الشعوب البدائية قارن فيه بين أسلحة هذه الشعوب الحديثة وبين الآلات التي جمعت من جهات كثيرة في القارة الأوروبية . ومنذ ذلك الوقت والأبحاث تتتابع في هذا الموضوع حتى اذا كانت أوائل القرن التاسع عشر كانت أذهان الباحثين قد استعدت لمولد « علم ما قبل التاريخ » . غير أن مكتشفات هؤلاء الباحثين وآراءهم لم تستلقت أنظار الجمهور كثيراً ، فلم يكن عجيباً أن يقال للناس أن الإنسان كان يصنع آلاته من الحجارة قبل أن يعرف استخدام المعادن . غير أن باحثين من هؤلاء لم يتهمافقوا للناس عن متابعة البحث ومحاولة جذب الأنظار الى آثار عصر ما قبل التاريخ وبذلك استحق لقب مؤسس « علم ما قبل التاريخ » . أما الأول فهو فرنسوا جوانيت (Francois Jouannet) الذي عثر على منطقة أثرية من العصر الحجري الحديث بفرنسا وأعلن للناس أن هذه المنطقة كانت محلة لانسان ما قبل التاريخ . وأما الثاني فهو بوشيه دي برث (Boucher de Perthes) الذي استنوبه اللقطع الصوانية التي جمعها العمال من محاجر الرمل في بلدة ابينيل (Abbeville) بفرنسا فعكف على دراستها .

ثم قام بالبحث في زوايا نهر السوم فعثر على قطع أخرى وانتهى به الأمر إلى الاعتقاد عن يقين تام بأن هذه القطع الصوانية ما هي إلا أدوات وأسلحة صنعها الإنسان في عصر سابق للتاريخ ، ثم نشر آراءه ونتائج أبحاثه بين سنتي

١٨٤٧ و ١٨٦٤

وبطبيعة الحال قوبل الأوائل من مؤسسي هذه الدراسة بالسخرية والتهكم ، سخر منهم الجمهور وتهكم بهم زملاؤهم العلماء ، ولولا المثابرة والجلد لتأخر مولد هذا العلم فترة أخرى من الوقت .

جاء بعد فرنسوا جوانيت وبوشيه دي برتالدكتور ريجولوت (Rigollot) الذي عنى بالبحث عن هذه الأدوات والأسلحة وكون منها مجموعة كبيرة وعضد الرأي القائل بأنها من صناعة إنسان قديم . ووقف إلى جانبه الباحثان الإنجليزيان جون إيفانز (John Evans) وجوزيف برسوتش (Joseph Preswich) فكان هذا نهاية عهد الشك في حقيقة علم ما قبل التاريخ . وبعد عن هذا أحد الكتاب الفرنسيين بقوله « إنه بمجرد أن تكلمت إنجلترا قبل العلماء الفرنسيون بلا تردد النظريات التي أعلنها مواطنوهم من قبل والتي كانوا يحرقونها ويسخرون منها » .

بهذا تم مولد علم ما قبل التاريخ وكان مولده في فرنسا في منتصف القرن التاسع عشر واعترف به الناس جميعا ، وأصبح ميدانا خصباً للبحث يستهوى عدداً كبيراً من الباحثين ، وقد صاحب هذا اعتراف الناس بوجود الإنسان منذ أوائل عصر البلستوسين أي منذ حوالي مليون سنة .

ولم يولد علم ما قبل التاريخ في فرنسا لحسب بل ظل بعد مولده يعيش في حضارة الفرنسيين حتى بلغ مرحلة الشباب . ومن أجل هذا نجد أسماء حضارات هذا العصر التي يستخدمها العالم أجمع أسماء فرنسية صرفة . وأول تصنيف للمراحل الحضارية بالعصر الحجري القديم هو من عمل العالم الفرنسي دي مورتيليه (De Mortillet) . وما زلنا نتبع هذا التصنيف مع بعض

التدليلات . ثم يا من بعده جوزيف ديشيليت (Joseph Diehellele) ،
فأخرج للناس دراسة علمية منظمة لعمود الحجر والبرنز والحديد .
بعد هذا أصبح علم ما قبل التاريخ من العلوم المحبوبة لدى الجمهور الأوروبي ،
وأصبحت آثاره تستهوى الناس من كل الطبقات ، وأدخلت دراسته
في الجامعات الأوروبية ، وأخذت تلي فيه المحاضرات العامة .

وتبدأ العناية بهذا العلم في مصر في أواخر القرن الماضي ويرجع الفضل
في ذلك إلى فلندرز پترى الأنجليزى و جاك دى مورجان الفرنسى ، فهما اللذان
افتتحا هذه الدراسات في مصر . وكان بحثهما منصبا على الصعيد وعلى منطقة
قنا بصفة خاصة وإليهما يرجع الفضل في الكشف عن حضارة نقادة المشهورة .

وقد أخرج پترى كتابه عن نقادة وبلاص سنة ١٨٩٥

(Petrie, Nagada & Ballas, 1895)

وأخرج دى مورجان في سنة ١٨٩٦ كتابه عن عصر الحجر والمعدن
في مصر (De Morgan, Recherches sur les Origines de L'Egypte,
l'age de la pierre et les metaux 1896.)

ثم أتبعه في السنة التالية بكتابه عن مقابر نقادة (Ethnographie
prehistorique et tombeau royales de Negadah, 1897.)

فلما بدأ القرن الحالى يظهر شفيغفرت الألمانية في الميدان ويجمع
من الصحارى المصرية عدداً كبيراً من أدوات الانسان في العصر الحجري
التقديم ويفتح في سنة ١٩٠٣ سلسلة أبحاثه بمقال عن العصر الحجري
في مصر العليا (Schweinfurth, Steinzeitliche Forschungen in Ober-
Aegypten.) ثم يبحث فنيار منطقة كوم امبو ويخرج لنا كتابه عن الحضارة
السيلية سنة ١٩٢٣ ، ثم يبحث بوفيه لابيير منطقى حلوان والعباسية ويخرج
نتائج أبحاثه في سنة ١٩٠٥ ، وهكذا أصبح علم ما قبل التاريخ الشغل الشاغل
لكثير من العلماء والهواة فيكشف برنتون عن حضارة البدارى وكين
تمسون عن حضارة التيوم وينكر عن حضارة مرمرة ، ويقوم ساندفورد

وآركل بدراسة عملية جامعة للفطر المصري وقد نشرنا إبحاثهما في سلسلة من المجلدات .

أما جهود المصريين في هذا الميدان فيفتتحها أمين العمري الذي ساهم مع بوفيه لايبير في بحث منطقة حلوان قبل سنة ١٩٢٥ ، ثم يأتي بعد ذلك مصطفى عامر فيكشف عن حضارة المعادي يساعده في السنوات الأولى من العمل العالم النساوي أزوالد منجيين . ثم يظهر في الميدان سليمان حزين ويساهم في دراسة مناطق أرمنت والفيوم وسينا ويخرج لنا كتابه الجامع (The Place of Egypt in Prehistory) . وقد عنيت الجامعة المصرية منذ سنة ١٩٣٠ بهذا العلم فأدخلته في برامج دراستها وتولت الاتفاق على حفائر المعادي . ثم في سنة ١٩٥٠ يقوم معهد فؤاد الأول للصحراء بالحفر في منطقة هليوبوليس فيكشف عن حضارة جديدة من حضارات عصر ما قبل التاريخ .

منهج البحث في علم ما قبل التاريخ .

يجمع الباحث في هذا العصر معلوماته من مصدرين : المصدر الأول بقايا هياكل الانسان ، فمنها يستطيع تحديد سلالة الجنسية ويعرف هل هو أصيل في هذه الجهة أو وافد إليها من مكان آخر . والمصدر الثاني صناعة هذا الانسان ومخلفات طعامه وبقايا مساكنه ومواقفه . ثم بعد أن يجمع الباحث معلوماته من هذين المصوتين يعتمد على أربع أسس في إبراز الصورة النهائية للحضارة من حيث عصرها ودرجة رقيها وصلتها بغيرها من الحضارات المحلية أو الخارجية .

أما هذه الأسس الأربعة فهي :

أولاً — موضع الأثر في الطبقات .

ثانياً — شكل الأثر وطريقة صناعته .

ثالثاً — علاقة هذا الأثر بالآثار الأخرى التي وجدت معه .

رابعاً — درجة احتفاظ الأثر بجودته .

أما الأساس الأول وهو موضع الأثر في الطبقات فينبى على التافون الجيولوجى المعروف باسم قانون الارساب . فاذا تكونت طبقات بفعل الارساب أو التراكم ولم تعرض لاضطرابات تالية فان الطبقات السفلى تكون أقدم من التى تلوها . فاذا وجدت مخلفات بشرية في هذه الطبقات يمكن ترتيبها ترتيباً طباقياً من أسفل إلى أعلى واتخاذ هذا الترتيب الطباقى مقياساً زمنياً ، فيكون الأسفل هو الأقدم ويكون الأعلى هو الأحدث . ومن أجل هذا وجب على الحفار فى عصر ما قبل التاريخ أن يزيل الطبقات الأثرية طبقة طبقة بمقياس منتظم يتخذ لنفسه . والمقياس الذى اتبع فى حفائر جامعة فؤاد الأول بالمادى وفى حفائر معهد فؤاد الأول للصحراء بمصر الجديدة هو ٢٠ سنتيمتراً ، فترال العشرين سنتيمترا العليا وتسجل محتوياتها الأثرية ثم العشرين سنتيمترا التالية وتسجل محتوياتها كذلك ، وهكذا حتى يصل الحفار الى التربة الأصلية التى سكنها الإنسان لأول مرة ، وبذلك نحصل على ترتيب طباقى لمخلفات الانسان . ثم تقارن محتويات الطبقات ببعضها . ولكن ينبى أن يلاحظ أن ترتيب الطبقات فى المنطقة الواحدة لا يدلنا وحده على تتابع الحفارات ، بل لابد لذلك من دراسة عدة حفائر وعقد مقارنة بين ترتيب الطبقات فى كل منها :

ويعد أن يتهى عالم ما قبل التاريخ من ترتيب الطبقات يلجأ إلى الأساس الثانى من منهجه وهو دراسة المكتشفات من أدوات وأسلحة وغير ذلك ، ويصنفها إلى عائلات حسب الشكل العام وطريقة الصناعة وحسب الفرض الذى يعتقد أنها صنعت من أجله . فاذا كان يتناول بالتصنيف الآلات الحجرية مثلاً ، يضع الآلات المصنوعة من النواة فى ناحية والمصنوعة من الشظايا فى ناحية أخرى ، ثم يضع الآلات المثلثة الشكل فى مجموعة والآلات المستطيلة فى مجموعة ثانية ، ثم يضع الآلات المصقولة فى ناحية وغير المصقولة فى ناحية أخرى ، ثم يضع النؤيس فى مجموعة والمثاقب فى مجموعة ثانية والمسامير فى مجموعة ثالثة ... وهكذا ، وسيجد نفسه فى النهاية قد حصل على عدد من المجموعات أو العائلات متشابهة فى شكلها ووظيفتها وطريقة صنعها . ثم بطول المران

يجد أن الأمر أصبح آلياً بمجرد أن يلتقط الأداة يستطيع أن يضعها في عائلته على الفور، وقد وجدنا بالتجربة أن أدوات الإنسان القديم محدودة العائلات . أما الأساس الثالث وهو الأشياء المرافقة فوظيفته مراجعة النتائج التي وصل إليها الأثرى بمقتضى الأسامين الأولين للتأكد من صحتها . فهو لا يعطى لعالم ما قبل التاريخ نتائج جديدة وإنما يجعله يطمئن إلى صحة النتائج التي وصل إليها ، ويصبح هذا العامل عظيم الفائدة في حالة الشك ، ثم هو عديم الفائدة في حالة الآثار التي توجد على السطح : لأن معظم آثار هذا العصر قابلة للنقل إما بفعل العوامل الطبيعية أو بفعل الإنسان ، ولهذا قد نجد أشياء عظيمة القدم بجوار أشياء عظيمة الحدثة . وأما في الآثار غير السطحية كالتي توجد في الكهوف والرواسب التهرية والطبقات الأثرية التي لم يبعث بها عابث فأننا نستطيع أن نطمئن إلى قيمة الأشياء المرافقة في تحديد عمر الأثر ونوع المناخ في عهده وغير ذلك . ولعل من أحسن الأمثلة على ذلك أنه وجدت في كهوف أوروبا هياكل إنسان نياندرتال ومعها أسلحة موسمية . وقد تكررت هذه الظاهرة في عدة كهوف ، مما أكد ارتباط هذه الهياكل البشرية بهذا النوع المعين من الآلات ، فإذا وجدنا بعد ذلك عظاماً بشرية لم نستطع تحديد شكلها لأنها مهشمة ووجدنا معها آلات من النوع السابق فأننا من شكل هذه الآلات نستطيع أن نحدد نوع الإنسان المرافق لها ، ونحن مطمئنون تمام الاطمئنان إلى صحة النتيجة التي وصلنا إليها .

وترداد قيمة هذا الأساس في دراسة العصر الحجري الحديث وما بعده . إذ ابتداء من هذا العصر وجد التبادل التجاري والتبادل الثقافي بين الجماعات . وقد استطعنا بمقتضى هذا العامل تحديد عصر الهياكل البشرية التي كشفنا عنها في حفائر مصر الجديدة في العام الماضي . وذلك أننا عثرنا في هذه الحفائر على الجبانة ولم نثر على محل السكنى حتى الآن . فكيف نحدد عصر هذه الجبانة ؟ وكيف نحدد المرتبة الحضارية لأصحابها ؟

وجدنا من بين الأواني الفخارية العديدة المدفونة مع الهياكل البشرية من النوع السائد في حفائر المعادى ، والذي لا يوجد في أى مكان آخر ،

فاستطاعنا أن نقول ونحن مطمئنون أطمئنا نأما إلى صحة ما نقول إن سكان مصر الجديدة الذين كشفنا عن حياتهم كانوا معاصرين لسكان المعادى وأنهم عاشوا في مرتبة حضارية قريبة من مرتبة أهل المعادى الذين عرفت حضارتهم من مدينة الأحياء ومدينة الموتى على حد سواء (أنظر شكل ١) .

وأخيراً ننقل إلى الأساس الرابع في منهج عالم ما قبل التاريخ وهو درجة احتفاظ الأثر بجدته فنجد أن آثار هذا العصر لقدمها قد تعرضت لعوامل التعرية من رياح ومياه جاررية ، ويدل درجة تآكل الآلة أو الأداة على مدى تعرضها لهذه العوامل ولكنه لا يدل على مدى قدمها بصفة قاطعة ، ومن أجل هذا ينبغي ألا يتخذ الأثرى مظهرها . فكثيرا ما يحدث في آثار ما قبل التاريخ أن الآلات التي تبدو جديدة في مظهرها تكون هي القديمة فعلا ، وأن الآلات التي تبدو بالية في مظهرها تكون هي الحديثة فعلا . والسبب في هذا أن الآلات الأولى ورغم قدمها لم تتعرض لعوامل التعرية فبدت جديدة ، وأن الآلات الثانية ورغم حداثة تعرضت لعوامل التعرية فبدت قديمة .

على أن تآكل الآلات بفعل المياه الجارية يتخذ الأثرى دليلا على أن هذه الآلات لا تتبع المكان الذى وجدت فيه ، وإنما هي مجروفة مع المياه الجارية من مكان آخر . ثم بناء على درجة تآكل هذه الآلات يستطيع الأثرى أن يقدر موضع المكان الأصلي لها هل هو قريب أو بعيد من المكان الذى وجدت فيه . ومن أمثلة ذلك الآلات التي وجدت في طبقات العباسية فقد تبين من درجة تآكلها أن بعضها منقول بواسطة النهر من أماكن بعيدة في الجنوب . وأن بعضها منقول بواسطة السيول المحلية من سطح الهضبة القريبة من العباسية .

نطبق هذا المنهج على الحضارات المصرية

دلت الأبحاث على أن الحضارات المصرية في عصر ما قبل التاريخ تسير في مبدأ الأمر في نفس خط التطور الذى تسير فيه الحضارات في جهات العالم الأخرى مثل غرب أوروبا . ومن ثم أمكن تقسيم حضارات المرحلة الأثرية إلى نفس أدوارها في غرب أوروبا وعلى الأخص فرنسا ، بل أطلق الباحثون

على الأدوار المصرية في هذه المرحلة نفس الأسماء الفرنسية التي أطلقت على حضارات غرب أوروبا .

ولكن ابتداء من العصر الحجري القديم الأوسط تسير الحضارات المصرية في خط من التطور خاص بها هو الخط الذي انتهى بها الى العصر التاريخي .
حوالى سنة ٣٢٠٠ ق م بينما ظلت أوروبا ومعظم جهات العالم في عصر ما قبل التاريخ الى قبيل الميلاد .

ونستطيع أن نقسم الحضارات المصرية في عصر ما قبل التاريخ الى الأقسام الرئيسية الآتية :

أولاً — العصر الحجري القديم (Palaeolithic)

ثانياً — العصر الحجري الحديث (Neolithic)

ثالثاً — عصر النحاس (Chalcolithic)

أولاً — العصر الحجري القديم

يقسم هذا العصر في مصر ، كما في أوروبا الى ثلاث مراحل ، أسفل ، وأوسط وأعلى ، فأما الأسفل فيشمل الحضارتين الشيلية والاشولية ، وأما الاوسط فيشمل الحضارة الموستيرية المصرية (الليفلوازية) ، وأما الأعلى فيشمل الحضارة السيلية . وواضح من أسماء هذه الحضارات أن تطور الصناعات الحجرية في مصر يسير جنباً الى جنب مع تطورها في أوروبا حتى بداية العصر الحجري القديم الاوسط ، ولذلك أطلقت على الحضارات المصرية حتى هذه المرحلة نفس الاسماء الأوروبية ولكن ابتداء من العصر الحجري القديم الأوسط تتطور الصناعات الحجرية المصرية في طريق مختلف . ولذلك أخذت حضارتها ابتداء من هذا العصر أسماء خاصة .

ونستطيع فيما يلي خط تطور هذه الحضارات مبيين المرحلة التي اشتركت فيها مصر مع أوروبا في المعالم الحضارية . ثم نقطة التحول ثم المرحلة التي ظهرت فيها مصر بطابعها الحضارى الخاص (انظر الجدول في شكل ٢) .

جدول يبين العلاقة بين العصور الجيولوجية والعصور البشرية

العصر الجيولوجي	العصر البشري	تواريخ تقريبية
العصر الحديث	العصر التاريخي	من ٣٢٠٠ إلى الوقت الحاضر
	عصر ما قبل الأسرات	من ٤٥٠٠ إلى ٣٢٠٠ ق. م
	الحجر الحديث	من ٨٠٠٠ إلى ٤٥٠٠ ق. م
	" القديم الأعلى (البيلي)	من ٢٠٠٠٠ إلى ٨٠٠٠ ق. م
الليسيويز	الحجر القديم الأوسط (المستقيم)	من ٥٠٠٠٠ إلى ٢٠٠٠ ق. م
	الحجر القديم الأسفل (الثيلي والأشولي)	انتهى ٥٠٠٠٠ ق. م
	عصر ما قبل الإنسان	
	في مصر	

(شكل ٢٠)

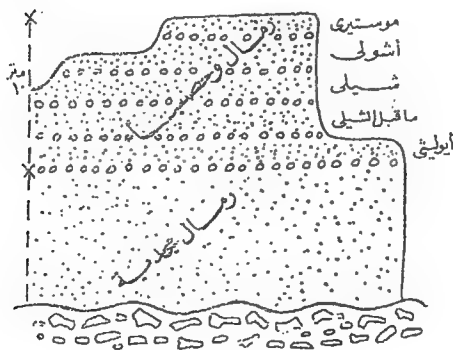
(١) العصر الحجري القديم الأسفل والأوسط :

يمكن تتبع الروايب إلى كان يلتقيها نهر الزمن الرابع على جوانب التلال الممتدة على طول نهر النيل الحالي . ولقد بلغ عرض مجرى النهر في الزمن الرابع عدة كيلومترات وبذلك كان ينشر ما يحمله من حصى ورمل وطين في مساحات واسعة وعلى مسافة كبيرة من المجرى الحالي فكون ما نسميه بالدرجات النهرية . وقد بلغ سمك مدرجات الحصباء هذه من عشرة أمتار إلى خمسة عشر مترا وما يستلقت النظر أن مدرجات النيل تشبه مدرجات السوم والتيمس — التي تضم أقدم الآثار البشرية — في سمكها وأشكال آلتها .

ويجدر السطح من الهضبة البليوسينية على ارتفاع مائة متر إلى أعلى هذه المدرجات على مستوى ٤٥ متراً فوق مستوى ماء النهر الحالي . وقد درس ساندفورد وآركل مجموعة المدرجات القريبة من الأقصر وتلك الواقعة بينها وبين أسيوط فلم يعثر على آلات في مدرج الخمسة وأربعين متراً . ثم يستمر انحدار السطح إلى مدرج الثلاثين متراً حيث توجد آلات مصنوعة بالطريقة الشيلية ، ثم إلى مدرج الخمسة عشر متراً حيث الآلات الأشولية الدقيقة الصنع ثم إلى مدرج الثلاثة أمتار حيث الآلات للموسيرية .

وكذلك بالقرب من قمة الدلتا — في محاجر العباسية — تظهر رواسب نهر الزمن الرابع في شكل مدرجات أو شطوط ضخمة وقد درس هذه المنطقة بوفيه لا يبير فتحقق من وجود إرساب موسيري فوق إرساب شيلي وأشولي (انظر القطاع في شكل ٣) .

تتابع الطبقات والحضارات في رواسب سهل العباسية



(شكل ٣)

جدول يبين تتابع الظروف الطبيعية والمخاضات البشرية
في منطقة اراحة الحارثة خلال البليستوسين

رتيب الدور	حالة السطح	حالة المناخ	المخاضة البشرية
الماسر	تمرية في ضلّاق ضيق أضلاعها تكون مدرج الحمة أمتار .	ذبذبة أكثر بساطة في الرطوبة تلتها فترة جفاف تامة هي التي استمرت حتى الوقت الحاضر .	حضارة الحارثة (٢١) مع بعض تأثيرات من المخاضة الباطرية .
التاسع	تمرية في ضلّاق ضيق تلاها تكون مدرج السبعة أمتار .	ذبذبة بسيطة في الرطوبة تلتها فترة جفاف .	خبط بين المخاضة اليفلوازية وحضارة الحارثة (٢٢) .
الثامن	أوساب طمي غشن وحصباء يتلو أوساب طوقا .	مطر قليل .	المخاضة اليفلوازية الحديثة (٢٣) .
السابع	تمرية .	مطر متزايد . النهاية المطمي الثانية لخط للمطر الياني .	
السادس	أوساب طمي غشن وحصباء يتلو أوساب طوقا .	مطر أقل .	
الحامس	تمرية شديدة .	النهاية القصوى للظروف الرطبة في عصور ما قبل التاريخ .	المخاضة الأثولية اليفلوازية (١١) .
الرابع	أوساب طوقا وحصباء وطمي غشن فوق البرشيا	بعض المطر والتزايد النباتي .	المخاضة الأثولية البلبا .
الثالث	تكوينات برشيا .	مطر نادر أو معدوم .	لاحضارة .
الثاني	تمرية شديدة .	مطر كثير .	لاحضارة .
الأول	أوساب طوقا على المنصة	مطر قليل .	لاحضارة .

(١١) المخاضة الأثولية في مصر كما هي في أوروبا تمثل آخر حضارات العصر الحجري القديم الأسفل وأما المخاضة اليفلوازية في مصر فتتمثل العصر الحجري القديم الأوسط الذي تمثله المخاضة المستمرة في أوروبا .

(٢١) أطلقت الباحثان على المخاضة اليفلوازية الحديثة وعلى حضارة الحارثة اسم ما قبل السيلية في مبدأ الأمر ثم عدلتا أخيراً عن هذه التسمية .

(٢٣) توجد بعض وجوه شبه بين حضارة الحارثة في مراحلها الأخيرة وبين حضارة العصر الحجري القديم الأعلى في شمال أفريقيا (المخاضة القفصية) وفي شمال غرب أوروبا (المخاضة التردنوازية) .

وكذلك في الواحة الخارجة استطاعت الآنسان كيتون تومسون وجاردر
أن تصنعاً التغيرات التي تعاقبت على هذه المنطقة خلال حتمر البلستوسين
سواء في السطح أو المناخ أو الحضارة البشرية على النحو المبين بالجدول .

ويستخلص زوينر من هذا الجدول أنه وجدت خمسة أدوار رطبة بالواحة
الخارجة هي الأدوار ٢ و ٥ و ٧ و ٩ و ١٠ وأن هذه الأدوار الخمسة تنقسم
الى مجموعتين يمثل الدور الثاني منها مجموعة قائمة بنفسها وتمثل الأدوار
٥ و ٧ و ٩ و ١٠ مجموعة أخرى ويفصل بين المجموعتين فترة جفاف طويلة
يمثلها الدور الثالث .

كما يحاول زوينر أن يربط بين الأدوار المناخية بالخارجة وبين الأدوار
الجليدية بأوروبا فيقول إن الدور الثاني (وهو دور رطب) يقابل أحد
الأدوار الجليدية الأوروبية الأولى (جزر أو مندل أورس) وأن الدور
الثالث (وهو دور جاف) يقابل في أوروبا الفترة الدفيئة الأخيرة (فترة
رس — فرم) وأن الأدوار من الخامس الى العاشر تقابل الدور الجليدي
الأخير (دور فرم) .

فإذا صح هذا الربط بين الأدوار المصرية والأدوار الأوروبية يكون
الدور الجليدي الأوروبي الأخير ممثلاً في مصر في هذا الجزء الصحراوي
الواقع على خط عرض ٢٥ شمالاً بأربعة أدوار رطبة تتدرج نحو القلة بينما
لا يمثله في إقليم البحر الأبيض المتوسط إلا ثلاثة أدوار فقط :

(ب) العصر الحجري القديم الأعلى :

لأنكاد توجد في مصر حضارة من العصر الحجري القديم الأعلى تقابل
الحضارة الأورينياسية الأوروبية . ولقد وجد ثنيار في قرية السبيل . بالقرب
من كوم امبو صناعة اعتبرها معادلة للأورينياسية الوسطى والعليا في أوروبا .
ولكن لا يمكن الجزم بهذه المعادلة بين السيلية المصرية والأورينياسية
الأوروبية لأن وجوه الشبه بين آلات الحضارتين لا تقطع بهذه المعادلة ، يضاف
الى هذا أنه لم تكتشف مع الآلات انصرية بقايا حيوانات يمكن أن تتخذ
مفتاحاً لتحديد عصر هذه الحضارة على وجه التحقيق .

على أن ثنيار تمكن من تتبع صناعة الشظايا في مصر وتطورها من العصر الحجري القديم الأوسط (الموستيري) الى أواخر العصر الحجري القديم الأعلى (الصناعة الحجرية القزمية) . ولا شك أن هذا التطور واضح في شكل الآلات فتجد في مبدأ الأمر شظايا موستيرية قطعت من القاعدة قطعاً مستتباً يزيل منطقة البصلة ثم نجد شظايا قطعت قاعدتها بنفس الطريقة السابقة ولكن من جانب واحد فقط وبذلك اتخذت شكل شبه المنحرف ، وتقابل هذه المرحلة في أوروبا من حيث شكل الآلات الحضارة التردنوازية (أواخر الحجري القديم الأعلى) حيث الآلات ذات الأشكال الهندسية فمنها المستدير ومنها المثلث ومنها شبه المنحرف .

وقد حازل ثنيار أن يثبت أن هذا التطور الشكلي تطور زمني في نفس الوقت . وذلك لأنه وجد هذه الآلات في شواطئ بحيرة قديمة كانت تجف بالتدريج حتى تم جفافها .

ويرى ثنيار أن الانسان كان يسكن هذه الشواطئ بحيث كان ينعقد نحو قلب البحيرة كلما ازداد جفافها وانخفض مستواها لكي يظل قريباً من الماء . ومعنى هذا أن الآلات التي في الشواطئ العليا أقدم زمناً من التي في الشواطئ السفلى . وهذا هو ما استند اليه ثنيار في محاولته تأريخ هذه الشطوط والآلات التي وجدت فيها ، وفعلنا قسمها الى ثلاثة مستويات يضم المستوى الأخير منها في معظمه آلات قزمية بها كثير من المحتات . وترجع هذه المحتات القزمية الى أصل محلي فهي مأخوذة عن الآلات التي أزيلت منطقة البصلة منها .

ولكن مما يشكك في هذا التقسيم الزمني الذي وضعه ثنيار أن الفرق بين أعلى مستوى للبحيرة وبين أقل مستوى لها لا يتعدى بضعة أقدام ، كما أن الخطوط الكتشورية لشواطئ البحيرة شديدة التقارب أي أن المسافة الرأسية لهذه الشطوط كانت صغيرة مما يرجح القول بأن الانسان حينما سكن الشطوط السفلى كان في نفس الوقت مازال يسكن الشطوط العليا لقرب المسافة

بين هذه وتلك . وهذا من شأنه أن يقلل من جدلية الآلات كقياس زمني ،
ومن ثم لا يمكن اتخاذ مستويات فئاري الأثرية مراحل زمنية متعاقبة .

ولكن الحضارة السبيلية ككل لا شك في نسبتها إلى العصر الحجري
القديم الأعلى . فاشكال آلاتها وطرق صناعتها تؤكد أنها تقع بعد الحجري
القديم الأوسط . ثم أنها خالية من الآنية الفخارية والحجارة المصقولة مما يحتم
وضعها قبل العصر الحجري الحديث . فالحضارة السبيلية إذا تمثل حضارة
عصر في العصر الحجري القديم الأعلى .

ثانياً - العصر الحجري الحديث

لا تتضح في مصر الصلة بين العصر الحجري الحديث وبين العصر السابق له .
رغم كثرة ما كشف من آثار العصر الحجري الحديث . ومنذ أن ظهرت
مكتشفات دي مورجان وبتري في القرن الماضي والمحاولات تبذل لتأريخ
هذا العصر والتعرف على مراحل المختلفة ، تلك المراحل التي دخل المدن
في أواخرها بالتدريج والتي انتهت أخيراً بقيام عصر الأسرات . ولم تنجح
هذه المحاولات إلا نجاحاً جزئياً أحياناً ومحلياً أحياناً أخرى . وسبب ذلك
عدة أمور ، الأمر الأول أن الصلة بين آثار العصر الحجري الحديث
وبين آثار العصر الحجري القديم ليست صلبة طباقية لاختلاف المناطق
التي كان يسكنها إنسان كل منهما ، فأنسان العصر الحجري القديم كان يعيش
صياداً متجولاً فوق الهضبة الممتدة بمجذاه التهر حيث كانت وفرة المطر
تسمح بذلك ، وأما إنسان العصر الحجري الحديث فقد هجر هذه الهضبة
بسبب موجة الجفاف التي كانت آخذة في الشدة واقترب من مجرى النيل
يعيش بقرية في قرى ثابتة معيشة استقرار . والأمر الثاني أن مواطن إنسان
العصر الحجري القديم الأعلى لم تقتصر على نطاق واسع بل إن حملات العصر
الحجري الحديث نفسه لم يكشف معظمها بعد ، والأمر الثالث أن تطور
المظاهر العامة للصناعات ليس واضحاً ، إذ مازالت هناك حلقات كثيرة .

حقوقه في سلسلة تطور الصناعات بين العصر الحجري القديم وبين العصر الحجري الحديث .

وبشكل بعض علماء ، أقل التاريخ في وجود حضارات مصرية من العصر الحجري الحديث بصرف أى ليس فيها أدوات نحاسية ولا أدلة على استخدام النحاس ولكن هذا الشك ليس له ما يبرره فقد وجدت في جهات كثيرة من مصر حضارات ليس هناك شك في نسبتها للعصر الحجري الحديث الصرف . ومثال ذلك مرمدة بني سلامة في غرب الدلتا ثم شاطي* العشرة أمتار باليوم ثم منة مستجدة بمصر العليا . وقد قام بالحفر في هذه الجهات علماء ممتازون انبعوا أحدث الطرق العلمية مما يجعلنا نطمئن إلى النتائج التي وصلوا إليها .

ويظهر أن حضارة العصر الحجري الحديث بدأت تستقر في وادي النيل في دور الارساب الثاني^(١) حينما أخذ النهر يملأ واديه بالطمي الناعم الذي بلغ عند العصر الحجري الحديث حدا كبيرا استحال معه الوصول إلى قاعدته في كثير من الحفر والآبار ، وأما خارج النوادي فقد وجدت آثار هذا العصر فوق الهضبة الليبية ، وكذلك وجدت محلاته في المعصرة ووادي الشيخ . ولكن الخفاير لم تجر في هذه الجهات بطريقة منظمة . ففي المعصرة الواقعة جنوب القاهرة بقليل لم تجر حفائر منظمة بقصد الكشف عن حضارة هذا العصر ، وإنما عثر على آثاره عرضاً في عمليات استخراج الرمال والحجارة اللازمة لأعمال البناء من هذه المنطقة . وكذلك في وادي الشيخ وراي سبور المجاور له — وهما واديان يصبان في الجانب الأيمن للنيل بين الفت ومغاها — وجد شيتن كار مناجم من النيران في الحجارة الأيوسينية فيها آلات كثيرة غير تامة الصنع معظمها من النيز تستعمل في الأغراض الزراعية . وتوجد بعض وجوه الشبه بين حضارة وادي الشيخ وبين الصناعة الكينية في أوروبا . وكذلك وجدت كينتم — على طول الخط الحديدي بين أيدوس والواحة —

(١) كان دور الارساب الأول العصر الحجري القديم حينما أخذ النهر يملأ واديه بالطمي الخشن .

المخارجة آلات من العصر الحجري الحديث مصنوعة من الصوان ومختلطة بقشر بيض النعام الذي يزداد كثرة كلما اقتربنا من الواحة ، ثم بالقرب من الواحة وجدت مناجم من حجر الصوان استغلت في العصر الحجري الحديث . وكذلك في منطقة الواحة المخارجة وجد الأمير كمال الدين حسين عدة محطّات من هذا العصر تزداد اتساعاً وتزداد آلاتها اتقاناً كلما اقتربنا من منخفض الواحة . ويوجد تشابه بين هذه الآلات وبين آلات التيومم التي من نفس العصر .

ومنطقة التيومم من المناطق التي بحثت بالتفصيل والتي يمثّل فيها منهج علم ما قبل التاريخ أحسن تمثيل . فالتيومم منخفض في الهضبة الليبية منفصول عن وادي النيل بخط من التلال الواطئة ، ويشغل قاع هذا المنخفض بحيرة تارون التي كانت تسمى قديماً بحيرة موريس . وتصل مياه النيل إلى التيومم بواسطة أحد فروعها المسمى بحر يوسف وتنفذ إلى المنخفض من خلال عمر ضيق منحوت في الحافة الليبية وهو الخائق المحصور بين اللاهون وقناة الهوارة . وقد وجد ساندفورد وآر كل على ضفاف قناة الهوارة شاطئاً من الحصباء ارتفاعه ٣٦ متراً فوق مستوى سطح البحر عند طرفه القريب من النيل بينما يبلغ ارتفاعه عند الطرف الآخر ٣٤ متراً . وقد عثرا في هذه الحصباء على آلات موسيقية مما يدل على أنه في فترة الحضارة الموسيقية كانت قناة الهوارة تجري بالماء فتغذي بحيرة تارون .

والبحيرة حالياً على مستوى ٥٤ متراً تحت سطح البحر ، ولكن الرواسب البحرية المنتشرة فوق سفوح المنخفض تدل على أن مستوى البحيرة كان قديماً أعلى منه في الوقت الحاضر . وتنظم هذه الرواسب البحرية في سلسلة من الشواطئ متدرجة فوق الشاطئ الحالي . وأعلى هذه الشواطئ ، بما وجدته ليتل على مستوى ٤٣ متراً فوق مستوى سطح البحر ، ويقابل هذا من الناحية الطبوغرافية مدرج ١٦ متراً من مدرجات النيل وهو مدرج الحضارة الأشولية^(١) . ومعنى هذا أن مستوى البحيرة انخفض من عهد

(١) يلاحظ أن شواطئ التيومم تقاس بالنسبة لمستوى سطح البحر وأن مدرجات النيل تقاس بالنسبة لمستوى السهل الفيضي .

الحضارة الأسولية حتى الوقت الحاضر ٨٨ متراً . ونجد بين أعلى هذه الشواطئ (٤٣ - ٤٥) وبين مستوى بركة فارون الحالي (٤٥ - ٤٥) بقايا حوالي ٣٠ شاطناً أهمها الشواطئ ٤٠، ٤٤، ٣٤، ٢٨، ٢٣، ١٨، ١٠، ٤ من الأمطار فوق سطح البحر ثم الشاطئ ٢ متر تحت سطح البحر . وقد تعرف ساندفورد وآر كل على بقايا الشاطئين ٣٤، ٢٨ في جنوب شرق البحيرة ، كما تعرفت الآنستان تومسون وجاردنر على بقايا سائر الشواطئ في شمال البحيرة (انظر شكل ٤).

وقد أمكن تحديد عمر هذه الشواطئ بما تضمه من حفريات وصناعة بشرية . فبقايا مختص بالصناعة البشرية أخرج الشاطئ ٤٠ صناعة لفلوازية ، والشاطئ ٣٤ صناعة موسيرية ، كما أخرج الشاطئان ٢٨ ، ٢٣ آلات من أواخر العصر الحجري القديم الأعلى ، وأخرج الشاطئان ١٠ ، ٤ آلات من العصر الحجري الحديث ، وأخرج الشاطئ ٢ آثاراً من أواخر العصر الحجري الحديث وكذلك أخرجت من قس الشاطئ آثار من عصر ما قبل الأسرات بل وجدت فيه آثار من الأسرة الرابعة الفرعونية . ولا تفسير لهذا إلا بأن هذا الشاطئ يمثل فترة طويلة من فترات استقرار البحيرة على هذا المستوى ، ثم بعد الأسرة الرابعة أخذ مستوى البحيرة في الانخفاض سريعاً حتى وصل إلى المستوى الحالي وهو — ٤٥

هذا التدرج السلبي بالقيوم يمكن أن يتخذ مفتاحاً لمعرفة تدرج الحضارات بوادي النيل إذا ما قورنت آثار الوادي بآثار المنخفض . كما يمكن أن يتخذ هذا التدرج السلبي مقياساً زمنياً لتحديد بمقتضاه أعمار الحضارات بالنسبة لبعضها في الوادي والمنخفض .

والقيوم غنية بآثار العصر الحجري الحديث ، وقد جمع كثيراً من هذه الآثار كل من دى مورجان وشيفنر وسيتون كار ويذبل ، ولكن أحداً منهم لم يهتم بمقارنتها بمنظمة في هذا المكان ، كما أنهم لم يكتبوا عنه إلا قليلاً ، إلى أن جاءت الآنستان كيتن تومسون وجاردنر فقامتا بمقارنتها بمنظمة ونشرتا نتائج أبحاثهما بالتفصيل .

والحلات التي كشفت عنها هجم شمال بركة فاروز فوق الشواطئ البحرية
١٠، ٤، ٢ — من الآثار. وقد أطلقنا على حضارة الشاطئ ١٠ اسم حضارة
القيوم ١ وعلى حضارة الشاطئ ٤ اسم حضارة القيوم ب وأما الشاطئ
٢ — فيتبعه فرع من حضارة القيوم ب أحدث في الزمن من الحضارة الأصلية.

وفي الحق أن حضارة قيوم (ب) — أصلها وفرعها — ليست بحضارة
متنيزة عن قيوم (أ) وما هي إلا مرحلة تدهور حضاري من قيوم (أ). ويظهر
أن شاطئ البحيرة لم يستمر كثيرا على مستوى ٤ متر ما لم يساعد على الاستقرار
الطويل على هذا الشاطئ، وهذا بدوره لم يساعد على الازدهار الحضاري بحيث
تنشأ عليه حضارة متميزة عن الشاطئ ١٠ متر. ويؤيد هذه الحقيقة فحص
الآلات الحجرية فقد دل ذلك على أن آلات القيوم ب أقل انقفا في تشييدها
وصقلها وتنوعها من آلات القيوم (أ) الأقدم منها، كما لا نجد في القيوم (ب)
من الآلات الجديدة ما يبرر اعتبارها حضارة قائمة بذاتها ومن أجل هذا حق
عليها القول بأنها ما هي إلا حضارة متدهورة من القيوم (أ).

وأما الشاطئ (٢) حيث تستقر حضارة القيوم (ب) الحديثة فترجع أهميته
إلى دلالة على استقرار سطح البحيرة عند مستوى فترة طويلة من الوقت تمتد
من هذا العصر حتى الدولة القديمة. وأما من الناحية الأثرية فليس هناك مبرر
إلى اعتبار هذا الشاطئ وحدة حضارية قائمة بذاتها. ومما يضعف كيان
القيوم (ب) — أصلها وفرعها — كحضارة مستقلة أنه لم يعثر بها على بقايا
المساكن أو على آثار ثابتة من أي نوع، كما لم يعثر بها على أواني فخارية، بل إن
القول بوجود هذه الحضارة لا يعتمد إلا على الآلات الحجرية وهي من الآثار
القابلة للنقل التي لا يعتمد عليها وحدها في إقامة حضارة من حضارات العصر
الحجري الحديث ذي الحياة المستقرة والقرى الثابتة التي يعتمد أهلها على بعض
الزراعة واستئناس الحيوان.

إذا تركنا القيوم وانتقلنا إلى مناطق أخرى من مناطق العصر الحجري
الحديث التي أجريت فيها حفريات منظمة مثل ديرناسا والعمرى ومرمدة بنى سلامة

نجد تشديد عصر هذه الحضارات لا يقوم على البضع الطباق: لا آثارها ولا على موقع المنطقة بالنسبة للمناطق المجاورة لها ، وإنما يحدد عصر هذه الحضارات بناء على نوع آثارها . ومثال ذلك أن حضارة ديرتاسا عُرفت من جبانة تشتمل محتويات مقابرها على أحجار لطحن القلح وعلى فؤوس حجرية مصقولة وعلى ألواح حجرية لإعداد مواد الصباغة وعلى أواني فخارية ، وكل هذه الآثار من علامات العصر الحجري الحديث . ومع أن حضارة ديرتاسا لم تعرف إلا من المقابر بينما عرفت حضارة التقيوم (١) من المساكن إلا أنه أمكن القول بأن الحضارتين ترجمان لعصر واحد وأنهما متشابهتان في مظاهرها الحضارية ومتفارتان في المستوى الحضارى ، ومن ثم يمكن إكمال أحدهما بالآخرى أو ضم مساكن هذه إلى مقابر تلك لتكوين صورة تامة عن حضارة مصر في العصر الحجري الحديث .

وكذلك تقع حضارة مرمدة بنى سلامة في مستوى حضارتي ديرتاسا والتقيوم . وقد عرفت المميزات الحضارية لمرمدة من المساكن والمقابر معا لأن أهل مرمدة كانوا يدفنون موتاهم داخل المساكن . وطريقة الدفن واحدة في كل من ديرتاسا ومرمدة والعمرى ، ويبدل شكل الجمجم على أنهم من أصحاب الرؤوس الطويلة

وهذه الحضارات المصرية في العصر الحجري الحديث التي لا يمكن تتبع جذورها في العصر الحجري القديم الأعلى تتشابه في كثير من المظاهر الرئيسية مع حضارة روبنهاوزيان (Robenhausian) في أوروبا ، قبل كانت الحضارة المصرية في العصر الحجري الحديث أصلا للحضارة الأوروبية في هذا العصر ؟ أو أن كليهما يرجع الى أصل مشترك في مكان ما بغرب آسيا أو شمال إفريقيا ؟

ويدل موقع قرى العصر الحجري الحديث بعيداً عن النهر على أن ظروف حياة الناحية كانت أقل صحراوية مما هي عليه الآن ، وبما يعزز ذلك بقايا جذور الأشجار بهذه المناطق ثم عظام الحيوانات المختلفة التي تدل على وفرة الطوبى قديماً في هذه الجهات الواقعة على حافة الصحراء في الوقت الحاضر .

ثالثاً - عصر النحاس

عرف النحاس لأول مرة في مصر في حضارة البدائي حوالى سنة ٥٠٠٠ ق م واستمر استخدامه غير مخلوط بغيره من المعادن حتى الأسرة الثانية عشرة حوالى سنة ٢٠٠٠ ق م. إذ عرف البرز ابتداء من هذه الفترة. فكان عصر النحاس استمر قائماً بمصر مدة ثلاثة آلاف عام فاشتمل على المرحلة الأخيرة من عصر ما قبل التاريخ وعلى المرحلة الأولى من العصر التاريخي ولا يعني هنا إلا مرحلتها الواقعة في عصر ما قبل التاريخ.

ومحلات عصر النحاس التي ترجع لما قبل التاريخ في مصر كثيرة العدد وواسعة الانتشار في أجزاء القطر المختلفة نمردها فيما يلي:

١ - الكوم الأحمر (هيراكونبوليس) حيث حفر كويل وجرين فكشفا عن آثار القرية والجبانة.

٢ - أرمنت وحفر فيها روبرت موند ومايرز فكشفا عن القرية والجبانة.

٣ - نقادة وبلاص حيث حفر بترى وكويل فكشفا عن قريتين شمالية وجنوبية ثم عدة جبانات تضم حوالى ثلاثة آلاف مقبرة.

٤ - هو والأبدية وسماينة في إقليم ديوسبوليس بارفا حيث حفر بترى فكشف عن خمس جبانات تضم ألفى مقبرة.

٥ - العمرة وحفر فيها مورجان وأميلينو حفراً غير منظم ثم حفر فيها مالك أيفر وميس حفراً منظماً فكشفوا عن جبانتين تضم كل منهما حوالى ٤٠٠ مقبرة.

٦ - أيدوس وحفر فيها مالك أيفر وميس ثم نافيل وبنت فكشفوا عن أربع جبانات تضم حوالى ٢٥٠ مقبرة.

٧ - الخاسنة وحفر فيها جارسناج فكشف عن القرية وعن جبانة تضم حوالى ٢٥٠ مقبرة، كما حفر فيها أيرتون ولوت فكشفا عن جبانة تضم حوالى ٦٠٠ مقبرة.

٨ - نجع الديرو وحفر فيها لينجو فكشف عن جبانة تضم ٧٠٠٠ مقبرة.

٩ — البدارى وقار الكبير وهامية ومستجدة حيث توجد عدة قرى من هذا العصر وعدة جبانات تضم حوالى ألف مقبرة، وقد حفرها جميعا برنتون فيها غدا قرية واحدة شمال الهامية حفرتها كيتون تمسون .

١٠ — حرافة حيث توجد جبانتان صغيرتان تضم حوالى ٣٠ مقبرة وقد حفرها انجلباخ .

١١ — أبوصير الملق حيث توجد جبانة تضم حوالى ألف مقبرة وقد حفرها مولر ونشر أبحاثها شارف .

١٢ — جرزة حيث توجد جبانة تضم حوالى ٣٠٠ مقبرة وقد حفرها ويريت .

١٣ — واطفة بالقيوم (فيلوتيرس) حيث توجد قرية حفرتها كيتون تمسون .

١٤ — للمعادي حيث توجد قرية وجبانان وأول من عرف بها بوفيه لا يبر ثم حفر فيها بطريقة علمية منظمة مصطفى عامر وأزواله منجيب و ابراهيم رزقانه ومازالت الحفائر قائمة حتى الآن فى القرية والجبانتين .

١٥ — جلوان ب (أو العمرى ب) حيث توجد قرية وجبانة وحفر فيها دى بونو ولم يتم حفرها حتى الآن .

١٦ — هليوبوليس حيث توجد جبانة وقد أخرج بعض هياكلها زكى نور و دى بونو ثم حفر فيها بطريقة علمية منظمة مصطفى عامر و ابراهيم رزقانه ومحمد متولى .

ومن الأمور الجديرة بالملاحظة أن هذه القرى والجبانات تنجم فى مجموعتين ، مجموعة جنوبية تنحصر بين الجدتل الأول وبين مركز البدارى ومجموعة شمالية تنحصر بين عرض القيوم وبين قة الدلتا . ويفصل بين المجموعتين مسافة ٢٥٠ كيلو متراً لم تكشف فيها أية آثار من فترة عصر

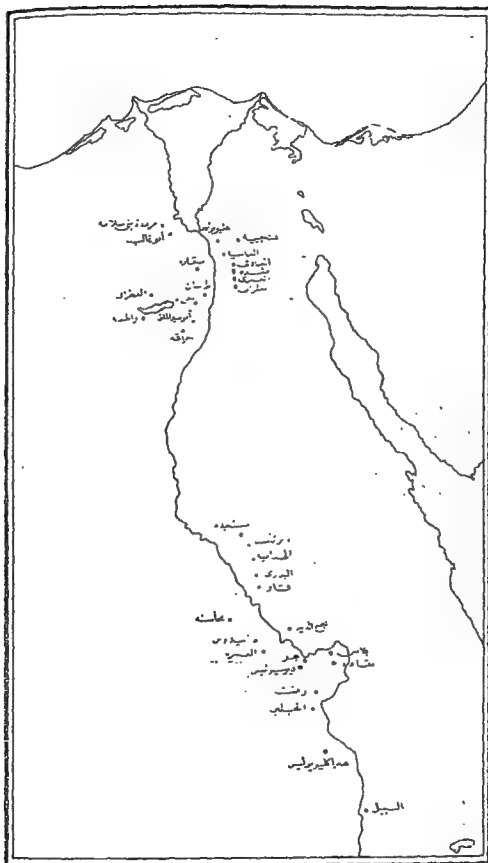
النحاس السابقة للتاريخ فيما عدا زاوية المتين التي كشفها نيل ولم تنشر النتائج الكاملة لحفائرها بعد (أنظر الخريطة في شكل ٥) .

وقد اصطلح علماء الآثار المصرية على وضع حضارات عصر النحاس السابقة للتاريخ في مرحلة حضارية خاصة أطلقوا عليها اسم عصر ما قبل الأسرات ، غير أنهم يختلفون في تقسيم عصر ما قبل الأسرات نفسه ، فالبعض يقسمه تقسيماً زمنياً إلى قديم ومتوسط وحديث ، وقد قسمه بترى في بادئ الأمر إلى مرحلتين سماها الحضارة الأولى والحضارة الثانية ، ثم عاد قسمه إلى ثلاث مراحل سماها العمرة وجرزة وسماينة .

وقد أطلق شارف على عصر ما قبل الأسرات اسم عصر نقادة وقسمه تقسماً ثنائياً إلى نقادة الأولى وتشمل حضارة العمرة عند بترى وإلى نقادة الثانية وتشمل حضارتى جرزة وسماينة عند بترى ، أى أن شارف انبع تقسيم بترى الثانى مع اختلاف في التسمية .

وأما مايرز فيأخذ بالتقسيم الزمني لهذا العصر فيقسمه إلى قديم ومتوسط وحديث ، غير أن مدلول هذه الألفاظ يختلف عن غيره من الكتاب . فهو يجعل عصر ما قبل الأسرات القديم شاملاً لمرحلة طويلة ويقسمه إلى اقسام فرعية يعطيها الأرقام ١ و ٢ و ٣ و ٤ . فأما رقم ١ فقد تركه بلا حضارة تقابله انتظاراً لما عساه أن يكتشف من آثار أقدم من ديرناسا . وأما رقم ٢ فقد جعله ممثلاً لحضارة ديرناسا ، وأما ٣ و ٤ فقد جعلهما ممثليين للبدارى والعمره على الترتيب . ولكن لا يأخذ أحد من الكتاب بتقسيم مايرز . وفيما يلي جدول يبين تقسيمات هذا العصر عند الكتاب المختلفين :

بترى	بترى	شارف	مايرز
سماينة	عصر ما قبل الأسرات الحديث		
جرزة	عصر ما قبل الأسرات المتوسط	عصر ما قبل الأسرات القديم رقم ١	
العمره	عصر ما قبل الأسرات القديم رقم ٢	عصر ما قبل الأسرات القديم رقم ٣	
		عصر ما قبل الأسرات القديم رقم ٤	
		عصر ما قبل الأسرات القديم رقم ٥	



(شكل ٥)

خريطة تبين علات عصر النحاس فيما قبل التاريخ

والتقسيم الشائع لحضارات هذا العصر هو ما أثبتناه في الجدول المبين في شكل ٦ مع اختلاف يسير هو أن معظم الكتاب في الوقت الحاضر لا يعترفون بأن حضارة سماينة حضارة قائمة بنفسها وذات مقومات خاصة وإنما يرون أنها ما هي إلا مرحلة متدهورة من حضارة جرزة . ولذلك يفضلون إلحاقها بحضارة جرزة وبذلك يعودون للتقسيم التناثي لعصر ما قبل الاسرات وهو :

- ١ — عصر ما قبل الاسرات الأول أو نقادة الأولى أو العبرة .
- ٢ — عصر ما قبل الاسرات الثاني أو نقادة الثانية أو جرزة .

جدول مبين تسلسل الحضارات في مصر منذ العصر الحجري الحديث حتى الأسرة الأولى

الوجه القبلي	الوجه البحري والفيوم	التاريخ
الأسرة الفراعونية الأولى حصان ملينه (ما قبل ب)	الأسرة المردونية الأولى	٣٢٠٠ قبل الميلاد
حصارة جرزة	حصارة المعادى	٤٠٠٠ قبل الميلاد
	مصر الجديدة	
	حلوان الثانية	
حصارة العبرة	(حلوان ب)	
حصارة البعدى	حصارة اليوم الثانية (فيوم ب)	٥٠٠٠ قبل الميلاد
	مهدة سيلا	
	الفيوم الأولى (فيوم أ)	
حصارة دير تاسا	حلوان الأولى	٦٠٠٠ قبل الميلاد
	(العمري أو حلوان أ)	

(شكل ٦)

نظام التأريخ التابعى

ابتدع بترى نظاماً لتأريخ حضارات عصر ما قبل الأسرات يقوم على أشكال القطع الأثرية . وحاول أن يحدد التاريخ النسبى لحوالى ٩٠٠ مقبرة كشفها فى نقادة وهو والأبعدية . ولما كانت الأوانى النحاسية هى أكثر القطع الأثرية شيوعاً فى المقابر ، هذا الى كثرة تنوع أشكالها فقد وجد بترى فى هذه الأوانى أحسن مقياس لتأريخه التابعى . فأخذ فى تصنيف هذه الأوانى الى مجموعات أو الى عائلات بلغ عددها تسعاً ورمز لكل مجموعة بحرف هجائى يمثل أول حرف فى اسم المجموعة باللغة الانجليزية فيما عدا المجموعة الخامسة وذلك على النحو الآتى :

١	عائلة الأوانى ذات القمة السوداء .	(black topped)
P	عائلة الأوانى المصقولة	(polished - red)
F	عائلة الأوانى ذات الاشكال التعرية .	(fancy black)
C	عائلة الأوانى ذات الخطوط المتقاطعة .	(cross-lined (white)
N	عائلة الأوانى ذات الخطوط المحفورة .	(incised (black)
W	عائلة الأوانى ذات المقابض المموجة .	(wavy handled)
D	عائلة الأوانى المزودة برسوم	(decorated)
R	عائلة الأوانى الخشنه (طيبة رديئة	
	واحتراق ردى)	(rough)
L	عائلة الأوانى الحديثة	(Late)

وتضم كل عائلة من هذه العائلات عدداً كبيراً من الاشكال ، فقام بترى بوضع الحرف الذى يمثل العائلة على كل آنية وبجانبه رقم لكل شكل لكي تعرف به داخل عائلتها ، وبذلك حصل على سجل وافى بأوانى عصر ما قبل الأسرات . ثم وزع محتويات التسعة مقبرة بين العائلات التسع فبين له من أول وهلة أنه لا توجد مقبرة من المقابر تجمع بين عائلة C وعائلة W ومعنى هذا أن هاتين العائلتين لم تكونا معاصرتين لبعضهما . ولما كانت العائلة W توجد أيضاً بمقابر الأسرات الاولى بينما لا توجد العائلة C بمقابر هذه الأسرات اطلاقاً

فقد استنتج بترى من هذا أن المقابر المحتوية على العائلة C أقدم وجودا من المقابر المحتوية على العائلة W .

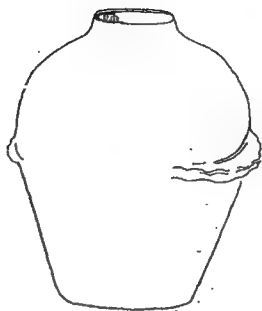
كما لاحظ بترى أن العائلة W تضم عدداً كبيراً من الأشكال التي يظهر أنها كلها ترجع إلى أصل واحد ثم تسلسلت عن هذا الأصل بالتغير التدريجي وبذلك تعددت أشكالها . وقد أعطى بترى للشكل الأصلي الرقم ١ وبذلك يكون رمزها الكامل WI وبعبارة أخرى أكل أشكال العائلة W وأقدمها في نفس الوقت ، ثم أخذت تتسلسل منه أشكال أخرى اعتبرها أحدث زمناً وأقل اتقاناً ووصل في تعداده لهذه الأشكال المتسلسلة إلى الرقم ٩٠ . ومعنى هذا أنه بينا الآتية WI أقدم وأواني هذه المجموعة زمناً وأنها شكلاً نجد الآتية 90 W أحدث وأوانها زمناً وأحطها شكلاً ثم تتدرج بينهما سائر الأرقام . (انظر شكل ٧) .

ثم عمد بترى إلى عائلات الأواني B و P و R فرتبها ترتيباً زمنياً حسب وجودها مع أرقام العائلة W . كما اعتبر بترى العائلة L أحدث عائلات الأواني لأنها تشترك في الشكل مع أواني عصر الأسرات . وأما العائلة D فقد رتبها بترى حسب الرسوم التي عليها وقسمها إلى مجموعات بحيث توضع الأواني ذات الرسوم المتشابهة في مجموعة واحدة .

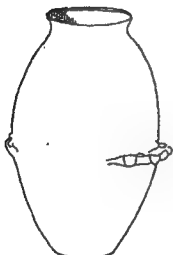
وبعد أن انتهى بترى من ترتيب العائلات C و W و B و P و R و L و D على النحو السابق بقيت لديه بضع مئات من الأواني لم يستطع تحديد تاريخها بالنسبة للعائلة W ولا بالنسبة للعائلة L لأنها لم توجد مختلطة مع هذين النوعين . فعمد بترى إلى ترتيبها بحسب رقم أشكال العائلات B و P و R التي سبق أن حدد تاريخها بالنسبة للعائلة W فحصل بذلك على مجموعة من البطاقات تضم صفر ١٤٣٠٤٤٥٠٦ من هذه الأشكال . فإذا عملت نسبة أواني العائلة C التي تحتويها كل مجموعة من هذه المجموعات لوجدناها تكون ١/٦ المجموعة صفر و ١/٦ من المجموعة ١ و ١/٦ من المجموعة ٢ ثم تختفي الأواني C في المجموعات ٣ و ٤ و ٥ و ٦ فتخرج بترى من ذلك بنتيجة هي أنه مضت مدة بين اختفاء الأواني C وبين ظهور الأواني W وأن أشكال العائلات B و P و R المرافقة للعائلة C هي أكثرها قديماً .



٤٢



١



٤



٥٢

(شكل ٧)

يبين تدهور التماثيل للموجة بين الرقم ١ W والرقم 90 W.

وهذه الأرقام هي ما سماها بترى بالتأريخ التتابعى (Sequence Dating). فالرقم ٣٠ يمثل أقدم المقابر بين التسعمائة مقبرة التى فحصها بترى وبني عليها تأريخه ، وأما الأرقام من ١ إلى ٢٩ فقد تركها بترى لماعاء أن يظهر من مقابر أقدم من مقابر التسعمائة المشار إليها . ولقد كان هذا الاحتياط من بترى عظيم الفائدة فقد كشف برنتون بعد ذلك حضارة البدارى التى دلت دراستها على أن مقابرها أقدم من أية مقبرة فى مجموعة بترى أى أقدم من الرقم ٣٠ . وأما الرقم ٧٩ فقد جعله بترى معاصراً للحكم الملك مينا أى لسنة ٣٢٠٠ قبل الميلاد ، وهذه هى الصلة الوحيدة بين تأريخ بترى التتابعى وبين التاريخ العام . وقد لاحظ بترى بحق أنه من الصعب أن يربط أرقامه — فيما عدا الرقم ٧٩ — بالسنوات ، فالزمن ليس واحداً بين كل رقم ورقم ، وكل ما فى تأريخه التتابعى أنه عبارة عن ترتيب ، فهذا يسبق ذاك وهذا يأتى بعد ذاك ولكن لا يمكن إعطاء سنوات ولو تقريبية لهذا وذاك .

وقد أخرج بترى فى ١٩٠١ كتابه (Diospolis Parva) الذى يضم سجلاً بأشكال الأواني الفخارية فى عصر ما قبل الأسرات وأتبعه بسجل آخر فى سنة ١٩٢١ (Corpus of Prehistoric Pottery) أعطانا فيه شكل كل آنية معروفة حينذاك وبيان موقعها من التأريخ التتابعى ، ونستطيع بفضل هذا السجل أن نضيف إليه ما كشف من أواني بعد نشره ، كما نستطيع أن نحدد بمقتضاه تاريخ المقابر التى كشفت من بعده .

والنظرية التى قام عليها تأريخ بترى التتابعى مقبولة لأنها تنبنى على أن تقليد الشيء أقل كمالاً من الأصل ، ثم إن تقليد التقليد أكثر بعداً عن الأصل ، وهكذا كلما تدرجتنا فى الحداثة اجعدنا عن الأصل . ولكن وجد أن هذه النظرية التى انطبقت على الأواني الفخارية لم تنطبق على الأشياء الأثرية الأخرى كاللوحات الحجرية المشكلة على هيئة حيوانات ، فإن اللوحات الأحدث تكون أكل تصويراً لشكل الحيوان من اللوحات الأقدم بسبب رقى الفن ،

ومن ثم كانت أكل اللوحات الحجرية موجودة في المقابر مختلطة بأحط
الارواني الفخارية . ومع أن هذا الارتباط ليس مضطرباً في جميع الاحوال
إلا أنه يدل على أن المقابر لوربتت بحسب هذه اللوحات الحجرية لكان
ترتيبها مغايراً لترتيبها حسب الارواني الفخارية . ومعنى هذا أن المقياس الذي
اتخذته بترى لتأريخه التتابعى ليس بلا عيوب ، يضاف إلى هذا أن العمليات
التي قام بها للوصول الى هذا التاريخ معقدة وكثيرة العدد . ويبلغ عدد هذه العمليات
ثمانية عشرة على الأقل ، منها العملية السادسة عشرة التي تقوم على المراجعة
الموضوعية والفنية للارواني الفخارية . والمراجعة الموضوعية والفنية
تقديرية تختلف نتيجة باختلاف ذوق الاثرى ووجهة نظره . فلو قام أثرى
آخر بعمل التاريخ التتابعى معتمداً على نفس القواعد التي وضعها بترى فانه
سيميل حتماً الى نتائج مختلفة عن النتائج التي وصل إليها بترى ، إذ من المستحيل
أن نجد اثنين يتفقان مع بعضهما اتفاقاً تاماً في النظرة الموضوعية والتقدير
الفنى للآثار .

ولقد قبل معظم الأثريين تأريخ بترى التتابعى ولكن بعضهم لم يقبله إلا
باحتفظ ، فقالوا إنه من الجائز أنه ينطبق على الإقليم الذي خصه بترى وهو
الصعيد الجنوبي ولكنه لا ينطبق على جهات القطر الاخرى سواء في الصعيد
الشمالي أو الدلتا أو النوبة . ولقد قال كل من ريزتر وفيث وينكر وشارف
بأنهم لا يستطيعون استخدام تأريخ بترى التتابعى لتأريخ الجبانات التي كشفوها
في شمال مصر وبلاد النوبة إذ وجد أنه لا ينطبق عليها .

وقد رتب بترى ومدرسته حضارات عصر ما قبل الأسرات تبعاً للتأريخ
التتابعى على النحو الآتى :

حضارة البدارى تمتد من ٢١ الى ٢٩

حضارة العمرة تمتد من ٣٠ الى ٣٧

حضارة جرزة تمتد من ٣٨ الى ٦٠

حضارة مماتنة تمتد من ٦١ الى ٧٨

وقد وجد أن هذا التوزيع العددي بين الحضارات لا يتفق مع الترتيب الطباقى فى الهامية ، إذ وجد بين طبقة البدارى وبين طبقة العمرة ثم بين طبقة العمرة وبين طبقة جزرة طبقة متوسطة تختلط فيها آثار أقدم الحضارات بآثار أحدثها ، وهذا أمر طبيعى لأن الانتقال الحضارى يكون متدرجا فى العادة ولا يتم فجأة كما تفرض الأرقام التى وضعها بترى . فنحن لا نستطيع إطلاقا أن نقول هنا تنتهى حضارة كذا وتبدأ حضارة كذا . يضاف الى هذا أمر هام هو أن بترى لم يراع التوزيع الجغرافى لحضارات العصر الذى أراد تأريخه . فمن الثابت أن حضارة جزرة لا تمثل بوضوح فى الصعيد الجنوبى إلا ابتداء من الفترة الوسطى من عصر ما قبل الأسرات فى حين أنها وجدت فى مصر الشمالية قبل هذه الفترة ، فبينما كان الشمال فى دور حضارة جزرة كان الجنوب مازال فى دور حضارة العمرة .

ونستطيع أن نستخلص من هذا كله أن جدول الحضارات كما رتبته بترى لا يطبق إلا على الصعيد الجنوبى .

غير أن أخطر نقد وجه الى نظام التأريخ التتابعى ما قالت به باوم جارتل إذ لوصح تقدها لوجبت إعادة النظر فى هذا النظام وفى ترتيب الحضارات الذى قام عليه . فالدكتورة باوم جارتل تقول إن بعض أوائى المجموعة W — وهى المجموعة ذات المقابض المموجة — مشكوك فى تاريخها وضربت مثلا لذلك بالآنية رقم ١ فى هذه المجموعة فقالت أنها مشتراه ولا تعرف المقبرة التى أخرجت منها . ولما كان تأريخ بترى التتابعى يقوم على تطور هذه المجموعة فإن أى شك يحوم حول أحداها يقوض أساس التأريخ كله . ونحن مضطرون الى أن ننظر الى كلام باوم جارتل بعين الاعتبار فهى من أكثر الناس دراية بمجموعة بترى الأثرية لأنها كانت مكلفة من قبل جامعة لندن بعمل كتالوج لهذه المجموعة .

على أن باوم جارتل لا تنكر على بترى عبقرية فى استنباط فكرة التأريخ التتابعى ووضع نظام له مبني على مبادئ من عيوبه ، فانه يساعد على تقسيم عصر ما قبل الأسرات الى مرحلتيه الرئيسيتين ولكنها تشك فى التواريخ النسبية المعطاة للآثار

بقي داخل كل مرحلة ، وهي من أجل هذا ترى أن التاريخ التابعي في حاجة إلى مراجعة دقيقة وإلى تجديد كبير بحيث يدخل الآثريون في حسابهم نتائج الحفائر التي عملت بعد عهد بترى .

الربط بين الحضارات المصرية وبين حضارات بلاد النهرين

لما كانت حضارات بلاد النهرين تعتبر منافسة للحضارات المصرية في عصر ما قبل الأسرات فقد حاول الأثريون الربط بينهما ربطاً تقافياً وزمنياً .

ففي العراق أمكن التمييز بين ثلاث مراحل حضارية تعتبر من أجل زمنية في نفس الوقت هي العبيد والوركاه وجمدة نصر ، وبقي بعد الحضارة الأخيرة عصر الأسرات . ويرى شارف أن حضارة العبيد تقابل النصف الأول من المرحلة الأولى لمصر ما قبل الأسرات المصرية ، وأن حضارة الوركاه تقابل النصف الثاني من هذه المرحلة الأولى ثم النصف الأول من المرحلة الثانية . وأما حضارة جمدة نصر فتقابل النصف الثاني من المرحلة الثانية لعصر ما قبل الأسرات المصري ثم المرحلة الثالثة كلها ، ثم مرحلة ما قبل طينة ، أي المرحلة التمهيدية لقيام الأسرة الفرعونية الأولى ، أي أن الاسرتين المصريتين الأولى والثانية — وهما الأسرتان الطينيتان — تقابلان الأسرات العراقية الأولى . ولكن دبلايورت يرى رأياً مخالفاً لهذا فهو يقول إن حضارة العبيد تقابل كل عصر ما قبل الأسرات المصري بمراحله المختلفة . ثم تأتي حضارة الوركاه فتقابل مرحلة ما قبل طينة ثم تأتي جمدة نصر فتقابل المرحلة الطينية تسهما أي الاسرتان الفرعونيتان الأولى والثانية .

وأما في إيران فينبغي التقسيم التاريخي على الترتيب الطبقي بمنطقة صوصة . ويحقق كل من شارف ودبلايورت على أن حضارة صوصة الأولى معاصرة لحضارة العبيد ، ومرحلة الانتقال معاصرة لحضارة الوركاه ، وصوصة الثانية معاصرة لحضارة جمدة نصر والاسرات الأولى في العراق ، وأما في مصر فتعاصر أواخر عصر ما قبل الأسرات وأوائل عصر الأسرات .

ونستطيع أن نلخص ترتيب الحضارات في عصر ما قبل الاسرات في كل من مصر والعراق وإيران ووضع كل منهما بالنسبة للأخرى في الجدول الآتي :

مصر	العراق	إيران
الأسرة الأولى (طينة) ما قبل طينة	الأسرة الأولى	موسى الثانية
جرزة	جمدة نصر	
المادى	أوروكاه	مرحلة انتقال
هليوبوليس		
حلوان		
المعرة	الميد	موسى الأولى
البدارى		

بعض المراجع

1. Burkitt (M.C.) The Old Stone Age, Cambridge 1949.
2. Goupy (G.) Origine et Evolution de L'Homme, Paris 1948.
3. Lips (J.E.) The Origin of Things, London 1949.
4. Massoulard (E.) Prehistoire et Protohistoire d'Egypte, Paris 1949.
5. Petrie (F.) Corpus of Prehistoric Pottery and Palettes, London 1921.
6. Caton Thompson (G.) & Gardner (E.W.), The Desert Fayam Gloucester, Britain 1934.
7. Caton Thompson (G.) The Prehistoric Geography of Kharga Oasis, The Geographical Journal. Vol. 80, 1932.
8. De Pradenne (A.V.) Prehistory, London 1940.
9. Baumgartel (E.J.) The Cultures of Prehistoric Egypt, London 1947.
10. Zeuner (F.E.) Dating The Past, London 1950.

سكان مديرية البحيرة في خمسين عاما

(١٨٩٧ - ١٩٤٧)

القسم الثاني

بقلم

الدكتور محمد محمود الصياد

(٣)

توزيع كثافة السكان

النيل وكثافة السكان

تختلف درجة كثافة السكان من منطقة الى أخرى ويرجع السبب الأول في هذا إلى اختلاف الظاهرات الطبيعية كالمطوح والتربة والمناخ ^(١) . ولكن بجانب هذه الظاهرات توجد عوامل بشرية يجب ألا تغفلها، وإلا استعصى علينا تعليل اختلاف درجة تراحم السكان في البيئة الواحدة في أوقات مختلفة .

وبين الجدول الثاني عشر الخاص بكثافة السكان في مديريات الوجه البحرى أن هناك علاقة وثيقة بين كثافة السكان وموقع المديرية بالنسبة للنيل فالنوعية التي تقع عند انقراج الدلتا مباشرة ، وبهذا تفوق للمديريات الأخرى تمتعاً بالنيل طمياً وماء ، كانت دائماً أولى مديريات الوجه البحرى كثافة سكان ثم تليها مديرية القليوبية التي لا تشعب بعيداً عن النيل ، فالدقهلية التي وإن تكن حدودها تسير شوطاً طويلاً مع فرع دمياط إلا أنها تتسع نحو الشرق كلما اتجهنا نحو الشمال فتصبح بها مراكز لا تشرف على النيل ولا تصل إليها المياه

(١) راجع الفصل الذي كتبه هوتن (١٩٣٦) من الانسان والبيئة ص ٧٥ - ١٠٥

الجدول الثاني عشر

كثافة السكان في مديريات الوجه البحري في السنة تعدادات
(١٨٨٢ — ١٩٣٧)

عدد السكان لكل كيلو متر مربع					
١٩٣٧	١٩٢٧	١٩١٧	١٩٠٧	١٨٩٧	١٨٨٢
٢٣٦	٢١٧	١٩٨	١٧٠	١٤٠	٨٨
٤٦٣	٤١٠	٣٧٥	٣٣٢	٢٨٢	٢٢٥
٢٢٢	٢٠١	١٨٩	١٦٩	١٤٤	٨٨
٢٨٠	٢٥٥	٢٣٦	٢١١	١٨٤	١٢١
٦٥٠	٥٩٦	٥٦٤	٤٩٥	٤٢٣	٢٨٩
٧٢٨	٦٩٣	٦٧٣	٦٠٩	٥٤١	٤١١

إلا بعد أن تكون قد مرت على مساحات واسعة استنفدت الجزء الأكبر من مياهها ، ويشبه الدقيلية في تشعبها بعيداً عن النيل مديرية الشرقية ، وإن تكن تختلف عنها بل عن مديريات الوجه البحري جميعاً في أنها المديرية الوحيدة التي لا يكون نهر النيل أى جزء من حدودها . ومن ثم أدت طبيعتها شبه الصحراوية إلى انخفاض كثافة السكان فيها فأصبحت أقل منها في أى مديرية أخرى .

أما الغربية فهي وإن تكن واقعة بين فرعي النيل إلا أن الفرعين يتعدان كلما اتجهنا شمالاً ثم إن الترع تصل إلى المديرية بعد أن تسير في مديرية المنوفية غالباً لمسافة طويلة تفقد فيها قدراً كبيراً من مياهها . ولهذا كانت كثافة السكان في الغربية أقل دائماً من نصف كثافتهم في المنوفية .

والى الغرب من فرع رشيد تمتد مديرية البحيرة فتشمل كل أراضي الدلتا الواقعة على الضفة اليسرى للنهر وتمتد متوغلة نحو الشمال الغربي في صحراء ليبيا ، فيشرف بعض مراكزها على النيل ويشرف البعض الآخر على الصحراء ، وقد يشرف المركز الواحد على النيل والصحراء معا أو يشرف على النيل

والبحر والبحيرات . ويضاف إلى هذا أن المديرية كما يقول السير ويليام ويلكوكس : « أكثر المديريات صعوبة فيما يختص بالرى^(١) » . ومن ثم كانت غير متكاثمة السكان بالنسبة للمديريات باستثناء مديرية الشرقية التي تقل عنها ازدحاماً .

من هذا العرض السريع لمديريات الوجه البحرى نخرج بالحقيقة التالية وهي « أن أكثر المديريات ازدحاماً بالسكان هي أقربها إلى النيل ، ذلك لأن عوامل العمران الزراعى أكثر توافراً فيها ، فهي أخصب المديريات أرضاً ، وأوفرها ماء ، وأسهلها مواصلات ، وأن أقل المديريات ازدحاماً بالسكان هي أبعداها عن فرعي النيل لأنها أضعفها أرضاً وأكثرها بوراً وأشدّها حاجة إلى ماء الرى وإلى طرق المواصلات » .

كثافة السكان في مديرية البحيرة

هذه العلاقة بين النيل وكثافة السكان تظهر واضحة في مديرية البحيرة التي يقع بعض مراكزها على النيل ويتشعب البعض الآخر بعيداً عنه ولذا كانت الأولى في مجموعها أكثر سكاناً من الأخرى وكانت نسبة الأراضي البور الى مجموع زمامها أقل منها في المراكز المتشعبة بعيداً عن النيل ، كما يوضح ذلك الجدول الثالث عشر ، وعلى ضوء هذه الحقيقة يمكن أن نقسم مراكز البحيرة الى مجموعتين :

١ — مراكز تشرف على النيل ، وهذه تزيد نسبة الكثافة فيها عن متوسط كثافة المديرية (٢٣٦) وتشمل الحموديه (٥٢٠) وكوم حماده (٤٣٨) وإبناى البارود (٤٠٣) وشبراخيت (٣٨٨) . ثم مركز رشيد ويشذ عن المراكز السابقة في أن كثافة سكانه أقل من متوسط الكثافة في المديرية (١٦٥) ولكن السبب في ذلك هو أن مساحته الجغرافية تزيد كثيراً عن زمامه الزراعى إذ تشمل مسطحات « بحيرة ادكو » ومنطقة الكشبان الرملية المحصورة بينها وبين ساحل البحر الأبيض المتوسط .

(١) ويلكوكس (١٨٩٩) ص ٩٨ . Egyptian Irrigation. 2nd. Ed.

الجداول الثالث عشر

كثافة السكان ومساحة البور في مراكز مديرية البحيرة

كثافة السكان في كل م. ١٩٣٧	١٩٤٥ — ١٩٤٤			١٩٣٧ — ١٩٣٦			المركز
	نسبة ٢ الى ١ ٪	٢ مساحة البور	١ الاراضي الزراعية	نسبة ٢ الى ١ ٪	٢ مساحة البور	١ الاراضي الزراعية	
٧٧	٧٠.٠	١٧٢٤٧٠	٢٤٤٨٣٤	٥٨.٢	١٢٤٢٥٥	٢١٢٣٦٦	أبو المطامير .
١٨٩	٣٥.٢	٤٩٠٣٤	١٣٩٠٣٦	٤٤.٢	٦١٤٩٤	١٣٩١٢٦	أبو حص .
١٩١	٣٢.٤	٣٠٤١٩	٩٣٦٣١	٤٢.٦	٣٩٧٨٩	٩٣٤٢٥	الدلتحات .
٩٤	٣٨.٨	٨٧٩٣٧	٢٠٢٨٨	٣٩.٠	٦٧١٨٩	١٧٢٢٨٠	كفر الدوار
٢٣٢	١٢.٤	١٣٨٢٢	١١١٣٢٧	١٧.٠	١٨٩٩٦	١١١٢٠١	مركز دمنهور
١٦٥	٧٦.٨	٧٨٤٣٣	١٠٢١٠١	٣٤.١	٣٧٧٧٩	١١٠٦٧٩	رشيد .
٤٣٨	٣٣.٣	٢٩٧٣٣	٨٦٢٠٩	٨.٩	٦٢٠٥	٦٨٥٩٥	كوم حاده .
٥٢٠	١٥.٥	٤٨٨٤	٢٤٩٨٩	٩.٤	١٨٦٨	١٩٨٧١	الحمودية .
٢٨٨	٦.٢	٣٨٠٥	٦٠٤٤٢	١٠.٥	٦٦٣٧	٦٣٢٠٤	شبراخيت .
٤٠٣	٧.٣	٥٣١٨	٧٣٦٣٢	١١.٤	٧٣٥٦	٧٧٥٦٠	إيتاى البارود

٣ — مراكز تشعب بعيداً عن النيل وهذه تقل نسبة الكثافة فيها
عن متوسط كثافة المديرية وتشمل دمنهور (٢٣٢) وكفر الدوار (١٩٤)
والدلتحات (١٩١) وأبو حص (١٨٩) وأبو المطامير (٧٧) .

هذا التقسيم العام لا يعطى فكرة صادقة عن كثافة السكان في جهات
المديرية المختلفة ، إذ أن أساسه المركز ، وقد يكون المركز من الاتساع
واختلاف الظروف المحلية بحيث يختلف شماله عن جنوبه وشرقه عن غربه
ولهذا كان لا بد من دراسة الكثافة في أصغر الوحدات الادارية وهي القرية

(١١) تشمل عشور الاسكندرية ومريوط وبلدية .

(١٢) تشمل أراضي بحيرة ادكو .

(١٣) تشمل الاراضي الصحراوية في المركز .

الجلول الرابع عشر

المساحة الحالية لمراكز مديرية البحيرة وكثافة السكان في كل منها
في السنة تعدادات (١٨٨٢ — ١٩٣٧)^(١)

المركز	المساحة الحالية ك. م.	عدد السكان بكل كيلو متر مربع					
		١٨٨٢	١٨٩٧	١٩٠٧	١٩١٧	١٩٢٧	١٩٣٧
أبو حمس . .	٥٨٤١	٤٣	٩٣	١٢٠	١٤٤	١٦٥	١٨٩
أبو المطامير .	٨٩٧٠	٦	٢٣	٤٣	٤٩	٦٧	٧٧
إيتاي البارود	٣٠٩١	٢٠٤	٢١١	٢٢٣	٢٨٢	٤٠١	٤٠٣
الفلجات . .	٢٩٢٧	٧٨	١٥٨	١٧٦	١٩٥	١٨٧	١٩١
بندر دمنهور .	٦٠	٣٧٨٤	٥١٦٣	٥٦٩٠	٦٧٧٧	٨٦١٨	١٠٣٢٧
مركز دمنهور	٤٥٦٨	٧٧	١٣٥	١٦٤	١٩٣	٢٢٠	٢٣٢
رشيد . . .	٤٥٠٥	٧٢	٨٢	٩٤	١١٥	١٣٧	١٦٥
شبراخيت . .	٢٥٤١	٢٣٥	٢٧٨	٣١٩	٣٤٨	٣٦٢	٣٨٨
كفر الدوار .	٦٨٢٠	٢٤	٦٣	١١٢	١٥٤	١٧٦	١٥٤
كوم حادة .	٣٧٨٠	٢١٩	٢٣٣	٢٨١	٤٢٠	٤٢٧	٤٣٨
المحمودية .	٨٥٠٩	٢٣٧	٣٠٧	٣٨١	٤٢٣	٤٢٣	٥٢٠
البحيرة . .	٤٤٩٦٢	٨٨	١٤٠	١٧٠	١٩٨	٢١٧	٢٣٦
القطر المصري	٣٤١٨٣٨	١٩٥	٢٨١	٣٢٦	٣٧١	٤١٢	٤٦٣

ولقد وضعت لهذا الغرض خريطة كثافة السكان المرفقة بهذا البحث وكان
أساسها الأرقام الواردة في تعداد سنة ١٩٣٧^(٢) .

بناء على هذه الخريطة نستطيع أن نقسم مديرية البحيرة من حيث كثافة
السكان فيها إلى المناطق الآتية :

١ — مناطق أقل من ١٠٠ نفس في الكيلو متر المربع وتشمل كل
الأراضي الواقعة إلى جنوب ترعة الخارج في مركز أبو المطامير وبعض

(١) راجع كتاب التعداد لسنة ١٩٣٧ ج ٢ الجدول السابع .

(٢) تعداد السكان لسنة ١٩٣٧ الكراسة رقم ١٢ الخاصة بمديرية البحيرة .

أراضي المركز الواقعة في شمال تلك التربة في الجهات الشرقية من المركز
تقس (منطقة حرارة) حيث توجد التربة الرملية . وفي جنوب مركز دمنهور
(منطقة البرنوجي) حيث التربة الملحية . كما تشمل مناطق واسعة تحيط
ببحيرة إدكو من الشرق والجنوب ، وهي في الشرق أضيق منها في الجنوب
إذ يبدأ أثر الاقتراب من النيل يظهر واضحاً في تراحم السكان .

٢ — مناطق من ١٠٠ إلى ١٩٩ نفساً في ك . م^٢ وتشمل بقية مركز
أبوالمطامر . وكل مركز كفر الدوار ماعدا الجهات الشمالية الشرقية منه .
والمنطقة المحصورة بين مصرف العموم ومصرف شريعة في مركز أبو حمص .
وأقصى الشمال الغربي من مركز الدلنجات (منطقة أبو الشفاف والحجر
المحروق) . والمناطق الساحلية الممتدة بين البحر الأبيض المتوسط وبحيرة
إدكو . ثم تقطاً متفرقة في مركز كوم حمادة في الشريط الضيق من الأراضي
الزراعية الممتد على طول رياح البحيرة وكذلك بعض جهات مراكز
دمنهور وشبراخيت وإتاي البارود التي تسود فيها الملكيات الكبيرة وأبلاك
الاولاف بصفة خاصة .

٣ — مناطق من ٢٠٠ إلى ٣٩٩ نفساً في ك . م^٢ وتشمل أكثر من نصف
المدينة فتضم معظم مراكز إيتاي البارود وشبراخيت ودمنهور والمحمودية .
وتمتد في شريط ضيق على طول نهر النيل حتى مدينة رشيد .

٤ — مناطق من ٤٠٠ إلى ٥٩٩ نفساً في ك . م^٢ وتشمل في معظم مراكز
كوم حمادة وفي مناطق متفرقة على طول فرع رشيد وعلى ضفاف ترعة
المحمودية .

٥ — مناطق من ٦٠٠ إلى ٧٩٩ نفساً في ك . م^٢ : في مركز كوم حمادة
(منطقة زاوية البحر وكفر بولن) حيث يبدأ تفرع الترع الرئيسية
في المديرية (النوارية وأبوياب وامتداد رياح البصرة) وفي المناطق الزراعية
حول البنادر الكبرى كدمنهور وكفر الدوار وكوم حمادة .

٦ — مناطق من ٨٠٠ الى ٩٩٩ نفساً في ك.م^٢ وتمثل في بعض القرى القديمة في مركزى شراخيت وكوم حمادة .

٧ — مناطق أكثر من ألف نفس في الكيلومتر المربع وتمثل في البنادر الكبرى (دمهور — كفر الدوار — رشيد — المحمودية — أبو حصص) ولكن من الأصوب أن نعتبر هذه البنادر منفصلة عن تقسيمنا وأن نقيم كثافة السكان فيها على ضوء العوامل العامة التي تحدد نمو المراكز الحضرية .

وأهم ما يلاحظ على هذا التقسيم (راجع خريطة الكثافة) هو التدرج من المناطق الكثيفة السكان في الشرق والجنوب الشرق الى المناطق المخلفة الكثافة في الغرب والشمال الغربى . هذا التدرج يرتبط بتدرج العوامل الطبيعية والاقتصادية في المديرية . أى يرتبط بالسطح والتربة من جهة ، وتوفر ماء الرى وسهولة الصرف من جهة أخرى . فإذا ألقينا نظرة على الخريطة الكتورية لمديرية البحيرة نجد أن الأجزاء الشرقية والجنوبية الشرقية ترتفع الى (٨-٤ متر) ثم يأخذ السطح في الانخفاض التدريجى كلما اتجهنا شمالاً وأغرباً حتى يصبح الجزء الأكبر من مركزى أبو المطامير وكفر الدوار واقعاً تحت مستوى سطح البحر . وهذا يساعد على سهولة صرف الجهات الجنوبية الشرقية من المديرية بينما يجعل الأجزاء الشمالية والغربية ودثة الصرف كثيرة الاملاح . ولهذا كان إقليم البرارى قليل الخصب محدود الانتاج منتشر السكان على حين كانت جهات الجنوب والشرق وفيرة الخصب موفرة الانتاج مزدهرة بالسكان .

ولكن التربة ومبلغ خصوبتها وإن كانت قد أثرت كثيراً في توزيع سكان المديرية إلا أن هناك عاملاً آخر يجانبها يجب ألا تغفله وهو مياه الرى وكيفية الحصول عليها . فالمديرية كلها خاضعة لنظام الرى الدائم ولكن معظم ترعها سيئ التخطيط ولذا كانت الأجزاء الواقعة عند نهايات الترع وخاصة في الغرب لا تحصل دائماً على كفايتها من الماء خصوصاً وأنه كثيراً ما يساء استعمال المياه في الأحباس الأولى من تلك الترع . ولما كان إيراد مياه النيل في الصيف

لا يبق في معظم السنين لسد حاجة الأراضي المزروعة في الوقت الحاضر^(١) فقد أصبح العمل على جعل موارد الماء كافية لحاجات الزراعة المتزايدة هو المشكلة الأولى التي تواجه المشرّفين على شئون الري . والواقع أن عدم توفر مياه الري في الصيف هو أكبر عقبة تقف في سبيل إصلاح الأراضي البور الواسعة في غرب المديرية وشمالها إذ أن هذه الأراضي المأحقة تتطلب غسلاً مستمراً وغمرًا متكرراً بالماء . ويضيق الارز في أغراض الاستصلاح أى محصول آخر ، ولكن مساحة الأراضي التي يصرح بزراعتها أرزا تختلف من عام إلى آخر ويحددها كمية المياه الصيفية الواردة إلى المديرية . وبين الجدول الثالث عشر مساحة الأراضي المزروعة وغير المزروعة في مراكز المديرية المختلفة . وتلبي دراسة هذا الجدول ضوءاً على التوزيع الحالي للكثافة ومدى التغيير الذي يمكن أن يطرأ عليها إذا ما أمكن التوسع في زراعة الأراضي البور في المديرية .

مستقبل توزيع السكان في المديرية

على ضوء الدراسة السابقة يتضح أن مستقبل توزيع كثافة السكان في مديرية البحيرة إنما يتوقف بصفة خاصة : على مدى توفر المياه اللازمة لإصلاح الأراضي البور والتوسع الزراعي المترتب على إصلاحها . ولعل أهم المناطق التي يهتبط نمو السكان فيها فترتفع تبعاً لذلك درجة تراجمها المناطق التالية ؛ نذكرها بحسب أهميتها من حيث كثافة السكان في المستقبل :

١ — منطقة تفتيش الخاصة الملكية بأدفينا :

وتبلغ مساحة التفتيش نحو ١٦,٦٠٠ فداناً اقتطع معظمها من بطائح بحيرة ادكو ومناقبها واستخدام الجبس الزراعي في إصلاحها وتخليصها من الاملاح . وتروى هذه الأراضي بالراحة في مدة الفيضان من النيل مباشرة أو من ترعة الرشيدية ، أما في بقية السنة فالري بالآلات التي يبلغ متوسط إدارتها نحو ١٥٠ يوماً في السنة . وتصرف أراضي التفتيش بالراحة في مصرفين

(١) سر دوخ ماكديونال (١٩٢٠) « ضبط النيل » ص ١

عموميين هما مصرف الشامسة ومصرف المحيط اللذين ينتهيان إلى مصرف البوصيلي حيث تقوم محطة طلمبات صرف البوصيلي .

من هذا يتبين أن حالة الري والصرف في التفنيش جيدة . هذا فضلاً عن العناية التامة المبذولة في إصلاح الأراضي وإنشاء العزب الجديدة الأمر التي يبشر بان هذه المنطقة سيتكاتف بها السكان في القريب العاجل .

٢ — منطقة شمال مركز أبو حمص :

وتربة هذه المنطقة كثيرة الأملاح يتطلب إصلاحها مشروعات كثيرة للري والصرف معاً . ولما كانت المنطقة منخفضة السطح كان لابد من إنشاء الطلمبات للصرفها . وقد أنشئت فعلاً لهذا الغرض محطة « حلق الجمل » « وزرقون » ولكن مازالت مياه الري غير متوفرة خصوصاً وأن تربة المحمودية يعمل دائماً على حفظ منسوبها عالياً لتغذية الاسكندرية بمياه الشرب ولتسهيل الملاحة فيها .

٣ — منطقة غرب كفر الدوار وأبو المطامر :

والتربة في هذه المنطقة بصفة عامة ميسورة الإصلاح ، ولكن وقوعها في نهايات الترع يجعل من الصعب مدها بالماء اللازم . ويتوقف تقدم هذه المنطقة من المديرية على توفير الماء اللازم لأراضيها ، وخاصة في فصل الصيف . وحتى يتوفر هذا الماء يمكن البدء في علاجات دقيقة منها حفر الآبار الارتوازية والمحافظة على مياه الترع في أحباسها الدنيا والوسطى بمنع الفلاحين من التبذير في استخدام الماء ، إذ أن الفلاح المصري ميال دائماً إلى إعطاء أرضه أكبر كمية من المياه — دون الاهتمام بمصالح جيرانه — حتى ولو كانت حاجة النبات في أرضه لا تتطلب هذه المياه .

٤ — منطقة البحيرات الشمالية :

تبلغ مساحة الأراضي التي تشغلها بحيرات اداكو ومربوط نحو ١٠٥ ألف فدان غير أن هذه المساحة تتغير كثيراً تبعاً لتغير مستوى الماء ارتفاعاً وانخفاضاً ويمكن تحويل هذه المساحة الواسعة إلى اراضي زراعية تصرف

مياها إلى البحر بواسطة الطلمبات ، خصوصاً وقد نجحت تجربة صرف مياه
ثلاثة هذه البحيرات الشمالية ونفى بها بحيرة أبو قير التي تخلف عنها نحو ٣٠ ألف
فداناً من الأراضي الزراعية .

من هذا العرض يتضح لنا أن مستقبل توزيع الكثافة إنما يتوقف أولاً
على السياسة المائية للبلاد . وقد عنت الحكومة بهذه الناحية منذ سنة ١٩٢٠
فدرست مشاكل الري والصرف . ووضعت الخطط وبنيت عليها الآمال ^(١)
ولكن هذه الآمال كانت أوسع مما تحتمل موارد الخزينة العامة . ومع هذا
فقد سارت الحكومة شوطاً بعيداً في تحقيق خطتها .

غير أنه يلاحظ أن توفير ماء الري وحده لن يستطع أن يحل مشكلة
السكان في مصر حلاً تاماً بل إن هناك عوامل أخرى يجب أن ندخلها
في حسابنا . . . هناك النواحي الاجتماعية والتقليدية لتلك المشكلة : ثم هناك
الجانب العلمي لاستغلال موارد البيئة الزراعية المصرية التي لم تستغل الاستغلال
الكافي إلى الآن . وحتى في المناطق التي تم إصلاحها لابد أن تستغرق هجرة
السكان من جهات المديرية المزدهجة إلى المناطق المستجدة وقتاً غير قصير . وتمثل
قلة الأيدي العاملة إحدى المشاكل الرئيسية في مناطق الإصلاح ، ومجددات
الزراعة صعوبة في الحصول على ما تتطلبه أعمال الإصلاح من عمال ،
كما نجد انصرافاً من الملاحين عن الهجرة إلى الأراضي المستصلحة ، الأمر
الذي وإن كان تماسك الأسرة المصرية وتربطها مسئولاً عنه إلى حد ما
إلا أن هناك بجانبه عوامل أخرى يجب ألا تغفلها . فالفلاح ليس مستعداً
لتغيير محل إقامته بمجرد الرغبة في التغيير بل لابد وأن تكون البيئة الجديدة
أكثر جاذبية ، وهذه ناحية تغفلها الشركات وأصحاب الأملاك في حين
أن المصلحة تدعو إلى توفير كل وسائل الراحة للمهاجرين الجدد . والعمل
على مساعدتهم في بيئتهم الجديدة حتى يطمثوا إليها ويقبلوا على استغلال مواردها .
يجب على المالك أن يهيئ لهم المسكن اللائم وأن يوفر ماء الشرب
الصالح وأن يهدم بالمأشقة والتفجاري . وفي حالة الإيجار بالمشاركة يجب أن يعطي

(١) راجع ماكدونالد (١٩٢٠) .

الفلاح نصيبه كاملاً وأن براعي عند قلة المحصول أن يعطى المستأجر نصيباً يكفيه وعائلته، حتى ولو كان في ذلك الغبن على المالك حتى لا يضطر المستأجر إلى الحرب تحت ضغط الحاجة الملحة . كذلك يحسن أن يعمل المالك على إيجاد عمل للأولاد الصغار حتى لا يضطروا إلى العمل في جهة أخرى تخلق فيهم الرغبة في الزواج إليها وأن يشجع المصاهرة بين المستأجرين الجدد والقداماء وأن يختلط بالمستأجرين ويشعرهم بمطقه، فإن ذلك مما يترك أطيّب الأثر في نفس الفلاح المصري ويدفعه إلى التوطن في مهجره والاستقرار فيه .

أنسب السطاح ومبرر الهجرة

لا تعطى درجة كثافة السكان المطلقة فكرة حقيقية عن وجود مشكلة سكانية أو عدم وجودها ، ذلك لأن درجة تحمل الأرض للسكان تختلف باختلاف الظروف المحيطة بها ، ولهذا كان من الضروري تطبيق نظرية أنسب السكان^(١) (Optimum Population) ، ويقصد بهذا الاصطلاح « الحال التي يكون فيها السكان بقدر ما تحتاجه وتوسع له البلاد فيصبحوا على أحسن ما يكون من رغد العيش في الظروف الطبيعية التي يعيشون فيها والموارد التي في متناول أيديهم^(٢) . ولستأحتاجين في هذا البحث إلى تناول الآراء المختلفة حول هذه النظرية التي مازالت مثار نقاش بين أصحاب العلوم الاجتماعية^(٣) ، ولكن ما نريد أن نشير إليه هو الاجتماع على صعوبة وضع

(١) راجع في هذا الموضوع : عوض (١٩٣٦) الفصل الثامن « السكان في حالة

كآل » ص ١٤٠ — ١٦٧

(٢) المصدر السابق ص ١٥٨

(٣) يربط بعض الكتاب أنسب السكان بظواهر اجتماعية خاصة فينخذون مثلاً انتشار الفقر والمخاطم مستوى المعيشة وكثرة الماطلين دليل على ازدحام البلاد بسكانها ، ويرى الآخرون أن هذه الظواهر كما ترجع إلى ازدحام السكان قد ترجع إلى عوامل أخرى معقدة كسوء نظام الحكومة أو سوء النظام الاقتصادي ... إلخ ، راجع محمود الدرويش (١٩١٠ م ص ٩٣ — ٩٤) . كذلك لا يقبل بعض الكتاب ربط أنسب السكان بالرعاية الاقتصادية وحدها ، بل يبنى أيضاً بالاجبة الروحية وينتقل بالموضوع إلى ناحية فلسفية واسعة الحدود . وهناك فريق آخر لا يقيس أنسب السكان بالمقياس الفردي وإنما يتناول مجموع الأمة كوحدة .

مقياس دقيق نتهدي به الى حالة السكان وتحديد الخط الفاصل بين حالة فقر الالافيم في السكان (Under population) واكتظاظهم (Over population) الأمر الذي يحمل تطبيق النظرية صعباً من الناحية العملية . ويزيد في هذه الصعوبة أن العوامل^(١) التي يقوم عليها هذا المقياس ليست ثابتة، ومن ثم أصبح أنسب السكان ليس بالأمر الثابت ولا تختلف في ذلك المجتمعات الزراعية عن الصناعية . .

وزيما كان من أحسن المقاييس لمعرفة أن السكان قد وصلوا إلى درجة الكمال أو تجاوزوها المقياس الذي يقترحه الأستاذ كار سوندرس (Carr Saunders) لتطبيقه على المجتمعات الصناعية ويخلص في مراقبة دخل الفرد ، فإذا كان هذا المتوسط آخذاً في الزيادة عد هذا دليلاً على أن البلاد في حالة حسنة من حيث عدد السكان وأن هناك محلاً للزيادة في عددهم . فإذا وصل المتوسط إلى حالة استقرار ثم أخذ بعد ذلك في الهبوط التدريجي كان هذا دليلاً على أن البلاد قد بلغت أقصى ما تستطيع تحمله من السكان وأن ليس في مصلحتها أن تتجاوزوه ، فإذا نقص بعد ذلك متوسط دخل الفرد نقصاً فاحشاً كان هذا دليلاً على أن البلاد قد غصت بالسكان ولا بد من التنفيس عنها بطريقة من الطرق^(٢) .

وقد كان من الممكن تطبيق هذا المقياس — مع التجاوز — على مجتمع زراعي كديرية البحيرة ، غير أنه مع الأسف لا توجد لدينا إحصائيات عن متوسط دخل الفرد في المديرية . ومن ثم كان من غير الميسور دراسة أنسب السكان في البحيرة ولو بصورة عامة على أساس هذا المقياس . وإذن لم يعد لدينا إلا دراسة المظاهر العامة لمشكلة السكان لعل فيها ما يثير السبيل .

(١) هذه العوامل أهمها : (ا) الموارد الطبيعية . (ب) النظم القانونية ، واستعداد السكان الفطري والكتسب ، ومهارتهم وخبرتهم . . . الخ . (ج) الظروف الخارجية والداخلية الثلاثة فنشاط الاقتصادى . [راجع عماد : (١٩٤٢) ص ٦٢]
(٢) راجع كار سوندرس (١٩٣٦) ص ٢٣٠ ، عوض (١٩٣٦) ص ١٥٤

يشير تقرير « روبرتسن » عن « السكان والزراعة »^(١) . الذي قدم إلى مؤتمر الحياة الريفية في أوربا ، إلى أن أهم مظاهر اكتظاظ السكان في المناطق الزراعية هي : صغر الملكية الزراعية ؛ وزيادة نسبة الأراضي المزروعة بالحبوب والعلات الغذائية الأخرى ؛ وسوء التثنية ؛ والجمود الزراعي . غير أن هذه المظاهر لا بد من استبعاد بعضها عند تطبيقها على مديرية البحيرة ، فالظروف المحلية في أجزاء المديرية المختلفة ، ثم السياسة الاقتصادية عامة في مصر قد حثمت أنواعاً خاصة من الدورة الزراعية وبالتالي حددت مساحة الغلات المختلفة ، ثم إن اختلاف التربة واختلاف وفرة المياه الصيفية بصفة خاصة وهما أمران لهما أهميتهما في مديرية البحيرة ، ثم موقع بعض المناطق من المراكز الحضرية أو من السوق الرئيسية ... كل هذه أمور يجب أن يحسب حسابها في دراسة نسبة الأراضي المزروعة بالمواد الغذائية . وبذلك يصبح من الأسير الاعتماد على هذه الظاهرة في معالجة موضوع أنسب السكان .

والعل أهم المظاهر التي تبين حاجة السكان والتي يمكن تطبيقها على مديرية البحيرة هي « توزيع الملكية » إذ أنها المظهر الوحيد الذي توجد لدينا الإحصائيات الكافية إلى حد ما . ويزيد في أهمية هذا المظهر أن معظم السكان يعتمدون بطريق مباشر أو غير مباشر على الزراعة . ففي تعداد سنة ١٩٣٧ كانت جملة المشتغلين^(٢) ، ٥٢١,٣١٩ نفساً يشتغل بالزراعة منهم ٣٢٣,٩٧١ نفساً موزعين على النحو الآتي :

٧١١٤٠	صاحب أطيان ومزارع في أرض يملكها
١٦٢٠٧	مزارع يشتغل في أرض يستأجرها .
١٢٤١٤٩	قريب مزارع يساعده في الزراعة . . .
١١٢١٩٨	مزارع أجير
٢٧٧	جنائين وحطاب
٣٢٣٩٧١	المجموع

(١) روبرتسن (١٩٣٩) ص ٥٢ — ٦١

(٢) - كمر تعداد سنة ١٩٣٧ أن عدد المشتغلين بالزراعة من الإناث هو ٥٣ و ٣١٤ ومن الذكور ٢٧٠ و ٦٥٧ نفساً . ولما كان عدد الإناث أكثر من عدد الذكور فنرجح أن يكون عدد المشتغلين بالزراعة منهم لا يقل كثيراً عن عدد الذكور إن لم يكن أكثر منه .

أى أن نسبة المشتغلين بالزراعة إلى مجموع المشتغلين هي ٦٤١ في الألف . وهذه النسبة قليلة في الواقع في منطقة زراعية كديرية البحيرة ، ولكن السبب في ذلك يرجع إلى عدم احتساب نساء الفلاحين من المشتغلين مع العلم بأنهن يساعدن أزواجهن في كثير من أعمال الحقل ^(١١) . ولذلك فلو أضفنا عدد النساء المشتغلات بالزراعة واللاتي يعدن التعداد من « غير المشتغلين » ^(١٢) وتقدر هذا العدد بنحو ٢١٧ ألفا فإن النسبة ترتفع إلى ٧١٣ في الألف . وحتى هذه النسبة الأخيرة لا تزال بعيدة عن الحقيقة ، اللهم إلا إذا ذكرنا إلى جانبها أن المشتغلين بغير الزراعة إنما يخدمون بأعمالهم النشاط الزراعي ويعتمدون عليه كل الاعتماد . فالتجار يشتغل أغلبهم بالتجار في غلات الأراضي . والمشتغلون بالصناعات التحويلية يقوم أكثرهم بصناعات متصلة بالغلات الزراعية اتصالاً وثيقاً ، وكذلك أصحاب النقل وغير ذلك من الصناعات . ولهذا كان من الممكن أن نعتمد في دراسة حالة السكان على نسبة ما يخص هؤلاء السكان من المساحة المزروعة كخطوة أولى لمعرفة مستويات الاقتصادى .

بين الجدول الخامس عشر توزيع ملكية الاراضى في المديرية في سنة ١٩٤٥ ، ولكن يقلل من أهمية هذا الجدول أن الإحصائيات التي بنى عليها بها كثير من نواحي الضعف ، فهي مثلاً تعطى توزيع ثلث الملكية في المديرية بصفة عامة ، ومن ثم فليس من الممكن معرفة الاختلافات الإقليمية وهي ناحية هامة في البحيرة التي يختلف جنوبها وشرقها عن شمالها وغربها اختلافاً بيناً . ثم هي تجعل من الذين يملكون أقل من نصف فدان فئة واحدة وهذا يحول دون معرفة مدى تجزؤ الملكية في الجهات الزراعية القديمة . وهي ظاهرة ليست لها ولكن لم استطع دراستها عن طريق الارقام .

(١١) هذه الظاهرة أقل ظهوراً عند التفتين بالمرف الاخرى لأن نساءهم في الغالب من غير التفتين . والمشتغلات مشهورن بذكرن في التعداد .

(١٢) راجع تعداد ١٩٣٧ ص ٩١ ، ويلاحظ أن جلة التفتين لا تشمل الاطفال دون سن الخامسة .

الجدول الخامس عشر

توزيع ملكية الأطنان في مديرية البحيرة سنة ١٩٤٥ (١)

نسبة الملكية	عدد الملاك	الساحة المملوكة	متوسط مملوكة الفرد	الملاك (٠/٠) إلى مجموعهم	الساحة (٠/٠) إلى حصة الساحة
أقل من ١/٢ فدان	٧٠٤٩١	٢٢٣٦٠٥	٠.٣٣	٦٢٣٢	٣١
من ١/٢ إلى ١ فدان	٢٩٧٠٠	٢٣٣٩٧٧	٠.٧٩	١٨٦١	٣١
١ —	٢٤٤٦٨	٢٧٤٨٨٨	١.٠٨	٨٩٤	٤٨
٢ —	٢٠٤٧٣	٥٩٢٢١	٣.٣٨	١٢٢١	١٢.٧
٥ —	٨١٥٨	٥٧٨٧٩	٧.٠٩	١٥	٧.٦
١٠ —	٢٧٧٧٢	٣٤٧٨٠	١٢.٥٤	١٨	٤.٦
١٥ —	١٤٦٤	٢٦٣١٩	١٧.٨٧	٠.٨	٣.٤
٢٠ —	١١٣٣١	٣١٤٣٠	٢٥.٥٣	٠.٨	٨.١
٣٠ —	١٠٦٣	٤٢٨١٢	٤٠.٢٧	٠.٧	٥.٥
٥٠ —	٩١٦	٦٦٦٨٠	١٣٠.١	٠.٦	٨.٦
١٠٠ —	٤٨٠	٧١٨١٢	١٤٩.٦		
٢٠٠ —	٧٣	٢٢٧٠٣	٣١١.٠		
٤٠٠ —	٢٠٢	١٠٧.٦٣٦	٥٣٣.٨٥		
٦٠٠ —	٧٣	٤٥٥٥٧	٦٢٤.٠٦	٠.٦	٤٣.٥
٨٠٠ —	٢٠	١٦٨٨٥	٨٤٤.٢٥		
١٥٠٠ —	٨٠	٩٢.٠٥٥	١١٥٠.٦٨		
٢٠٠٠ —	—	—	—		
٢٠٠٠ فأكثر	٢	٥٧١٦	٢٧٣.٩٥		
حصة البحيرة	١٦١٦٦٦	٧٦٦٢٤٣	٤.٧٣	١٠٠	١٠٠

(١) الإحصاء السنوي العام سنة ١٩٤٥ (تحت الطبع).

(٢) أوقات فقط.

(٣) أجناب فقط.

يتبين من الجدول أن نسبة ما يخص المالك الواحد بصفة عامة هو ٤٧٣ ف وهي نسبة عالية دون شك ولكنها لا تعطي الفكرة الصحيحة عن توزيع الملكية نظرا لما تمتاز به مديرية البحيرة من انتشار الملكيات الكبيرة حتى أن ٠.٦٠٪ من مجموع الملاك يمتلكون نحو ٤٣٥ ٪ من مساحة الملكيات . ومن بطالع التعداد الزراعى لسنة ١٩٣٩ يرى هذه الحقيقة واضحة كل الوضوح ، إذ نجد أن قرى كثيرة زمامها يصل إلى آلاف الأفدنة يملكها عدة قليل جداً من الملاك . مثال ذلك صفت خالد مركز إجاى البارود مساحة زمامها ٢٤٨٧ فدانا يملكه شخصان ومنشأة رزافة مركز شبراخيت يمتلك شخص واحد زمامها البالغ ١٦٢٥ فدانا . والأمثلة الأخرى كثيرة وخاصة في الجهات الشمالية والغربية من المديرية . غير أن تفاصيل الجدول تنمى كثيرا في دراسة مشكلة السكان . ولعل أهم ما يستدعى النظر فيها انتشار الملكية التفرعية إذ نجد أن ٠.٦٢٢ ٪ من الملاك يمتلكون ٠.٦٢٢ ٪ من الأراضى المزروعة من بينهم ٤٣٦ ٪ . يقل ما يمتلكه الفرد الواحد منهم عن نصف فدان ، ثم الملكية الصغيرة إذ نجد ٢٢٢٢ ٪ من الملاك يمتلكون ١٢٥ ٪ من جملة الأراضى المزروعة ، أى أن ٨٩٤ ٪ يمتلكون ١٨٧ ٪ من الأراضى والباقي وقدره ١٠٠٦ ٪ يمتلك ٨١٣ ٪ من الأراضى . وهذا يوضح سوء حالة غالبية السكان خصوصا إذا تذكرنا أن الأراضى ليست مورد رزق للملاك وحدهم بل لهم ولانسانهم وأطفالهم ومن يعولون من غير هؤلاء . وطبيعى أن يترتب على ذلك سوء حالة الفلاح في مديرية البحيرة فهو بالرغم من عمله المتهل لا يحصل على عيشه الضرورى إلا بشق الأنفس .

ولقد يقال إن مديرية البحيرة مازالت بها مساحات واسعة في حاجة الى الإصلاح فلم لا يهاجر إليها هؤلاء السكان المزدحمون ؟ ولقد يقال إن إنتاج أراضى المديرية مازال أضعف منه في المديرىات الأخرى فلم لا يجعل الفلاح على تحسين إنتاج أرضه ليزيد في ربحه ويحسن من مستوى معيشته ؟ وفوق ذلك كله مازالت المديرية تعنى بإنتاج الغلات التقليدية من الحبوب والقطن فلم لا تعمل على تنويع إنتاجها وفي هذا ربح لها عظيم ؟

هذا كله صحيح . ولكن من التعسف أن نعد الفلاح هو المسئول عن كل نواحيه . فالأراضي البور يحتاج إصلاحها إلى مشروعات الري والصرف وهي أمور لا دخل لقدرة الفلاح فيها . وما زالت الحكومة تعمل على إنعاشها ، كما يحتاج الإصلاح أيضا إلى رأس المال الذي لا يستطيع الفلاح بدخله المحدود أن يوفره ، ومن ثم كان إصلاح الأراضي مما يقوم به كبار الملاك لا صغارهم وهذا يزيد في تعقيد المشكلة . ولكن الحكومة قد عمدت أخيرا إلى تشجيع الملاكيات الصغيرة .

أما العمل على زيادة الإنتاج فلا يمكن الجزم بأنه ممكن في كل أراضي المديرية الزراعية مع زيادة مناسبة في المصروفات بحسب ما يقرره قانون « النلة المتناقصة » Law of Diminishing returns فهناك مناطق كثيرة لا يمكن أن يزيد الفلاح من ربحه فيها بزيادة الاتفاق على الزراعة . وكل ما يمكن عمله في هذه المناطق التي يبلغ فيها الإنتاج أقصاه المربح هو العمل على الاقتصاد في المصروفات .

أما مطالبة الفلاح بتنويع إنتاجه ، أو استخدام الطرق العملية الحديثة في زيادة محصوله ، أو استبدال المحصولات التي ألتها بأخرى جديدة بمجهل طريقة زراعتها فذلك أمر فوق طاقته ، خصوصا وأن مستواه المادي يحتم عليه أن يتحاشى المجازفة بماله المحدود في مثل هذه المشروعات .

وإذا كان لنا أن نلوم الفلاح على شيء ، فهو حبه للاستقرار في قريته وكرهه للهجرة إلى أراضي الاستصلاح وما أوفرها في المديرية ، وإن يكن له شيء غير قليل من العذر في ذلك نظراً لما تتطلبه الهجرة من رأس مال وتظراً لعدم تهيئة كبار الملاك — في معظم الظروف — وسائل الحياة المريحة في تلك البيئات الجديدة .

بعض المظاهر الديموجرافية لمديرية البحيرة

الزكور والاناث

في تعداد سنة ١٩٤٧ بلغ عدد الذكور في مديرية البحيرة ٥٩٨,٥٢٧ نفساً يقابلهم ٦٤٧,١١٦ نفساً من الإناث . فتكون زيادة الاناث عن الذكور ٤٨,٥٨٩ نفساً أى بنسبة ١٠.٨٢ من الاناث لكل ألف من الذكور . وإذا رجعنا إلى الجدول السادس عشر نجد أن هذه الظاهرة — ظاهرة زيادة الاناث على الذكور واضحة في كل التعدادات باستثناء تعداد سنة ١٨٩٧ يوم كان التكتم شديداً في ذكر عدد الاناث عند الفقراء وخاصة في الأرياف^(١) كذلك نلاحظ أن هناك زيادة مضطربة في نسبة عدد الاناث إلى الذكور إلا في تعداد سنة ١٩٣٧ حيث انخفضت النسبة من ١٠.٦٤ في سنة ١٩٢٧ إلى ١٠.٥٨ في سنة ١٩٣٧، ثم عادت إلى الارتفاع مرة أخرى في سنة ١٩٤٧ وليس من السهل أن نعرف بالتأكيد السبب في هذه الزيادة النسبية لعدد الاناث عن عدد الذكور . ولقد يذهب البعض إلى أن هذه الزيادة ربما ترجع إلى زيادة في نسبة المواليد من الاناث . ونحن — وإن كانت لا توجد لدينا لسوء الحظ إحصائيات للمواليد في هذه الفترة كلها — إلا أن الوجود منها يثبت دائماً زيادة مواليد الذكور .

وإذن فما هو السبب في زيادة عدد الاناث التي تسجلها التعدادات ؟

شوهدت ظاهرة زيادة الاناث عن الذكور في أغلب الدول الغربية منذ القدم^(٢) . ويرجع بها في العادة إلى زيادة عدد وفيات الذكور ، إما لأن الاناث أكثر مناعة من الرجال وإما لأن الرجال أكثر تعرضاً

(١) واجه ما كتبته لوليس في تعداد ١٩٠٧ من ٩١ (انجليزى) من ١١٥ (عربى) .

(٢) مبرى (١٩٣٥) من ١٢٠ عام (١٩٤٢) من ٢٠

الجدول السادس عشر

توزيع الذكور والاناث في مديرية البحيرة في السنة تعدادات الأخيرة

(١٩٩٧ - ١٩٤٧) (١)

تاريخ التعداد	عدد الذكور	عدد الاناث	زيادة أو نقص الذكور عن الاناث	نسبة الاناث لكل ألف من الذكور
١٨٩٧	٣١٧٧٠٣	٣١١١٨١	٦٥٢٢ +	٩٧٩
١٩٠٧	٣٨٠٦٠٠	٣٨٤٤٨٧	٢٨٨٧ -	١٠١٠
١٩١٧	٤٤٣٠١٤	٤٤٩٣٣٢	٦٣١٨ -	١٠١٤
١٩٢٧	٤٧٣٢٠٨	٥٠٣٧٥٧	٣٠٥٤٩ -	١٠٦٤
١٩٣٧	٥١٥٧٤٨	٥٤٥٨٤٨	٣٠١٠٠ -	١٠٥٨
١٩٤٧	٥٩٨٥٣٧	٦٤٧١١٦	٤٨٥٨٩ -	١٠٨١

للحوادث والأخطار بسبب طبيعة عملهم . وقد وضع الجدول السابع عشر للمقارنة بين مديرية البحيرة والمحافظات من جهة ، وبينها وبين القطر عامة من جهة أخرى . ومنه يتبين أن نسبة الاناث في المحافظات وإن تكن في زيادة مستمرة إلا أنها ما زالت أقل من نسبة الذكور . وهذا يرجع دون شك إلى أن المحافظات يقيم فيها مؤقتا جماعات من الجند والطلبة . ثم إنها في العادة قبله المهاجرين من الريف أو الخارج وهؤلاء معظمهم من الذكور .

وبين الجدول الثامن عشر والرسم البياني رقمه نسبة الاناث إلى الذكور في مراكز المديرية المختلفة . ومنه يتضح أن هناك اختلافات في النسب في المراكز المختلفة ترجع إلى العوامل الاقتصادية والبشرية في كل منها . فمثلا أقل النسب تظهر في مراكز أبو المطامير ورشيد وكفر الدوار وهذا راجع إلى أن أراضي هذه المراكز من الأراضي المستصلحة حديثا . وما زالت

(١) الأرقام مأخوذة من تعداد سنة ١٩٣٧ ج ٢ الجدول التاسع . أما الفرق والنسب

فن حساب الباحث .

الجدول السابع عشر

نسبة الجنسين في البحيرة والمحافظات والقطر المصري
في الستة تعدادات الأخيرة (١٨٩٧-١٩٤٧)

عدد الاناث لكل ١٠٠٠ من الذكور						السكان
١٨٩٧	١٩٢٧	١٩٣٧	١٩٤٧	١٩٥٧	١٩٦٧	
١٠٨١	١٠٥٨	١٠٦٤	١٠١٤	١٠١٠	٩٧٩	البحيرة . . .
٩٦٥	٩٥٦	٩٠٦	٩٣٨	٨٨٩	٨٨٣	المحافظات . . .
١٠٢١	١٠٠١	١٠٠٩	٩٩٧	٩٩٢	٩٦٩	القطر المصري . .

تجذب الفلاحين الذين يهاجرون إليها دون نسايم في كثير من الأحيان وهذا يؤدي إلى زيادة عدد الذكور وبالتالي انخفاض نسبة الاناث . ويساعد علي زيادة نسبة الذكور في مركز أبو المطامير بالذات استقرار كثير من البدو وتحولهم إلى زرايع وهؤلاء معروف عنهم أن عدد الاناث فيهم أقل من عدد الذكور^(١) . ولكن أخذت أرقام هذا المركز تمشي مع الاتجاه العام لأرقام مراكز المديرية الأخرى في تعداد سنة ١٩٤٧ (الرسم البياني رقم ٦) . ولقد كان من المنتظر أن يكون عدد الذكور في مدينة دمهور أكثر من عدد الاناث ، ولكن الواقع عكس ذلك . وربما كان هذا راجعا إلى أن هذه المدينة وإن تكن عاصمة المديرية إلا أن الزعة الريفية هي الغالبة عليها . حتى لا يمكن أن تميز حتى « شبرا الدمهورية » وهو من أكبر أحياء المدينة عن أى قرية أخرى مجاورة .

وهناك حقيقة أخرى يوضحها الجدول الثامن عشر . وهي أن نسبة الاناث إلى الذكور في معظم مراكز المديرية انخفضت في سنة ١٩٣٧ عنها

(١) لاحظ هذه الظاهرة نفسها الدكتور عمار في دراسته لمديرية الشرقية :
عمار (١٩٤٢) ص ٢٤

الجدول الثامن عشر

نسبة الجنسين في مراكز المديرية في السنة تعدادات الأخيرة

(١٨٩٧ — ١٩٤٧) (١)

المركز	الاناث لكل ألف من الذكور					
	١٨٩٧	١٩٠٧	١٩١٧	١٩٢٧	١٩٣٧	١٩٤٧
أبو حمس . . .	٩٥٢	١٠٠٦	١٠٣٩	١٠٧٨	١٠٥٩	١٠٨٧
أبو الطامير . . .	٩٠٠	٩٣٩	٩٥١	٩٩٥	٩٩٥	١٠٧٢
إبتاي البارود . . .	٩٧٥	١٠١٠	١٠٠٧	١٠٦٥	١٠٧٤	١٠٩٨
الدلتجات . . .	٩٨٢	١٠٠٥	١٠٠٦	١١٠٣	١٠٨٥	١١١٢
بندر دمنهور . . .	١٠٢٢	١٠٥٢	١٠١١	١٠١٥	١٠٨٥	١٠٤٩
مركز دمنهور . . .	٩٦٠	١٠٢٩	١٠٥٠	١١١٢	١٠٩٨	١١٠٦
رشيد . . .	٩٥٩	١٠١٥	١٠١٩	١٠٠١	٩٨٤	١٠٣١
شبراخيت . . .	١٠٣٤	١٠٤٦	١٠٥٤	١١٣٥	١١٠٩	١١١١
كنز الدوار . . .	٩٥٠	٩٧٥	٩٩١	١٠٤٣	١٠٤٥	١٠٤٦
كوم حمادة . . .	٩٨٥	١٠٠٩	٩٩١	١٠٤٥	١٠٥٨	١٠٩٠
الحمودية . . .	١٠٤٩	١٠٤٠	١٠٨٤	١١١٢	١١٠٧	١٠٨١
البحيرة . . .	٩٧٩	١٠١٠	١٠١٤	١٠٦٤	١٠٥٨	١٠٨١

في سنة ١٩٢٧ وقد لاحظت نفس هذه الظاهرة الدكتور عمار في مديرية الشرقية (٢). وأرجعها — شاكا — إلى نقص وفيات الأطفال في السنوات الأخيرة، إذ أنه لما كانت زيادة نسبة الاناث ترجع إلى ارتفاع نسبة الوفيات في الذكور فإن من المحتمل أن يكون الذكور أكثر ربغاً من كل انخفاض يحدث في نسبة الوفيات .

وفي سنة ١٩٤٧ عادت النسبة إلى الارتفاع في كل مراكز المديرية باستثناء بندر دمنهور الذي انخفضت فيه نسبة الاناث من ١٠٨٥ إلى ١٠٤٩ لكل ألف

(١) هذه النسب كلها من حساب الباحث اعتماداً على الارقام الواردة في التعدادات السنة

(٢) عمار (١٩٤٢) ص ٢٤

من المذكور . وربما كان هذا راجعا إلى ظروف الحرب التي اجتذبت كثيرآ من الأيدي العاملة ومعظمها من الذكور إلى مدينة دمهور عاصمة المديرية والمركز الرئيسي للحركة التجارية فيها .

السن

ليانات السن في الدراسة الديموجرافية أهمية خاصة لها من أزر كبير في دراسة الناحية الانتاجية ، وهذا ما دعانا إلى الاهتمام بها . غير أن بيانات السن في التعدادات التي بين أيدينا أقل البيانات تمثيلا للحقيقة ، ذلك لأن الكثيرين من السكان وخاصة سكان الريف يحملون تاريخ ميلادهم . ولا شك أن رب الأسرة الذي يجهل تاريخ ميلاده يكون أكثر جهلا بتاريخ ميلاد من يعطى عنهم بيانات السن من أفراد منزله . ثم إن هناك سبب آخر لا يقتصر على مصر بل يوجد في كل بلاد العالم وهو سبب نفساني يلخص في أن الذين تخطوا دور الكهولة يميلون إلى اعطاء انقهم سنا أكبر ليظهروا بمظهر الشيوخ المحنكين ، وعلى العكس من ذلك متوسطو السن الذين يميلون دائماً إلى اعطاء سن أقل من سنهم ليليدوا في قوة الشباب ويظهر هذا بصفة خاصة في الاناث . ولذلك ليس غريباً أن نجد في بعض الحالات فرقا يصل إلى عشرين سنة بين العمر الحقيقي والعمر الذي يسجله التعداد لبعض الافراد (١) .

ومما يدل على اضطراب بيانات السن ما لا حظته الدكتور كيلاند (٢) من أن عدد إناث القطر المصري البالغ سنهم من ٢٠ إلى ٢٩ سنة في تعداد سنة ١٩٢٧ أكثر من عدد الإناث البالغ سنهم من ١٠ إلى ١٩ سنة في تعداد سنة ١٩١٧ ، وكذلك لاحظ أن عدد الذكور من ٣٠ إلى ٣٩ سنة في تعداد ١٩٢٧ يزيد ٤٩٠٥٣ نفساً عن عدد الذكور من ٢٠ إلى ٢٩ سنة في تعداد ١٩١٧ ، غير أن هذه الملاحظة لا تنطبق على مديرية البحيرة ، كما يدل على ذلك الأرقام التالية :

(١) أشار إلى هذا تعداد سنة ١٩٠٧ م ١١٥ .

(٢) كيلاند (١٩٢٦) ص ١٦ — ١٧ .

179
(15)

الجدول التاسع عشر

توزيع فئات السن الرئيسية في تعدادى ١٩٢٧ و ١٩٣٧
(لكل ألف من السكان)

السنين	أقل من ١٥ سنة		١٥ — ٤٩		فوق ٥٠ سنة	
	ذكور	إناث	جدة	ذكور	إناث	جدة
١٩٢٧	٤٣٥	٤٠٠	٤٦٠	٤٧٢	٤٨٢	٤٦٥
١٩٣٧	٤٢٠	٣٩٣	٤١٣	٤٨٦	٤٨٣	٤٧٥
	١١٢	١١٢	١١٢	١١٢	١١٢	١١٢

وبين الجدول التاسع عشر توزيع السكان على أساس المجموعات التي أخذناها وقد اكتفينا بعداى ١٩٢٧ و ١٩٣٧ إذ أن أرقام تعدادى ١٩١٧ و ١٩٠٧ لا يمكن أن يستخرج منها بيان مماثل لاختلاف تقسيم فئات السن ثم إن نتائج تعداد سنة ١٩٤٧ لم تظهر حتى الآن .

وأهم ما يستلفت النظر في هذا الجدول :

١ — زيادة نسبة الكبار بصفة خاصة ومتوسطى السن على حساب الصغار وسبب هذه الظاهرة في مصر يرجع إلى زيادة نسبة الوفيات في الأطفال وخاصة الرضع ^(١) . ويؤكد هذه الحقيقة مقارنة نسب الأطفال الأقل من ٤ سنوات في التعدادين فيينا تصل نسبتهم في تعداد سنة ١٩٢٧ إلى ١٤٦ في الألف إذا ما تنخفض إلى ١٢٤ في الألف في تعداد سنة ١٩٣٧ غير أن هذه الزيادة في نسبة الوفيات لا ترجع إلى كثرة حقيقية في الوفيات ، بل ترجع إلى التحسن الظاهر في تسجيل الوفيات . الأمر الذي لم يكن مهم به الأهالي وخاصة فيما يتصل بالأطفال ، ولكن موضوع التسجيل أخذ يتحسن في السنوات الأخيرة كما تدل على ذلك تقارير وزارة الصحة .

(١) صحى (١٩٣٥) ص ٩١ — ٩٤

٢ — يتفوق الذكور على الإناث حتى سن الخامسة عشرة، ثم يتفوق الإناث بعد ذلك باستمرار. وهذه ظاهرة طبيعية تنفق فيها مديرية البحيرة مع ما هو ملم به في جهات العالم الأخرى من تفوق الإناث على الذكور بعد سن معين^(١). وسبب هذه الظاهرة هو ما سبقت الإشارة إليه مما هو معروف عن زيادة المواليد الذكور عن المواليد الإناث. ولكن لما كانت وفيات الذكور تزيد على وفيات الإناث في الصغار وتزيد بنسبة أعلى عند متوسطى الأعمار، فإن من الطبيعي أن يتعادل النوعان عند سن معينة يتفوق بعدها الإناث باستمرار.

٣ — إذا طبقنا طريقة صنبرج^(٢) (Sunburg's Age Categories) على مديرية البحيرة فإنه يمكن القول بأن حالة السن فيها على درجة عظيمة من التقدم.

الواحدة المرتبة (الزهرية)

في دراسة الأرقام الخاصة بالحالة المدنية يجب أن نخرج من حسابنا من هم دون السادسة عشرة حيث لا يفترض الزواج قبل هذه السن. ولقد كانت التعدادات كلها تغفل هذه الناحية ولم يتم بها إلا في تعداد سنة ١٩٣٧

(١) صبرى (١٩٣٥) ص ٦١

(٢) يرى صنبرج أن نصف السكان يكون دائماً في السن ما بين ١٥، ١٩ بينما نطراً التغيرات على ثلاث السن الأخرى. وهذه التغيرات هي التي تدل على تقدم السكان أو تأخرهم ويضم لذلك الجدول الآتى :

الحالة	نسبة ألب من السكان في ثلاث السن المختلفة	
	١٤ — ٠	١٥ — ٤٩
تقدم	٤٠٠	٥٠٠
ثبات	٣٣٠	٥٠٠
تأخر	٢٠٠	٥٠٠

الجدول العشرون

الحالة المدنية في مديرية البحيرة في سنة ١٩٣٧ (١)

السنة	جملة الذكور والإناث	جملة النسبة	لم يتزوجوا أبداً	متزوجون ومتزوجات	مطلقون ومطلقات	أرامل	غير مبين
١٩٢٧	٥٤٣٥١٠	١٠٠٠	٢٠١	٦٥٢	١٧	١٢٧	٣
١٩٣٧	٦٠٠٣٩٣	٢٠٠٠	٣٣٦	٦٣١	١١	١٣١	١

وقد وضع على هذا الاساس الجدول العشرون لبيان الحالة المدنية في مديرية البحيرة بصفة عامة .

ونظراً لاختلاف تقسيم فئات السن في التعدادات السابقة اكتفى بتعدادى ١٩٢٧، ١٩٣٧، ومن هذا الجدول يتبين زيادة في نسبة عدد الذين لم يتزوجوا أبداً بنحو ٣٥ في الألف يقابله انخفاض في نسبة عدد المتزوجين بنحو ٣١ في الألف . ولعل السبب في هذا يرجع الى الأزمة المالية التي اجتازتها البلاد في بداية الثلاثينات من هذا القرن . كما أن هذه الأزمة نفسها هي المسؤولة عن انخفاض عدد المطلقين من ١٧ في الألف الى ١١ في الألف .

وبالرجوع الى التفاصيل الخاصة بالذكور والإناث كل على حدة في تعداد سنة ١٩٣٧ نجد أن الحياة الزوجية لكل منهما في الألف كما في الجدول الحادي والأربعين .

ويتبين من هذا الجدول أن عدد الذكور الذين لم يسبق لهم زواج إطلافاً يزيد جداً عن عدد الإناث اللاتي لم يتزوجن (٣٢٠ في الألف للذكور و ١٦٢ في الألف للإناث) . ومعنى هذا أن عدد النساء اللاتي تزوجن (سواء بقين زوجات أم لا) يزيد كثيراً على عدد الرجال الذين سبق لهم أن تزوجوا

(١) هذه الأرقام من حساب الباحث اعتماداً على أرقام تعداد سنة ١٩٣٧ السكينة

الجدول الحادى والعشرون
الحالة المدنية فى المدينة عامة حسب النوع
لكل ألف من السكان ^(١) سنة ١٩٣٧

النوع	حالة الذكور والإناث	المترجوا أبداً	مترجون ومتزوجات ومطلقات	أرامل	غير متبين
ذكور .	٢٨٢٠٢٠	٣٢٠	٦٤٥	٢٥	٢
إناث . .	٣١٨٣٧٢	١٦٢	٥٩٩	٢٢٥	١

وتبلغ هذه الزيادة ٣٨٩٢٣ أى نحو ٦ ٪ من عدد السكان الذين تزيد سنهم على السادسة عشرة . وتعلل هذه الزيادة بعدة أسباب مجتمعة منها :

١ — تعدد الزوجات فى تعداد سنة ١٩٣٧ كان هناك من المترجون فى مديرية البحيرة ٩٢٦٨ لهم زوجتان ، ٦٤٠ لهم ثلاث زوجات ، ٦٢ لهم أربع زوجات ، وينشأ عن هذه الحالة زيادة فى عدد الزوجات مقدارها ١٠٧٣٤

٢ — قد يطلق الرجل المرأة وتكون فى عصمته أخرى وفى هذه الحالة لا يعتبر فى كشوف التعداد من المطلقين ، وهذا لا ينطبق على المرأة .

٣ — ميل المطلقين والأرامل من الرجال الى تكرار الزواج من الأبنكار ويؤيد ذلك نسب حالى الطلاق والتزمل فى مجموع من سبق لهم الزواج إذ تبلغ هذه النسبة فى الإناث ٢٥٠ فى الألف بينما لا تتعدى ٦٠ فى الألف فى حالة الذكور .

وقد وضع الجدول الثانى والعشرون لبيان الحالة المدنية للإناث بالنسبة للذكور فى كل الحالات .

وأهم ما يستلفت النظر فى هذا الجدول أمران : أولهما النسبة العالية للأرامل من النساء وهذه ترجع الى عدم الإقبال على الزواج منهن وتفضيل

(١) هذه النسب كلها من حساب الباحث .

الرجال للابكار؛ والأمر الآخر هو نسبة المتزوجات إلى المتزوجين حيث أن لكل ١٠٠ زوج ١٠٤٠ زوجة والسبب في هذا هو تعدد الزوجات دون شك . غير أننا لو أخرجنا الزيادة الناشئة عن هذه الحالة والتي سبق أن ذكرنا أنها تؤدي إلى زيادة ١٠٧٣٤ من الزوجات على عدد الأزواج فإن نسبة المتزوجات تنخفض إلى ٩٩ لكل ألف من المتزوجين . وبالرغم من أن الفرق يصبح أقل كثيراً منه في الحالة الأولى إلا أن وجوده على العموم يدعو إلى الاستغراب . ولعل السبب في وجوده هو عدم الدقة في الادلاء بالبيانات الخاصة بالحالة الزوجية من جهة وإلى وجود أقار « التراحيل » الذين يشغلون في أراضى الإصلاح دون زوجاتهم من جهة أخرى .

ولقد كان من المفيد أن ندرس توزيع الحالة الزوجية في فئات السن المختلفة ولكن الاحصائيات لا تساعد على مثل هذه الدراسة . لذلك فليس في الامكان أن نحدد اتجاهات الزواج حتى في السنين الأخيرة، إذ أن هذا يتطلب دراسة العلاقة بين فئات السن المختلفة ومعدل ازواج كذلك ليس من الممكن دراسة اتجاهات سن الزواج . وكل ما يمكن أن يقال في هذه الناحية إنما هو من باب الملاحظات فقط . فمثلاً نلاحظ أن سكان الريف أكثر تبكيراً بالزواج من سكان المدن لخص المهور والمساعدة المرأة ومن تنجب من الأطفال للرجل في أعمال الزراعة، وأن المسلمين أكثر تبكيراً بالزواج من المسيحيين إذ يعتبر الزواج عندهم نصف الدين كما أن الأسرة تتدخل فيه وتدفع إلى التبكير به . ولقد حدد القانون منذ سنة ١٩٢٣ سن الزواج فجعله ١٦ سنة للإناث و ١٨ سنة للذكور، ولكن هذا القانون غير منفذ في الريف حيث تشهدات الميلاد غير معنوية بها .

ولكن مع هذا التقص المشار إليه آنفاً وضع الجدول الثالث والعشرون والرسم البياني رقم ٧ لبيان الحالة المدنية حسب فئات السن المختلفة في المديرية بصفة عامة .

ومن هذا الجدول يتضح :

١ — أن أهم فترات الزواج عند الجنسين بصفة عامة هي الفترة من ٢٠ إلى ٢٤ سنة .

الجدول الثاني والعشرون

الحالة المدنية (نسبة الإناث لكل ألف من الذكور)^(١)

الحالة المدنية	جدة	ذكور	إناث	نسبة الإناث لكل ألف من الذكور
لم يتزوجوا أبداً	١٤١٧٩٧	٩٠٣٦٠	٥١٤٣٧	٥٦٩
متزوجون . . .	٣٧٢٥٥٦	١٨١٨١٣	١٩٠٧٤٣	١٠٤٠
مطلقون . . .	٦٤٢٤	٢١٨٨	٤٣٣٦	١٩٣٥
أرامل . . .	٧٨٨٣٦	٧١٧٢	٧١٦٦٤	٩٩٩٢
حالات غير مينة	٧٧٩	٤٨٧	٢٩٢	٥٩٩
جدة	٦٠٠٣٩٢	٢٨٢٠٢٠	٣١٨٢٧٢	١١٠٧

٢ — أن سن الزواج الشائع للإناث هو الفترة من ١٥ إلى ٢٤ سنة حيث تبلغ نسبة المتزوجات فيها ٧١٠ في الألف من المجموع الكلي . وأن الشائع للذكور هو الفترة من ٢٠ إلى ٢٩ سنة حيث تبلغ نسبة الأزواجين ٦٤٢ في الألف .

٣ — بالرغم من أن نسبة الزواج عند الذكور تقل كثيراً جداً عنها عند الإناث قبل سن العشرين إلا أنها بعد سن ٢٤ تزداد وتستمر زيادتها في كل فئات السن .

أما الطلاق فأكثر شيوعاً في القرى عنه في المدن . وقد وضع الجدول الرابع والعشرون لتوضيح حالات الطلاق في مديرية البحيرة وفي مدينة الاسكندرية التي تجاورها ومنه يضح :

١ — أن عدد حالات الطلاق في الاسكندرية أكثر منها في البحيرة على أن عدد سكان الأولى يقل عن نسبة عدد سكان الأخيرة .

(١) هذه النسب كلها من حساب الباحث .

الجدول الثالث والعشرون

حالة الزواج حسب فئات السن المختلفة في المديرية بصفة عامة
لكل ألف من السكان (١)

السن	١٠-١٤	١٥-١٩	٢٠-٢٤	٢٥-٢٩	٣٠-٣٤	٣٥-٣٩	٤٠-٤٤	٤٥-٤٩	٥٠-٥٤	٥٥-٥٩	٦٠-٦٤	٦٥-٦٩	٧٠-٧٤	٧٥-٧٩	٨٠-٨٤	٨٥-٨٩	٩٠-٩٤	٩٥-٩٩	١٠٠+
ذكور	٢٣	٢٤٢	٣٠٠	١٣١	٨٩	٧٧	٢٩	٧	٢										
إناث	٢٢٨	٤٢٢	١٤٨	٧٤	٣٨	٢٤	٤	١											

الجدول الرابع والعشرون

حالات الطلاق في البحيرة والاسكندرية بحسب مصدرها (٢)

سبب الطلاق	البحيرة	الاسكندرية
من الزوج	١٥٩٣	٣٠٥
من الزوجة	٤٧٢	٨٠٢
من الزوجين	٣٩١	٢١٠٧
الجملة	٢٣٥٩	٣٢١٤

٢ - معظم الطلاق في البحيرة من الزوج في حين أن الزوجة في الاسكندرية هي المسئولة عن جزء كبير من حالاته . وهذا يرجع إلى ما يمتاز به الرقبة من الطاعة لزوجها وتحمل سرء الحياة وضرائها فعه .

(١) هذا الجدول من وضع الباحثة اعتمادا على الارقام الواردة في التقرير السنوى العام لوزارة الصحة سنة ١٩٣٥ من ١٦ ، ١٧

(٢) عن تقرير وزارة الصحة لسنة ١٩٣٥ من ١٦ - ١٧

الجدول الخامس والعشرون

١١١) عدد وأسباب حالات الطلاق في مديرية البحيرة وفي الاسكندرية سنة ١٩٣٥

[illegible]

وإلى اعتبار الطلاق في الريف عيباً إذا ما جاء من طرف المرأة . كما يرجع إلى أن الزواج في المدن لا يكون عن المعرفة الحقيقية . وقد يتدخل فيه عامل الحب الذي لا يقوم على أساس متين .

وأهم أسباب الطلاق ، كما يتضح من الجدول الخامس والعشرين ، هي الكراهية وترجع إلى أن الزواج يتم بمعرفة الآباء في كثير من الحالات وخاصة في الريف ، ويلاحظ أن الأسباب في المدن تتعدد وتبدأ آثار النواحي الاقتصادية والاجتماعية التي تمتاز بها المدن في الظهور ويؤيد هذا مقارنة الحالة في مديرية البحيرة بالحالة في مدينة الاسكندرية .

وبين الجدول السادس والعشرون حالات الطلاق عند مسامى البحيرة والاسكندرية حسب مدة الزوجية وعدد الأولاد . ومنه يتضح أن الطلاق أكثر في السنوات الأولى من الحياة الزوجية وأنه يقل كلما ازداد عدد الأولاد الذين يربطون عادة بين الزوجين . كذلك يلاحظ أن نسبة الطلاق في الستة شهور الأولى في الاسكندرية أعلى منها في مديرية البحيرة فيينا تصل في الأولى ٣٣٣ في الألف تنخفض عن الأخرى إلى ١١١ في الألف . ويرجع هذا إلى أن الزواج العاطفي في المدن أكثر منه في الأرياف .

الجدول السادس والعشرون

حالات الطلاق في البحيرة والاسكندرية حسب مدة الحياة الزوجية وعدد الأولاد

(١) مدة الحياة الزوجية

المدة	من أقل من ٦ شهور إلى ٤ سنة			من ٦ أشهر إلى سنة			نسبة المطلقين
	١-٦	٦-١٢	١٢-١٨	١٨-٢٤	٢٤-٣٠	٣٠-٣٦	
البحيرة	٣٦٢	٢٥٤	١٠٣٥	٤٣٣	٢٣٢	٧٥	٢٣٥٦
الاسكندرية	٧٤٩	٥٨٥	١٢٠٦	٤٨٥	١٩١	٨٥	٢٣٣٤

(ب) عدد الأولاد الأحياء المولودين أثناء الزواج

الجهة	الأولاد واحد	ولدين	٣ أولاد	٤ أولاد	٥ أولاد	٦ أولاد أو أكثر
البحيرة	١٦٧٠	٤٤	١٢٨	٦٣	٢٢	٨
الاسكندرية	٢٢١١	٥١٥	٢٢٣	١٢٧	٧٥	٣١
						٧٧

التقرير السنوى العام لوزارة الصحة سنة ١٩٣٥ ص ١٨ — ١٩

مراجع البحث

- ١ - وزارة الزراعة : « قسم الإحصاء » .
« التعداد الزراعى العام لسنة ١٩٢٩ ، ١٩٣٩ » .
- ٢ - وزارة الصحة :
« التقرير السنوى العام » .
- ٣ - وزارة المالية : « مصلحة عمرم الإحصاء والتعداد » .
« تعداد سكان القطر المصرى » يصدر كل عشر سنوات
منذ ١٨٩٧
« الاحصاء السنوى العام » يصدر سنوياً منذ ١٩٠٩ .
« الاحصائيات الصحية » تصدر سنوياً .
- ٤ - السيد صبرى : (١٩٣٥) .
« تحليل نتائج التعداد فى مصر » .
- ٥ - محمد عوض محمد : (١٩٣٦) .
« سكان هذا الكوكب » .
- ٦ - محمود الدرويش : (١٩٤٠) .
« سكان القطر المصرى » المجمع المصرى لثقافة العلمية .
الكتاب السنوى الحادى عشر طم ١٩٤٠

7. AMICI, F. : (1879)
 "Essai de Statistique generale de l'Egypte." Années
 1873-77.
8. AMICI, F. : (1884)
 "L'Egypte Ancienne et moderne et son dernier
 recensement."
9. ANMAN, A. M. : (1942)
 "A demographic Study of an Egyptian Province.
 (Sharqiya).
10. CARR-SAUNDERS, A. N. : (1936)
 "World Population".
11. CALELAND, WILLIAM : (1936)
 "The Population Problem in Egypt".
12. KAMAL, A. M. : (1930)
 "A Statistical Review of Births and Deaths of child
 in the 19 Princial towns of Egypt Since 1886".
13. NEWSHOLME, SIR ARTHUR : (1923)
 "The Elements of vital Statistics".
14. ROBERTSON, C. J. : (1939)
 "Population and Agriculture, with Special Reference
 to Agricultural over-population". Inter. Inst. of
 Agric., Rome, 1939.

فهرس الجداول

- الجدول الأول : جملة عدد السكان في مديرية البحيرة في التعدادات المختلفة بين (١٨٤٦ — ١٩٤٧) مع بيان زيادتهم ونسبة الزيادة .
- » الثاني : عدد الاجانب في مديرية البحيرة (١٨٨٢ — ١٩٣٧) .
- » الثالث : حركة تبادل السكان في مديرية البحيرة (١٩١٧ — ١٩٣٧) .
- » الرابع : النسبة المئوية لعدد زيادة السكان (في السنة) في مراكز مديرية البحيرة بين ١٨٨٢ ، ١٨٩٧
- » الخامس : النسبة المئوية لعدد زيادة السكان (في السنة) في مديرية البحيرة وللقطر المصري في المدة من ١٨٩٧ الى ١٩٤٧
- » السادس : النسبة المئوية لعدد زيادة السكان (في السنة) في مديريات الوجه البحري (١٨٩٧ — ١٩٤٧) .
- » السابع : (أ) نسبة المواليد والوفيات في مديرية البحيرة لكل الف نفس من السكان في المدة بين ١٩١٧ و ١٩٤٥
- (ب) معدل المواليد والوفيات في مراكز مديرية البحيرة لكل الف نفس من السكان في سنوات ١٩٢٠ ، ١٩٣٠ ، ١٩٤٠
- » الثامن : حركة تبادل السكان بين مديرية البحيرة ومديريات الوجه البحري (١٩٠٧ — ١٩٣٧) .
- » التاسع : حركة تبادل السكان بين مديرية البحيرة والاسكندرية (١٩١٧ — ١٩٣٧) .
- » العاشر : جملة عدد السكان في كل مركز في النسبة تعدادات الأخيرة (١٨٨٢ — ١٩٤٧) مع بيان الزيادة أو النقص ونسبتهما .
- » الحادي عشر : نمو السكان في مختلف مراكز المديرية (١٨٩٧ — ١٩٤٧) .
- » الثاني عشر : كثافة السكان في مديريات الوجه البحري (١٨٨٢ — ١٩٣٧) .
- » الثالث عشر : كثافة السكان ومساحة البور في مراكز المديرية المختلفة لسنة ١٩٣٩ (١٩٤٧) .
- » الرابع عشر : كثافة لمراكز المديرية وكثافة السكان في كل منها (١٩٣٧ —) .
- » الخامس عشر : الكثافة السكان في مديرية البحيرة سنة ١٩٤٥

الجدول السادس عشر : توزيع الذكور، والإناث في مديرية البحيرة (١٨٩٧—١٩٤٧).

» السابع عشر : نسبة الجنسين في البحيرة والمحافظات والقطر المسمى (١٨٩٧ — ١٩٤٧) .

» الثامن عشر : نسبة الجنسين في مراكز المديرية في السنة تعدادات الأخيرة (١٨٩٧ — ١٩٤٧) .

» التاسع عشر : توزيع قنات السن الرئيسية في تعدادى ١٩٢٧ ، ١٩٢٧ لكل ألف من السكان .

» العشرون : الحالة المدنية (الزوجية) في مديرية البحيرة سنة ١٩٢٧ .

» الحادى والعشرون : الحالة المدنية (الزوجية) في مديرية البحيرة سنة ١٩٢٧ لكل ألف من السكان .

» الثانى والعشرون : الحالة المدنية (نسبة الإناث لكل ألف من الذكور) .

» الثالث والعشرون : حالة الزواج حسب قنات السن في المديرية لكل ألف من السكان .

» الرابع والعشرون : حالات الطلاق في البحيرة والاسكندرية بحسب ممدوها .

» الخامس والعشرون : عدد وأسباب حالات الطلاق في مديرية البحيرة وفي مدينة الاسكندرية .

» السادس والعشرون : حالات الطلاق في البحيرة والاسكندرية حسب :

(أ) مدة الحياة الزوجية .

(ب) عدد الأولاد الأحياء المولودين أثناء الزواج .

الرسوم البيانية^(١)

- ١ — جملة عدد السكان لكل مركز في كل تعداد من السبعة تعدادات الأخيرة (١٩٨٢ — ١٩٤٧) .
 - ٢ — نسبة المواليد والوفيات ومعدل الزيادة لكل ألف من السكان (١٩١٧ — ١٩٤٥) .
 - ٣ — المعدل السنوي لزيادة السكان أو نقصهم لكل مركز (%) في المدة بين (١٩٨٢ — ١٩٤٧) .
 - ٤ — كثافة السكان في مراكز مديرية البحيرة في تعدادات (١٩٨٢ — ١٩٣٧) .
 - ٥ — نسبة الاناث لكل ألف من الذكور في مراكز المديرية المختلفة في التعدادات الستة الأخيرة (١٨٩٧ — ١٩٤٧) .
 - ٦ — نسبة الاناث لكل ألف من الذكور في مراكز المديرية المختلفة في سنة ١٩٤٧ .
- خريطة كثافة السكان في مديرية البحيرة (تعداد ١٩٣٧) .

(١) راجع مجلة بحوث كمية الآداب المجلد الثالث عشر ، الجزء الأول مايو ١٩٥١

وحدة وادى النيل

عظة التاريخ القديم

للكنوت سامى غيره بك

التاريخ يشهد بحب المصريين فى عهد الفراعنة لوادى النيل وقد أسرفوا
فى جهنم لهذا الوادى كما يحب الشباب ويسرف فى التدليل عن مشاعر حبه
وآماله . وكثيرا ماغنى المصريون ورتلوا أناشيد هذا الحب العميق على ضفتى النيل
فى أعيادهم ، وارتفعت أصواتهم بالتلهيل والتكبير بين عمد معابدهم الخالدة
وكتبوا شادوا بحسنات النيل وولائه لمصر ذكروا الصحراء ورمالها المحرقة
وشكروا السماء والنيل على أرض مصر كيمى (Kemet) وهى التربة السوداء،
الغنية بالماء والخيرات .

مصر عروس النيل يغمرها بحبه وفيض على جنباتها بمائه « ماء الحياة »
كلمة عميقة المعنى وردت فى أقدم أناشيد النيل فليس يعجيب ولا إسراف
أن يركع المصري خاشعاً ووجهته جنوب الوادى نحو مصب النيل .

ماء الحياة يأتى من السماء ماء الحياة يفيض على الأرض
السماء يلهب بوميض النيرق والصخور تنفجر فى أعماقها للمياه
يستولى النيل على الأرض :

سلام عليك أيها النيل الذى يحى بمائه أرض مصر وما عليها من مخلوق ونبات .
سلام عليك يارب الخيرات ويامن يروى الصحراء بندااه .

إن تباطئت فى انجى اضطربت القلوب ودلكت الأرواح وإن أسرست
طابت النفوس وفتحت الزهور أن ماءك يشبه خمز الكروم .

أجمع علماء فقه اللغة المصرية على أن كلمة النيل مأخوذة من كلمتين مصريتين مع بعض التحريف (نا) أداة تعريف للجمع (les) وبالنهر أنهر وقد استعملت أداة الجمع هنا للتكبير ولتفرقة نهر النيل عن الأنهر الصغيرة وما زال فلاح مصر يستعمل كلمة البحر الكبير تعظيماً لنهر النيل .

ف نجد من ضمن مرادفات النيل كلمة أخرى لها مدلول طريف وهي كلمة حابي مشتقة من الفعل حب (Hep) ركض ويجرى من الجنوب الى الشمال أما الأماكن التي تجاور ضفاف النيل جنوباً فقد اعتبرها كهنة القراعنة موطن الآلهة وهم الذين حكموا مصر في القصاص المصري القديم ، وأغدقوا عليها من فائض نعمهم وبركاتهم في العصور الأولى التي سبقت للولك خلفائهم على الأرض فلدينا هنا الدليل لحب برىء راسخ لوادى النيل عبر عنه المصري باسمي المعاني وأحسنها وهو في فجر حياته السياسية .

حب يعبر عن علاقة الروح بالجسد وعلاقة خلقها الطبيعة ووجهتها بسلطانها الظاهر نحو وحدة الوادى ، وتضام شعوب من يرتوى لساء النيل ماء الحياة يسير في شرايين الوديان والمناطق التي ينساب إليها .

مبدأ وحدة الوادى أوجدته الطبيعة وخلفته ولم يؤخذه ويعمل بمقتضاء في بدء هذه العصور البعيدة لأن عناصر التفرقة والجهل بين القبائل العديدة حالت دون الخوض لهذا المبدأ الكريم والتاريخ يسجل ما قدمته الشعوب من التضحية الغالية كلما حادت عن رسالة الوحدة والتضامن فكلنا نعلم مدى الحروب الطاحنة التي استمرت أكثر من خمسة قرون في أرض مصر بذاتها قبل أن توحيد أقاليم الصعيد والدلتا تحت إدارة سلطة مركزية ولكن هذه المتاعب لم تمنع المصري الذى عاش في القرن الخامس والعشرين قبل الميلاد أن يحبب مناطق الوادى في بلاد النوبة المنخفضة والمنفعة إلى حدود بلاد كوش أو الحبشة وأن يتعرف على هذه القبائل ويتعلم لغاتها ويقبل أن يعيش هناك لخدمتهم وخدمة بلاده قبائل يام ، وارنت ، والكنوز ، والنحسين (Iriet-iam-Nehai) قبائن ذكرها القواد المصريين للأسرة الخامسة في رحلاتهم الاستكشافية .

ثم وصلت مصر بعد هذه الرحلات الاستكشافية والتأديبية أحيانا الى فتح أبواب هذه المناطق لقوافل التجارة على ظهور الجمير أو بالسفن النيلية وللهجرة أيضاً ، فكان سكان المناطق في الأسرة الخامسة من جنوب أصوان إلى مدينة حلغا خليط من المصريين والليبيين أما جنوباً الى دنقلة فكانت توجد قبائل سوداء البشرة ، وكان حاكم أصوان يشرف على هذه المناطق وعلى البعثات التي ترسلها مصر لهذه البلاد ، وهنا يأخذ مبدأ الوحدة لوادئ النيل مجراه الطبيعي رغم بعض الحوادث المقلقة فكانت مصر تعمل لهذه البلاد نسيج الكتان والعمود وأسلحة من النحاس والزيت والتمساح وترجع بقوافلها وسفنها محملة بحشب الأبنوس والجلود والصمغ وريش النعام والبخور .

وكان في بلدة أصوان وحلغا أسواق عامة عدة ترسو فيها القوافل ، ويتبادل رئيس القافلة المصرية ، وهو عادة مندوب من حكومة فرعون ، أطيب النجيات مع رؤساء القبائل ، ثم يتبادل السلع بينهم ، وكان نتيجة هذا الاختلاط وتبادل السلع أن انتشرت المدنية المصرية في أرجاء بلاد النوبة وأصبحت المناطق الواقعة ما بين الشلال الأول والثالث جزءاً لا يتجزأ من الأراضي المصرية لها أنظمة إدارية لا تختلف عن الإدارة المصرية وفن جمشي مع الفن المصري في خطواته . وأرسلت مصر هناك أعز ابنائها للإشراف على مصالح البلاد المشتركة وتسجيل مقياس النيل كل عام على صخور عند الشلال الثالث . وقد بلغ هذا الاختلاط حداً بعيداً إذ تطلعت مصر في هذا العهد إلى بلاد السودان عند ما وقعت في أول غنة فاستها من جراء موجة خطيرة من أمواج الهجرات الآسيوية والسامية اقتحمت أقاليم الدلتا الشرقية ، ومثل هذه الهجرات الطاغية تكتسح مدنيات بأكملها اذا حلت بأرض تكامل أهلها واتسموا على بعضهم بعض ، وفي هذا الوقت العصيب أرسل الملك بيب الثاني سنة ٢٣٠٠ قبل الميلاد كبير قواده لتهديم الأقاليم الجنوبية ، ولجميع جيشاً من المصريين ومن سكان بيب وقبائل النوبة والسودان لمحاربة العدو ،

فخاربت الفيالق المصرية جنباً إلى جنب مع فيالق السودان وردت عدو مصر
والوادي على أعقابها حتى وصلت به إلى حدود جبال الكرمل .

فعتيدة وحدة الوادي التي كان ينادي بها المصري القديم ويرتل ألحانها
في معابده وأعياده هي وليدة الطبيعة ، وللطبيعة سلطان لا يتخذل مهما عصفت
الرياح واتقلت الأوضاع ، وحب المصري القديم لوحدة الوادي هو وحى
سماوي تمثل في الطبيعة وسكن في قلوب المصريين في كل عهد وفي كل زمان .

تم طبع هذه المجلة في عهد حفرة صاحب الجلالة
«فأروق الأول» ملك مصر والسودان بمطبعة
جامعة قواد الأول في ٢٦ من ربيع الثاني
سنة ١٣٧١ م

محمد زكي خليل
سر طبعة جامعة قواد الأول

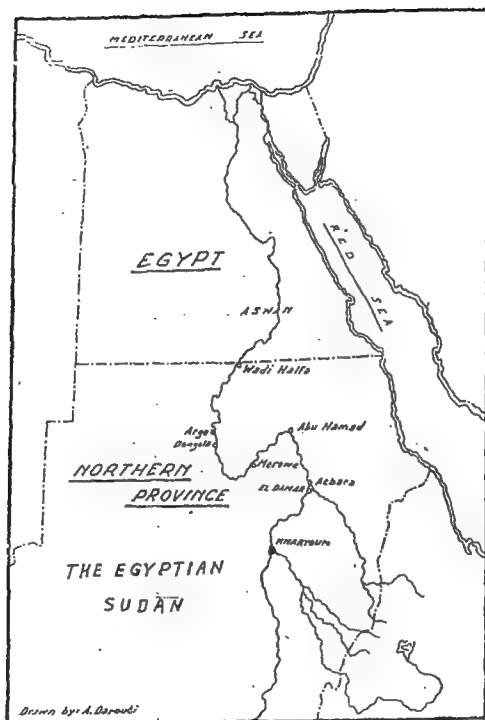


FIG. 3

Shows the Northern Province of the Egyptian Sudan.

In general the crop of a Salluka is divided into three equal shares :—

The first is for the owner of seeds.

The second is for the owner of land.

The third is for the labourer.

Each of the above three pays $\frac{1}{3}$ of the tax.

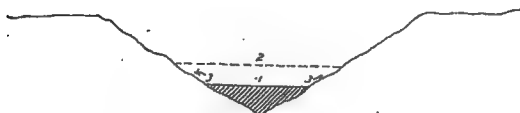


FIG. 1

Shows a cross-section of the Nile Valley near Dongola.

1. Normal Level of the Nile water.
2. Level of the Flood water.
3. The Salluka.



FIG. 2

Shows another cross-section of the Nile Valley near Dongola.

1. Normal Level of the Nile water.
2. Level of the Flood water.
3. The Salluka.
4. The Sakia.

B.—*The Date Trees:*

If date trees are planted on a Sakia in which there are several partners, it is the general custom to set aside a special part of the Sakia for date trees planting. This date tree plot is divided up amongst the partners according to their share in the Sakia and each one plants as he pleases in his own division or may allow outsiders, who have no share in the Sakia, to plant in it. But when an outsider who has no share in a Sakia plants a date tree on it, the owner of the land takes $\frac{1}{3}$ of it—this is called "Ardeya".

The person who waters the trees for the first three or four years after they have been planted, *i.e.* until they have been sufficiently robust to do without watering, takes $\frac{1}{3}$ of it—this is called "Haq el-Moyya".

The person who plants the tree, *i.e.* the owner of the shoot, takes the remaining $\frac{1}{3}$. This is known as "Haq el-Shatl".

In a Sakia where there is a very large number of date trees and new trees are planted promiscuously all over the Sakia, it is the usual custom to deduct $\frac{1}{3}$ of the crop from every tree planted as Ardeya. All this Ardeya is then collected together and divided up among the shareholders according to their share in the Sakia. An outsider is not allowed to plant on such a Sakia without the consent of all shareholders.

Date trees, which spring up on a Sakia of their accord, called in Dougolawi "Foski", are the property of all the partners according to their shares.

C.—*The Salluka:*

The Salluka is generally cultivated by the owner himself. If he cannot do so he hires it out to any cultivator and the general arrangement is as follows:—

The owner supplies half the seed, pays half the tax, and takes half the crop.

2. Frightening off the birds from the crop.

3. Clearing the "Gadwal" or the water conduit, of weeds or grass, in which work the Samad does his share with the Tarabla.

The Tarabla pay half the tax on the cultivated portion of the Sakia and in return of this, their labour and their oxen receive half the crop. The Samad pays the other half of the tax and pays as well the remainder of the tax, *i.e.* half the tax on the cultivated portion and all the tax on the uncultivated portion.

When any big work has to be undertaken such as making a new Gadwal or when a crop has to be put-down quickly, a crowd of neighbours is summoned in to help, this crowd is called a "Feza". The Feza does not receive any pay or wages but it is supplied with food and drink by the Samad and the Tarabla, each supplying half.

The arrangement as to the payment of land tax mentioned above does not always apply. When a Sakia is cultivated all the year round, or when the area cultivated is greater than the area taxed, the Tarabla share all the tax with the Samad, *i.e.* pay half the total payable annually in respect of the whole Sakia, cultivated or uncultivated.

If the wheel, the cows and the land belong to different people and the Samad has no share in the land, the following is the customary arrangement:—

The owner of the wheel takes 2 Kerats ($\frac{1}{12}$) of the crop.

The Aurretti who turns the wheel all day takes 2 Kerats ($\frac{1}{12}$) of the crop.

The owner of the cows takes 6 Kerats ($\frac{1}{4}$) of the crop.

The labourers or Tarabla take 6 " ($\frac{1}{4}$) " "

The owners of the land take 6 " ($\frac{1}{4}$) " "

The Samad, who oversees work of the Sakia, sows seeds and looks after the Dolab from midnight to sunrise, gets 2 Kerats ($\frac{1}{12}$) of the crop.

Each one of the above supplies a share of the seeds and pays a share of the tax according to the share which he takes of the crop as mentioned above.

A Sakia in this sense is the cultivated land, not the water lifting-machine known to the Egyptian farmers.

Any land of less width is generally sloping as it forms a part of the river channel. At the time of flood it lies beneath the flood water, but when the Nile is low it is uncovered and is accordingly ready for cultivation. Such land is known to the Sudanese as Salluka and it can never be cultivated more than once per year.

The following is a description of the ways followed by the Sudanese, whether farm labourers or land owners, in working both the Sakia and the Salluka.

A.—*The Sakia :*

In every Sakia there are 3 or 4 "Tarabla" or farm labourers, and in very rare cases 2, according to the area to be cultivated but never more than 4, the general number employed is three. There is also a "Samad" or overseer who represents the landlord. Sometimes the Samad is the landlord himself.

Each "Terbal", or farm labourer, must supply an ox and the Samad must supply one ox for each Terbal, *e.g.* when there are three Tarabla, the Samad must supply three oxen. Each Terbal supplies his share of the seed (Teirah) as also does the Samad, *e.g.* when there are three Tarabla each supplies $\frac{1}{4}$ th. of the seeds and the Samad supplies $\frac{1}{4}$ of the seed.

Each Terbal also supplies his own "Toria" or spade. The Samad supplies the water-wheel, the "Auretti" or the boy who drives the oxen which work the "Dolab" or wheel and the "Wasing" or wooden implement for levelling the ground. The Samad is responsible for the working of the "Dolab", the making of the "Hods" or basins, and the sowing of the seeds. All the other work of the Sakia is performed by the Tarabla alone except the following :—

1. The digging of the "Kodeik" or excavation in the River bank beneath the Dolab, from which the water is drawn. This work is generally performed at "Tetig", *i.e.* midday.

NATIVE METHODS OF WORKING A SAKIA IN THE NORTHERN PROVINCE OF THE EGYPTIAN SUDAN

BY
M. MITWALLY

The cultivated land of the Nile valley is divided in Egypt into plots of varying sizes, each of which is known to the land farmers as "Gheit" or field.

The Nile water, which is most essential for cultivation, is carried to the fields through canals, but it has to be raised to the level of the cultivated land by raising machines such as the "Sakia" or water-wheel. It is customary in Egypt that a Sakia raises enough water to irrigate an area of about 10 acres, and that it is owned by one person if the whole area, which it irrigates, is owned by him.

If, on the other hand, the land is owned by more than one man, it follows that the owners of the land own the Sakia collectively and each is entitled to use it for a period proportional to his share.

This applies to all parts of Egypt, but in the Sudan as a whole and the Northern Province in particular the case is wholly different. The cultivated land on both sides of the Nile is limited in area, its width being generally about 100 metres. Methods of irrigation in these localities are different from those applied in Egypt. They vary a great deal according to the width of the land and the inclination of its surface.

When a piece of land attains a width of about 50 to 100 metres it is considered big and is generally flat. Such area is known to the Sudanese as "Sakia" and is irrigated with lifting machines.

well as in Exodus-Numbers texts. Of the six major points there for the making (mantle, girdle, meat, cake, oil, honey) he has now five as against four out of four before. Matthew has now two out of six as against one out of four before. Decidedly Epiphanius' position has not benefited.

As for the truth about mantle and camel in the Ebionite version—it is not likely that we shall hesitate between the two. Considering that the Ebionite writer follows only too faithfully his texts we shall not care to set up the hypothesis of his accepting those texts when they offer him identifying meat, cake, oil, honey, girdle and when they offer him identifying sheep rejecting their offering in favour of disidentifying camel two-thirds sheep.

Camel and locusts (or whatever else $\epsilon\kappa\tau\epsilon$ may be tortured into meaning) disappear, then. We have a solution of their puzzling presence. They are corruptions of mantle and magical cake. How they came, we do not know. But they are both disidentifying, and thus are apparently purposive corruptions. Their effect is most obviously to reduce the stature of John the Baptist claimed for him by the original (our Ebionite ?) hagiographer. They may well be the tools with which rival sectarians sought to undermine the cult of the Baptist John. And the choice of appropriate sectarians is, in the circumstances, not unlimited.

As for the value of the puzzle's solution, no discussion of it can here be quite in order.

For the Ebionite this food is an affair of oil, honey, cake; for Kings, of oil, meal, cake; for Exodus-Numbers, of oil, meal, honey, cake. For Matthew it is an affair of locust and honey. The Ebionite, it is clear, came to honey by following Elijah's Kings oil and cakes on their desert-way to reappear in Exodus-Numbers along with added honey. How Matthew came to honey is a hagiographical mystery, unless he had it from the Ebionite writer or equivalent. For in the listed texts this honey has no existence apart from cakes. And Matthew has not cakes, but locusts. Are our Exodus-Numbers texts to be emended from ἐνκρίδες (= ἐνκρυφίας) to ἀκριδας, and put in conflict with I Kings texts having ἐνκρυφίας in order that Matthew may have a now badly wanted bridge to his honey—and incidentally in their emended state oblige us to defend honey-locusts as a Mosaic plat du jour? We must prefer to conclude once more that Matthew is condensing editor of an Ebionite writer who gave a straightforward identification of John and Elijah without dis-identifying. The alternative course is to walk with Epiphanius and a fantastic series of such assumptions as, e.g., that the Ebionite writer craftily arranged to quote Matthew's sources more copiously and more accurately than Matthew, or that he had the good luck to find cakes ready to oust locusts and would no doubt have falsified Matthew's καμήλου by substituting μῆλου, had he not overlooked the texts mentioning Elijah's mantle, and so on. Epiphanius' position is untenable. Nor is it less so if we assume that Epiphanius has, in spite of all, given the Ebionite version of John's clothing as being verbatim Matthew's version. Matthew then still reproduces only where and as the Ebionite reproduces, while the Ebionite still reproduces where Matthew does not. Matthew's honey-mystery persists. In addition, he can no longer take advantage of Epiphanius' omitting the Ebionite's clothing-description to set up through the girdle-quotation a tenacious claim to use I Kings at first hand. On the other hand, the Ebionite writer as he is presented with the girdle-text, negates that claim by a counter-claim, and at the same time becomes substantially represented in I Kings texts as

Is then Matthew the victim of a double copyist's error in respect of camel and locust? We make two slight emendations in Matthew, and he is established original hagiographer with correct text restored to him? By no means, indeed. Just as no-one will disbelieve that his story here, with correct desert, girdle, honey, and nearly correct camel and locust, springs from the listed texts, so everyone will doubt that Matthew's text was twice misspelt within a line's space so neatly that the accident left no visible trace of its occurrence.

The logical inference is, instead, that Matthew is not here an original hagiographer; that he edits and falsifies a story of John written by an unknown original hagiographer; and that his own story is the grandchild, not the child, of the parent texts from which sprang that unknown hagiographer's story.

But, perhaps, deduction from hagiographical practice is to be deprecated on principle, however slightly it enters into hagiographical argument?

If so, Epiphanius' despised Ebionite writer must at once assert his claim to be anyhow Matthew's predecessor, if, not also the missing arch-hagiographer. Since, on the score of Epiphanius' *Ῥητορ* and other more tangible evidence, it has been so far assumed that Epiphanius does not quote this Ebionite writer's version of John's clothing, the Ebionite has to rely on the testimony of his version of John's food only. But, as it happens, that little is enough. When Matthew and the Ebionite are compared, it is seen that both have contacts with the listed texts, and further have common features (compositional parallelism and use of the word *ἀγριον*) not given them by those texts. One of the two must follow and use the other. Matthew reproduces the texts only where and as the Ebionite reproduces (*μέλι, ἐν μέλιτι*). The Ebionite reproduces where Matthew does not reproduce (*βρώμα* = I Kings *βρώσεως* against Matthew's *τροφή, plus ἐλαφ* = I Kings *ἐλατον* and Numbers *ἐλατου* and *ἡ γεῦσις ὡς ἐνκρίς* = Exodus *τὸ γεῦμα ὡς ἐνκρίς* and Numbers *ὡσεὶ γεῦμα ἐνκρίς* and *ἐνκρίδας* = Exodus-Numbers *ἐνκρίδες, ἐνκρυφίας* = I Kings *ἐνκρυφίας* against Nil in Matthew).

chosen men John historically eats without miracle. And John is, for Matthew 18.10-18, Elijah returned to earth, by fusion of Isaiah and Malachi herald to the divine Messenger of the New Covenant, Jesus, and by Jesus acknowledged as Elijah returned.

To this Elijah-John Matthew gives, quoting verbatim I Kings, Elijah's girdle for clothing and honey for food, thus making John half Elijah by clothing and half Moses by food—half, that is, the one other man who is given Elijah's miraculous desert-cake. And then Matthew denies John the cake and the mantle which were Elijah's, and turns him into a common camel's-hair-clad grasshopper-gatherer dubiously licensed by Leviticus 11.20-22.

What a fall for the magician-master-baker of oil-cake and striker of the waters. And what a moment to select for his glory's departure—precisely that of the climax of his predicted destiny when he has been brought to the desert-place of miracles and is to baptize the divine Messenger and hear the Lord God's voice.

Here, if anywhere, is chaos—self-contradiction, self-stultification, confusion of literary worlds, want of good taste—where the most brilliant of Christian hagiographers twice denies and at once thereafter affirms an Elijah-John, denying through camel's hair and locust, affirming through girdle and honey.

It is a chaos produced by two Greek syllables, however. Write into Matthew μήλου for καμήλου and ἐνκρίδες for ἀκρίδες, and John at once has his mantle and cake again. Chaos then becomes order, and Matthew writes faultlessly the story which must have been the story of any original hagiographer basing his account on the identifying desert-food-clothing texts of Kings and their companion desert-food texts of Exodus-Numbers.

An original hagiographer using O.T. texts to tell a Christian story does not misquote his texts in order to suit his story. If he did so, either he would be at once found out or he would not be recognized as quoting. In either case he would not gain his object in quoting. He has no temptation to alter scriptures; his temptation, if any, is to invent stories to fit scriptures.

I Kings 19.4-8: Elijah in the desert (τῇ ἐρήμῳ) prayed for death. He slept, and one touched him and said, Arise and eat. And he looked; and, behold, at his head a cake (ἐνκρυφίας ὀλοπειτης) and a cruse of water. And he journeyed in the strength of that meat (βρώσεως) forty days and forty nights to mount Horeb.

(c) Exodus 16.13-35: And behold on the face of the desert a small round thing (LXX λεπτόν ὡσεὶ κόριον λευκόν). And the house of Israel called the name thereof manna (μάν): and it was like coriander seed, white; and the taste of it was like honeycake (LXX τὸ γεῦμα αὐτοῦ ὡς ἐνκρις ἐν μέλιτι)... And the children of Israel did eat the manna forty years, until they came to a land inhabited.

Numbers 11.7-8: And the manna was like coriander seed. They made of it cakes (ἐνκρυφίας). And the taste of it was as the taste of fresh oil (LXX καὶ ἡ ὀσμὴ αὐτοῦ ὡσεὶ γεῦμα ἐνκρις ἐν ἐλαίῳ).

Examining the relevant Old and New Testament texts one comes quickly to realise that the desert of Elijah's miraculous cake (ἐνκρυφίας), the desert of Moses' oil—and honeycake (ἐνκρυφίας, ἐνκρις), the desert of Jesus' hungering and temptation, and the desert of John's locusts and wild honey are the one 'Judæan' desert. It is Matthew himself that does most to establish this interesting fact by his deliberate repetition of "these stones" (Matt. 3.9 and 4.3): thus telling us that Jesus' desert (Matt. 4.1) is John's, which, as he says, is the Judæan desert, which, as I Kings says, is the desert of Elijah's desert-cake, which is also the desert of Moses' manna—unless there are two deserts through which the chosen of the chosen breed eat miraculous cake on their way to Horeb.

In this desert, the place of "these stones" of which God could make Abraham's seed and a son of God could, if he would, make bread, a man hagiographically eats nothing or eats by miracle. But in this desert, says Matthew, alone of the four

(Note : The reader must be left to decide whether Epiphanius, in writing the words "And John had cloathing . . . : loins", quotes the Ebionite gospel or merely quotes Matthew 3.4a in order to place the alleged falsification of Matthew 3.4b in its familiar Matthew-context for the convenience of a public not familiar with the Ebionite gospel. Epiphanius' text immediately preceding these words looks to be a free condensation of Matthew 3.5, 7. And the word φησὶ, not idle and yet not indispensable if the quoting of Ebionite gospel began before "And his meat", is indispensable if the quoting of Ebionite gospel begins only with "his meat". Further acceptance of the earlier quoting involves our holding that in this half of a verse and nowhere else Ebionite gospel will have had verbatim agreement with Matthew's text and simultaneously abandoned the Old Testament texts which (as will be shown) it followed everywhere else with great fidelity. Since (as will be shown) Matthew is a condensing editor here of Ebionite gospel or some lost document followed closely by Ebionite gospel, the balance of probability is heavily against Epiphanius' having here quoted Ebionite gospel and heavily in favour of his having quoted Matthew 3.4a. However, for the solution of the puzzle this matter is merely an unimportant annoyance.)

(b) I Kings 19.19 ; 2.8 : mantle (μῆλωτή).

II Kings 1.8 : A man with a shaggy coat and with a leathern girdle round his loins.

(Note : The mantle, or μῆλωτή, worn by Elijah and passed on to Elisha is accurately described as ἔνδυμα ἀπὸ τριχῶν μήλου.)

I Kings 17.12-16 : And the woman said, I have not a cake (ἐνκρυφας), only a handful of meal in the jar and a little oil (ἐλαίου). And Elijah said, Make me thereof a cake first..... And the jar of meal did not waste nor the cruse of oil was diminished.

Whatever turn the thing took, it should be remembered that Apion's geese and ducks would be onomatopoeic and more effective on tongue than on paper. And Josephus alleges buffoonery against Apion along with professional quackery.

II. JOHN THE BAPTIST'S DESERT-FOOD AND CLOTHING IN MATTHEW 3.1-4

It is convenient for the reader to have at once before him the following texts: (a) Matthew's story of John's desert, clothing, food and the Ebionite gospel's story of John's food in Epiphanius, (b) Kings' story of Elijah's desert, clothing, food, and (c) Exodus-Numbers' story of Moses' desert, food (mannna).

These four stories are interdependent. It is taken for granted that the texts of (a) were composed after those of (b) and (c), but not taken for granted that Kings was composed before Exodus-Numbers or Matthew before Ebionite gospel in respect of the texts listed.

(a) Matthew 3.1-4: John the Baptist preaching in the desert of Judea had his clothing of camel's hair and a leathern girdle round his loins. And his food was locusts and wild honey. Ἰωάννης ὁ βαπτιστὴς κηρύσσων ἐν τῇ ἐρήμῳ τῆς Ἰουδαίας εἶχε τὸ ἔνδυμα αὐτοῦ ἀπὸ τριχῶν καμήλου καὶ ζώην δερματίνην περὶ τὴν ὀσφύν αὐτοῦ· ἡ δὲ τροφή αὐτοῦ ἦν ἀκρίδες καὶ μέλι ἄγριον.

Ebionite gospel in Epiphanius, *Heres.* XXX: (And John had clothing of camel's hair and a leathern girdle round his loins). And his meat it says wild honey whereof the taste was of mannna as oil-cake. That they may turn the word of truth to falsehood and for locusts put honey-cakes.

καὶ εἶχεν ὁ Ἰωάννης ἔνδυμα ἀπὸ τριχῶν καμήλου καὶ ζώην δερματίνην περὶ τὴν ὀσφύν αὐτοῦ. καὶ τὸ βρῶμα φησὶ μέλι ἄγριον οὗ ἡ γεῖσις ἦν τοῦ μάννα ὡς ἐνκρις ἐν ἐλαίῳ. ἵνα εἰπὴν μεταστρέψωσι τὸν τῆς ἀληθείας λόγον εἰς ψεῦδος καὶ ἀντὶ ἀκριδῶν ποιήσωσιν ἐνκριδας ἐν μέλιτι.

TWO LITERARY PUZZLES FROM PALESTINE

BY
D. L. DREW

I. JEWISH PROTEST IN C. APIONEM 2.49

Josephus says that Apion had ridiculed the names borne by Ptolemy VI Philometor's two Jewish field-m Marshals Onias and Dosithens (Greek: 'Ovtaç or 'Iovtaç, and Δοσιθεος). Where was the wit? From Greek name-forms nothing is to be had except the suggestion of Ass in 'Ovtaç. However, it is anyhow likelier that the name-forms selected for ridicule would be Jewish. Onias thus reverts to Iochanas or Ionathas or Ionnas; while Dosithens reverts to Ionathas or Ionnas or Nathanael. Apion, then, had only to make a good choice, and he could present to his Græco-Roman public Doric Duck (natha-) and Latin Duck (anat-) coupled with Jehovah. Or he might string together various alternative forms to produce one Doric-Latin Superduck.

On the other hand, he may have decided to transcend mere market-place levels through a trilingual elaborosis commensurate with his own academic status. If he had Iochanas, he had Doric Goose (chan) as well as Doric and Latin Duck, with Latin Goose (anser) not far away. Using both Duck and Goose, then, he will have detected the Græco-Roman farmyard's natural pair present in the Jewish names, and paraded his field-marshal pair as (we might say) Clack and Quack *Ugncockalorum*; thus caricaturing well enough the Jewish weakness of excessive self-seriousness doubtless familiar to all neighbours of the Therapeutæ.

There are hardly any diggings near the site itself and it seems certain that the roughly broken quartz extracted from a large number of workings in the surrounding hills was brought here to be crushed into the finer powder from which the washing process separated out the gold. It is unlikely that the place ever degenerated into a mere road-station on the road from the Seenna quarries to Qena. It may have been the permanent garrison headquarters of the military units doing guard duty in the Seenna district.

There is other evidence that Roman activities in this part of the desert may have continued as late as the 4th century A.D. The ancient road to Qena from both the Seenna district and the gold-workings in the Gidami hills passed the road-station in the middle reaches of Wadi Gidami. Last February I unearthed some large and well-preserved fragments of Roman amphorae there and I am grateful to M. Guéraud for reading the names found on several smaller sherds of the same period.

1. ΠΤΟΛΕΜΑΙΟΥ

2. ΑΛΚΙΜΟ [Υ]

3. Σπα [πῶνος ?]
αυτ ()

He considers the period of the writing to be uncertain, but probably from 4th to 5th century A.D. In this W. Gidami road-station also was one of those little rectangular slabs of slate earlier described. It is the only one I have found with any writing scratched on the surface. M. Guéraud's reading is:—

ΚΟΜΗΤΑ

ΛΙΚΤΑ

την γυναίκα

ν μου

He adds: "The date is uncertain, but probably not late enough for it to be a reference to a *Comes*". Κόμης was also a Greek name.

Would it be too wild a guess to suppose that the abbreviated word in line 2 might have been *Vae*—, standing for *Vexationum* 2. Certainly the *ala Vocontiorum* was in Egypt at this time, and in AD 113 M. Papius Celer, one of its decurions, dedicated a temple to Isis in the Mons Porphyrites settlement⁽¹⁾.

Fragment 4.—This was about 30 yards downstream from the place where fragments 2 and 3 were found. I think it was part of a different inscription. The chiselling is smoother, there is a slight difference of colour in the stone, and its surface has been untouched, whereas that of both 2 and 3 bear faint cross-lines caused by some scratching instrument.

It seems almost certain that the two words in line 2 stand for *Augusta praetoria* and that the reference is, therefore, to *Cohors I Augusta praetoria Lusitanorum a nioba*. This cohort's first record in Egypt is A.D. 111. From A.D. 123 to 156, it was stationed at Contempollinis (east bank, opposite Wefay), and it was still in Egypt towards the end of the first century.

The letters of the first line seem to be abbreviations, the last one probably being a P or an F. The letters RACP, more often RACLP, and one or two similar combinations, occur repeatedly also in the quarries of Mons Claudianus. I have not been able to discover their meaning⁽²⁾.

This site that we have been calling a 'gold-crushing station' is an unusual one, not least in having so many Latin inscriptions and not a word of Greek. The type of stone, so close at hand, was an ideal one for the engraver, but it is so easily broken that most of the fragments are tantalisingly incomplete. It is still impossible to say whether the gold-crushing had wholly or largely ceased by the time of Antoninus, but the fact that many of the crushing stones are built into the remaining walls suggest that the period of greatest activity may by that time have passed.

(1) Lesquier: *L'Armée romaine*. Appendix I, 16, and Prof. Seafis's article in the *Bulletin* 1931, p. 106.

(2) In the Mons Claudianus quarries RACLP is usually written with the C and L close together, the latter sometimes as a small letter; CL therefore seems to mean Claudianus.

W. Semna dates, there was no quarry that cut at all deeply into the hillside, so that the larger, thicker slabs of stone used for the inscriptions may have come from another place not far away.

Fragment 2.—Unfortunately the year-number that was under the first horizontal stroke is missing. In the second line the tops of the letters that are still showing, to judge by the direction of their sloping, were part of the word AVGVSTI. The height of the A is rather surprising but it is paralleled by the height of the I in IMPERATOR at the beginning. One can probably, therefore, reconstruct as follows:— Anno ?? Imperatoris T. Aeli Hadriani Antonini Augusti Pii. The period is thus the same as that of the inscription found here last year.

Fragment 3.—This consists of two pieces, a smaller one fitting along a small but certain line of contact, on to the top of a larger one. They were found very near each other in the fallen sand-bedded stones at the base of the tower-like building that may have flanked the entrance to the enclosure, near that part of the trough or aqueduct that is still visible. Fragment 2 just described above came from the same spot and might easily have been the top of the same inscription.

In line 1. there is an empty space before the first letter. For line 2, with its abbreviation, Prof. Jones has suggested Proc(urator) me(tallorum) as a possible reconstruction. By the time of Trajan, a civil procurator is found side by side with a centurion at Mons Claudianus, the former being the administrator of the quarries and the latter the police guard in charge of the workmen. There may have been a similar arrangement here in the Antoninus period, although this site is not itself a quarrying area. The Semna quarries, less than 10 miles away, together with those at Barûd, perhaps came under the administration of the more important Mons Claudianus to which in Roman times they were joined by an easy route.

The word in the third line is obviously some case of *decurio* which suggests the presence of a *cohors aquaria* or *millaria*.

Fragments 2, 3, and 4:

In the Bulletin of Dec. 1950 I described the fragments of a Latin inscription found in the gold-crushing site in W. Semna⁽¹⁾. I revisited the place last February and found fragments of three more Latin inscriptions together with single letters of two others. They are all on the same green mudstone type of rock as the one found last year, but none of them have the fine cross-hatchings left by the chisel in the letter-grooves, and this characteristic of the two fragments found last year reinforces the belief that they were parts of one and the same inscription, especially as one of the new inscriptions is definitely of the same Antoninus period.

About 500 yards below the gold-crushing site the wadi swerves round in a hairpin bend and the whole of the narrow ridge or headland it thus encloses, consists of green and purple mudstones. The former had been quarried extensively on the surface by pre-historic man and many 'points' or knives of the Monstesian type were found along the top of the ridge. Much of the surface quarrying, however, was of a more recent date and this hill was obviously the source of the hundreds of little rectangular slate palettes or slabs that were to be found almost everywhere in the gold-crushing site. What their purpose was is not at all clear. Of the very large numbers examined none had any writing on them. A few had been chiselled into plates, and one or two had drawings scratched upon them. One would have thought they would have been ideal for writing purposes but quite a number had the little inequalities of their surface chiselled flat by a very narrow tool so that the levelled surface thus produced could not possibly be written on. Quantities of slate debris are found at other Roman stations in the Eastern desert, especially at the main Mons Porphyrites settlement. In the hill described above that was the source of all these

⁽¹⁾ In that article, page 1, paragraph 2, line 2, read Site 6 instead of Site 5.

2. Το προσκύνημα (perhaps understood) and a name in the genitive preceding; and then: παρ] α Πτ [υι Θεῶν μενίστω recalling line 12 in the Curator inscription.

3. A wilder guess would be to reconstruct 'Απα [μενών]. If this is a dedicatory inscription like the Curator stone, one would expect the names of an officer and unit of the Roman Army to follow that of the emperor. But the space available seems to be too small, and although the Cohors I Apamenorum had a long association with Egypt, the earliest known mention of it is nearly 100 years later than the reign of Tiberius.

The main station or castellum connected with the quarries is about 1 km. below, at the junction of the branch-wadi with W. Semna itself. In the debris filling the round tower or bastion at the N.E. corner of this castellum (Site I in the Sketch map of my article in the Bulletin of i ec. 1950), I found a small slate fragment, triangular in form, each edge being about 1½ inches long, with writing in black ink on both surfaces. I am much indebted to M. Guéraud, of the Institut Français d'Archéologie Orientale, for the following reading:—

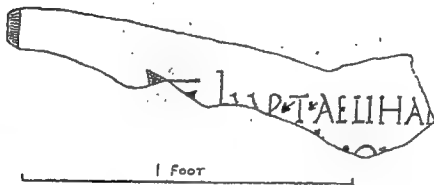
<i>Front</i>	<i>Back</i>
] .] . ρ . . .
] οὕτως [σ] τρογγυλ [
] . αι γαρ κα [] υλο [
] ιν περι του [
] . α Ισιδω [

Both M. Guéraud and my colleague Mr. David Crawford are of the opinion that the period of the writing is either the end of the second or the beginning of the third century A.D. Thus this fragment, insignificant in itself, is evidence that the work in the Semna quarries, which in view of the date of the Curator inscription may have started in the Ptolemaic period and which continued into the reign of Tiberius, may also have run on well into the second century and perhaps into the third.

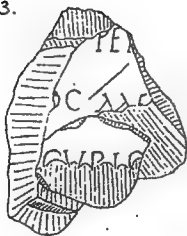
1.



2.



3.



4.



Valley by Mr. G. W. Murray of the Desert Survey. It is at present in the Antiquities Department building in Luxor and will no doubt be eventually sent to the Græco-Roman museum in Alexandria.

Fragments 1-4:

Fragment 1.—This also is from the little branch-wadi where the village, temple, and the quarries were and is the typical metagabbro of the district. It was found in the wadi-flow only 2 or 3 yards from the Curator stone. Both the day and the month are the same as in the Curator inscription. Mr. Drescher has suggested that the first day of Pauni may have been specially connected with the worship of Pan. ΠΑΥΝΙ A looks almost as if it may have headed the inscription by itself, but as for dating purposes the year regularly precedes the month, one should probably reconstruct in some such way as follows:—

Either [ἔτους ?] παῦνι A | [Αὐτοκράτορος] Τιβερίου Καί |
[σαρος Νέου Σεβασ] τοῦ ἀγαθοῦ | [τύχη], etc.

or [L ? Τιβερίου] Παῦνι A | [ὑπὲρ Αὐτοκράτορος]
Τιβερίου, etc.

Is this fragment part of a simple proscynema or of a longer inscription dedicating the second little 'temple' in the quarrymen's village? For there are two there, built just alongside each other, well-constructed and so similar in type that it is now difficult to say in which of the two the Curator inscription originally stood. Were the same day and month chosen because this stone too was set up to the god Pan? Two dedications to the same deity would not be very unusual. There are two small Isis temples in the same settlement in Mons Porphyrites.

The last letters ΑΠΑ admit of various possible reconstructions, such as:—

1. Τὸ προσκόνημ] α, followed by the genitive of a name beginning Πα... Such names were extremely common (see Preisigke: *Namenbuch*).

(Inscr. gr. rom. 1236 and C.I.G. III 4716, d 2). The difficulty in this Curator inscription, draughted obviously by a man who was more or less illiterate, has always been to decide whether Publius Juventius Rufus or his freedman, Publius Juventius Agathopus, was the dedicator. The verb ἀνέθηκε has no grammatical subject and is followed in line 13 by a number of puzzling datives. The idea that ΚΑΙ ΑΥΤΩΙ (beginning line 13) means that the temple was dedicated to a god *and* to a man is obviously to be rejected. On this aspect of the inscription Prof. A. H. M. Jones writes as follows:— "I do not think it likely that Publius Juventius Rufus is the dedicator or author. 'Ἐπει (= ἐπι) is strictly a mark of date, or at the most indicates the authority who controlled the area and under whose auspices, therefore, the work was done. The dedicator must, I think, be P. J. Agathopus: it is natural that a freedman should make honorific mention of his patron, unlikely that a patron should mention his freedman (unless merely as his agent).

"I feel that what Agathopus must have meant was, 'Under the authority of (or in the time of) Rufus, Agathopus dedicated a temple to Pan on behalf of Rufus and himself Agathopus' but his Greek syntax was unequal to the strain of expressing this. Having written ἐπει... Αὐτοῦτου he felt that it was obvious that Rufus was being commemorated. Wanting to add that the dedication was for his own benefit too, he added Καὶ αὐτῷ (he should, of course, have written ὑπὲρ αὐτοῦ), and having mentioned himself in the dative he put his name and titles into the dative (except when he lapsed into the genitive), leaving ἀνέθηκε without a subject...

"The inscription is interesting as showing the very personal and family character of the nascent imperial civil service. Rufus employs a personal dependant as his official subordinate; after all, the emperor used his private agents (procurators), even slaves and freedmen, to collect taxes and even govern provinces." The date on the inscription is quite clear, ἔτους Μ Κατοαρος, i.e. AD 11. The stone itself has since been brought into the Nile

My suggested reconstruction is as follows:—

ΤΟ· [προσ]	Τὸ προσκύνημα
ΚΥΝ [ημ]	τέρων ἀρχιτεκτόνων οἱ καὶ ἐπιστήσαντες
Α Μ[ερσι].	τὸ ἔργον.

ΚΑΙ· [Cω]	The W. Hammamat inscription mentioned
ΤΗ [ρός].	above (CIG III 4716, d2), in addition to
ΑΜ [φο]	the already familiar names of Publius
ΤΕΡ [ων].	Juventius Rufus and his freedman
ΑΡΧΙ [τε]	Agathopus, twice has the name of Mersis,
ΚΤΟΝ [ων].	each time proudly followed by the word
ΟΙ·ΚΑΙ· [επι]	ἀρχιτέκτων. The date of this inscription
CΤΗC [αν]	is the 5 th year of Tiberius, i.e. soon after
ΤΕC·ΤΟ·	that of the Curator inscription itself.
ΕΡΓΟΝ.	My colleague, Mr. James Drescher,

therefore at first suggested that *Μερσεως* or *Μερσιος* might be the missing name in line 3. But it seemed to be too long for the space available. There are scores of these *proscynemata* to Pan, the quarrymen's god, in W. Hammamat, and Preisigke in *Sammelbuch* 4388 has the following, which is Reinach's full reading of the incomplete CIG III, 4716, d 42:—

Τὸ προσκύνημα Cωτήρος καὶ Μερσί καὶ Cιέφμουις καὶ Πάχνουμις παρὰ τοῖς ἐνθάδε θεοῖς. Keeping the indeclinable form *Μερσί* and reversing his order with Soter (with whom he is obviously paired) one gets:— Τὸ προσκύνημα Μερσί καὶ Cωτήρος, which seems to be exactly what we are looking for. "The adoration of Mersis and Soter; both architects, the men who set up the work",

Lines 13-16:

Line 15 of the main inscription begins ΤΟΥ..., and not ΡΟΥ..., so that instead of reading (with line 14) ἀπελευθέρου, as both Green and Couyat-Barthouix read, one should no doubt reconstruct ἀπελευθέ [ρω αὐ] τοῦ, and this is exactly what Agathopus calls himself in the inscription in W. Hammamat.

μαργαρίτου. Cagnat, in his above-mentioned article, either did not know of the Red Sea pearl industry of antiquity or rejected the idea that it was referred to here on the ground that the inscription is a record of Roman mining and quarrying in Egypt. But if Mr. Murray's suggestion for βαζίου is correct, it becomes clear that lines 7 and 8 are an enumeration of the three different gems or precious stones known to have been worked by the Romans, followed in line 9 by the non-precious rocks of the quarries, grouped together in the single expression και πάντων τῶν μετάλλων τῆς Αἰγύπτου. For μαργαρίτου to depend on the word ἀρχιμεταλλάρχης is perhaps slightly unusual, but there is no reason to doubt that the man in charge of the mining and quarrying also directed the pearl industry. We can, therefore, translate lines 6—10:—“and the chief overseer of the emerald mines, of the ‘topaz’ mines, of the pearl industry, and of all the quarries of Egypt”. Agathopus, the freedman, being a more local representative of the governor of the whole area, naturally makes the more limited claim of being the overseer of the stone quarries only.

One surprising thing about this inscription is that in a summary of the Roman desert activities it makes no mention of gold-mining, whereas the Semna stone quarries were surrounded by very extensive gold-workings that had been going on for a long time. Must we suppose that the absence of any such reference means that this activity was largely Ptolemaic and was neglected in the Roman period proper? An expert examination of the pottery brought back from the various sites of the district (gold-working and others) will no doubt throw a lot of light on the problem.

The lines to the right of the god:

Couyat-Barthoux's copy is correct. In addition, in line 6 the beginning of a third letter after AM is clearly circular in form. It is obviously a proscynema by two people, architects anxious to claim an equal share with the soldier Ptolemaios in the building of the temple, and in so doing imitating the solecism of his final phrase.

had one or more errors in their reading of the text and because an almost certain reconstruction of the lines to the right of the god is not possible. Moreover, the correct explanation of lines 7 and 8 can be given and an attempt should be made to solve the grammatical difficulties of lines 13-16.

Lines 7 and 8:

τῆς ζμαράγδου (λίθου).—The reference is to the well-known emerald mines in the Sikait and Zabara districts, south of Qossêir.

βάζιου.—I am much indebted to Mr. G. W. Murray for the suggestion that this is in all probability the same as τοπαζίου and that the stone referred to is what the Ancients called topaz but is now known as peridot, a variety of chrysolite. [Dana in his *Textbook of Mineralogy*, p. 599, says that the chrysolithus of Pliny was probably our topaz and that his topaz was our chrysolite, and this is the accepted modern view.] St. John's Island, just off the coast from Berenice, was called Topaz Island by the Ancients, and it is well-known (from Pliny and other writers) that the gem was quarried there.

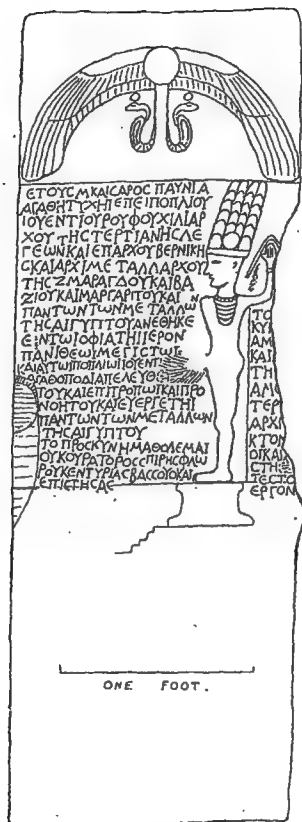
The form βάζιον, except in this and a W. Hammamat inscription (CIG III, 4716, d 2), is apparently only known in the expression βάζιον ἄκρον, a name which Ptolemy (Book IV, Ch. 5) gives to a headland 50' south of Berenice. Du Cange, however, in his *Glossarium Mediae et Infimae Graecitatis* has the word πάζιον meaning 'topaz'. He quotes Hesychius:—πάζιον, ὃ καὶ τοπάζιον, λίθος πολύτιμος⁽¹⁾. π and β are not infrequently confused and it seems reasonably certain that βάζιον is the same as πάζιον. The initial syllable to- may have been dropped on the erroneous supposition that it was the definite article.

(¹) I am grateful to Mr. Drachler for this reference and for pointing out that there is a Coptic mention of ΒΑΖΙΟΝ, obviously meaning 'topaz' in W. Till, *Koptische Heiligen- und Martyrerlegenden* (Erster teil) Roma, 1935, p. 192.

The surface is apparently just a straight fracture, not smoothed, and just below the wedge mark on the left side there is a slightly rougher area which the engraver avoided. The god is the ithyphallic Min, identified by the Greeks with Pan, and the subsequent rubbing out of the phallus by means of a stone has erased a few letters from lines 13 and 14.

This inscription was first found by Green in the winter of 1897-98 and he published his copy of the text in the *Proceedings of the Society of Biblical Archaeology*, No. XXXI, year 1909. Some years later it was visited by Couyat-Barthoux, whose copy was published more fully by Cagnat in *Académie des Inscriptions C.R.* 1910, pp. 580-585. It appears also in *L'Année Epigraphique* 1910, No. 207, based on Green's text, and Lesquier made full use of it in his "*Armée romaine d'Égypte*". When seen by Green and Couyat-Barthoux the stone was still in a little one-roomed 'temple' or chapel by the quarrymen's village at the base of the quarries. Since 1910, however, it had disappeared and several attempts to locate it failed. Last February I found it lying face downwards in the wadi-floor nearly 100 yards below the temple. The story which the Arabs tell about it is as follows:— About 30 years ago a man in Qena offered a sum of money to anyone who brought the stone down into the Nile Valley. An Ababda accordingly arrived at the quarries with a camel harnessed to a cart, and he succeeded in getting the inscription out on to the terrace of the temple and in lowering it straight on to the cart that he had drawn up in the floor of the wadi just below. The stone, however, was very heavy (it must be 4 or 5 cwt.), and man and camel had not done 100 yards of that journey of over 100 kms. that the Roman waggons used to travel to Qena when the cart collapsed under the strain and the stone fell face downwards on to the wadi-floor where it has lain unrecognised ever since.

Although the inscription has been dealt with from the historical point of view by Cagnat and Lesquier, it seems worthwhile to republish it both because Green and Couyat-Barthoux



See Plate 1.

THE CURATOR INSCRIPTION AND OTHER RECENTLY FOUND FRAGMENTS FROM WADI SEMNA,

BY
L. A. TREGENZA

For the locality see the rough Sketch map in "A Latin inscription from Wadi Semna", published in the Bulletin of Dec. 1950. The Curator stone and the fragment No. 1 (in Greek) are from the quarry branch-wadi (Site 2 in the Sketch map), and the other fragments (all in Latin) are from the gold-crushing station in the main Wadi Semna (Site 6 in the Sketch map).

THE CURATOR INSCRIPTION

The stone is a roughly squared rectangular block just over $\frac{1}{2}$ feet long, about 18 inches wide, and 1 foot thick, and is a typical specimen of the metagabbro quarried by the Romans at Semna (¹).

The letters of the inscription are mostly about $1\frac{1}{2}$ cms. high, the smallest being not much more than 1 cm. and the tallest occasionally nearly 2 cms. The space between the lines is about 1 cm., in some places a little more and in others rather less.

(¹) I am much indebted to Mr. G. Andrew, geologist to the Sudan Government, for his examination of specimens of the rock quarried both at Semna and Barūd. He has now sent to the British Museum (Natural History) specimens and slides of the Semna metagabbro and the Barūd diorite, together with some slides and specimens of the Mons Claudianus grano-diorite, with two slides of the same rock from Trajan's Forum in Rome.

1773-83 edition copied the early 18th century classification of five groups, i.e. Bedouins, Arabs, Copts, Turks and foreign Christians (Franks), the later edition classified them into four main strata; the Arabs (Bedouins, Magrebis, Peasants), the Copts, the Turks and the Mameluks, thereby including the Bedouins in the class of Arabs, adding the Mameluks as a separate class and considering the Franks as a foreign element.

The 1773 edition devotes a half-page to Egypt, almost, entirely confined to its geographical position, including a rather inaccurate statement on the frontier of the country bounded by Nubia on the East. In contrast the article of the next edition (1778-1782) is of twenty-five pages. It deals with the history of Egypt, ancient and mediaeval, followed by an account of the Pyramids, the Nile, the Nilometer and the inhabitants. Norden and Pococke have been acknowledged as sources of information. One might point out the inaccuracies and inadequacies in the part concerning the political and social conditions. 'The Constitution and Government of this country' the article runs, 'seem to be but little known to modern times. A viceroy is sent to Egypt, under the title of pasha or bashaw of Cairo, and is one of the greatest officers of the Ottoman Empire, but as the interior parts of Egypt are almost inaccessible to strangers, we know little of their government and laws' ⁽¹⁾. The article obviously confuses the Beys with the heads of the Arab tribes. It does not refer to what was the most influential figure in the 18th century Egypt, the Sheikh El Balad, and it is certainly mistaken in stating that the Pasha had under him 'a large regular army'.

Referring to the Copts, the writer states that it would be 'hard to say what species of Christianity is professed by the Christian Copts...but they profess themselves to be of the Greek Church, and enemies of that of Rome' ⁽²⁾.

The writer of the article in 1797 edition drew from Savary, Volney and Bruce. Comparing this edition with the immediately previous one, the striking addition in the latter is the study of the natural and physical geography of the country and the detailed account of the Mameluk system and the revolt of Ali Bey, both obviously taken from Savary and Volney. Moreover, the classification of the population is different, for whereas the

⁽¹⁾ Egypt, Vol. I.

⁽²⁾ *Ibid.*

In spite of the hard criticism of the reading public to Browne's attempt, there was a section of the public less unsympathetic to Arabian life and thought. Defending Browne in 1799, the editor of the *Critical Review* said 'We are not inclined, with Pope Gregory the Great, to burn the works of the ancient classic authors because they were pagans' (1).

In trying to estimate the influence of these travel books during our period on English contemporary knowledge of Egypt, and on English literature, one should bear in mind that this tentative study is by no means exhaustive. The subject itself demands a separate dissertation and here we need be only concerned first in pointing out that the influence was there and secondly to trace it in some contemporary English literary works. Two reservations are necessary. First, we should not disregard the fact that some works (like Parsons) were published in the early 19th century with the result that they were almost lost among the abundant early 19th century travel books. Secondly, that up to the turn of the century, the standard works on Egypt that enjoyed the great popularity were those of Pococke and Norden and still greater those of the French travellers particularly Volney and Savary. Therefore, however, insignificant the influence of our travellers might have even on the public of their time, it can be roughly specified between 1780 with Irwin's travels up to 1801 with Baldwin's political recollections. One of the best illustrations of the influence of the travel books on the general knowledge of the educated public is the article on Egypt in consecutive editions of the *Encyclopædia Britannica* throughout the 18th century. It showed first that the scope and technique in any one article is coloured by the scope and technique found in a certain travel book. Secondly that it incorporates the very same inaccuracies of one traveller or the other. Thirdly while academic assessment is not pronounced, a growing zeal and enthusiasm for Egyptian studies is apparent.

(1) Vol. 27, August 1799. p. 286 et seq.

society, or rather the Moslem Arab society. It would be pointless, perhaps, to criticize his study as being inadequate, since he himself declared that 'the subject is very far from having been exhausted' (1). As we cannot follow him here in every topic in his comparative study, it might suffice as an example to refer to his conception of education.

Browne defined his conception of education as the 'art of forming man (on the principles of nature... By the principles of nature are meant, the preservation of the body in all its functions, and the mind with all its faculties and powers in the most perfect manner possible...' (2). The best method is 'the indirect encouragement to puerile variety and arrogance—prolonging the period of childish ineptitude, and leaving to chance the instruction to be received in the great art of life...' (3). In trying to prove how this kind of education was more applied in the East than the West, he says 'The dress of children (in the East) is free from ligatures, their diet simple, and they are accustomed to variations of season and inured to fatigue. They are generally taught to serve in the family of their parents. They hence learn what to expect from those whom they may afterwards command. Among the middle class there are few who do not know how to cook their victuals and to work their own linen. These habits are of inestimable utility in the army and in travelling, and render them much less helpless than ourselves. Our children are certainly taught many useful things which they do not learn; but they also learn some usefulness to which we pay no attention. These are a part of the advantages of Oriental education. Among the serious inconveniences may be enumerated, an excessive credulity, the offspring of profound ignorance; and in places of commercial resort, a keenness bordering on dishonesty and falsehood' (4).

(1) *Op. cit.* p. 535.

(2) *Op. cit.* p. 513.

(3) *Ibid.* p. 514.

(4) *Ibid.*

of elegance of narration or grandeur of description ...'. 'The fatal distrust in the several parts of the work are obnoxious to the feelings and opinions of the generality of readers' (1). This brings us to the second factor of Browne's unpopularity; his defensive attitude of the Arab people. The comparison which Browne set between the manners and customs of the Orientals and those of the Europeans, out of which he showed inclination towards the first (2), was hardly acceptable to the contemporary reading public in England. Beloe accused Brown of being 'an avowed disciple of the school of Volney, and the other miscreant writers of that stamp' (3). As far as Browne's travels are concerned, Beloe's judgement is grossly unfair. Browne himself states very clearly in his preface that he deals with Egypt in different terms from Volney (4). The British critic considered it as 'exceedingly nonsensical' (5). The Eclectic Review accused Browne of being 'prejudiced against Christianity' and even of 'infidelity' (6).

Browne neither appears to be prejudiced against Christianity as his contemporaries thought, nor does his work suffer from 'an eccentric encomium of Eastern manners and customs at the expense of the civilization of Europe' as a biographer states (7). He was undoubtedly influenced by the French Revolution, in politics he was a Republican, in religion a Liberal. But the most influential philosophy of the French Revolution on Brown was the 'paradox of Rousseauism'; the belief in the superiority of the 'noble savage' to civilized man. The essence of this paradox is based on preference of 'nature' to the complexity, variety and artificiality of the social and economic patterns of the Western civilization. Browne armed with that 'Rousseauism', philosophized the Oriental

(1) Ibid.

(2) *Op. cit.* p. 513 et seq.

(3) *Op. cit.* II, p. 59.

(4) Brown, Preface, p. VI.

(5)

(6) Vol. III, Part I, May 1807, p. 385.

(7) D.N.B. under W. G. Browne (African traveller).

place as popular literature. I have not been able to examine W. G. Brown's dissertation 'English Literature in the Near East with special reference to travel literature, 1775-1825'. But in his article on 'Byron and English interest in the Near East' (1), he defined the requirements of a popular travel book, in a study of contemporary periodicals, as 'accuracy and extension of knowledge' on one hand and 'liveliness in style' on the other. The overstress of 'liveliness in style' at the expense of knowledge caused the shrewd *Analytical Review* in 1790 to complain that 'every one thinks he can write' *'Reflective Tours'*, or *'Sentimental journeys'* (2). How far did Browne succeed in fulfilling these two requirements? He was better known as an African discoverer. Indeed, his Ammonian Expedition in Siwa, although involving, according to Rennal, much more personal risk than Alexander's, was fruitless from an academic point of view. Browne was closely connected with Darfur, as he was the first European to describe the country. As far as Egypt is concerned, his account of the political, financial and social conditions, though in many cases misinforming, is by far the most detailed of all the British travellers in Egypt in the second half of the 18th century.

As for the second requirement, Browne seems to have failed abjectly. Whether it is because of his lack of descriptive power, or that his enthusiasm was unaccompanied by any literary liveliness, the fact remains that he is intolerably pedantic and affected. Concerning his form, on the evidence of contemporary British magazines, the first criticism was want of 'narrower compass' and 'arrangement'. The *Annual Register*, in a remarkable article, 1799 (3), accused Browne of not succeeding in giving 'mental entertainment' and not avoiding 'mental disgust'. 'Mental entertainment' maintained the Register 'is an object, we hesitate to say a subordinate one, at which books of travels aim; and we are not able, perhaps, to exhibit passages which claim the praise

(1) *Studies in egiptology*, Vol. XXXIV, January 1937, pp. 55-64.

(2) Vol. 3, 1790, pp. 154-155.

(3) p. 499 et seq.

residence in the country, traversed every part of it at leisure, conversed familiarly with every class of people, shared in their meals, partaken of their labours and amusements, in short, become as if were one of themselves, and being accustomed to speak, and act, and think as they do. He must, moreover, be formed by nature for minute and incircumstantial observation, deem nothing immaterial in his enquiries, and note even the smallest peculiarity with justness and precision' (1). The Review went on to state finally that 'such a man has not yet been found'. "The greatest part of the relations we have from these regions are either too romantic to be credited, or too incomplete to be satisfactory" (2). When one field of scientific investigation becomes ancillary to another different in nature and method, little profit is expected.

Browne alone, among the British travellers in Egypt in the second half of the 18th century, sustained the 'travail of reassessment or revaluation'. As a traveller, he possessed 'exactness and veracity'. But one of the factors that added to the unpopularity of his book was the failure of his style and form to satisfy the taste of his age. We cannot here make any literary study of travel literature of the period, but it is essential to trace the general taste of the reading public in England for travel books, depending in this on contemporary comments of different magazines and reviews.

At the end of the 18th century and in the early 19th, travel and travel literature became extremely popular. The period witnessed the growth of British colonial expansion and responsibilities overseas, the improvements of means of transport and the growth of the newly-enriched middle class which began touring abroad. Naturally the travellers were impelled to publish accounts of the people, places and adventures which they experienced with the result that the period saw the publication of an almost uninterrupted stream of travel books which assumed an important

(1) *Ibid.*

(2) *Ibid.*

that they might be compared with the English version' (1). Bruce, moreover brought with him from Abyssinia and Egypt many manuscripts in Arabic, Coptic and Ethiopic, the most important of which were the Old and New Testaments in Ethiopic of which Beloe himself thought to be 'of the greatest importance to the elucidation of Scripture' (2). The Evangelical movement in England in the late 18th century showed itself in attempts by some scholars to use the information and knowledge in the books of travels for the elucidation of the Scriptures. In 1764, Thomas Harmer (1714-1788), an independent minister, published his 'Observations on Divers Passages of Scriptures... from Books of Voyages and Travels'. He explains his method in the preface by stating 'learned men have often employed themselves in noting down places of the Greek classics, which they thought explanatory of passages of Scripture... but modern books of travels and voyages, which, if carefully perused, will afford us many observations, as curious, and as useful...!' (3). Such attempts, however, imply, as the shrewd *Analytical Review* pointed out (4), that the 'manners and customs of the Oriental nations are nearly the same, now as they were two thousand years ago...'. Secondly the question remains whether these travel books, at least which Harmer made use of, offered accurate and reliable information. In the same article of the *Analytical Review*, the editor referred to the qualification of such a traveller by saying that he 'must be, himself, not only a man of letters, but an excellent philologist, not only well overread in the general grammar of all the Oriental written dialects, but able also to make an analytical comparison of them with every oral variety that is in use between the Nile and the Euphrates. For that purpose, he must have made a long

(1) *Op. cit.* Vol. II, pp. 46-47.

(2) *Ibid.*

(3) *Op. cit.* p. III.

(4) Vol. 3, 1789, pp. 578-581.

associations in the Near East for the service of the Bible. The Bishop of Clogher thought of sending someone to Egypt to 'make enquiry' into the scripts of the 'Gebel el Mokatab' in Sinu. The Church of England, on the other hand, had shown an interest in the Eastern churches. As early as 1675 Dr. Marshall translated the book of a famous Coptic scholar Abu Dakn under 'Historia Jacobitarum seu Coptorum, in Egypto, in which the author deals with the history of the Coptic Church. In 1693 the book was translated from Latin into English by Sir E. Sællier. Four years before the publication of Abu Dakn's book, Dr. Marshall was apparently engaged in preparing the 'four Evangelists in Coptic' (1), a work which does not appear to have been published. Around that time a certain F. Brothai was in Upper Egypt on missionary work 'among the Christian Copts of that country, which are in a great number there, and have many monasteries and ancient churches, but poor' (2). One of our travellers; Antes was a Moravian missionary and later the Religious Tract Society took it upon itself to publish episodes of his missionary life in Egypt (3).

But Bruce's travels were surely the most interesting in this respect. W. Beloe relates how Bruce 'on his first return from his...travels, had some questions proposed to him on the subject of the Bible in the language of Abyssinia, by a remarkable and highly distinguished member of our church, which he answered very satisfactorily', and how he 'voluntarily undertook to translate literally, a number of the Abyssinia Bibles, in order

(1) Calendar of State Papers. Domestic Series, January-November 1671. Dr. Thomas Hyde to Williamson, Nov. 23 p. 581.

(2) Philosophical transactions, Vol. 1. pp. 591-592, N. 71, p. 2151. Some observations lately made by certain Missionaries in Upper Egypt, in a letter written from Cairo, Jan. 6, 1670, by F. Brothai.

(3) John Antes, Confidence in God, London. 1799 and Anecdotes in the life of John Antes, London, 1799.

the Turkish rule. The English contemporary pictures are vivid illustration of that confusion, where things, Turkish, Arabic and Oriental in the general were presented to signify either Arabic life or places or persons. The common and striking feature was their failure to realize that the crescent was purely a Turkish symbol⁽¹⁾.

It is remarkable how these travellers were very Western in their outlook on Egyptian society. In fact, they emphasized in general ideas and conceptions current in the West about Arabs and the Arab World. Treating their attitude towards a society different in patterns of thought and life, one might generalize and state that there were two different trends, one to assimilate in the background, Christian in values, and classical in taste, and another trend breaking vigorously with the popular outlook and pointing enthusiastically to a revaluation or reassessment of this Eastern society. G. W. Browne alone stands to represent the second trend, while the first is eminent in all the others.

One aspect of this assimilation was the numerous comparison of things Egyptian with others in the West. Antes stated that the differences between the Shia and Sunna were parallel to those between the Whigs and Tories in England⁽²⁾. We have seen some travellers called the Beys the 'Republic'. The defect of such attempts is that they eventually become extremely misleading. Another aspect of this assimilation was a trend among these travellers to study the Egyptian society in biblical terms and subsequently illustrate the scripts. We have seen how some of them tried to justify what they termed 'degeneracy' of the Egyptians'. At the end of the 18th century, there was in England an interest among the scholars to study the biblical

(1) See J. Gillray's Caricatures, Vol. 1. 1830. Nos. 679, 688, 689, 690, 691, 662, 697 and others. Also see Mavor (W), Collection of voyages and travels, Vol. XII, p. 122, Vol. XIII, p. 224, XIV, p. 201 and R. Ainslie, Views in Egypt, from the original drawings in the possession of Sir R. Ainslie, London, 1805.

(2) *Op. cit.* p. 6.

was in a better condition under Murad and Ibrahim than under the French, and under the latter better than under Mehemet Ali. From an economic point of view the crisis which Egypt witnessed since the French Expedition made the situation much worse than it was in the 18th century. Again culturally the Western and Turkish impact on Egypt was responsible for that confusion in thought which characterizes the first half of the 19th century. Although the second half of the 18th century saw Taj-ul-'Arus and the history of Al-Jabarti, it is almost definite that the first half of the 19th century brought forth no original work in literature or religious studies.

Reverting to our travellers' conception of the inhabitants, we find that besides the theme of 'degeneracy of the people', they looked upon the Egyptian, in manners and customs, as Arabs. A prominent feature of the social impressions of these travellers was that they never penetrated to what would be called the provinces and therefore did not include the 'fellah'. It was either among the Bedouins or in Cairo that these travellers were able to see the native inhabitants, the first living on the fringe of the Egyptian life, the second an Islamic centre of different Moslem countries. Naturally, then, Capper with a shallow view of Cairo would only see 'an heterogeneous mixture of all nations' and nothing like 'an original national character'. There was not a clear-cut distinction in the mind of these travellers between the Arabs, let alone the differences in their national characters—and the Turks. That the Near East was then culturally, religiously and, to a very great extent, politically, a unity seems to have contributed to that confusion. R. Chandler (1) wrote throughout his book about the Turks without being apparently aware of the fact that he was describing the Arabs of Aleppo. The twelve years of his life in Egypt did not prevent Antea from using the words 'Turk' and 'Arab' or 'Turk' and 'Mameluk' interchangeably. He even used the term 'Turkey' to signify all the countries and nations under

(1) *Travels in Asia Minor and Greece* (1764). London, 1817.

which he lived as essentially Islamic. Pan-Arabism, much less its emphasis was not pronounced in him. The decline of the Turkish power in Egypt in the late 17th and throughout the 18th centuries had given rise to different factions mainly military (the Beys and Arab tribes), and to what are called the 'acquired rights', both factors contributing not only to the decentralization of the Government but also to its disintegration. The Government, then, in the eyes of Al-Jabarti, was an organization besides many others in the country. Its work, according to Al-Jabarti, seems to have been restricted to the protection of the 'acquired rights', the collection of taxes, and the recruitment of labour for public works. The three pillars of Al-Jabarti's society, therefore, were a strict adherence to Islamic ordinances and custom, the decentralization of government, and the maintenance of 'acquired rights'. The attempts made by the French or Mehemet Ali at the turn of the 18th and early 19th centuries to wreck one of these pillars, were indignantly resented by Al-Jabarti. On the other hand, he was able to appreciate certain values and standards of Western civilization. His language in describing French cultural achievements—after his visit to the French Academy—is characterized by laudatory figures of speech. He was struck by the trial of the assassin of Kleber, comparing it with the justice of the Turks and the Beys who had no respect for 'human souls' and yet claimed to be Moslems. He was impressed again by the life in England where 'no poverty exists', a picture conveyed to him by his friend, Elfi Bey, who visited London in 1802. But if Al-Jabarti had in general refused Western culture, it ought to be remembered that he experienced the revolutionary type of this culture which a contemporary English clergyman would have equally resented.

A greater resentment by Al-Jabarti is shown towards Mehemet Ali's vigorous action in the abolition of 'acquired rights', the dissolving of these factions and the centralization of the Government. Herein lies the fact that he thought the conditions in Egypt were going from bad to worse. The country, to him,

conveys an entirely different portrait of the man, who according to him 'was inclined to good, loved the learned and the upright... He hated the impious and never committed any act of such a nature as to throw doubt on his religious sentiments or his honour...' (1). It was not in the least his betrayal of Ali Bey that concerned Al-Jabarti but rather his slaughter of the Moslems of Jaffa during his conquest of Palestine. British travellers in Egypt have indeed failed to realize that an 18th century Egyptian was lagging far behind any conception of 'nationalism' and that he regarded himself as a Moslem and little else. That the 18th century patterns of thought and life were not altogether disagreeable to the inhabitants could be shown by their resentment towards their change at the turn of the 18th and early 19th centuries.

Apart from the attempts made by some Western scholars to re-assess Islam, and the Romantic travellers or poets who found in the Arab world themes for their Romanticism, the West regarded Islam as having ceased to function as an institution and an ordinance and thought that the only hope for the Islamic Society was to accept Western institutions and standards. As far as Egypt was concerned, some of these travellers brought forward the suggestion that the country should be ruled by a 'Western nation' (2). In fact, if we allow for the temporary political prejudices caused by the struggle between England and Revolutionary France which made the reading public in England resent the French occupation and justify that resentment, we find that there was a certain enthusiasm and satisfaction among the English public for the change that took place in Egypt and resulted in opening the country to Western thought and culture. Herein lies the difference between this Western view in regarding Western impact on Egypt and the Egyptian point of view vividly presented by Al-Jabarti. This man regarded the community in

(1) عبد الرحمن الجبتي : عجائب الآثار ... الجزء الأول) ص ٤٢٣

(2) Antes, *op. cit.* p. 34.

or where an ancient inheritance of greatness and glory, which has been so totally wasted and lost' (1). Such a view is essentially biblical. Rooke found the explanation of the alleged degeneracy in what he called 'the languid and effeminate spirit' of the inhabitants and their lack of 'courage to resist tyranny' (2). Antes refers to this as 'the bad management of its inhabitants of whom the poorer sort always be content today on a wretched existence, and even sometimes perish for want, in the midst of an earthly paradise' (3). No less biblical was J. White when he referred to this degeneracy by stating that 'God was pleased long since to declare his purpose, and among all the examples that history can show, there is not a more signal object than Egypt, this lying under the Divine interdiction, and left as a fearful witness of his prescience and power' (4). By such biblical views, they seem to satisfy themselves in justifying the existence of despotism of the ruling class in Egypt, which, to their mind, precluded the people's self-expression and appreciation of arts, knowledge and better economic conditions. Looking at the whole question with purely Western eyes, one observes that a remarkable feature in these travellers' writings was the waste of time and thinking over the 'independence' of Egypt of the Turkish and Mameluk tyranny, and the lack of the Egyptians of the requirements, moral and material to materialize such an 'independence'. When relating the story of the revolt of Ali Bey, Parsons states that the 'Inhabitants of Egypt wished to be independent of the Porte and therefore they adore the memory of Ali Bey.... who mounted the throne of Egypt.... had he not been treacherously betrayed... by Abu Dahab, his own general, nephew, and son-in-law, (whose) memory is deservedly held in such detestation, that when he is named, they spit on the ground and stamp on it' (5). Al-Jabarti, a contemporary Egyptian historian,

(1) *Egyptiana*, London, 1801, p. 241.

(2) *Op. cit.* p. 18-19.

(3) *Op. cit.* p. 82.

(4) *Op. cit.* p. 4.

(5) *Op. cit.* p. 301.

labours of modern travellers in this country". Not less emphatically the Eclectic Review asserts 'The military events which for a while distinguished that country (Egypt), gave occasion to so many descriptions and historians of it, that we are almost as well acquainted with the river Nile as with the Thames; and with the Delta, as with the countries within a day's journey of the metropolis... (1). Since we now know how inadequate this knowledge of the age was, such statements are surely evidence of the low standard of erudition of British contemporary studies concerning Egypt.

Our travellers, besides being unable to live among the people of Egypt, were denied correct sources of information. The Janissaries are obviously unreliable. 'The Greeks... inquisitive... were intimate with the people at large and with the government... rarely represent things as they are, but as feel them or would have them to be.....' (2). The 'Copts' a third source, 'were timid and reserved, they fear to discover even what they know' (3).

There were two main themes in the writings of these travellers, one was to regard the Egyptians as 'degenerate' people in trying to connect them with the ancient Egyptians, and the other was to look upon them as 'primitive' or in a stage of 'barbarity' when trying to connect them with the rest of the Arab domains, since the Arabs had no historical civilization in the contemporary popular eyes of the West. Referring to their 'degenerate state, J. Capper says '...In my opinion they are now..... the most disagreeable and contemptible nation on the earth, bearing no resemblance to the former Egyptians, than the present ruins do to their once insignificant buildings' (4). Professor J. White wrote at the turn of the century, 'where shall we find a degeneracy like that of the present race of Egyptians,

(1) 1803.

(2) Browne, *op. cit.* p. VIII.

(3) *Ibid.*

(4) *Op. cit.* p. 17.

obviously difficult for any British traveller in the circumstances to live intimately among the people and study them. Only under Mohamet Ali did the position of the Europeans become in general secure enough to enable a man like the British Arabist W. Lane to live among the people with 'tolerable ease' and to permit a growing foreign clientèle to found an 'Egyptian Society' in the Capital⁽¹⁾. This opening of Egypt in the early 19th century, together with the fact that since the Napoleonic Expedition the country had become a point of interest and 'curiosity' for the English public at least for some time, contributed to popularizing travels and travel-books on Egypt. That popularization helped considerably to bring Egypt nearer to the English mind much more than the 18th century ever dreamed of. But W. G. Brown's⁽²⁾ overstressing the influence of the popularization of these travels in the Near East in general on what he called the accuracy of the contemporary English knowledge about that part of the world, is somewhat open to question. He quoted as evidence an extract from the *Eclectic Review* (1812) in which the editor says about Egypt, Palestine and Greece, 'Of these countries' already so amply described by Shaw, Pococke, Maundell, and Chandler, our information is singularly minute and copious... so copious indeed, as in the opinion of many, to have contracted the duties of a writer of travels in the present day, to little more than the correction of the errors of his predecessors'⁽³⁾. Brown obviously disregards the fact that the age overestimated its knowledge of the Near East. The *Edinburgh Review*⁽⁴⁾ referring to Thomas Legh's voyage up the Nile in 1816, claims that 'If Mr. Legh has not contributed much to our knowledge about Egypt, it must be recollected... that there was comparatively little to add, after the multiplied

(1) B. M. *Journal of the Egyptian Society—Under 'Cairo'*.

(2) 'Byron and English interest in the Near East.' *Studies in Philology*, XXXIV. January, 1937, pp. 55-64.

(3) 1812, p. 1085.

(4) Vol. 27, 1818, p. 423.

travellers. Apart from Browne, Bruce and perhaps Baldwin, none of them evidenced that they possessed any adequate knowledge of the Arabic language. 'Sans la langue' writes a contemporary French traveller⁽¹⁾ in Egypt. 'On ne saurait apprécier le génie et le caractère d'une nation : la traduction des interprètes n'a jamais l'effet d'un entretien direct. Sans le temps l'on ne peut juger sainement ; car le premier aspect des objets nouveaux nous étonne, et jette le désordre dans notre esprit, il faut attendre que le premier tumulte soit calmé, et il faut revenir plus d'une fois à l'observation pour s'assurer de sa justesse'. Thirdly the isolation of the non-Moslem community in Egypt from the social and cultural life of the community left these travellers no other alternative but to join the narrow life of the Frank colony in the Towns or the Catholic convents on the fringe of the towns. Fourthly, these travellers were subject to the continuous oppression and avarice of the Beys. It is difficult to think of any British traveller between 1779-1784 who did not suffer in some way under the Beys. Antes relates how he was arrested and beaten⁽²⁾. Baldwin, Irwin and Rooke were arrested too. Such treatment was attributed to the desire of the Beys, particularly the lesser ones, to extract money from these travellers who were known to have come from the 'treasury lands'. It was also attributed to religious fanaticism. None of these travellers, however, seems to have realized that this treatment was closely connected with the commercial struggle between the Arab merchants and their formidable rivals in the first place and between these Frank merchants and the growing active Syrian colony late in the century. This fanaticism, however, took different shapes. Except in Rosetta, the Franks were obliged to dress in Turkish garb and only their consuls and high officials were allowed to ride on horseback. In the western part of 'Grand Cairo' they lived in certain quarters which were closed at night. It was

(1) Volney, *op. cit.* Tome I, p. IV.

(2) Confidence in God, London, 1799.

absolutely insignificant' (1). Such a transaction did not, in fact, appear to have taken place either with the tenant or with the 'Multazim' and the holding of the land either by one or the other was almost hereditary.

Browne again was the only traveller of our period to deal with the Revenue. He pointed out that the sources of revenue were the legal tax or two 'patachas' per feddan estimated as a whole at 12,900 'purses', the additional taxes imposed by the Beys which he estimated at L.S. 1,250,000 the custom duties of which he could not give a definite estimation, the 'Jizin' (1,500 purses) and the customs levied on certain artisans and professions (2). In the first place, Browne left out of account an important item, which contributed to the Miri, the money paid by those holding official posts. Secondly his estimation of the sources of the Miri are grossly inaccurate if compared with those given by Estève (3). The Miri for the land, estimated by Browne as 215,000,000 'Midiés', are about one hundred million more than the entire Miri according to Estève. Thirdly, Brown seems to have considered the Miri as revenue only and this is probably the reason for his misapprehension in supposing that all the taxes belonged to the 'Miri'.

4 Sociological study of the inhabitants was the least contribution of these travellers and apart from Browne and Antes, there was, in fact, nothing like a studied observation of the manners and customs of the different classes of people. Most of these travellers suffered two obvious handicaps, inadequacy of time and their ignorance of the language. Irwin, Capper, Rooke, Mrs. Pay and Cleghorn deserve to be called wayfarers rather than

(1) Ibid.

(2) *Op. cit.* p. 35.

(3) *Mémoire sur les finances de l'Égypte, depuis sa conquête par le Sultan Selym er jusqu'à celle du général en chef Bonaparte, par M. le comte Estève, trésorier général de la Couronne, officier de la Légion d'Honneur, ex-directeur général des revenus de l'Égypte* p. 109. Description de l'Égypte, Paris. 1822. Tome 12, pp. 41-218.

The speculation of some of these travellers on the commerce of Egypt will be left to another essay, and here we shall refer only to their dealings with agriculture. In fact, the country-side was the field least explored by the British travellers and we find Browne the only person informed to any appreciable extent on the conditions of the peasantry. Estimating its potential productivity, Baldwin asserted that Egypt 'can send annually a thousand ships abroad with her superfluous productions' ⁽¹⁾. Browne estimated the cultivable land at 2,100,000 feddans ⁽²⁾, two-thirds of which were actually cultivated. Antes, in suggesting means to increase the cultivated land through improvement of irrigation, puts forward the building of 'mills or engines' worked by wind to bring water from the Nile ⁽³⁾. Another 'expensive, and not as soon accomplished' plan was 'fortifying the banks of the river (The Nile) throughout its whole length ... by confining it into a narrower channel by which a considerable piece of valuable ground might be obtained and not a quarter of the water would be required to overflow its banks' ⁽⁴⁾.

Dealing with the tenure of the land, Browne regarded the majority holding as belonging either to the government or to the religious bodies, and therefore 'the tenants or the cultivators' 'hold either of the Government, or the procurators of the mosques' ⁽⁵⁾. Browne thought that this was for the 'personal ease of the cultivator or the tenant' because '(once) their lands, becoming unoccupied, are never let but on terms ruinous to the tenant' ⁽⁶⁾. He went on to explain his point by saying 'For as there is a number of bidders and the managers of them are exorbitant in their demands, the tenant becomes accessory to his own misery, by engaging to pay the owner so large a portion of the product, that his projects are

⁽¹⁾ *Op. cit.* p. 51.

⁽²⁾ *Op. cit.* p. 52.

⁽³⁾ *Op. cit.* pp. 86-87.

⁽⁴⁾ *Ibid.*

⁽⁵⁾ *Op. cit.* p. 54.

⁽⁶⁾ *Ibid.*

own coffers...'(¹). 'I might easily, from my own experience' he says 'give some specimens of law-suits, which would prove, that not the laws themselves, but the execution of them, is chiefly in fault; and that it is in this respect that the differences appear more striking between their government and that which prevails in our own country'(²). Whatever might be the failure of some of these travellers to appreciate that difference, they all indignant-ly found fault with the Beys' abuse of power and the evils of despotism. Claghorn, while in Egypt, noticed that Europeans in Africa possessed democratic views(³). Mme. Montagu who agreed with him, explained this as a reaction to Oriental despotism which they witnessed during their stay in Africa(⁴). Bruce, who was undoubtedly more fortunate in visiting Egypt in the time of Ali and Mehmet Beys, writes that... there is not on earth more brutal, unjust, tyrannical, oppressive, avaricious set of infernal miscreants, than are the members of the Government of Cairo'(⁵). '...The scene of oppression that exists here' writes H. Rooke 'is a disgrace to human nature, both in those who practise and those who suffer it...'(⁶). But it was certainly a gross misconception among the travellers to confuse the 18th century Beys with the Mameluk Dynasty which existed before the Turkish conquest and to consider the latter as a continuation of the former. Nothing is more significant in the writings of the late 18th century English authors about Egypt than their inadequate knowledge of the history of Egypt. The Encyclopedia Britannica throughout the 18th century called the Mameluk Dynasty the 'Third' but 'wicked' Caliphate. Even the better-informed Browne was extremely inaccurate in recording the events of Egypt for the ten years before his arrival(⁷).

(¹) *Op. cit.* p. 116.

(²) *Ibid* p. 134 footnote.

(³) Claghorn Papers, p. 24.

(⁴) *Ibid*.

(⁵) Vol. 1, p. 26.

(⁶) *Op. cit.* p. 93.

(⁷) *Op. cit.* p. 130 et seq.

and that the Sheikh El Balad enjoyed 'more or less the power of the Doge of Venice'. Again from the fact that the word 'Bey' or 'Sanjak' did not always signify the governing province or even any administrative work but often a title carrying financial and social privileges, the Beys unlike the Republic of Venice, did not represent an economic stratum in society but rather a military one. Again the travellers seem to ignore the fact that their 'Republic' was not exclusively Mameluks, the Porte having the right to appoint Beys out of twenty-four. The keynote of this misapprehension apparently lies in the fact that the travellers failed to realize that the standing of the Pashas, that of the Ottoman military leaders and the powers of the Beys which the travellers knew in their time, all this was the development of more than a century during which the Ottoman power was declining. Baldwin is a striking example of that misapprehension. He started with the conception that Sultan Selim, who founded the Mameluk organization aimed at a policy of "equilibrium" between the Beys and the Pasha. The Bey's part was to repress any ambitious designs of the Pasha and the latter was to promote a "spirit of dissension and revolt among the Beys". "Hence the perpetual commotions in the Government of Egypt, hence the division among the Beys, hence the alternate prevalence of parties; hence the continual fluctuation in the tide of power; hence the security and affection of the state" (1). Both Browne and Antes tend to differentiate between the theoretical form of the constitution and the abuses of its application. The Bey, for instance, "sits for judgement on case of equity" which offered 'every advantage of publicity' but 'the justice of the ruler is ever open to the omnipotent influence of gold' (2). Antes, on the other hand, referred to the 'money allowed by the Sultan for carrying the rubbish from Cairo to the Sea (Karakjee)' but the Beys find it more for their interest to put the money into their

(1) *Op. cit.* pp. 51-52.

(2) Browne, *op. cit.* p. 58.

the ruling class in Egypt through their lavishness. Cleghorn, after a few days' stay in Cairo, wrote that nothing could be done in this country without presents. There is no doubt that these travellers were aware of the domination of the Beys. Eton, who published his survey of the Ottoman Empire in 1798, described the three main features of the Porte's sovereignty in Egypt by saying '... the Pasha is in effect a prisoner during his government which is only nominal; the Porte draws little or no revenue from it... The Janizaries and Arab soldiers in the service of the Porte... are few in number mostly composed of artisans and persons unaccustomed to arms. The actual power resides in the Mameluks...' (1). But the fact that Egypt was virtually independent, being only nominally a Turkish province seems to have been difficult for these travellers to grasp. 'I hardly know how to explain... the form of government here', writes H. Rooke, 'it is of so strange and complicated a nature; on one hand the Pasha or Viceroy sent by the Grand Signor, to whom the country is tributary, claims the sovereignty; on the other the twenty-four Beys maintain their authority' (2). Bruce admits that he 'could never understand it, and therefore cannot explain it' (3). Even the better-informed Baldwin was 'puzzled to define its government: who has ever defined it? It is neither dependent nor independent' (4). In an attempt to assess that political form of government, some of them refer to the 'Beys' as the 'Republic'. Lusignan oversimplified when he divided the administration of Egypt into the 'Republic' and the 'Monarchy': the first represented by the Beys, the second by the Pasha (5). That misconception had led Capper (6) to think that the twenty-four Beys were rulers of provinces, and therefore concluded that Egypt was divided into twenty-four provinces,

(1) W. Eton, *A Survey of the Turkish Empire*, 1798, p. 293.

(2) *Op. cit.*, p. 24.

(3) *Op. cit.* Vol. I, p. 26.

(4) *Political Recollections*, p. 47.

(5) *Op. cit.*

(6) *Op. cit.* 18-19.

practically nothing of significance on Egypt. Even the substance of his well-known work 'Political Recollections relative to Egypt' 1801, does not contain much more than his 'Speculation on the situation and resources of Egypt' presented to the British Government sixteen years earlier⁽¹⁾. His 'Political Recollections' was received with bitter disappointment by the British public. 'Not only from the title page' writes the editor of the *British Critic*, 'but from the local situations and character of the writer, the public might reasonably expect a great deal more than they will find... and we cannot help being of the opinion that a great number will partake of the disappointment which we confess to have experienced. So much has the curiosity of the world been directed to Egypt, that every eye, and every ear, anxiously expected to know what an Englishman who had resided almost thirty years upon the spot was able to tell them'⁽²⁾. The fact is that this book, which was written in the light of the 18th century British interest in Egypt, was published in the 19th century Egyptian Napoleonic upheaval. In the first place Baldwin offered very little 'new' to the public. In the second place he seems to have been determined to boost in strong terms the services he performed at the expense of information on the subjects he professed to discuss⁽³⁾.

We shall attempt here to give these travellers' conception of the political and social structure of the country in general terms, availing their views on the British political interests in Egypt which will be dealt with in a separate dissertation.

In general, British travellers were able to understand the nature of the Levantine political and administrative set-up, with its favouritism, its bribery and the nature of the Mameluk mentality in particular. By the end of the century, a French traveller had written that the English enjoyed the *bona fides* of

(1) See Ch. VIII.

(2) Vol. XVIII, p. 89.

(3) *Edinburgh Review*. Vol. I, p. 59.

John Antes (¹), American born, was a Moravian missionary, 'invited to serve the mission at Grand Cairo'. When he arrived at the beginning of 1770, the original pl. (²) was that Antes, with his German Brethren, would follow James Bruce to Aoyssinia for missionary work there. But 'the information received from Mr. Bruce, upon his return in 1773, ... destroyed all our hopes of being of any service there ...' (³). Antes stayed in Egypt until the end of 1781, absorbed in an apparently unsuccessful mission among the Copts (⁴).

Of all the Englishmen in Egypt in the second half of the 18th century, G. Baldwin enjoyed the longest stay, as an agent of the East India Company (1775-1779) and the British Consul-General in Cairo (1786-1795). Both official positions must have afforded him a unique opportunity of coming into intimate contact with the ruling Beys. Thus he was, most probably, the best-informed Englishman about the contemporary political conditions of the country. Up to 1798, apart from the 'Narrative...to the plunder of the English merchants 1779' (⁵), Baldwin wrote

(¹) *Observation on the Manners and Customs of the Egyptians* ..., etc., London 1890.

(²) J. A., *Missionair der Brudergemeinde*, (Eine Selbstbiographie). Basel, 1869, p. 1 *et seq.*

(³) *Confidence in God*, illustrated in the life of J.A., a missionary in Egypt; extracted from a narrative written by himself. The first series tracts, etc. (Religious Tract Society), London, 1799, p. 2.

(⁴) "August 23. I set off on a visit to Belmesse, to renew our connexion and acquaintance with the few Copts in that place, ... there I stayed about six weeks, and spoke to many Copts of the love of Jesus Christ our Saviour: interesting them to devote themselves to him, by whose name they wish to be called, and to such approve themselves as believers in, and followers of his doctrines. They appeared to assent to everything that was said; but it was easily seen that, with most of them, though they had a custom of speaking in scripture phrases, or, out of compliment to me, expressed their approbation, their hearts remained untouched which made me daily call upon the Lord to hasten their conversion." Antes, *Confidence in God*, p. 6.

(⁵) 'Narrative of facts to the plunder of the English merchants by the Arabs and other subsequent outrages of the Government of Cairo in the course of the year 1779.'

Up to the turn of the century, the 'African Association' was able to send over two explorers to Egypt. The first was J. Ledyard⁽¹⁾ who died prematurely in Cairo in 1788, the second was the German explorer Fredrick Hornemann⁽²⁾, who witnessed the French Expedition to Egypt, and, assisted by Napoleon, made his investigation in Sennar in 1798-1800. Beside these two, Egypt saw W. G. Browne⁽³⁾, a private explorer who arrived at Alexandria in January 1792 with the intention of penetrating into Abyssinia. Accompanying the great Sudan caravan to Darfur, and encountering great hardships, he reached Darfur in July 1793. There he made his investigations. It was not before 1796 that he arrived back in Cairo.

Apart from the 'chance travellers', there were a few residents either in an official capacity like G. Baldwin or unofficial ones like Antes and Lusignan. S. Lusignan⁽⁴⁾, a Levantine merchant, contemporary of Bruce and Wortley Montagu, is specially noted for his account of the history of the revolt of Ali Bey, to which he added, as far as Egypt is concerned, a description of Cairo and an account of the Government of Egypt. The authenticity of his work was impugned by the French traveller, F. Volney⁽⁵⁾, who instanced with ridicule the Bey's father's visit to Egypt as an example of how Lusignan was misinformed. The latter seems, however, to have failed to pass an impartial judgement on the revolt. Moreover, he wrote his work ten years after the Bey's death and, depending entirely on his memory for places and names, laid himself open to inaccuracy.

⁽¹⁾ Proceedings of the African Association...etc., p. 26, *et seq.* Parks. *Memoirs of the Life of Ledyard*, p. 402. *et seq.*

⁽²⁾ Proceedings...etc., 1802. p. 2 *et seq.* Hornemann, F. *The Journal of Fredrick Hornemann's travels in 1797-8*. London, 1802.

⁽³⁾ *Travels in Africa, Egypt and Syria, from the years 1792 to 1798*, London, 1799.

⁽⁴⁾ *A History of the Revolt of Ali Bey against the Ottoman Porte...*, etc., London, 1783.

⁽⁵⁾ C. F. De Volney, *Voyages, en Syrie et en Egypte, pendant les années 1783, 1784 et 1785*, Paris, 1787.

mistaken in regarding himself as the first European who had reached these springs. Pedro Paez, the Jesuit, had undoubtedly reached them as early as 1615. Bruce's travels, however, together with those of Dr. Sparman, Patterson and Colonel Gordon in South Africa, aroused considerable curiosity coupled with a 'reproach' as to the ignorance of the 'present age' about Africa. 'Sensible of this stigma and desirous of rescuing the age from a charge of ignorance, which in other respects, belongs very little to its character' ⁽¹⁾, a group of dilettanti headed by Lord Rawden (later Marquis of Hastings), founded on the 9th of June 1788 an 'Association for promoting the Discovery of the Interior of Africa' ⁽²⁾. The interior of Africa in 18th century terminology did not signify any equatorial region, but was restricted rather to the sources of the Senegal, Niger and Gambia rivers, the western central region of what is now known as French West Africa.

It might be argued, then, that North Africa would offer a more natural entrance to these regions than Egypt. Geographically that appears to be true, but the political unrest of the Islamic countries of North Africa caused by the imminent danger the Arab tribes there, which threatened throughout the century the social and economic life of the towns, made the journey a perilous undertaking.

In Egypt, explorers found it convenient to accompany the trade or pilgrim caravans between Cairo and Darfur and beyond. In Cairo they were likely to obtain information about these 'interiors' from Arab merchants, and assistance from the British Consul or Carlo Rosetti, the Venetian merchant and unofficial head of the Frank colony in Cairo. Furthermore, the districts of exploration were inhabited mostly by Moslems, and explorers found it useful to stop in Cairo for a certain period to acquire the language and study the manners and customs of the people.

⁽¹⁾ Proceedings of the Association for promoting the Discovery of the Interior Parts of Africa, London, 1790. p. 7.

⁽²⁾ Ibid.

By their commercial penetration into the Mediterranean and round the Cape of Good Hope, the British in the 18th century became fairly acquainted with the Northern, Western and, to a less degree, Eastern coasts of Africa. Apart from this, the interior parts of the Continent remained 'terra incognita'. One might safely assume that their acquaintance with Egypt, from a geographical point of view, surpassed their knowledge of any other part of the Continent. It is not, therefore, inexplicable, as the *Edinburgh Review* held (1), that an African traveller; G. W. Browne, should call his book 'Travels in Africa, Egypt and Syria'. Because of that knowledge of Egypt, and because of its intrinsic geographical position, Egypt became the natural gateway to British discoveries in Africa in the second half of the century. There were two lines pursued, one along the Nile, pointing South-West to the old land of the 'Queen of Sheba', the other South-East to the sources of the Gambia to link with their tentative explorations there from early in the 17th century.

Up to the days of R. Pococke, British travellers in Egypt had proceeded no further than the first cataract. Pococke's book, however, foreshadowed the interest of the English nobility in these explorations. For late in 1758, Lord Halifax, then president of the Board of Trade, discussed with James Bruce the question of the sources of the Nile and proposed that Bruce should interest himself in it. In this connection he secured for Bruce the consulship of Algiers as the proper post to learn Arabic and acquire information concerning the interior of Africa. In the summer of 1768, Bruce was at Alexandria ready to start his travels in Egypt, the Red Sea, Abyssinia, to return along the course of the Nile, an expedition which occupied him for nearly four years (1769-1773). It is not here that one should introduce a discussion on Bruce's discoveries. It should be noted, however, that Bruce was mistaken in thinking that he had reached the source of the true Nile. Again, he was less excusably

(1) Vol. II, p. 115.

him can be distinctly classified into two groups ; first the servants of the East India Company, the merchants and ordinary passengers who used this overland route, and secondly the African explorers who made Egypt their starting point for discoveries. Both kinds of undertaking, though carried by what might well be called 'chance travellers', nevertheless appear to have re-established the geographical significance of Egypt, not only in respect to Africa but also to the links of communication between the East and the West.

To the first group belong E. Irwin (1), who was in Egypt 1777, H. Rooke (1777) (2), James Capper (1779 (3), Mrs. F. Fay (1778) (4), A. Parsons (1778) (5) and H. Cleghorn (1795) (6). The chief figures among these passengers who made a detailed description of that route and the Islamic 'echeles' in the Red Sea and were representatives of the British India approach to the Red Sea are Irwin, Rooke and Capper. The route usually taken by them was by sea between Alexandria and Rosetta, by the Nile between Rosetta and Cairo and in the company of trade caravan between Suez and Cairo. Irwin was the only one who was forced to land at Cosseir and travel through the Eastern Desert to Kena and thence by the Nile to Cairo. As such this group of travellers is characterized by being constantly in contact with the Bedouins and life in the Egyptian deserts and their accounts are significant in the study of the 18th century Egyptian caravan routes.

(1) A series of adventures in the course of a voyage up the Red Sea, on the coast of Arabia and Egypt, and of a route through the Deserts of Thebais, hitherto unknown to European Travellers,...etc., London, 1781.

(2) Travels to the Coast of Arabia Felix, and from thence, by the Red Sea and Egypt, to Europe; containing a short account of an expedition undertaken against the Cape of Good Hope; London 1783.

(3) Observations on the passage to India through Egypt,...etc., London, 1783.

(4) Letters from India, London, 1795.

(5) Travels in Asia and Africa,...etc., London, 1803.

(6) Cleghorn Papers. London 1925; v

BRITISH TRAVELLERS IMPRESSIONS OF EGYPT IN THE LATE 18th CENTURY

BY

M. ANIS (PH.D. B'HAM)

As far as British travellers in Egypt in the first half of the 18th century are concerned, one might as-ert on the whole that their main interest was antiquity and antiquarian researches carried out in a spirit of dilettantism⁽¹⁾. The latter part of the 18th century, however, gave rise to a very different type of British traveller to Egypt. It would be unwise to concur with some authorities on travel literature and relate British travels in Egypt during this period to different aspects of British travels in general. One searches in vain for any clear and definite connection between British travels in Egypt and British commercial expansion during the century. For while British trade with India increased five-fold and doubled with Africa, trade with Egypt, in fact the whole trade of the Levant Company, was diminishing throughout the century.

Two main factors that came into being with the arrival of James Bruce⁽²⁾ in Egypt in 1768 were in the main responsible for subsequent British travels; namely the opening of the over-land route between England and India through Egypt and the tentative explorations into what was then known as the 'interior of Africa'. Bruce worked in both fields, but those who followed

(1) M. ANIS, *The first Egyptian Society in London* (Bulletin de l'Institut Français D'Archeologie Orientale, T.L.).

(2) *Travels to discover the Source of the Nile in the years 1768, 69, 70, 71, 72 and 73 containing a Journey through Egypt, the three Arabias and Ethiopia*, 5 Vol., Edinburgh 1790.

held responsible for the rent. He had only to return the seed-corn he received from the landlord. Compare the clause frequently found in leases, e.g. *Pap. Oxy.*, Cl, ll. 24-26, ἐάν δέ τις τοῖς ἐξῆς ἔτεσι ἄβροχος γένηται, παραδεχθήσεται τῷ μισθωμένῳ 'If in any of the years there should be a failure of water, an allowance shall be made to the lessee'.

EGYPTIAN LAWS OF TENURE AND THE OBLIGATIONS OF LANDLORD AND CULTIVATOR TOWARDS ONE ANOTHER

BY
GIRGIS MATTHA

The opening section of the *Demotic Legal Papyrus of Hermopolis West*, now at the Museum of the Egyptological Institute, Giza, is for the most part missing. It deals exclusively with the laws regulating the tenure of arable land and the obligations of landlord and cultivator towards one another. The remaining part, which is complete and in a good state of preservation, furnishes us with the concluding chapter on such obligations as are referred to above.

A landlord (says the papyrus which dates from the end of the third century B.C.) who, after having provided the cultivator with the seed-corn and had his land cultivated, holds back the land from the cultivator, is compelled to give the cultivator one-quarter of the harvest in compensation for his work.

If the seed-corn necessary for sowing the land belonged to the cultivator, the landlord shall give him a quarter of the produce of the land over and above the said seed-corn.

If, on the other hand, the cultivator, after having watered the land and been provided with the seed-corn, failed to sow the land, he is made to pay the landlord the rent plus the seed-corn he received from him, in accordance with the provisions of the lease drawn up between them.

But if it chanced to be low Nile and the land was not inundated, the year was not to count and the cultivator was not

8. *Theban Ostraca* D 32, p. 58, gives *c-f st a tm'r-f mte-j'y c.' r-hr p rt'* 'if he refuses to make it (sc. the oath) let him come before the steward'. The steward of the priests of the temple of Mont was the usual representative of the priests in business matters. In Wilcken, *Griech. Ostr.* No. 1150, referred to above at the beginning of this article, an oath of 134 B.C. before Chons of Thebes, we have the phrase $\epsilon\lambda\ \delta\acute{\epsilon}\ \mu\eta\ \epsilon\rho\chi\epsilon\sigma\theta\alpha\iota\ \epsilon\pi\iota\ \tau\omicron\nu\ \epsilon\pi\iota\sigma\tau\acute{\alpha}\tau\eta\nu$, i.e. no doubt the $\epsilon\pi\iota\sigma\tau\acute{\alpha}\tau\eta\varsigma\ \tau\omicron\upsilon\ \iota\epsilon\rho\omicron\upsilon$. This officer is named in the Canopus decree (Koni-el-hien. Greek, I, 62) and is equivalent to the demotic (l. 20) *p rm nt sn*, who is found making oaths (not receiving them as here) on behalf of the priests in Spiegelberg, *Pop. Elephantine* No. 5 (cf *Theb-(O)str.*, *ibid.*, n. 2); see also next note.

9. Louvre? (*Mélanges*, p. 174) gives *te-w p 'nh n-tr.t X p rt'* 'the oath was given to X the steward'. The steward, before whom the oath was taken, was presumably the steward of the priests of the temple in which the oath was sworn; see last note.

All the oaths referred to above, except one, Louvre? (*Mélanges*, p. 203) of the 31st year of Augustus, date from the Ptolemaic period.

Chons occurs together with his epithet see *Mélanges* p. 191, Louvre 7988 (*Dict. Démotique*, p. 112), Louvre 7329 (*ibid.*, p. 144 G.), *Theban Ostraca* D. 88, p. 57.

(c) *Ammon Nachomneus*. Amūn the principal god of Thebes with the epithet *Na-hmn-w*, a writing of *ny Hmny.w* 'the one belonging to the eight gods of Hermopolis' (cf. G. Mattha, *op. cit.* p. 229) appears in two oaths sworn by him at Thebes, the first being *Theban Ostraca* D 104, p. 59, and the second *ibid* D 179, p. 60. The epithet Nachomneus attached to the name of the Theban Amūn occurs as a proper name in five ostraka published by me (*op. cit.*) Nos. 66/1 (= Berlin 9690; Clandius 7), 111/3 (= Vienna 327; early Roman), 129/5 (= Berlin 1112; Augustus 21), 261/2 (= Bodleian 37; possibly Auletes 2; = 55/54 B.C.) and 272/3 (= Berlin 9463; II-I cent. B.C.). The all come from Thebes.

(d) *Hathor* (of Pathyris = Gebelein). The only published oath by Hathōr of Gebelein is that edited by Spiegelberg in *Démotica* I, p. 44.

(e) *The god-kings* (i.e., presumably, the deified Ptolemies). The only oath known to me sworn by the god-kings is recorded on an unnumbered ostrakon in the Louvre published by Revillout in his *Mélanges*, p. 171/2. It belongs to the 53rd year (of Euergetes II) and was sworn by the *ntr.w Pr-w* 'the gods (the) Kings' in the temple of Mōt at Thebes.

6. Instead of *mte-f wj ar-j* 'and he will have no claim on him', or 'he will be quit of him', an unnumbered ostrakon from the Louvre published by Revillout in his *Mélanges*, p. 203, gives *n* (sic) *tm rħ B* (plaintiff) *ħpr m-s-j n mt nb n p tw B* (plaintiff) shall (Nā-) not be able to have a claim on him for anything whatsoever (*lit.* in the land)'. Notice the displacement of *n*.

7. Louvre ? (*Mélanges*, p. 203) gives (after *ef .w u tm r-f* 'if he refuses to make it (sc. the oath) the words *mte-j tt ħt-j* 'he (sc. the defendant) shall be reconciled to him (sc. the plaintiff).

2. The deities by whom the oath was sworn are :

(a) *Mōnt* the god of Hermonthis and Western Thebes. The majority of oaths were sworn by *Mōnt*. His name is mentioned only in connexion with his temple, i.e. *pr-Mnt* 'the temple of *Mōnt*'; but in the oath his popular epithet *p k* 'the Bull' was used instead of his name. He was frequently described as *Mnt*, or *p k*, *nb Tn-dsr Mōnt*, or the Bull lord of the Holy Region (i.e. the necropolis west of Thebes). The name of this locality was otherwise read *Manun* by Revillout, (*Mélanges*, pp. 171, 176-6, 180-1, etc.), *Mtn* by Spiegelberg (*Demotica* 1, p. 12) and *M'dwhy Sethe* (A.Z. 69, p. 120) but all three readings are palaeographically impossible. See Girgis Mattha, *Demotic Ostraka* 143 1, note.

For Oaths sworn by *Mōnt* cf. Louvre 9072 (*Mélanges*, p. 174), 9056 (*ibid.*, p. 175), 9090 (*ibid.*, p. 176), 7875 (*ibid.*, p. 180), 7863 (*ibid.*, p. 181), three Louvre ostraka without numbers (*ibid.*, p. 190), five other unnumbered Louvre ostraka (*ibid.*, pp. 193, 194 and 203), Louvre 8112 (*Dict. Démotique*, p. 113), Louvre 8116 (*ibid.*, p. 144 G) and *Theban Ostraca* D32, p. 58.

(b) *Chons* the child-god of Thebes: next in frequency to *Mōnt* in oaths comes *Chons*. His name is written either alone or with the epithet *nb 'h* 'lord of time' attached to it. *Chons* as moon-god was naturally 'lord of time'. His demotic name together with the epithet are transcribed in the Græcised name Χεσεβαιῶν, i.e. the temple of *Chons* lord of time (cf. *Theban Ostraca*, p. 58, n. 2). The same name and epithet occur also in the proper name Πετεχενσεβαις (*ibid.*), of which the demotic parallel *P-te-Hns-nb-'h* occurs on three demotic ostraka copied by me from the collection of Egyptian inscriptions in the Bodleian Library, Oxford, Nos. 648, 692 and 760. The last-mentioned of these is a receipt for the tax on strangers of the 35th year of Augustus and was published by me as No. 185 of my *Demotic Ostraka*.

For examples where *Chons*'s name occurs alone cf. L. 9051 (*Mélanges*, p. 170), 7956 (*ibid.*, p. 182). For others

Compare Greek (Wilcken, *Chrest.* 110 A, ll. 18, 19) οὐθεν
 ψευδος ἐν τῷ (19) ὅρκῳ ἐστίν.

6. *e-f* (or *s-w*) 'r p 'nh nte-f (or *s-w*) wy ar-f (or *s-w*).

• If he (or she, they) make(s) the oath, he (or she, they)
 will be quit of him (or her, or them), i.e. will have no claim
 upon him (or her or them).

Compare Greek (Tait, *ibid.*, 275, ll. 8, 9) ὁμνούντων αὐτῶν
 ἀπολ[υέσθαι] (!) αὐτοῦς.

7. *e-f* (or *s-w*) st a tm 'r-f

• If he (or she or they) refuse to make it (sc. the oath).

Compare Greek (Tait, *ibid.*, 1.9.) ἐὰν δὲ μὴ (sic)
 ὁμνύωσι.

8. p nke nt e-f (or *s-w*) wnh-f mte-f (or *s-w*). ty:s

• then the thing, which he (or she or they) (sc. B the
 plaintiff or plaintiffs) declare(s), he (or she or they) (sc. A the
 defendant or defendants) shall give it.

9. te-w p 'nh n-tr.t (or a rt) X

• The oath was given to X (a temple official)

NOTES

1. nt e-r A u 'r-f = Coptic ετερε A εααϣ 'which A must
 (= break set) make' (not: shall make as is generally translated).
 The 3rd future here implies compulsion rather than a simple
 future. The localities named in the published ostraka are: *Dm*⁶
 'Jéine, i.e. Memnonia' (cf. Louvre 9072 in *Mélanges*, p. 171,
 Louvre 9056, *ibid.*, p. 175, Louvre 9090, *ibid.*, p. 176, Louvre
 7875, *ibid.*, p. 180, Louvre 7863, *ibid.*, p. 181 and *Theban Ostraca*
 D 104, p. 59) and *Pr-h.t-hr* 'Pathyris, i.e. Gebelein' (cf.
Demotica I. p. 12). The deity in whose temple the oath was
 sworn is the same as that by whom it was sworn, for which latter
 see next note.

1. *h p 'nh nt e'r A a 'r-f' n p ro* of locality *x n pr* of deity *x n B n* date in year, month and day *dd* 'copy of the oath which A has to make at the gate of locality *x* in the temple of deity *x* to B in date (y.m.d.), saying:' Then follows the subject of the oath.

Compare Greek (Tait, *Bodl. I*, 274) ὅρκος δὲν δεῖ ὁμόσαι ἐπὶ τοῦ ἐν Κόπ(τω) Κρονέλου τῇ καὶ τοῦ Θωῦθ τοῦ ἐλ Τιμόδημον Ἐρμίου Δωρίωνι.

For *n p ro* of locality *x n pr* of deity *x* 'at the gate of locality *x* in the temple of deity *x*' the following alternatives are common:

(a) *n pr* of deity *x* 'in the temple of deity *x*'.

(b) *n h'ih n* locality *x* 'in the dromos of locality *x*'.

(c) *m-hh* deity *x* 'before deity *x*'.

2. '*nh* deity *x nt htp ty 'rm ntr nb nt htp 'rm-f* 'By deity *x* who resteth here and every god who resteth with him'.

Compare Greek (*ibid.* ll. 7, 8) νῆ τὸν Κρόνον καὶ τοὺς συν (8) νόους θεούς..

For '*rm ntr nb* 'together with every god' there is the alternative '*rm n nt* 'together with those (who rest with him)'.

Κρόνος evidently represents an Egyptian god, probably Geb.

3. Subject of the oath: *py* (or *ty*, *ny*) disputed object *nt e-k* (or *-t, -tm, -f, -s, -w*) *mt 'rm-y* (or *-n*) a.t.b.t.f (or *-s, -w*).

'This (or these) disputed object(s) for which thou (or you or he, she, they) disputest (or dispute, disputes, dispute) with me (or us).

4. Declaration concerning the object(s) of dispute.

5. *mn mt.t 'd n p 'nh*

'There is no falsehood in the oath'.

THE DEMOTIC OATH, ITS LEGAL FORMULAE AND THEIR GREEK COUNTERPARTS

BY
GIRGIS MATTHA

While oaths, recorded in Greek on ostraka, are very rare (the only examples known to me being *Gr. Ostr.* (1) II 1150, Wilcken: *Chrestomathie* (2), 110 A, and Tait: *Greek Ostraka in the Bodleian, etc.*, I, 273-75) in demotic, they are common. A large number of these were published by Revillout in his *Mélanges* (3), pp. 170-203. Chardon also gave four further examples in his *Dictionnaire Démotique*, pp. 112, 113, 144 F, and 144 G. Unfortunately, all of Revillout's and Chardon's copies of the texts are very faulty. Thompson also published four oaths reproduced by photography in *Theban Ostraca*, pp. 57-59, Pl. VI and XI. These together with one, sworn by Hathôr at Gebelein, published by Spiegelberg in *Demotica* I (4), p. 44, are the only ones that can be trusted. There is, however, a large number of oaths recorded on the ostraka of the Bodleian and various other collections which I hope to discuss fully in a later work. Here I will only quote the commonest phrases of the formulae, A and B representing the names of the disputing parties:

(1) U. Wilcken: *Griechische Ostraka aus Aegypten und Nubien* (1899).

(2) U. Wilcken: *Chrestomathie der Papyriuskunde* (1912).

(3) Revillout: *Mélanges sur la métrologie et l'économie politique de l'ancienne Egypte* (1895).

(4) In *Sitzungsberichte d. Bayer. Ak. d. Wiss., Philos.-phil. Kl.* (1925), 6.

CONTENTS

OF THE EUROPEAN SECTION

	PAGE
GIRGIS MATTHA	
The Demotic Oath, Its Legal Formulae and Their Greek Counterparts	1
GIRGIS MATTHA	
Egyptian Laws of Tenure and the Obligations of Landlord and Cultivator Towards one Another ...	7
M. ANIS	
British Travellers Impressions of Egypt in the Late 18th Century	8
L. A. TRACENZA	
The Curator Inscription and Other Recently Found Fragments from Wadi Semna	39
D. L. DREW	
Two Literary Puzzles from Palestine	51
M. MITWALLY	
Native Methods of Working a Sakia in the Northern Province of the Egyptian Sudan... ..	1

BULLETIN
OF
THE FACULTY OF ARTS



VOL. XIII—PART II

DECEMBER 1951

The Bulletin of the Faculty of Arts is issued twice a year, in May and December. All requests for copies should be made to the Foad I University Librarian, Giza. Communications regarding contributions should be addressed to Dr. Zaky M. Hassan Bey Editor of the Bulletin, and Dean of the Faculty of Arts, Giza, Egypt.

CAIRO
FOAD I UNIVERSITY PRESS,
1951



Universitätsbibliothek Alexandria



0542796